دولـة الإمارات العـربية المتحدة

جامعة الوصل - دبي
كلية الآداب

فِـكـر ومَـعـرفة

مجلة علمية محكمة سنوية
متخصّصة في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة

العدد الرابع
(1446 هـ - 2024 م)

تأسست سنة 2021 م

المشرف على المجلة

أ. د. خالد توكال

نائب مدير الجامعة لشؤون البحث العلميّ

رئيس التَّحرير

د. عبد اللّه طاهر الحذيفي

نائب رئيس التحرير

أ. د. علاء عبد الستار مغاوري

هيئة التحرير

أ. د. على الشبعان – أ. د. سيد عبد الخالق إسماعيل

كلية الآداب

الرؤية والرسالة والأهداف

الرؤية:

تعليم إنساني ابتكاري لمجتمع عالمي.

الرسالة:

تأهيل مخرجات نوعية في برامج البكالوريوس والدراسات العليا، تلبية لاحتياجات سوق العمل المستقبلية في المجتمع الإماراتي والإقليمي والعالمي.

الأهداف:

انطلاقًا من رؤية كلية الآداب ورسالتها فإنها تهدف إلى:

أولًا: إعداد جيل يتمسك بالقيم العربية الإسلامية والمبادئ الإنسانية السامية.

ثانيًا: تقديم مخرجات مؤهلة لخدمة اللغة العربية بحثًا وتدريسًا والسير بها نحو العالمية.

ثالثًا: ترسيخ مبدأ التعايش بين اللغات والثقافات والحضارات.

رابعًا: النهوض بالأدب العربي والانفتاح على الآداب العالمية.

خامسًا: تعزيز وحدة التعليم العام، وتوفير جميع الوسائط المتاحة لتنمية الأداء في اللغة الإنجليزية والحاسوب والبرمجة الآلية للغات.

سادسًا: تأهيل متخرجين أكفاء في كافة تخصصات الكلية.

سابعًا: تشجيع البحث العلمي المتميز في كافة تخصصات الكلية.

كلية الآداب

النشأة والتطور

أنشئت كلية الآداب بناءً على القرار الوزاري رقم: (١٠٧) الصادر من مكتب وكيل الوزارة للشؤون الأكاديمية للتعليم العالي، وزارة التربية والتعليم بتاريخ: ٨ إبريل ٢٠١٩ في شأن الترخيص لجامعة الوصل (Alwasl University) لتصبح جامعة من جامعات التعليم العالي مقرها(دبي) بدولة الإمارات العربية المتحدة.

كانت كلية الآداب قبل ٢٠١٩ جزءا من كلية الدراسات الإسلامية والعربية التي أنشئت سنة ١٩٨٦، وبدأت يومئذ بمرحلة البكالوريوس، ثم أنشئت بها مرحلة الماجستير بشعبتين: اللغة والنحو والأدب والنقد ابتداء من سنة ٢٠٠٢-٢٠٠٣، ثم اكتملت مراحلها الثلاث في سنة ٢٠٠٧-٢٠٠٨ بإنشاء مرحلة الدكتوراه بشعبتيها: اللغة والنحو والأدب والنقد.

يتكون مجلس كلية الآداب من عميد الكلية ورؤساء البرامج الأكاديمية، ويضطلع بمهمة متابعة العملية التعليمية والسير بها نحو الأفضل، والسهر على تحديث البرامج وتهيئة جميع الظروف المواتية لتحسين المخرجات.

أولًا: البرامج الأكاديـمية:

البرامج المعتمدة حاليًّا:

- برنامج البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها.
- برنامج البكالوريوس في علوم المكتبات والمعلومات.
- برنامج ماجستير الدراسات اللغوية.
- برنامج ماجستير الدراسات الأدبية والنقدية.
- برنامج دكتوراه الفلسفة في الدراسات اللسانية.
- برنامج دكتوراه الفلسفة في الدراسات الأدبية والنقدية.

مجلة فكر ومعرفة

الرؤية والرسالة والأهداف

الرؤية المجلة:

الريادة في نشر بحث علميّ إنسانيّ ابتكاريّ إبداعيّ.

الرسالة المجلة:

تطوير بحث علمي إنساني مبدع متجذر في أرضية عبقرية الشعب الإماراتي الخاصة، يتميز بالرصانة والموضوعية، متناغم مع حركة الإبداع العلمي العربية والعالمية، يتأثر بها بوعي نقدي متبصر، ويؤثر فيها بعطاء نوعي ذي بصمة متميزة، يخدم حاجات الإنسان وسوق العمل المستقبلية في المجتمع الإماراتي والإقليمي والعالمي.

الأهداف المجلة:

أولًا: تطوير بحث علمي مبدع، يتمسك بالقيم الإسلامية والعربية والمبادئ الإنسانية السامية.

ثانيًا: تقديم بحوث علمية تخدم العلوم الاجتماعية والإنسانية: تطورها وتنشرها وتسير بها نحو العالمية.

ثالثًا: نشر البحوث العلمية المتميزة التي تتعلق بأهم القضايا والمتغيرات المجتمعية وتحليلها واقتراح أفضل الحلول والممارسات.

رابعًا: تأهيل الباحثين الوطنيين المبدعين الأكفاء في كافة تخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية.

خامسًا: تطوير أدوات البحث العلمي المتميز وتعزيز قدرات الباحثين على التنافس في سياق البحث العلمي الجاد.

سادسًا: متابعة الإنتاج العلميّ المتميز الجديد في ميادين العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة.

قواعد النشر

أولاً:

تنشر المجلّة البحوث العلمية باللغات العربية، والإنجليزية والفرنسية؛ تحريرًا أو ترجمةً، على أن تكون بحوثاً أصيلة مبتكرة تتصف بالموضوعية والشمول والعمق، ولا تتعارض مع القيم الإسلامية، وذلك بعد عرضها على محكمين من خارج هيئة التحرير بحسب الأصول العلمية المتبعة.

ثانيًا:

١- يراعى في البحث أن يتميز بالأصالة وأن يضيف إضافة جديدة للعلم والمعرفة، وأن يكون مستوفيًا للجوانب العلمية بما في ذلك عرض الأسس النظرية والأهداف الخاصة للبحث والإجراءات المستخدمة في التحليل وعرض النتائج والمناقشة.

٢- تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر في المجلة للشروط الآتية:

٣- ألا يكون البحث قد نشر من قبل، أو قدم للنشر إلى جهة أخرى، وألا يكون مستلًّا من بحث أو من رسالة أكاديمية نال بها الباحث درجة علمية، وعلى الباحث أن يقدم تعهدًا خطيًّا بذلك عند إرساله إلى المجلة.

٤- تقبل البحوث التي تكون جزءا من رسالة جامعية لم تناقش بعد.

٥- لا يجوز للباحث أن ينشر بحثه بعد قبوله في المجلة في مكان آخر إلا بإذن خطي من رئيس التحرير، وإلا تكفل الباحث بسداد التكلفة المالية لتحكيم بحثه خلال الدورة التحكيمية.

٦- يراعى ضبط الآيات القرآنية وكتابتها بالرسم العثماني، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة، إن استشهد بها في البحوث.

٧- يُكتب البحث بمسافات (مفردة)، على ألا يقل عدد صفحاته عن (٢٠) صفحة بواقع (٥٠٠٠) خمسة آلاف كلمة، ولا يزيد عن (٣٠) صفحة في (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة كلمة، وحجم الخط (١٦) نوع (Simplified Arabic)، وإذا زاد البحث عن

(٣٠) صفحة، فعلى الباحث دفع تكاليف الطباعة للصفحات الزائدة؛ وهي (٥) دولارات عن كل صفحة.

٨- ترسل من البحث نسخة إلكترونية، وفق برنامج "Word ٢٠١٠" وتكتب أسماء الباحثين باللغتين العربية والإنجليزية، كما تذكر عناوينهم ووظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، بحسب كشف البيانات المرفق؛ وذلك (بغرض التوثيق الدولي).

٩- يُرفق مع البحث ملخص باللغة العربية (في حدود ١٢٠ كلمة) وآخر باللغة الإنجليزية (في حدود ١٥٠ كلمة)، ويتضمن على الأقل أهداف البحث وإشكاليته، ومنهجهُ وأهم نتائجه، وإسهامات البحث، وخمسة كلمات مفتاحية.

١٠- يُرفق بالبحث الترجمة الكاملة لقائمة المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية؛ وذلك بغرض التوثيق الدولي.

١١- ترقم الجداول والأشكال والصور التوضيحية وغيرها على التوالي بحسب ورودها في متن البحث، وتزود بعنوانات يشار إلى كل منها بالتسلسل نفسه، وتقدم بأوراق منفصلة.

١٢- يتبع المنهجية العلمية في توثيق البحوث على النحو الآتي:

- يشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة آليًّا توضع بين قوسين إلى الأعلى (هكذا:[١] [٢]) وتبين بالتفصيل في أسفل الصفحة وفق تسلسلها في المتن.

- تذكر ببليوغرافيا (معلومات الكتاب) في أول ورود له في البحث على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المحقق (إن وجد) أو المترجم، دار النشر، بلد دار النشر، رقم الطبعة يشار إليها بـ (ط) إن وجدت، التاريخ إن وجد وإلَّا يشار إليه بـ (د.ت). أما بحوث الدوريات فتكون المعلومات على النحو الآتي: (اسم المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، جهة الإصدار، بلد الإصدار، رقم العدد، التاريخ، مكان البحث في المجلة ممثلاً بالصفحات (من...إلى...).

- إذا تكرر المصدر بعد أول إيراد له يُكْتفَى باسم المؤلف وعنوان المصدر، فإن تكرر

مباشرة في الصفحة نفسها يكتب: (المرجع نفسه)، فإن تكرر مباشرة في الصفحة اللاحقة يكتب: (المرجع السابق).

- يشار إلى الشروح والملحوظات في متن البحث بنجمة (هكذا:*) أو أكثر.
- تثبت المصادر والمراجع في قائمة آخر البحث مرتبة ترتيبًا هجائيًّا بحسب اسم المؤلف يليه الكتاب والمعلومات الأخرى.

١٣- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة من البحث، وتقرير عن التعديلات التي قام بها.

١٤- يحرص الباحث على تدقيق بحثه لغويًّا، ولا تقبل المجلة بحوثًا غير مدققة لغويًّا.

ثالثًا: الشروط الإضافية على البحوث المترجمة:

١- أن ترفق مع الترجمة المادة المترجمة بلغتها الأصلية.

٢- يرفق مع الترجمة ملخصان أحدهما بالعربية والآخر بالإنجليزية أو الفرنسية، على ألا يتجاوز كل ملخص (١٢٠) كلمة، مع الكلمات المفتاحية.

٣- تكون المادة المترجمة محكمة، أو منشورة في إحدى المجلات المحكمة، أو تكون جزءًا من كتاب محكم.

٤- لا يتجاوز عدد صفحاتها / ٢٠ صفحة / من الحجم العادي (A4) (٦٠٠٠ كلمة) ولا يقل عن / ٧ صفحات / .

٥- المحافظة على النص الأصيل وتفادي الاختزال ما لم يُشَرْ إلى ذلك وبهدف تحسين الترجمة.

٦- أن تكون الجمل مترابطة ومتماسكة وتخدم المعنى المقصود في المادة الأصلية.

٧- يذكر في أول إحالة في الترجمة اسم المؤلف الأصلي مع نبذة عن إسهاماته.

٨- تشتمل الترجمة على مقدمة في سطور تبين الأهمية العلمية للمادة المترجمة، وأهم النتائج المتوقعة.

رابعًا:

١- ما ينشر في المجلة من آراء يعبر عن فكر أصحابها، ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.

٢- البحوث المرسلة إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

٣- يخضع نشر البحوث وترتيبها لاعتبارات فنية، بحسب خطة النشر.

٤- يحق للمجلة - عند الضرورة - إجراء بعض التعديلات الشكلية على البحوث المقبولة للنشر دون المساس بمضمونها.

٥- يحق للمجلة نشر البحوث المقبولة إلكترونيًّا، والمشاركة بها في قواعد البيانات والمواقع الإلكترونية.

٦- يزود الباحث بعد نشر بحثه بنسخة إلكترونية (PDF) من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومستلة (PDF) لبحثه.

خامسًا: رسوم النشر:

إسهامًا من مجلة فكر ومعرفة في إثراء الحركة البحثية في دولة الإمارات العربية المتحدة بشكل خاص، وكل الأقطار العربية والإسلامية بشكل عام، فإنَّ المجلة لا تحمل الباحثين أية رسوم، إلا ما سبق الإشارة إليه في بند (٧) ثانيًا، وإذا أراد الباحث سحب بحثه بعد حصوله على خطاب القبول فإن عليه دفع تكاليف تحكيم البحث.

ترسل البحوث وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى:

رئيس تحرير مجلّة فكر ومعرفة
ص.ب. ٥٠١٠٦ دبـي - دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٠٠٩٧١٤٣٩٦١٧٧٧
فاكس: ٠٠٩٧١٤٣٩٦١٣١٤
E-mail: fom@alwasl.ac.ae

محتويات العدد

افتتاحية التحرير	١١
البحوث	١٣
الاقتراض اللّغوي ومظاهر التنافس بين العربية ولغات أخرى أ.د. محمّد الصُّحبي البَعَزاوي	١٥
إشكالية المفاهيم الإجرائية في النقد الثقافي: وعي النظرية بين المعجم والاستعمال النقدي د. فتحي أحمد صالح الشرماني – د. أسماء مقبل عوض الأحمدي	٥٣
البورتريه الشِّعري في الشعر الإماراتي شِعر أمل السَّهلاوي أنموذجًا أسماء يوسف الحمادي	٩٣
المصطلح النقدي وشعر النساء: «فحولة الشعراء» للأصمعي أنموذجًا د. سليم قسطي	١٦٩
مساهمة بعض الدول العربية في صناعة معاجم مختصة بالذكاء الاصطناعي، «مقاربة وصفية مقارنة السعودية والإمارات أنموذجًا» أ. د. نوال بومَشْطَـه	٢٠٧
توظيفُ الذكاء الاصطناعيّ في صناعة المعجم العربيّ أ. د. سمر جورج الديّوب	٢٣٧
نحْو أجْرُوميّةٍ للتّأثِيل السَّامي في معجم الشارقة التاريخي د. إبراهيم سعد سنجر	٢٨٣
نحو معجم دلاليّ للمصطلحات الأساسيّة في الخطاب القرآنيّ: قراءة في أربعة ألفاظ من سورة البقرة وفق وجهة نظر أوزتسو في كتابه: (الله والإنسان في القرآن) أ.د. سيد عبد الخالق سيد إسماعيل – د. أحمد محمد بشارات	٣٥٧
المعجميّة العربيّة بين النشأة والمسار والتحوّل: معجم العين ولسان العرب والمعجم التاريخي للغة العربيّة أنموذجًا إيـمان عبد المالك أبو حرب	٣٨٥

افتتاحية التحرير

د. عبد الله طاهر الحذيفي

رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

منذ اللحظة الأول وجّه هذا العدد أشرعَته صوبَ احتفاءِ جامعة الوصل بدبي بالمنجز الكبير الذي تَوَّجَت به الشارقة معاجمَ اللغة العربية أخيرا بالمعجم التاريخي للغة العربية، وتمثَّل هذا الاحتفاء بأن خصّصت كلية الآداب بالجامعة مؤتمرها الدولي الثالث لـ«المعجمية العربية والدراسات البينية»، الذي أُقيم في نوفمبر ٢٠٢٤. فالتقطت المجلة الثمرةَ اليانعة، أو قل: الطراز الأول من الأبحاث الكثيرة، التي قدمها الباحثون في جلسات المؤتمر، فأضافتها إلى ما كان في خزينتها من الأبحاث المرصودة للنشر، وأُعيد إخضاع الأبحاث المختارة للتحكيم مرة أخرى، لتجريَ في سياق شروط النشر في المجلة، فتمخَّض الحال عن تسعةِ أبحاثٍ تتسم بالأصالة والرصانة والجِدَّة والإضافة، استوعبها هذا العدد.

ولذا يجد القارئ أنّ الباحثين الذين قدموا ثمار جهودهم في هذه الأبحاث قد توجهوا نحو العناية بموقعية بعض المصطلحات والقضايا التي رأوا أنها جديرة بالدرس وأنها على تماسٍّ مباشر مع الدراسات اللغوية والنقدية ودرسوا تطوراتها وامتداداتها في الدرس اللغوي والنقدي العربي والعالمي، وتمكنوا من إثراء كل موضوع بما يستحقه؛ فمن موضوع «الاقتراض اللّغوي ومظاهر التنافس بين العربية ولغات أخرى»، وما احتوى عليه من معالجة لتأثير العربية في عدد من اللغات من ناحية، وتأثرها من ناحية أخرى، إلى «إشكالية المفاهيم الإجرائية في النقد الثقافي: وعي النظرية بين المعجم والاستعمال النقدي»، وما فككه الباحث وأعاد بناءه من مسائل ما تزال تنمو وتتطور في النقد الثقافي الذي عدَّ نفسه بديلا للنقد الجمالي، فإلى موضوع «البورتريه الشِّعري في الشعر الإماراتي، شِعر أمل السَّهلاوي أنموذجًا» وفيه وصف وتحليلي من وجهة نظر أجناسية لشِعْر الشاعرة، من حيث عبور البورتريه من فنّ الرسم والتصوير إلى الشعر، وأشكال البورتريه الشعريّ، وتقنياته... ليأتي موضوع «المصطلح النقدي وشعر النساء: «فحولة الشعراء» للأصمعي أنموذجًا» الذي يذهب إلى تحليل عميق لما كان من تلكّؤ الناقد

العربي القديم عن العناية بشعر النساء، بحجة لِينِه تحت زعم أنّ الشِّعر مرتبطٌ بالفحولة، ومنه إلى موضوع «مساهمة بعض الدول العربية في صناعة معاجم مختصة بالذكاء الاصطناعي، -مقاربة وصفية مقارنة، السعودية والإمارات أنموذجًا-» وفيه يتعرف القارئ على إسهام الدول العربية في صناعة المعاجم المتخصصة بالذكاء الاصطناعي باللغة العربية، كما في معجم البيانات والذكاء الاصطناعي (السعودية)، والمعجم العربي للذكاء الاصطناعي(الإمارات). وما لذلك من قيمة كبيرة في تعزيز مكانة اللغة العربية في ظل تطور التقنية. ليخرج القارئ إلى «توظيفُ الذكاء الاصطناعيّ في صناعة المعجم العربيّ» البحث الذي يهتم بكيفية إنشاء معاجم لغوية عربيّة باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ، وبناء معجم رقميّ للغة العربيّة، يستفيد من التقنيات الحديثة في حل التعقيدات اللغويّة، واللهجية، والمفردات والتراكيب النادرة، وإدارة البيانات، وتصنيف المعاني، واستخدام السياق.. ويأتي بحث «نحْو أجْرُوميّةٍ للتّأثِيل السَّامي في معجم الشارقة التاريخي» ليتناول البحث في الأصول اللغوية السامية للعربية وأواصر القرابة بينها وبين أخواتها الساميات وتأصيلها... ويذهب البحث التالي إلى اختبار تصوّر بناء معجم دلاليّ للمصطلحات الأساسيّة التي يزخر بها الخطاب القرآني. فيقوم بتحليل أربعة ألفاظ من سورة البقرة هي (جنفٌ، وحنيف، وغُلْف، ورفثٌ) وفق وجهة نظر أوزتسو في كتابه: (الله والإنسان في القرآن)، ثم يأتي بحث «المعجميّة العربيّة بين النشأة والمسار والتحوّل: معجم العين ولسان العرب والمعجم التاريخي للغة العربيّة أنموذجًا» ليضفي على جوِّ هذا العدد ما سبقت الإشارة إليه من ربط العدد بالمعجمية العربية.

وأخيرا تدعو المجلة القرّاء والباحثين وطلبة الدراسات العليا إلى هذه المأدبة الزكية، وقطفِ ثمار جهود العلماء الذين قدموا ويقدمون خير ما لديهم خدمةً للعلم والحقيقة، وإن في متون الأبحاث ما يروي غُلةَ رائدِ المعرفة ومَن يراهم من أهل البحث عن تجويد المنجزات العلمية، وتعميق الدراسات اللغوية والأدبية. ونشير هنا إلى أن موقع الجامعة يحتوي على أعداد مجلة (فكر ومعرفة)، وغيرها من المجلات العلمية الصادة في الجامعة، ويستطيع الباحثون تحميل البحوث التي يريدونها من موقع بوابة الجامعة: https://alwasl.ac.ae/، ورابط المجلة: https://alwasl.ac.ae/ar/fom/ عبر متصفحات (الإنترنت) مباشرة.

البحوث

الاقتراض اللّغوي ومظاهر التنافس بين العربية ولغات أخرى

Linguistic Borrowing and Competition between Arabic and Other Languages

أ.د. محمّد الصُّحبي البَعَزاوي
أستاذ اللّسانيات النظرية والتطبيقية بكلية الآداب
جامعة الوصل الإمارات العربية المتحدة

Prof. Mohamed Sahabi Baazaoui
Professor of Theoretical and Applied Linguistics, College of Arts
Al Wasl University, United Arab Emirates

https://doi.org/10.47798/fom.2024.i4.01

ملخص البحث

نسعى من خلال هذا البحث إلى التعامل مع «الاقتراض المعجمي» باعتباره ظاهرة لغوية كلّية لها عميق الأثر في تفهّم مظاهر الاتصال بين اللغات البشرية والتعرّف على دوافعها اللّغوية والنفسية والحضارية التي تفضي إلى التعرّف على مظاهر الاقتراض الثقافي وما يقتضيه من انتشار للعادات والأشياء. ونطمح إلى التطرّق إلى أثر الظّاهرة في تمكين العربية في محيطها اللّغوي العامّ إزاء ما تشهده اللّغات من تبادل لغوي ومن تنافس يختزل في جوهره، التنافس الحادّ بين الأمم في مختلف المجالات ولاسيما مجال وصف المعارف وتعيين المصطلحات العلمية المتّصلة بها. وبما أنّه من غير الممكن لنا سواء بصفتنا أفرادا أو باعتبارنا مجموعات بشرية، أن نرى العالم أو أن نتعرّف على الأشياء المحيطة بنا أو أن نؤرّخ لثقافتنا أو أن نعبّر عن تجاربنا... إلاّ من خلال اللغة، فإنّنا نروم التركيز على العربية باعتبارها نتاج تجربة جماعة لغوية مّا في علاقتها بتجارب جماعات لغوية أخرى ونطمح إلى إعادة النّظر في بعض القضايا التي يمكن أن تحفّزنا على التفكير في مدى قدرة العربية على التعبير عن التحولات المعرفية المتسارعة في مجتمع المعرفة، وعلى التعمق في الدوافع المتحكمة فيه كالتعددية اللّغوية وما يمكن أن تفضي إليه من مفاهيم وأحكام قيمية كـ«التعصّب اللّغوي» و«الخطاب المتحيز» و«الإيديولوجيا اللّغوية»... وهي مفاهيم تفرض بالضرورة إعادة تعهّد العربية بمزيد تعهّد معجمها في إطار سياسة لغوية هادفة تمكّنها من القدرة على

Abstract

Through this research, we aim to address "lexical borrowing" as a comprehensive linguistic phenomenon that has a profound impact on understanding the aspects of communication between human languages and recognizing its linguistic, psychological, and cultural motivations, which lead to an understanding of the manifestations of cultural borrowing and what it entails in terms of the spread of customs and objects. We aspire to address the impact of the phenomenon on empowering Arabic within its broader linguistic environment, in light of the linguistic exchange and competition that languages are experiencing. This competition essentially reflects the intense rivalry among nations in various fields, particularly in the realm of describing knowledge and defining the scientific terms associated with it. And since it is impossible for us, whether as individuals or as human groups, to see the world, to recognize the things around us, to document our culture, or to express our experiences...Except through language, we aim to focus on Arabic as a product of the experience of a linguistic community in relation to the experiences of other linguistic communities. We aspire to revisit some issues that could stimulate our thinking about the extent to which Arabic can express the rapid cognitive transformations in the knowledge society, and to deeply explore the underlying motivations such as linguistic pluralism and what it may lead to in terms of concepts and value judgments like "linguistic intolerance," "prejudiced discourse," and "linguistic ideology." These are concepts that necessarily require a renewed commitment to the Arabic language, with a greater dedication to its lexicon within the

منافسة ألسنة الأمم الحيّة ومسايرة منجزات العلوم والمعارف.

الكلمات المفتاحية: اتّصال اللّغات – اقتراض لغوي – إيديولوجيا لغوية – تنافس لغوي– تعصّب لغوي – تخطيط لغوي– سياسة لغوية.

framework of a purposeful language policy that enables it to compete with living languages and keep pace with the achievements of sciences and knowledge.

Keywords: lexical borrowing, linguistic community, linguistic ideology, Linguistic Intolerance, Language contact, language policy, language planning, multilinguals.

تمهيد

يأتي هذا البحث في إطار مواكبة التحوّلات العميقة التي شهدتها اللّسانيات الحديثة في ميادينها المختلفة. فلم تعد المباحث اللّسانية مقتصرة على النّظر في مكونات اللّغة وعلى التعمّق في ما تتميّز به كلّ لغة من اللّغات الطبيعية من خصائص أو على المقارنة بين اللّغات باستخراج العناصر المشتركة بينها والعناصر المميّزة للواحدة منها عن الأخرى، أو على التعمّق في خصائص اللّغات عرفانيا أو في الصعوبات المتولّدة من معالجتها آليا...، بل إنّ التوجّه العامّ في السنوات القليلة الماضية قد انصبّ أيضا على دراسة مظاهر التّنافس بين اللّغات الذي يختزل في جوهره، التنافس الحادّ بين الأمم في مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية ولاسيما مجال وصف المعارف وتعيين المصطلحات العلمية المتّصلة بها. وقد انجرّ عن التعمّق في قضايا الهيمنة اللّغوية التي تعبّر بدورها عن هيمنة الأمّة الحاملة لذاك اللّسان في المجالات الحياتية المختلفة، إعادة النّظر في عدد من المباحث اللّسانية من قبيل «الاقتراض اللّغوي» (Emprunt linguistique) والتّداخل اللّغوي (interférence linguistique) والتّعدّد اللّغوي (Linguistic Pluralism)، وما يثيره من قضايا كالتسامح اللّغوي (Linguistic Tolerance) والتعصّب اللّغوي (Linguistic Intolerance) والخطاب المتحيز (Prejudiced Discourse).

ضمن هذا السياق أولى المهتمون باللّغات من حيث خصائصها ووظائفها الجوانب الثقافية والجوانب الاجتماعية والجوانب العلمية مزيدا من العناية في إطار تفهّم علاقة اللّغات بعضها بالبعض الآخر وتحديد مظاهر التنافس اللّغوي ووجوهه. فارتبط النّظر في خصائص لغة ما بالنّظر في خصائص غيرها من اللّغات واتّسع مبحث الدّراسات المقارنة التي أخذت بعين الاعتبار البعد التاريخي

للّغات وما قد يحدث بينها من صلات وراثية. ولم تُحْلْ النّقلة المعرفية في التعامل مع الدّراسات اللّغوية تعاملا آنيا بداية من مرحلة البنيوية، دون استفادة اللّسانيين من مكتسبات النّحو المقارن ومن المقاربات الأنثروبولوجية في معالجة مظاهر تأثير اللّغات بعضها في البعض الآخر وما قد تطرحه من إشكاليات في علاقة بمظاهر التقابل اللّغوي ومظاهر التداخل بين اللّغات بما في ذلك «الاقتراض اللّغوي» باعتباره توطينا لوحدات معجمية في نظام لغوي أجنبي عنها.

ورغم تعدّد المباحث المتعلّقة باتّصال اللّغات وتنوّعها، فقد مثّل «الاقتراض اللّغوي» مبحثا أساسيا من المباحث التي تناولها الدّارسون في التعرّف على خصائص اللّغات الطبيعية. فقد جعل منه إ. سابير (E.Sapir) مدخلا لدراسة لغات الهنود الأصليين في أمريكا (اللّغة، تر. منصف عاشور، صص ١٠٥-١٢٢)، واعتمده بلومفيلد (L. Bloomfield) في دراسة مظاهر التداخل بين اللّغات مميّزا بين «الاقتراض الثقافي» الذي يحدث بين اللّغات المتباعدة أو اللغات المنتمية إلى نفس العائلة اللّغوية، و«الاقتراض اللّهجي» الذي يتمّ في محيط اللّغة نفسها، فضلا عن تبريره دوافع الاقتراض وكيفية حدوثه (Le Langage، صص٤٢٠-٤٣٥). وقد اتّسع الاهتمام بهذا المبحث فتركّزت عناية الباحثين بداية من النصف الثاني من القرن العشرين على المداخل المتحكّمة في دراسته. فتعدّدت المداخل وتعدّدت معها المصنّفات التي اهتمّ أصحابها بمظاهر التداخل اللّغوي ومستوياته. ويمكن اعتبار مصنّف هـ. واينريتش (H. Weinreich) «اتّصال اللغات» (Languages in contact) مثلا، نموذجا مستجيبا لفكرة تعدّد المداخل في التعامل مع الاقتراض اللّغوي من منظور لساني أفاد فيه من مكتسبات اللّسانيات البنيوية ومن منظور ثقافي-اجتماعي يأخذ بعين الاعتبار الثقافة واللّغة الحاملة لها (Languages in contact، صص٥٦-٦١). وقد نسج ماكاي (Mackey) على منواله في مصنّفه «الثنائية اللّغوية واتّصال اللغات» (Bilinguisme et

contact des Langues)[1] وعدّه آخرون مبحثا من مباحث اللّسانيات الاجتماعية[2]. فأصبح الاقتراض مناسبة للنّظر في اتّصال اللّغات وفي التعرّف أيضا على مظاهر التلازم بين تطوّر التجارب الثقافية والاجتماعية وتطوّر اللّغات.

لقد رأينا في هذا السياق أن نعود إلى هذا المبحث لا لمزيد التعمّق فيما يُحدثه من أثر في التعرّف على خصائص اللّغات الطّبيعية فحسب، وإن كان ذلك من الأهداف المشروعة التي يمكن الاكتفاء بها في وصف مظاهر التّداخل اللّغوي، بل لمزيد التعمّق في الاقتراض باعتباره مدخلا من المداخل المساهمة في رصد مظاهر التنافس اللّغوي. ولذلك فنحن نفترض أنّ الاقتراض اللّغوي والانتشار الثقافي diffusion culturelle للأشياء والعادات فضلا عن الانتشار المصطلحي للعلوم والمعارف من المظاهر المساهمة في التعرّف على مدى هيمنة لغة ما على باقي اللّغات ومن المظاهر المساهمة أيضا في فهم منزلة اللّغة بما تتضمّنه من تعقيد ومن صعوبات، من اللّغات الأخرى. ونفترض في هذا السياق أيضا أمام التفاوت الهائل الذي تشهده اللّغات اليوم بالنّظر إلى مكانة الجماعة اللّغوية النّاطقة بها عسكريا واقتصاديا وثقافيا وتقنيا...، أنّ للسّياسات اللّغوية أثرا مباشرا في حماية اللّغات وفي تطوير قدراتها التنافسية أو في فسح المجال لمزيد هيمنة لغة بعينها على باقي اللّغات متى لم يتمكّن مستعملوها من مجاوزة نزعة الانبهار بلغة جماعة لغوية مّا أو نزعة الإعلاء من لغة المستعمِر القديم كما سيتّضح في الفقرات الموالية من البحث.

١- يمكن أن نشير في هذا السياق أيضا إلى أعمال كل من:

- Ostler Nickolas; Empires of the word , A language history of the world; Harper collins Publishers , London ,2005, 615p.
- Winford Donald , An introduction to contact linguistics; Blackwell Publishing, Malden-Oxford; 2003.

٢- نشير في هذا السياق إلى أنّ الاهتمام بالاقتراض اللغوي قد تنامى في اللسانيات الاجتماعية وظلّ يُدرس ضمن مباحثها الفرعية مثل «اتصال اللغات» و«الثنائية اللغوية» و«التداخل اللغوي» وهي من المباحث التي ساهمت في تطوير الظاهرة وتفسير كيفيات حدوثها، يمكن التوسّع في علاقة الاقتراض باللسانيات الاجتماعية بالعودة إلى (فتحي الجميل، المقترضات المعجمية في القرآن، ٢٠١٣، ص ٣٦ وما بعدها).

١ – الاقتراض اللّغوي وأنماط الاتصال بين الجماعات اللّغوية:

يمكن أن ننبّه منذ البداية إلى أنّ الاهتمام بالاقتراض اللّغوي قد كان في إطار مبحث أعمّ منه وهو النّظر في مظاهر التداخل بين اللّغات وما لذلك من علاقة بالخصوصيات الاجتماعية والثقافية للجماعات اللّغوية. وقد جعل عديد اللّسانيين من الاقتراض مناسبة لدراسة تلك الخصوصيات والتعمّق في الدوافع المفضية إليه. وبقطع النّظر عن تعدّد تلك الدّوافع وتنوّعها، فإنّ حاجة جماعة لغوية ما إلى منتج جديد مستورد من جماعة أخرى سواء لسدّ حاجة مجتمعية ضرورية أو للتفاخر بتقليد تلك الجماعة والسير على منوالها، وحاجتها إلى المصطلحات العلمية في إطار مواكبة مظاهر التطوّر العلمي المختلفة، وحاجتها إلى فهم عادات تلك الجماعة والتعرّف على أنماط عيشها، تملي عليها اقتراض الوحدات المعبّرة عن المنتج المادّي المستورد والوحدات التي تكون أكثر قدرة على التعبير عن أغراضهم أو على تلبية حاجات الجماعة المقترضة النفسية والثقافية (ن. Deroy Louis، L'emprunt Linguistique، صص١٣٧-١٤٠)[1].

ويمكن انطلاقا من تتبّع الاقتراض اللّغوي تفهّم حاجات الجماعات اللّغوية وتفسير عوامل انتشار اللّغات وتداخلها. وقد يكون من المفيد الإشارة في هذا الباب فضلا عن معرفة دوافع الاقتراض إلى أهميّة التعرّف على عوامل انتشار

١- نشير في هذا السياق إلى أنّ الجماعة اللغوية بإمكانها اقتراض وحدة لغوية من لغة مصدر رغم وجود مقابل لها في لغتها الأصلية / المورد لأسباب نفسية بالأساس من قبيل انبهارها الثقافي بجماعة لغوية أخرى هي أكثر تفوّقا منها. ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى الوحدات اللغوية التي اقترضها الفرنسيون من الإيطالية في عصر النهضة والوحدات التي اقترضها الألمان من الفرنسية في القرون الوسطى لكون الفرنسيين قد عُرفوا لدى الأوروبيين بالكياسة والتلطّف في التعبير. انظر مثلا الوحدات chic التي تدل على الأناقة ،Maitresse التي تُستعمل بمعنى عشيقة والوحدة amour التي اقترضتها الجماعة اللغوية الناطقة بالألمانية والجماعة الناطقة بالإنجليزية والجماعة الناطقة بالدنماركية من الفرنسية. يمكن التعمّق في هذه الملاحظة بالعودة إلى المرجع المذكور أعلاه:

- Deroy Louis; L'emprunt Linguistique; Les Belles Lettres; Paris; 1956; pp 137-187.

اللّغة التي تسمح بتفهّم مظاهر الهيمنة اللّغوية في مرحلة لاحقة. ورغم كون العوامل تتفاوت من حيث الأهميّة ومن حيث آثارها المباشرة وغير المباشرة على الجماعات اللّغوية، فقد شدّد أوستلر Ostler ضمن مصنّفه «امبراطوريات الكلمة»[1]، على أهميّة «الهجرة» باعتبارها نمطا من أنماط تحقق اتّصال الجماعات اللّغوية بعضها بالبعض الآخر. واستدلّ على أهميّة هذا النّمط بالانتشار الذي حظيت به الإنجليزية في أمريكا الشمالية التي استقطبت جماعة لغوية برمّتها بما تحمله من لغة ومن عادات وتقاليد (Empires of the word، A language history of the world، ص١٩). ونبّه إلى أهميّة «الانتشار» باعتباره نمطا قائما على مماثلة عدد من المتكلّمين في جماعة لغوية ما لغتهم مع لغة جماعة أخرى يتّصلون بها، وهي حالة الإنجليزية في الهند وأسكندينافيا. وعدّ انتشار الإنجليزية في جنوب إفريقيا نمطا آخر من أنماط الاتصال بين الجماعات اللّغوية يمزج بين الهجرة والانتشار (م.ن، صص١٨-٢٥).

وقد أفضى الاهتمام بأنماط الاتّصال بين الجماعات اللّغوية إلى مزيد التعمّق في دراسة مظاهر التداخل بين اللّغات على اعتبار أنّ اللّغة هي الوسيط الأساسي في تحقّق الاتصال وحدوث التداخل بمختلف مظاهره الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية... وقد أدّى ذلك بدوره إلى التنبّه إلى مستويات تحقّق الاقتراض اللّغوي بدءا بمحافظة الجماعة اللّغوية على لغتها وتزويدها بمقترضات من لغات أجنبية تسدُّ بها الخانات المعجمية الفارغة مواكبة للتغيّرات الاجتماعية والثقافية والعلمية المتجدّدة، أو بتخليها عن لغتها الأصلية كليّا متبنّية لغة جديدة، أو بمزجها بين لغتين أو أكثر فتتولّد لديها لغة جديدة تسعى من خلالها إلى وصف واقعها والمحافظة على وحدتها (ن. Winford، An introduction to contact linguistics، صص١٤-٢٢).

1- Ostler Nickolas; Empires of the word; Harper collins Publishers , London ,2005, 615p.

على هذا النّحو فإنّ الاقتراض اللّغوي يتعدّى مجرّد كونه ظاهرة لغوية تنخزل في استقرار العناصر اللّغوية الأجنبية في النظام اللّغوي، ليعبّر عن حالة تمرّ بها اللّغة في فترة تاريخية معينة في علاقتها باللّغات الأخرى. وهو مظهر من مظاهر اتصال الجماعات اللّغوية نطمح من خلاله إلى تفهّم مظاهر التّداخل بين العربية وبعض اللّغات الهندية الأوروبية المجاورة لها أو البعيدة عنها، في سياق تفهّم مظاهر التطوّر اللّغوي والتعمّق فيما قد يحدث بينها من تنافس يجاوز النّظر إلى اللّغة باعتبارها أداة واصفة لواقع الجماعة اللّغوية التي تستعملها، لتصبح مظهرا من مظاهر الهيمنة والتأثير الثقافي والعلمي في ظلّ مجتمع «العولمة» الذي يسعى إلى مجاوزة التعدّد والاختلاف وتكريس نمط مجتمعي / حضاري موحّد[1] رغم ما تتميّز به الجماعات اللّغوية على الصّعيدين العالمي والمحلّي من تعدّد لغوي ومن تنوّع ثقافي ومن اختلاف ديني وتباين عرقي.

٢- مجالات الاتّصال بين الجماعات اللّغوية: حالة العرب وحالة الأوروبيين الناطقين بالفرنسية والإنجليزية والإيطالية:

بناء على ما تقدّم فإنّ التغييرات العالمية التي فرضتها العولمة في سياق «التنميط الحضاري» وما يقتضيه من انفتاح وتبادل وتداخل، قد أبانت عمّا يوجد بين الجماعات اللّغوية من تفاوت وهيّأت لها الظروف الملائمة للتّنافس في سياق سعي كلّ جماعة إلى الحفاظ على وجودها ومحاولة تدعيمه بشتى الوسائل. وقد أدّى ذلك إلى محاولة كلّ جماعة من الجماعات اللّغوية المحافظة على خصوصياتها اللّغوية والثقافية بما في ذلك عاداتها وتقاليدها أمام الانفتاح الهائل الذي فرضته العولمة. ومن مظاهر محافظة الجماعات على خصوصياتها اللّغوية وضع معاجم

١- يمكن التعمّق في هذه الملاحظة بالعودة إلى، فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، لهانس بيترمارتين وهارالد شوميان، تر. د عدنان عباس علي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت أكتوبر ١٩٩٨.

خاصّة بالوحدات الأعجمية في لغاتها، من قبيل «معجم المفردات الفرنسية من أصول عربية»[1]، أو وضع مصنّفات خاصّة بمقترضاتها من لغات أخرى، من قبيل المصنّف المتعلّق بمقترضات اللّغة الفرنسية من العربية. وهو بعنوان «أسلافنا العرب: ما الذي تدين به الفرنسية للعربيّة»[2] أو مقترضات العربية من لغات أخرى من قبيل «المقترضات الأعجمية في القرآن»[3] وقائمات الوحدات المعجمية المتداولة في الإنجليزية من أصول فرنسية (English vocabulary derived from French)[4] والوحدات المتداولة في الإيطالية من الفرنسية (Italien vocabulary derived from French)... ومع أنّ هذه المصنّفات تدلّ على أهميّة الاقتراض في ملء الخانات الشّاغرة في الألسنة المقترِضة وعلى أهميّة التفاعل بين الألسنة في سبيل تحقيق وضع لغوي وثقافي جديد يكون اللّسان المقرِضُ عاملا مؤثّرا فيه، فإنّها تؤكّد أيضا على حرص كلّ جماعة لغوية على حماية لغتها من هيمنة باقي اللّغات وما يقتضيه ذلك من حماية لثقافاتها وسعي إلى الحفاظ على خصوصياتها الاجتماعية كما سيتّضح في الفقرات الموالية من البحث.

٢–١– من مظاهر تأثير الإنجليزية والفرنسية والإيطالية في العربية

إنّ النّظر في مسألة الاقتراض بمظهريه المعجمي والثقافي يعني النّظر في مسألة من المسائل المعبّرة عن الحالة التي تمرّ بها اللغة في علاقتها باللّغات الأخرى، وأنّ هذه الحالة من شأنها أن توضّح سيرورة اللّغة في تطوّرها وتغيّرها. وفي هذا السّياق فإنّ الاقتراض لم ينشأ من فراغ، وإنّما هو وليد جملة من العوامل النّفسية والثقافية واللّغوية التي تبرّر لجوء الجماعة اللّغوية إليه. فالحاجة إلى المصطلحات

1- Salah Guemriche; Dictionnaire des mots français d'origine arabe; 2007.

2- Jean Pruvost; Nos Ancêtres les Arabes; Ce que le français doit à la langue arabe; Editions Jean-Claude Lattès; 2017.

٣- المقترضات الأعجمية في القرآن: بحث في المقاربات، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، تونس ٢٠١٣.

4- Dictionnaire Le Grand Robert de La Langue Française,

العلمية أو التقنية تملي عليها استقدام تلك المصطلحات فتقترض الوحدات المعبّرة عنها. والحاجة إلى المنتجات الجديدة المطلوب استيرادها تملي على تلك الجماعة أيضا استيراد المنتج والمصطلح المعبّر عنه في اللّغة المقرضة أيضا. وفي هذا السياق يمكن أن نشير إلى أهمّ مجالات الاتّصال بين الجماعات اللّغوية المختلفة لسانيا والمتجاورة جغرافيا من قبيل حالة العرب وحالة الأوروبيين الناطقين بالفرنسية والإنجليزية والإيطالية. ويمكن الإشارة في هذا الباب إلى الغزو العسكري والغزو الثقافي وإلى التبادل الاقتصادي فضلا عن المجال العلمي الباني لمجتمع المعرفة بما فيه من علوم وصناعات وتقنيات وخدمات... وقد لعبت العوامل المذكورة دورا أساسيا في تداخل اللّغات وفي تحديد حجم التفاوت بين الجماعات اللّغوية. فقويت نزعة الجماعات التي تعرّضت عبر تاريخها إلى الغزو العسكري والجماعات التي تعيش تخلفا حضاريا نسبيا إلى الاقتراض من الجماعات المتقدّمة. ورافقت هيمنةَ الجماعات اللّغوية: «هيمنةٌ لسانية أصبحت اللّغة المقرضة بموجبها سائدة متمكّنة وإن كانت اللّغات المهيمنة في حاجة هي أيضا إلى الاقتراض بهدف سدّ الخانات الفارغة أو تغيير رصيدها اللّغوي كلّما سنحت لها الفرصة بذلك» (البعزاوي، من قضايا تعليم العربية لسانا ثانيا، ٢٠٢٣، ١٦٧).

ومع أنّ الخوض في مبحث الاقتراض اللّغوي قد يفضي إلى التأريخ لمظاهر التداخل بين اللّغات والتعرّف على تاريخ الوحدات المعجمية وعلى كيفية دخولها إلى النظام اللّغوي المُقترِض، فإنّ غرضنا منه يتنزّل في إطار تفهّم مظاهر التداخل بين اللّغات وأثرها في التعرّف على ما يكون بينها من تنافس مع وعينا بأنّه لا تفاضل بين اللّغات في ذاتها، وأنّ قوّة لغة ما من قوّة الجماعة اللّغوية النّاطقة بها[1]. وفي

١- نشير في هذا السياق إلى أنّ مسألة التفاضل بين اللغات من المسائل القديمة، وقد ردّ ابن حزم في هذا السياق ضمن كتاب الإحكام على مزاعم جالينوس الذي عدّ لغة اليونانيين أفضل اللغات وأنّ سائر اللغات إنّما تُشبه، إمّا نباح الكلاب أو نقيق الضفادع بقوله: «وهذا جهل شديد لأنّ كلّ سامع للغة ليست لغته ولا يفهمها، فهي عنده في النّصاب الذي ذكر جالينوس ولا فرق» (ابن حزم الأندلسي، الإحكام، صص ٣٣-٣٤).

هذا السياق فإنّ التطور العلمي الذي حازته بعض الدّول الأوروبية والولايات المتّحدة الأمريكية على وجه الخصوص وما رافقه من تطوّر تقني وخاصّة تكنولوجيا المعلومات والاتّصال قد فرض على العرب استيراد الآلات أو التقنيات واقتراض المصطلحات المعبّرة عنها بلغاتها الأصلية، في إطار تدارك ما فاتهم من حركات إنتاج الحضارة وارتياد مجالات التقدّم والرّقي. ويمكن أن نشير في هذا الباب إلى مصطلحات من قبيل «Technology» «تكنولوجيا» وقد اقترضته العربية من الإنجليزية، مثلما اقترضت منها مصطلح «Internet» «انترنت» ومصطلح «Computer» كمبيوتر المشتق من الأصل اليوناني «Computare ومصطلح «راديو» «Radio» و«فلم» «Film»، واقترضت من الفرنسية مصطلح «تلفزيون» «Télévision» ومصطلح «سنماتوغراف» «Cinématographe»[1]، فضلا عن المصطلحات الطبيّة ومصطلحات المعادن التي تمّ اقتراضها من الإنجليزية كالبرامتر «Parameter» و «الألمنيوم» «Aluminium» والألكترون «Electron» والكريستالين «Crystalline» (مشروع معجم مصطلحات المعادن، عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب بالرباط، ٢٠١٦)[2] وغيرها من المصطلحات المتّصلة بالعلوم والفنون والخدمات...

والملاحظ في هذا الباب أنّ الاقتراض من جماعة لغوية ما مقترن بما تتميّز به تلك الجماعة سواء في المجال العلمي أو الاقتصادي أو الثقافي أو الاجتماعي...

١- يمكن العودة بخصوص الملاحظة أعلاه إلى، إبراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ١٦٢ وما بعدها.

٢- جاء «مشروع معجم مصطلحات المعادن، عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب بالرباط، ٢٠١٦. في حدود (١٢٤ صفحة)، وتضمّن ألفا وتسعمائة مصطلح. وهو عدد المداخل الواردة بالمعجم مرتّبة ترتيبا ألفبائيا باعتماد الترتيب اللاتيني للحروف (الإنجليزي / الفرنسي). وقد راعى واضعو المعجم في كلّ مدخل وضع المصطلح بالإنجليزية وتحته المصطلح بالفرنسية ووضعوا مقابلهما المصطلح المقترح بالعربيّة. وقد عملوا في كلّ مصطلح على البحث، قدر المستطاع، عن المشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي وعلى تعريف كلّ مصطلح تعريفا يسمح بالتمييز بينه وبين المصطلحات المتّصلة به في مجال المعادن. غير أنّ تلك الجهود لم تحل دون محافظة واضعي المعجم على عدد من المصطلحات في لغاتها الأصلية، فحَوَى المعجم بالإضافة إلى المصطلحات المعرّبة عددا من المصطلحات الدّخيلة.

أو في المجالات المذكورة مجتمعة، وبحاجة الجماعة اللّغوية المقترِضة للوحدات المعجمية المناسبة سواء لِسَدِّ خاناتها الفارغة أو الرغبة في التعبير عن الحاجة بوحدة معجمية مغايرة للوحدة المستقرّة في نظامها اللّغوي أو بسبب الانبهار الثقافي...، وفي هذا السياق اقترضت العربية من الإيطالية مثلا وحدات عديدة في علاقة بما هو تجاري أو في علاقة بعادات الجماعة اللّغوية الغذائية. فأصبحت وحدات من قبيل «فاترينة» أو «فترينة» «vetrina» وبروفة «prova» و «فاتورة» «Fattura» و «أنتيكا» «Antica» و «ماركة» «Marca» و «باروكة» «Parrucca» وعبارات من قبيل «ترته» «Torta» وهي نوع من المرطبات الحلوة و «صلصة» «Salsa» و «سلطة» «Salata» من العبارات «الدّخيلة» التي عزّزت رصيد العربية اللّغوي وحافظت في الأثناء على مظاهر عجمتها وخاصّة في بنيتها الصرفية خلافا «للمعرّب» الذي يعني خضوع العنصر المُقترَض لخصائص النّظام اللّغوي في اللّغة المقترِضة (إبراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ١٦٢) [١].

المهم في هذا السياق أنّ اقتراض الوحدات المعجمية التي تولّدت بحكم حاجة الجماعة اللّغوية إلى استعمال الآلات ومحاولتها مواكبة مستجدات العلوم والمعارف أو بحكم الدوافع النفسية والحضارية التي اختزلها ابن خلدون في عبارته الشّهيرة أنّ المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب، على اعتبار أنّ الجماعات الأقلّ تقدّما تعتقد الكمال في الجماعات اللّغوية الأكثر منها تقدّما فتكون ميّالة أبدا إلى الاقتداء بها منقادة إليها محكومة بعبارة كالفي (Calvet) بمبدإ الجاذبية Gravitation لتلك الجماعة (Approche sociolinguistique de l'avenir du français dans le monde، ١٩٩٨، صص ٦١-٧٤)، أو بحكم دوافع

١- يمكن التوسّع في المصطلحين أيضا بالعودة إلى:

- Hassan Hamzé; De la racine au mot ou du mot a la racine : problématique de la création d'une mémoire de l'emprunt en arabe; in Revue Tunisienne des sciences sociales; n. 117; Tunis ; 1998.pp61-74.

بذخية تتعدّى آلية ملء الخانات الفارغة إلى نزوع الجماعة اللّغوية إلى التجديد والتغيير، يُعدّ عاملا من عوامل تطوير الرّصيد اللّغوي للغة المُقترضة ومظهرا من مظاهر إثراء ذاك الرّصيد متى تعلّق الأمر باقتراض وحدات معجمية لخانات ملأى في اللّغة المُقترضة.

ورغم كون اقتراض المصطلح العلمي يتنزّل عادة في السّياق الذي تَتْبَع فيه الوحداتُ الأشياءَ، فإنّ اقتراض الوحدات المعجمية المعبّرة عن العادات والتقاليد وعن الخصوصيات الثقافية والاجتماعية لجماعة لغوية مّا يُعدّ مظهرا أساسيا من مظاهر التّداخل اللّغوي ومدخلا من المداخل المفضية إلى مبحث التنافس اللّغوي. فالإقرار بصلة الاقتراض بتطوير الرّصيد اللّغوي لجماعة لغوية ما وإثرائه، قد لا يتوافق مع كيفية التّعامل مع الظاهرة من زوايا اجتماعية وثقافية واقتصادية، لما تحمله الوحدات المقتَرَضة من خلفيات ثقافية واجتماعية وأحيانا إيديولوجية... وفي هذا الإطار فإنّ اقتراض الوحدات لا يُكتفى فيه بسدّ خانات فارغة في اللّغة فحسب، بل كثيرا ما يؤدّي إلى استيعاب الخلفية / الخلفيات التي تعبّر عنها الوحدة المعجمية في لغتها الأصلية بما يؤدّي إلى تأثّر سلوك الجماعة اللّغوية الاقتصادي أو تأثّر نمطها المجتمعي أو مساقها الثقافي من قبيل تغيير بعض العادات الغذائية لدى عرب شمال إفريقيا في علاقة بعادات الإيطاليين وعادات الفرنسيين الغذائية.

وقد يكون حرص اللّغويين العرب على التّمييز بين ما هو من كلامهم وما ليس من كلامهم ووضعهم مصنفات ومعاجم في علاقة بما هو أعجمي في اللّسان وتعويلهم على مصطلحات من قبيل «معرّب / دخيل» (emprunt

proprement dit / xénisme)[1] و «فصيح / غير فصيح» و «عربي / أعجمي»...من المظاهر الدّالة على وعيهم المبكّر بأهميّة الاقتراض اللّغوي وبمظاهر التّأثير والتأثّر في علاقة العربية بباقي ألسنة المجموعات البشرية المحيطة بها خاصّة. ومع أنّنا قد أشرنا في فقرات سابقة إلى أثر بعض اللّغات الأجنبية في رصيد العربية اللّغوي، فإنّنا نذكّر مثلما أشرنا إلى ذلك أعلاه، بأنّ الاقتراض ظاهرة كليّة وأنّ الجماعات المتقدّمة تكنولوجيا وحضاريا والمهيمنة اقتصاديا وعسكريا هي بدورها في حاجة إلى الاقتراض في سياق تجديد رصيدها اللّغوي رغم نزعة البعض، سواء من الجماعات المتقدّمة أو الجماعات التي كانت تنشد بداية من النّصف الثاني من القرن العشرين خاصّة الحريّة والاستقلال وتسعى إلى أن تستكشف هويتها، إلى رفض الاقتراض مؤازرة للغاتها وحماية لعاداتها وتقاليدها.

٢-٢ العربية لغة مُقرضة

بناء على ما تقدّم فإنّ مسألة تأثير العربية في اللّغات المتّصلة بها وتأثرها بها قد كانت عبر مراحل تاريخية متفاوتة، وهي من المباحث القديمة التي رافقت انفتاح العرب منذ القديم على الشعوب الأخرى والحضارات المجاورة لها. وقد ازداد تأثير العربية في اللّغات الأخرى وما رافقه من تأثير ديني وثقافي في الجماعات النّاطقة بها خاصّة، من خلال نشر الدّين الإسلامي وتوسّع رقعة الدولة جغرافيا. غير أنّ هذا الوضع الذي للعربية لم يعُد لها أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. فقد كان تأثير العربية في الفرنسية والإنجليزية والإيطالية مثلا بحكم تجاور الجماعات النّاطقة بالعربية والجماعات النّاطقة باللّغات المذكورة أو

١- المصطلحان باللغة الفرنسية من اقتراح ديروا في سياق تمييزه بين صنفين من المقترضات من حيث الاستعمال المرتبط بفترة محدّدة من تاريخ اللغة. وقد اقترح غيره من الدّارسين مصطلحي (Emprunt intégré) عديلا «للمعرّب» في مقابل (Emprunt intégral) عديلا «للدّخيل»، انظر بخصوص هذه الملاحظة ديروا:

- Deroy, L'emprunt linguistique; p224.

بحكم الاحتكاك الثقافي الذي ولّده الاستعمار الفرنسي والاستعمار الإنجليزي والاستعمار الإيطالي لعدد من البلدان العربية. وبقطع النّظر عن الأسباب الكامنة وراء مسألة التّأثير والتأثّر فقد عدّ «ج. بريفو» في سياق تدقيقه أصول الوحدات اللّغوية الفرنسية، العربية أصلا معجميا نهلت منه الفرنسية ووضع مصنّفا في هذا الغرض وسمه بعنوان «أسلافنا العرب: ما الذي تدين به الفرنسية للعربية؟» ردّا على من يعتقد من المنتمين إلى الجماعات الناطقة بالفرنسية أنّ أصول لغتهم «غالية» (gauloise).

لم يكن موقف «ج. بريفو» في هذا الشّأن الموقف الوحيد، فَكِتَاب «أسلافنا العرب» يأتي استدلالا على أثر العربية في الفرنسية وتأكيدا لمواقفَ سابقة له نبّه أصحابها إلى ذاك الأثر لا في الفرنسية فحسب، بل في عديد اللّغات المجاورة لها خاصّة، وأهمّها لغات الجماعات المستقرة جغرافيا في حوض البحر الأبيض المتوسّط ومنها الفرنسية والمالطية والإيطالية والإنجليزية. فقد خلص صالح قمريش (Salah Guemriche) ضمن «معجم الوحدات المعجمية الفرنسية من أصول عربية» إلى الإقرار بغلبة الوحدات المعجمية من أصول عربية على الوحدات المعجمية من أصول غالية، بل عدّ تواجد الوحدات من أصول عربية ضمن رصيد الفرنسية اللّغوي أكثر من الضّعف مقارنة بالغالية[1]. وعدّ ألبير جاكار (Albert Jacquard) في سياق حديثه عن تعدّد أصول الوحدات المعجمية الفرنسية، العربيةَ من أهمّ تلك الأصول مردّدا قولته المتداولة: «أنا أتكلّم دون أن أعلم العربية والصينية والتركية والسنسكريتية، وفي اعتقادي أنّي لا أتكلّم إلاّ الفرنسية» (Préface de L'Amiral des mots، par P. Aroneaunu، ١٩٨٩، صص٩-١٠). وعليه فإنّ اعتبار «ج. بريفو» العربية أصلا ثابتا من أصول رصيد الفرنسية اللّغوي لم يكن متولّدا من فراغ، بل هو امتداد لما توصّل إليه غيره

1- «Il y a deux plus de mots français d'origine arabe que de mots français d'origine gauloise! Peut-être même trois fois plus...» Salah Guemriche, Dictionnaire des mots français d'origine arabe, 2007.

من اللّغويين الذين اهتموا بأصول الوحدات المعجمية وبالقضايا المتّصلة بتداخل اللّغات.

المهمّ في هذا السياق، وبقطع النّظر عن الخلفيات الفكرية والثقافية والإيديولوجية التي حملت «ج. بريفو» على إعادة النّظر في الموقف الذي يُعيد الفرنسية إلى أصول معجمية غالية، فإنّ الاستدلال على نسبة عديد الوحدات اللّغوية المستقرّة في المعاجم الفرنسية المختلفة إلى العربية يندرج في إطار البحث في تاريخ الوحدات المعجمية وفي مظاهر التداخل بين اللّغات وآثاره اللّغوية والثقافية. ويبدو أنّ غلبة الوحدات المعجمية من أصول عربية على رصيد الفرنسية اللّغوي في عديد المجالات المعرفية هي التي حدت بـ «ج. بريفو» إلى القول: «أنا أتكلّم غالبا العربية، بالفرنسية» (Nos ancêtres les arabes، ٩٥)[1]. وقد ميّز في هذا الباب بين الوحدات التي تمّ اقتراضها مباشرة من العربية والوحدات التي اقترضتها الفرنسية من لغة أخرى غير العربية مع أنّ أصولها عربيّة. فوحدة من قبيل «Drogman» أو «Trucheman» مثلا، أي «ترجمان» «Tudjman» من الوحدات التي اقترضتها الفرنسية من العربية على نحو مباشر بداية من القرن الثاني عشر (م.ن، ٣٠٨). وكذلك وحدات من قبيل «L'arrobe» أي «الرّبع» «le quart»، و «quintal» أو «quintar» أي «قنطار» وهو ما يعادل وزن ١٠٠كغ، و «Calibre» التي تعود إلى الأصل العربي «قالب» «qalib» (م.ن، ٢١٨)، ووحدات من قبيل «Dinar» و «Dirham» و «Flousse» وهي بمعنى «دينار» و «درهم» و «فلوس» وهي عملات من أصول لغوية عربية[2]. أمّا المقترضات غير المباشرة فتتمثل في الوحدات التي اقترضتها الفرنسية من التركية أو المالطية أو

1- Je parle très souvent arabe, en français!

٢- يُذكر في هذا الباب أنّ الفرنسية قد اقترضت من العربية الفصحى مثلما اقترضت من العاميات وخاصة عاميات شمال إفريقيا وأصبحت المفردات المقترضة من العاميات من ضمن رصيد الفرنسية اللغوي من قبيل «kif kif» «كيف كيف» التي تعني «تماما مثل»، و «Chouia» التي اقترضتها الفرنسية بداية من ١٨٦٦ من العاميات المذكورة نفسها وهي بمعني «قليل» في ما يكون من المكاييل والمقادير (يمكن التوسّع في هذه الملاحظة بالعودة إلى ج. بريفو، أسلافنا العرب، ٣٠٨-٣١٠).

الإيطالية...غير أنَ أصولها عربية. من ذلك مثلا الوحدة المعجمية (Salamalec) أي «السلام عليكم»، فقد تمّ تزويد رصيد الفرنسية اللّغوي بهذه الوحدة من اللّغة التركية (م.ن، ٣٠٩) مثلما تمّ تزويده بالوحدة المعجمية «Arabesques» من الإيطالية «Arabesco» وهي صفة تُطلق في سياق نسبة شيْ ما أو سلوك بعينه إلى العرب[١].

غير أنّ تأثير العربية في الجماعات المطلّة على حوض البحر الأبيض المتوسّط لم يقتصر على الفرنسية فحسب بل تعدّى ذلك إلى الإنجليزية والإيطالية والمالطية خاصّة. ومع أنّ الجماعات النّاطقة بهذه الألسنة قد كان لكلّ واحدة منها سياسة خاصّة بلسانها، فإنّ المعاملات الاقتصادية والتبادل التجاري الذي نشط بين الجماعات اللّغوية في جنوب حوض البحر الأبيض المتوسّط والجماعات المستقرّة شمال الحوض في القرن الثامن عشر على وجه الخصوص، قد ساهم في تدعيم الاحتكاك بين اللّغات وفي تزويد كلّ لغة من اللّغات المذكورة بعديد الوحدات من لغات أخرى سواء على نحو مباشر أو على نحو غير مباشر مثلما هي الحال بالنسبة إلى المفردات العربية التي استقرت في رصيد الإيطالية اللّغوي عن طريق المالطية.

وقد قويت مظاهر الاحتكاك بين اللّغات المذكورة بفعل الغزو العسكري ما أدّى إلى توليد عبارات من رصيد العربية اللّغوي من قبيل الوحدة المعجمية «مخزن» «Magasin» التي اقترضتها الفرنسية من العربية عن طريق الإيطالية[٢]، والوحدة «مُستعرب» التي اقترضتها الإسبانية من العربية «musta'rib» للإشارة إلى ما

١- نودّ التنبيه في هذا الباب إلى أنّ مصطلح «Arabesques» قد استُعمل في سياق الحديث عن أهمّية الإنجازات التي أحدثها العرب في الأندلس ولا سيما الطّريقة العجيبة التي شيّدوا بها قصر غرناطة، يمكن التعمّق في هذه الملاحظة بالعودة إلى كتاب أسلافنا العرب، ص٣١١.

٢- يُذكر في هذا السياق أنّ العرب المحدثين قد اقترضوا كلمة «magasin» من الفرنسية بصيغة جديدة «مغازة» وبدلالة جديدة مرتبطة بظاهرة حضارية محدثة، يمكن العودة لمزيد التوسّع في هذه الملاحظة إلى، فتحي الجميل، المقترضات الأعجمية في القرآن، ص٧٠.

تمّ تعريبه (arabisé) من حِرَف وصناعات وفنون عِمارة[١] وقد استقرّت هذه الوحدة في مرحلة لاحقة في الفرنسية والإنجليزية واستُعملت لدى الجماعات النّاطقة بها بمعنى سلبي خلاف المعنى الذي وُضعت له. واقترضت الإنجليزية والفرنسية وحدات من قبيل «مومياء» «momie» و «جنّ» «djinn» و «روم» «Rumys» التي استعملها الكُتاب العرب في وصف مسيحيي إيطاليا، فصارت من ضمن رصيد الإيطالية اللّغوي ثم استقرّت في رصيد الفرنسية من خلال كتابات «جيرار دي نرفال» (Gérard de Nerval) بعد رحلته لزيارة مسيحيي الشرق وأقباط مصر على وجه الخصوص.

والملاحظ في هذا الباب أنّ اللّغات المذكورة لم تكتف بالاقتراض من رصيد العربية الفصيح فحسب، بل اقترضت أيضا من العاميات من قبيل اقتراضها من عاميّات شمال إفريقيا وحدات معجمية في علاقة بالمقاومة وبنزعة تلك الدّول إلى التحرّر من هيمنة الجماعات المستعمِرة. وفي هذا السياق تأتي الوحدة المعجمية «فلاقة» (fellagha) التي تُعرّف في المعجم الفرنسي بعبارة «قاطع طريق» (coupeur de route) وهي من الوحدات التي اقترضتها الإيطالية والفرنسية من العربية، مثلما اقترضت الفرنسية والإنجليزية الوحدة «فدائي» «fedai» منذ خمسينات القرن الماضي وتعني الشخص الذي يضحي بنفسه من أجل شخص آخر أو من أجل شيء مّا، والوحدة «أمن» «aman» التي تعني جيّدا ما تعنيه.

لقد أدّى التداخل بين تلك اللّغات إلى تطوّر مظاهر الاقتراض بينها وتعدّد مجالاته واختلاف أنواعه. وبقطع النّظر عمّا إذا كانت الوحدات المُقترَضَةُ ضرورية

١- نشير في هذا السياق إلى وفرة الألفاظ التي اقترضتها الفرنسية والإنجليزية من العربية عن طريق الإسبانية وخاصّة ما تعلّق منها بالحرف والصّنائع وفنّ العمارة.

أو بذخية (emprunt nécessaire / Emprunt de luxe)[1]، فإنّ الاقتراض حالة لغوية تتقاطع فيها اللّغات وتساهم في بيان مظاهر اتصال الجماعات اللّغوية وفي تحديد مظاهر التنافس بينها. ومع أنّنا قد أقررنا بأنّ الاقتراض بمظهريه المعجمي والثقافي مبدأ عامٌّ تحتاجه سائر اللغات فإنّ للرّيادة العلمية وللتقدّم التكنولوجي والتطوّر الحضاري دخلا في جعل لغة هذه الجماعة أو تلك «مُقرضة» أكثر من كونها «مقترضة» بل في جعلها مهيمنة في مختلف الفنون والصنائع مساهمة في نشر ثقافة الجماعات النّاطقة بها. ولذلك اقترنت قوّة اللّغة بقوّة الجماعة التي تتكلّمها. والجماعة القويّة تعمل على مزيد نشر لغتها ودعمها في سوق اللّغات بجعلها بعبارة كالفي لغة «بالغة المركزية» (Hyper centrale) في معنى أنّ لمستعمليها القدرة على الاستغناء بها عن باقي اللّغات (Approche sociolinguistique de l'avenir du français dans le monde، ٢٠٠٧، ١٥٤).

المهمّ في هذا أنّ الوعي بالمسألة اللّغوية وبالتنافس الحادّ بين اللّغات الذي يختزل بدوره تنافسا حادّا بين الجماعات اللّغوية قد أدّى إلى تعدّد المواقف من المسائل التي لم تكن لتُطرح في هذا السّياق لولا محاولة كلّ جماعة حماية لغتها من هيمنة اللّغات الأخرى، ومنها الموقف من مسألة الاقتراض ذاتها ومن «التعدّد اللّغوي» الذي أفضى بدوره إلى ظهور «الخطاب المتحيّز» وتجذّر فكرة «التعصّب اللّغوي». وقد تعدّدت في هذا السّياق المواقف بخصوص تصنيف اللّغات إلى

١- نودّ التذكير في هذا الباب بأنّ المقترضات تُصنّف إلى نوعين أساسيين، هما المقترضات الضرورية والمقترضات البذخية. ويمكن أن يعبر كل صنف منهما عن مظاهر الاتصال اللّغوي ومجالاته. فالمقترضات الضرورية تتعلّق بالأشياء الجديدة التي يتم نقلها من حضارات أخرى، أمّا المقترضات البذخية فليست ضرورية ولكنها تعبّر عن انبهار الجماعة التي تقترضها بثقافة جماعة أخرى رغم أنّ لها في لغتها ما يُعبّر عن المعنى المقصود. يمكن التوسّع في هذه الملاحظة بالعودة إلى:
- Jean Pruvost; Nos Ancêtres les Arabes; Ce que le français doit à la langue arabe; p70.

صغيرة وكبيرة وقويّة وضعيفة[١]، وتنامى الاهتمام بها انطلاقا من وعي الجماعات اللّغوية بصلتها الوثيقة ببنية المجتمعات وبتماسكها. فاللّغة هي أداة التواصل بين أفراد الجماعة اللّغوية وهي حامل ثقافتهم وعامل من العوامل المهمّة في الحفاظ على هويتهم. وعلى هذا الأساس فإنّ عناية كلّ مجموعة بلغتها ودفاعها عنها يتنزّلان في إطار حفاظها على هويتها وعلى المؤسسة الأكثر التحاما بحياة أفرادها.

٣– من التّداخل اللّغوي إلى التنافس اللّغوي أو من مظاهر الهيمنة اللّغوية

بناء على ما تقدّم فإنّ الوعي بالأهميّة التي تتميّز بها اللّغة في المحافظة على وحدة المجتمع في ظلّ الاختلاف الثقافي والتعدّد الدّيني والتنوّع العرقي، وبكونها الأداة التي نرى بها وعبرها العالم (George Mounin، Les problèmes théoriques de la traduction، ٥٩) [٢]، من بين الأسباب التي حدت

١- يذكر في هذا الباب أنّ المفاضلة بين اللّغات على أساس الصّغر والكبر أو الضّعف والقوّة أو التخلّف والتقدّم هو موقف لا علاقة له بواقع اللّغات ولا بخصائص كلّ نظام من أنظمتها. فاللّغة هي في أساسها نظام معدّل ذاتيا يمكّن مستعمليه من التواصل به ومن وصف الأشياء التي يحيون بها ومن تمثّلها. فكلّ لسان هو حصيلة تجربة جماعة لغوية تصنع عالمها وأشياءها المحيطة بها بوحداته. ومن هذه النّاحية فإنّ صفات من قبيل «لغة قوية» في مقابل «لغة ضعيفة» لا صلة لها باللّغة في ذاتها بل بمستعمليها وبالدّور الذي يمكن أن يضطلعوا به في الترقّي بمجتمعاتهم علميا وفنّيا وثقافيا...يمكن العودة في هذا الباب إلى تعليق كالفي على «اللغة الفيل» (La langue éléphant) واللغة الذبابة (La langue moustique) ضمن (حرب اللّغات والسياسات اللغوية، ١٩٩٩).

2- "La linguistique interne la plus récente amène donc à prendre conscience du fait que chaque langue découpe dans le même réel des aspects différents; que c'est notre langue qui organise notre vision de l'univers; que nous ne voyons littéralement de celui-ci que ce que notre langue nous en montre" George Mounin; Les problèmes théoriques de la traduction; 1963; p59.

وقد عدّ كاسن (CASSEN) ضمن «معركة اللّغات» التفكير في اللّغة على أنّها مجرّد أداة تواصل ضربا من السّذاجة في فهم طبيعة اللّغة وتحديد دورها في المجتمع.

«Il faut être naïf ou ignorant pour ne voir dans une langue vivante qu'un outil de communication; comme le sont les langues artificielles» (Cassen; B. La bataille des Langues; Repéré a http://www.monde-diplomatique.fr; février-mars 2008.

وذهب ريجيس دوبري (Régis Debray) المذهب نفسه حين اعتبر أنّ اللّغة ليست مجرّد أداة بل هي فضاء عيش ومصدر نفيس لحيوية دائمة ومتفرّدة:

«La Langue n'est pas un instrument mais un milieu de vie; le fil d'or d'une vitalité longue et singulière» (ibid).

بالجماعات اللّغوية إلى مآزرة لغاتها ودعمها بشتى الوسائل بما في ذلك محاولات تنظّم الجماعات التي تنتمي لغاتها إلى عائلة واحدة وسعيها إلى: «مراجعة الخطوط العامة والمناهج الدراسية وتأليف السلاسل التعليمية تقريبا لِلُغاتها وحماية لها في ظلّ التّنافس اللّغوي(محمد الشيباني، اللغة أساسا للوحدة في ظلّ التنوّع، ٩٣)[١]. فلم يَعُد الاقتراض مناسبة للنّظر في اتّصال اللّغات وفي التعرّف على مظاهر التلازم بين تطوّر التجارب الثقافية والاجتماعية وتطوّر اللّغات فحسب، بل مناسبة للتعرّف أيضا على تأثير الجماعات المهيمنة على باقي الجماعات لغويا وثقافيا. وقد قويت في هذا السياق مظاهر التّنافس بين اللّغات إلى درجة أنّ من الدّارسين من استعمل مصطلح «حرب» (guerre) في وصف ما يحدث بين اللّغات من تنافس[٢]. واستعمل آخرون مصطلح «معركة» (bataille) فيما استعمل البعض الآخر مصطلح «تنافس». ومهما كانت الصّفة التي يمكن أن تُطلق على ما يحدث بين اللّغات من تنافس أو تطاحن، فإنّ جنوح الأفراد والجماعات إلى الدّفاع عن لغاتهم قد عمّق النزعة الإيديولوجية في التعامل معها، الأمر الذي حدا بالمؤرّخ «فرناند برودال» (Fernand Braudel) إلى المماهاة بين الدّولة واللّغة حين اعتبر أنّ: «فرنسا هي اللّغة الفرنسية[٣]»، في إطار دعم موقف الدّولة من مسألة التعدّد اللّغوي.

١- يمكن الإشارة بخصوص هذه الملاحظة إلى أنّ التفكير في مؤازرة كلّ جماعة لغوية للغتها من العوامل التي ساهمت في تقريب المجتمعات الأوروبية رغم ما تميّزت به من تنوّع ثقافي وتعدّد لغوي. فمن الأهداف الأساسية التي في ضوئها تمّ إحداث الإطار المرجعي الأوروبي، مجاوزة الاختلاف وضمان حدّ أدنى من التعاون والتفاعل يحقّق ما يُعرف بـ: «المحافظة على درجات الثّراء اللّغوي والثّقافي ودعمه على قاعدة المشترك والمتنوّع» (محمد الشيباني، اللغة أساسا للوحدة في ظلّ التنوّع، ٩٣).

2- Louis Jean Calvet; La Guerre des Langues et Les Politiques Linguistiques; Ed. Payot 1999.

3- "La France c'est La Langue Française" Repéré in; Cassen; B. La bataille des Langues; 2008.

المهمّ في هذا أنّ التنافس اللّغوي قد أدّى بالضرورة إلى التعمّق في السياسات اللّغوية التي تعبّر عن الاختيارات التي تتخذها الجماعات في مؤازرة لغاتها، ومنها «التعدّد اللّغوي» الذي يستلزم اتخاذ جميع اللّغات الوطنية لغات رسمية ويقضي بتوفير الوسائل الضرورية لتطويرها، و «الإحياء اللّغوي» المتمثّل في بعث لغة ميّتة واعتمادها لغة وطنية رسمية لتوحيد فئات اجتماعية ذوي لغات مختلفة وثقافات متعدّدة، و «التدمير اللّغوي» الذي يقضي بإضعاف لغة حيّة من أجل ترك المجال لهيمنة لغة أجنبية أو أكثر في البلاد. وتُعدّ تلك العناصر من الخيارات الموضوعة أمام الجماعات في علاقة بالتّخطيط اللّغوي لفرض سياستها المنظّمة للمجتمع . بل إنّ توفّر هذه الخيارات التي يتقاطع فيها اللّغوي مع الثقافي والاجتماعي والسياسي والإيديولوجي، تفرض على المتخصّصين في مجال التخطيط والسياسة اللّغويين اتخاذ الاحتياطات العلمية والمنهجية الضّرورية في اقتراح الرّؤية الملائمة لخدمة اللغة لا باعتبارها حاملا ثقافيا فقط بل باعتبارها أداة لترسيخ مقوّمات الهوية والترقّي بالمجتمع [١].

٣–١ الإدماج اللّغوي من مظاهر حماية الجماعات اللّغوية لِلُغاتها

في مقابل «التعدّد اللّغوي» الذي يقضي بحماية اللّغتين أو اللّغات السائدة في المجتمع ضمانا لتماسكه كما هو الحال بالنسّبة إلى الواقع اللّغوي في سويسرا أو الواقع اللّغوي في البراغوي[٢] أو الواقع اللّغوي في بلجيكا التي تتعهّد بحماية الفرنسية والهولندية والإنجليزية بالإضافة إلى تعهّدها بدعم التعدّدية الثّقافية، فإنّ من بين السياسات المعتمدة في هذا الباب أيضا تطبيق مفهوم «الإدماج

١- يمكن التوسّع في هذا المبحث بالعودة إلى: الفاسي الفهري، ضمن السياسات اللّغوية والتخطيط، مسار ونماذج، مركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٥.

٢- يمكن التوسّع في مسألة التعدّد اللّغوي في البراغوي بالعودة إلى مقال:

- Henri BOYER; Caroline NATALI; L' Education Bilingue au Paraguay ou comment sortir de la diglossie; in revue de didactologie des langues- cultures et de lexuculturologie :143; juillet -septembre 2006. PP333-354.

اللّغوي» الذي يقضي بدوره بـ: «استعمال مختلف فئات المجتمع لغة رسمية واحدة رغم تعدّد لغاتهم وتنوّع ثقافاتهم. وهو أساس السّياسة اللّغوية الفرنسية التي تفرض اعتماد الفرنسية لغة رسمية رغم تجذّر لغات أخرى في فرنسا بسبب العوامل الجغرافية والاجتماعية والفردية، كالبروطونية (Le Breton) والباسكية (Le Basque) والكورسيكية (Le Corse) والنورمندية (Le Normand) والعربية (L'Arabe) وغيرها من اللّغات»(البعزاوي، ٢٠٢٣، ١٤٤).

والملخّص في هذا أنّ الجماعات المستعمِرة تسعى بشتى الوسائل إلى فرض لغاتها على الجماعات المستعمَرة لمزيد نشر ثقافاتها وضمان تبعيتها لها[١]. وقد جعلت تلك الجماعات من الترجمة مدخلا لمزيد التحكّم في الجماعات الضعيفة. فلم يكن الهدف من ترجمة النّصوص أواخر القرن التاسع عشر خاصّة، التعرّف على ثقافة الآخر وتفهّم عاداته وتقاليده ومقدار العلم الذي بلغه، بل كانت موظّفة توظيفا سياسيا بهدف إحكام السيطرة على تلك الجماعة. وفي هذا السياق فإنّ الغرض من ترجمة دي غوغيير (De Goguyer) لألفية ابن مالك ومن معرفة العربية: «إحكام السيطرة الفرنسية على الجزائر» (Hamzé; Le politique s'en va، le scientifique demeure; pp ٩٨ – ٩٩). وقد شدّد المترجم في المقدّمة على ضرورة معرفة العربية المكتوبة وخاصّة العاميّة لمعرفة كيفية مواجهة العدوّ (L'ennemi) في إشارة منه إلى حركات التحرّر التي بدأت تتشكّل في

١- نودّ التنبيه في هذا السياق إلى أنّ الجماعات الناطقة بالفرنسية قد أنشأت منظّمة اصطلحت عليها بالفرنكوفونية لدعم الفرنسية في العالم وتكوين قوّة بمشاركة مجموعات لغوية أخرى بهدف مواجهة ظاهرة اللّغة الواحدة (Unilinguisme) التي تدعمها الجماعات الأنجلوفونية في مسار العولمة. وقد اضطلعت هذه المنظّمة بوضع مشاريع وشراكات لمواجهة مدّ الإنجليزية في العالم من قبيل مرصد اللّغات الفرنكوفونية ومراكز نشر الفرنسية في عديد الأقطار فضلا عن مشروع «الفضاءات اللّسانية الثلاثة» الذي كوّنته الجماعة الناطقة بالفرنسية بمعية الجماعة الناطقة بالبرتغالية والجماعة النّاطقة بالإسبانية دفاعا عن كينونة هذه اللّغات في المؤتمرات واللقاءات الدولية. انظر لمزيد التوسّع في المنظّمة،

- J. L Calvet; Approche sociolinguistique de L'avenir du français dans le monde, Hérodote; Revue de Géographie et de Géopolitique; 3ème trimestre n126 Eds. Découverte, Paris, p 153-160.

الجزائر وتونس[١]. وقد شبّه في هذا السّياق الفرنسية بالمدينة العصرية محكمة التنظيم وبالحديقة الغنّاء المتّسقة في حين شبّه العربية بالمدينة العتيقة والغابة البكر، في إشارة منه إلى تعبير الفرنسية عن الحداثة والعربية عن القديم[٢].

لقد أفضت نزعة الجماعات المتفوّقة إلى الهيمنة، إلى التعصّب اللّغوي وإلى نشأة خطابات متحيّزة تماهي بين اللّغة والهويّة وتعتبر الدّفاع عن اللّغة دفاعا عن الهويّة. وكان من نتائج هذا التوجّه في التّعامل مع اللّغات والسعي إلى مؤازرتها شيوع الاعتقاد بأنّ الفروق بين اللّغات تعكس بعبارة «ماي هيل» (Myhill) فروقا بين الأعراق[٣]. وقد أدّت الإيديولوجيا اللّغوية في هذا السياق إلى التعصّب العرقي الذي يقضي لا بالدّفاع عن اللغة فحسب بل بتمجيدها والبحث عن مبررات لجعلها أصل اللغات كما فعل جالينوس مع اليونانية حين عدّ سائر اللّغات شبيهة بنباح الكلاب ونقيق الضّفادع[٤].

وبقطع النّظر عن الاختيارات التي تتخذها كلّ جماعة لغوية لحماية لغتها، فإنّ «العربيّة» ليست بمنأى عن التّنافس مع باقي ألسنة الجماعات اللّغوية الأخرى. فقيمتها مقترنة هي أيضا بقيمة مستعمليها العلمية والتقنية والثقافية. والحرص على خدمتها بمزيد تعميمها متوقّف على مزيد انخراط المجتمعات العربيّة بمؤسّساتها العلمية والتعليمية في مسار التطوّر العلمي والتقدّم التكنولوجي وعلى تحقيق مبدأ التكامل والتعاون في إطار احترام التنوّع والخصوصيات الثقافية. فلم يعد

1- De Goguyyer, La ALFIYYA D' IBN-MALIK, Imprimerie des Belles-Lettres; Bayrouth; 1888.

٢- يمكن التوسّع في الملاحظة أعلاه بالعودة إلى

- Hamzé; Le politique s'en va, le scientifique demeure; pp 103-106.

3- Myhill John; Language, Religion and National Identity in Europe and the Middle East; John Benjamins B.V; 2006 P7.

٤- يُنظر موقف جالينوس عند ابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد محمّد شاكر، بيروت دار الآفاق الجديدة (د.ت).

لاتّصال اللّغات معنى خارج صراع الجماعات اللّغوية. بل إنّ من آثار الجماعات المستعمِرة فَرْضَ لغاتها على الجماعات المستعمَرة بهدف ضمان تبعيتها لها في مختلف المجالات وخاصة الثقافية منها، وهو السياق الذي تمكنت بموجبه فرنسا وبريطانيا من: «اقتسام المستعمرات اقتساما لغويا» (الشمّري، التخطيط اللغوي من الاستعمار إلى العولمة اللغوية، ٢٠٠٩، ١٢).

٣–٢ العربية وسياسات الجماعات اللّغوية النّاطقة بها

ذكرنا في فقرات سابقة أنّ العربية لم تكن بمنأى عن مظاهر التّنافس بين ألسنة الجماعات اللّغوية المختلفة وأنّ قيمتها مقترنة بقيمة الجماعات النّاطقة بها. ورغم كون معرفة اللّغة تظلّ متوقّفة من النّاحية اللّغوية الخالصة، على التعمّق في مستوياتها المختلفة بدءا بالوحدات الدّنيا الدّالة وصولا إلى الدّلالة وما تثيره من قضايا في علاقة بإنتاج المعنى وجِهَةِ تمكينه والاحتياط له، فإنّ ربطها بقيمة الجماعة النّاطقة بها قد أعاد الاعتبار للعناصر الثقافية والاجتماعية والدينية والاقتصادية وغيرها من العناصر في التعامل مع العربية وتقييمها والتنصيص على أهميّتها في صياغة أفكارنا والتعبير عن مواقفنا وانفعالاتنا وفي تعميق فهمنا للأشياء من حولنا.

والملاحظ في هذا السياق أنّ تمكين العربيّة سواء في محيطها العربي أو بتعميمها لدى الجماعات الأخرى مشروط بالسّياسة اللّغوية التي ينبغي انتهاجها خدمة للّغة وضمانا للترقّي بالمجتمع النّاطق بها. ونعني بالتعميم في هذا السياق جعل العربية لغة عالمية سواء من حيث انتشارها الجغرافي أو من حيث كونها أداة فاعلة في تحصيل المعرفة. غير أنّ هذا الطّموح الذي يرمي إلى الدّفع باتجاه ترسيخ العربية في أهلها وفي غير أهلها يظلّ متوقّفا على سياسات الدّول العربية اللّغوية باعتبارها مصادر قرار، وعلى جهود الباحثين والمتخصّصين في السياسات اللّغوية باعتبارهم سلطة اقتراح.

بناء على هذا التمشّي الذي يجمع بين السّعي إلى الانخراط في مسار إنتاج المعارف والعلوم وما يقتضيه ذلك من تطوير لمناهج التدريس وللمؤسّسات التعليمية والمؤسسات والمخابر البحثية ومن مقاومة هجرة العقول...، وبين العمل على توحيد الجهود بمراعاة التعدّد والاختلاف والتنوّع، يتمّ التقليص من حجم التّباعد بين مخرجات المؤّسسات العلمية والعملية وتتحقّق الاستفادة من التجارب التي ثبتت نجاعتها في واقع لغوي معيّن، بالأخذ بها وتعميمها خدمة للعربيّة ولمستعمليها. فالعربية تتيح، ومثلها في ذلك مثل سائر اللّغات، بأبنيتها الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية الدلالية لمستعمليها إمكانات في التّعبير عن حاجاتهم وتحقيق أغراضهم وتمكّنهم من نقل النظريات وترجمة المصطلحات التقنية والعلمية بالإضافة إلى معجمها المُتاح لوضع البرمجيات المساعدة على تعلّمها وعلى الترجمة الآلية. فهي تحيا أو تموت وتنتعش أو تذوي بحسب الرّعاية التي نوليها إيّاها، من استعمال فعّال وتنمية مستمرة وتطوير دائم. وهذا لا يتأتّى: «دون تخطيط سليم وسياسة لغوية واعية على شتى المستويات السياسية والتعليمية والثقافية، بل والاقتصادية كذلك» (محمود إسماعيل صيني، مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، ع٢، أفريل ٢٠١٦، ص٥).

ضمن هذا السّياق يمكن أن نشير إلى الدّور الذي تلعبه المجامع اللّغوية في مزيد تعهّد العربية بتحيين معجمها وإثرائها بمصطلحات العلوم والفنون والمعارف والتقنيات الحديثة، أو بالمساهمة في تعريب الإدارة والتعليم وجعل العربية لغة رسمية بدل لغات المستعمر في مختلف المجالات وخاصّة المجالات العلمية ومجال الخدمات[1]. وقد تعدّدت التجارب المتعلّقة بخدمة العربية شأنها في ذلك

١- نودّ التنبيه في هذا السياق إلى أنّ المجامع اللّغوية العربية قد اتّخذت من المجامع التي أُنشئت في أوروبا مثالا لها، من قبيل أكاديمية إيطاليا التي تأسست بفلورنسا ١٥٨٣م والأكاديمية الفرنسية التي أنشئت في باريس ١٦٣٥م والأكاديميات الأوروبية التي أنشئت لغرض صيانة اللغة وجعلها أساسا لهوية الأمّة وتوحيدها. يمكن التوسّع في المسألة بالعودة إلى د. علي القاسمي، التعاون في مرصد عربي للمصطلحات من ركائز السياسة اللغوية الحكيمة، مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، السنة الأولى أكتوبر، ٢٠١٥.

شأن التجارب المتعلّقة بخدمة اللّغات الأجنبية، من قبيل الجهود المبذولة لوضع بنوك مصطلحات في الوطن العربي والجهود المبذولة لتعليم العربية للناطقين بغيرها والمؤسّسات والمعاهد والمراكز البحثية التي تُعنى بقضايا العربية بما في ذلك سُبل تيسير تعليم نحوها ومعجمها ورسمها وإملائها، وتسعى إلى دعمها وتعميمها وضمان تواجدها مع ألسنة الأمم الحيّة في العالم. وقد قوي هذا العامل أكثر فأكثر أمام رغبة المتعلّمين من غير النّاطقين بالعربية في التعرّف على الدّين الإسلامي ورغبة غيرهم من المتخصّصين في علم الأديان أو في الأنتروبولوجيا أو في علم التاريخ أو في العلوم السياسية، في التعمّق في فهم بنية المجتمعات العربيّة بمكوّناتها الثقافية والدّينية، وما يقتضيه ذلك من احتياجات لغوية عامّة وأخرى تقنية خاصّة.

وقد يكون من المفيد الإشارة في هذا السياق أيضا إلى أهميّة الترجمة من العربية وإليها وإلى أهميّة ترجمة المصطلحات الفنّية والعلمية لما للمصطلح من دور في التعرّف على الفنون والمعارف وفي تحديد خصائصها[1]. فالتّرجمة ضرورة ملحّة لمدّ جسور التّواصل بين الثّقافات[2] وترجمة المصطلحات نشاط لا غنى عنه في تقريب المعارف واستيعابها وفي ربط الصّلات بين اللّغات المنقول منها واللّغات المنقول إليها[3]. وبقطع النّظر عن مظاهر التأثير والتأثر بين اللّغات

١- نشير في هذا السياق إلى أنّ الغاية من الإشارة إلى المصطلحات لا نقصد به التعمّق في ضبط معايير قبولها ولا كيفية تبرير وجود أحدها بدل الآخر، فذلك جهد مهم في علاقة بعلم المصطلح وبالتخطيط المصطلحي لا محالة، غير أنّنا نعني بترجمة المصطلحات الأثر الذي تلعبه في تعميم العربية وجعلها قادرة على استيعاب أدوات العلم.

٢- يُنظر بخصوص ما تلعبه الترجمة من دور في نقل المعارف وتقريب الثقافات:

- Paola Puccini; Le «Grand Tour «de la Traduction. Pour un parcours interdisciplinaire et interculturel; in revue de didactologie des langues- cultures et de lexuculturologie :141; janvier -mars 2006; pp23-32.

٣- نودّ التنبيه في هذا السياق إلى أنّ الترجمة باعتبارها نشاطا تقتضي، من بين ما تقتضيه، أن يكون حذق المترجم للّغة المترجَم عنها في حذقه للغة المترجَم إليها، وإن كان الموقف السّائد في ذلك هو صعوبة الحصول على ملكتين متكافئتين لأنّ اللّغتين كما يقول الجاحظ: «إذا التقتا في اللّسان الواحد أدخلت كلّ واحدة منهما الضّيم على صاحبتها» (البيان والتبيين، ١ / ٢٧٤). وهو ما ذهب إليه ابن خلدون حين اعتبر أنّ الملكة: «إذا سبقتها ملكة أخرى في المحلّ فلا تحصل إلاّ ناقصة مخدوشة» (المقدّمة، ٥٦٤).

وعن وضع كلّ لغة ضمن الخارطة اللّغوية، فإنّ حركة الترجمة شأنها في ذلك شأن الاقتراض بمظهريه المعجمي والثقافي تلعب دورا أساسيا في ترسيخ مبدأ اتّصال اللّغات وتساعد من لا يعرف إلاّ لسانه على تحصيل المنافع والتعرّف على أفكار الآخر ورؤاه وتصوّراته وطقوسه الثقافية والحضارية التي تساهم في تعزيز الذّات وتحفيزها نحو الأفضل[1].

والملخّص في هذا أنّ تعدّد المراكز البحثية الموجّهة إلى خدمة العربية وتعدّد المجامع اللّغوية ومراكز الترجمة والتعريب والمخابر فضلا عن تعدّد المؤسسات التي تُعنى بتعليم العربية لأبنائها وللناطقين بغيرها قد لا يكون لها الأثر الكافي رغم أهميتها، في نشر اللّغة ومزيد تعهّدها. فلابد من سياسة لغوية هادفة تسعى الدّول العربية بمختلف منظّماتها إلى تبنيها والالتزام بها ومؤازرتها على نحو يساهم في مزيد تقليص الفجوة بين مؤسساتنا رغم اختلاف رؤانا وتنوّع ثقافاتنا وتعدّد أعراقنا، وقبل ذلك لا بدّ للسياسة اللّغوية المطلوبة أيضا أن تتوفّر على العناصر التي جعلت من سياسات الأمم المتقدّمة سياسات رائدة في ظلّ العولمة وفي سياق التنافس الحادّ بين الأمم.

١- يمكن التوسّع في أنواع الترجمة بالعودة إلى حمّادي صمود فصل: الترجمة والهوية ضمن كتاب "البلاغة العربية بين مسالك الدرس وتصاريف الخطاب"، المنشورات الجامعية بمنوبة، ط١، ٢٠١٥، صص١١٤-١٢٦.

الخاتمة

اهتممنا في هذا البحث بتتبّع أثر الاقتراض في بيان مظاهر الاتصال بين اللّغات، وقد دعانا ذلك إلى إعادة النّظر في المقترضات المعجمية وفي أبعادها الثقافية والاجتماعية، فانتهينا إلى أنّ الاقتراض أوسع من أن يكون ظاهرة معجمية حادثة بين لغة «مصدر» ولغة «مورد» بل هو ظاهرة اجتماعية ثقافية تلعب دورا أساسيا في تعديل رؤانا وتصوّراتنا وأحيانا في تغيير عادتنا في علاقة بالأشياء من حولنا. ولم نغفل في هذا السّياق أيضا عن تقليب النّظر في دواعي الاقتراض ومظاهره، فانتبهنا إلى الآثار المترتّبة عن اتّصال اللّغات وتداخلها وأصبح الحديث عن الاقتراض باعتباره وجها من وجوه اتّصال اللّغات وتداخلها مدخلا إلى الحديث عن تنافس اللّغات أو صراع اللّغات بل عن حرب اللّغات كما يحلو للبعض تسميتها.

وقد بدا لنا انطلاقا من تتبّع مظاهر الاتصال بين العربية وبعض اللّغات الهندية الأوروبية التعمّق في الأسباب الكامنة وراء الصّراع اللّغوي، فانتهينا إلى التعرّف على السّياسات التي تستخدمها الجماعات اللّغوية المتفوّقة في نشر ثقافاتها وفي ضمان تبعية الجماعات الضّعيفة والجماعات الأقلّ منها تفوّقا، لغويا وثقافيا وعلميا واقتصاديا...وهي سياسات مبنية على جملة من الاختيارات الواعية، موجّهة إلى استمرار تلك الجماعات في تمكين لغاتها وفرض هيمنتها على من هم دونها. وقد كان للتنافس الحادّ بين اللّغات أثره في نشأة جهاز مصطلحي مصاحب له من قبيل «الإيديولوجيا اللّغوية» و «الخطاب المتحيّز» و «التحيّز اللّغوي» و «التّسامح اللّغوي»...مثلما أدّى الاهتمام باتّصال اللّغات وتداخلها إلى توليد مفاهيم «التعدّد اللّغوي» و «الازدواج اللّغوي» و «الأحادية اللّغوية» و «الإحياء اللّغوي» وإسقاط مفاهيم متّصلة بالمفاضلة بين الجماعات اللّغوية في

العلوم والمعارف والفنون...، على اللّغات من قبيل حديثهم «الألسنة الكبيرة» و «الألسنة الصّغيرة» أو «الألسنة القوية» و «الألسنة الضعيفة» وهو ما أدّى إلى تعميق الفجوة بين الجماعات اللّغوية وإلى وعي الجماعات الضّعيفة بضرورة استكشاف هوِيَاتِهَا وإحياء لغاتها والتطلّع إلى تدارك ما فاتها من حركات إنتاج الحضارة وارتياد مجالات التقدّم.

وقد نبهّنا إلى أهمية التخطيط والسياسة اللّغوية في مؤازرة اللّغات وحمايتها في سوق اللغات وفي سياق العولمة الرّامي إلى محو خصوصيات الجماعات اللغوية الاجتماعية والثقافية والدينية...وبيّنا أنّ العربية لم تكن بمعزل عن هذا السّياق وأنّ التنصيص على أهميّتها في صياغة أفكارنا والتعبير عن مواقفنا وانفعالاتنا وفي تعميق فهمنا للأشياء من حولنا، مشروط بانخراط الجماعات الناطّقة بها في مسار إنتاج المعارف والعلوم والاستفادة من التجارب التي ثبتت نجاعتها في واقع لغوي معيّن، بالأخذ بها وتعميمها خدمة للعربيّة وحفاظا على خصوصيات مستعمليها الاجتماعية والثقافية والدينية في سياق العولمة ومخرجاتها.

قائمة المراجع المعتمدة في البحث

١ – باللّغة العربية:

- ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد محمّد شاكر، بيروت دار الآفاق الجديدة (د.ت).
- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدّمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة ٤.
- بن مراد إبراهيم، مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.
- البعزاوي محمّد الصّحبي، من قضايا تعليم العربية لسانا ثانيا، دار الأمينة للنشر والتوزيع، تونس٢٠٢٣.
- الجاحظ: البيان والتبيين، تح. عبد السلام محمد هارون، ط٣، مؤسسات الخانجي القاهرة، (د.ت).
- الجميل فتحي، المقترضات الأعجمية في القرآن: بحث في المقاربات، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، تونس ٢٠١٣.
- صمود حمّادي، البلاغة العربية بين مسالك الدرس وتصاريف الخطاب، المنشورات الجامعية بمنوبة، ط١، ٢٠١٥،
- فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، لهانس بيتر مارتين وهارالد شوميان، تر. د عدنان عباس علي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت أكتوبر ١٩٩٨.
- الفهري الفاسي، السياسات اللّغوية والتخطيط، مسار ونماذج، مركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٥.
- القاسمي علي، السياسة اللغوية وعلاقتها بالتخطيط التربوي والتنمية البشرية، ضمن ندوة التخطيط والسياسة اللغوية، الرياض، ٢٠١٥.
- محمد الشيباني، اللغة أساسا للوحدة في ظلّ التنوّع، الفكر الجديد، مجلّة ثقافية فصلية، السنة الثانية ٢ عدد٧

- محمود إسماعيل صيني، مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، ع٢، أفريل ٢٠١٦.
- مشروع معجم مصطلحات المعادن، عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب بالرباط، ٢٠١٦.

٢- باللّغات الأجنبية:

- BOYER Henri; Caroline NATALI; L'Education Bilingue au Paraguay ou comment sortir de la diglossie; in revue de didactologie des langues- cultures et de lexu-culturologie :143; juillet -septembre 2006. PP333-354.
- Calvet Louis Jean; La Guerre des Langues et Les Politiques Linguistiques; Ed. Payot 1999.
- Calvet J.L; Approche sociolinguistique de l'avenir du français dans le monde, Hérodote; Revue de Géographie et de Géopolitique; 3e trimestre, n :126 Eds. Découverte, Paris; 2007; pp153-160.
- Cassen; B. La bataille des Langues; Repéré a http://www.monde-diplomatique.fr; février-mars 2008.
- De Goguyyer, La ALFIYYA D'IBN-MALIK, Imprimerie des Belles-Lettres; Bayrouth; 1888
- Deroy Louis; L'emprunt Linguistique; Les Belles Lettres; Paris; 1956; pp 137-187.
- Dictionnaire Le Grand Robert de La Langue Française,
- George Mounin; Les problèmes théoriques de la traduction; collection Tel Gallimard; 1963; p59.
- Guemriche Salah ; Dictionnaire des mots français d'origine arabe; 2007.
- Hassan Hamzé; De la racine au mot ou du mot à la racine : problématique de la création d'une mémoire de l'emprunt en arabe; in Revue Tunisienne des sciences sociales; n. 117; Tunis ; 1998.pp61-74.
- Jacquart Albert, Préface de L'Amiral des mots, par P. Aroneaunu, L. Berman, Ed. Alternatives, 1989.
- Myhill John; Language, Religion and National Identity in Europe and the Middle East; John Benjamins B.V; 2006.
- Ostler Nickolas; Empires of the word , A language history of the world; Harper collins Publishers , London ,2005
- Paola Puccini; Le "Grand Tour" de la Traduction. Pour un parcours interdisciplinaire et interculturel; in revue de didactologie des langues-cultures et de Lex culturologie :141; janvier -mars 2006; pp23-32.
- Pruvost Jean ; Nos Ancêtres les Arabes; Ce que le français doit à la langue arabe; Editions Jean-Claude Lattès; 2017.

- Weinreich Uriel; Languages in contact; 8ème printing; Mouton & C.O.N.N Publishers, The Hague, 1974.
- Winford Donald, An introduction to contact linguistics; Blackwell Publishing, Malden- Oxford; 2003.

رومنة قائمة المصادر والمراجع:

- Ibn Ḥazm fī “al-Iḥkām fī uṣūl al-aḥkām, taḥqīq Aḥmad Muḥammad Shākir, Bayrūt Dār al-Āfāq al-Jadīdah (D. t).
- Ibn Khaldūn ‘Abd al-Raḥmān, al-muqaddamah, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Bayrūt Lubnān, al-Ṭab‘ah 4
- ibn Murād Ibrāhīm, muqaddimah li-naẓarīyat al-Mu‘jam, Dār al-Gharb al-Islāmī, al-Ṭab‘ah al-ūlá, 1997.
- alb‘zāwy Muḥammad alṣṣḥby, min Qaḍāyā Ta‘līm al-‘Arabīyah lsānā thāniyan, Dār al-Amīnah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, twns2023.
- al-Jāḥiẓ : al-Bayān wa-al-tabyīn, th. ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, ṭ3, Mu’assasāt al-Khānjī al-Qāhirah, (D. t).
- al-jamīl Fatḥī, al-Muqtaraḍāt al-a‘jamīyah fī al-Qur’ān : baḥth fī al-muqārabāt, Kullīyat al-Ādāb wa-al-Funūn wa-al-Insānīyāt bi-Manūbah, Tūnis 2013.
- Ṣammūd Ḥammādī, al-balāghah al-‘Arabīyah bayna Masālik al-dars wtṣāryf al-khiṭāb, al-Manshūrāt al-Jāmi‘īyah bi-Manūbah, Ṭ1, 2015.
- Fakhkh al-‘awlamah : al-i‘tidā’ ‘alá al-Dīmuqrāṭīyah wa-al-Rifāhīyah, lhāns Bītir Mārtīn whārāld shwmyān, tara. D ‘Adnān ‘Abbās ‘Alī, ‘Ālam al-Ma‘rifah, al-Majlis al-Waṭanī lil-Thaqāfah wa-al-Funūn wa-al-Ādāb - al-Kuwayt Uktūbir 1998.
- al-Fihrī al-Fāsī, al-Siyāsāt alllghwyh wa-al-takhṭīṭ, masār wa-namādhij, Markaz al-Malik ‘Abd Allāh li-Khidmat al-lughah al-‘Arabīyah, al-Riyāḍ, 2015.
- al-Qāsimī ‘Alī, al-siyāsah al-lughawīyah wa-‘alāqatuhā bi-al-Takhṭīṭ al-tarbawī wa-al-tanmiyah al-basharīyah, ḍimna Nadwat al-Takhṭīṭ wa-al-siyāsah al-lughawīyah, al-Riyāḍ, 2015.
- Muḥammad al-Shaybānī, al-lughah asāsā lil-Waḥdah fī ẓll altnww‘, al-Fikr al-jadīd, mjllh thaqāfīyah faṣlīyah, al-Sunnah al-thāniyah 2 ‘dd7
- Maḥmūd Ismā‘īl Ṣīnī, Majallat al-Takhṭīṭ wa-al-siyāsah al-lughawīyah, ‘2, Afrīl 2016.
- Mashrū‘ Mu‘jam muṣṭalaḥāt al-ma‘ādin, ‘an al-Munaẓẓamah al-‘Arabīyah lil-Tarbiyah wa-al-Thaqāfah wa-al-‘Ulūm wa-Maktab tansīq al-Ta‘rīb bi-al-Rabāṭ, 2016.

إشكالية المفاهيم الإجرائية في النقد الثقافي: وعي النظرية بين المعجم والاستعمال النقدي

The Problematic of Procedural Concepts in Cultural Criticism: The Awareness of Theory between The Lexicon and Critical Usage

د. فتحي أحمد صالح الشرماني
كلية الآداب، جامعة تعز – اليمن وكلية الإمام مالك – دبي

د. أسماء مقبل عوض الأحمدي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز – جدة

Dr. Fathi Ahmed Saleh Al-Shormani
Faculty of Arts, Taiz University & Immam Malik College, Dubai

Dr. Asmaa Moqbel Awad Al-Ahmadi
Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University - Jeddah.

https://doi.org/10.47798/fom.2024.i4.02

ملخص البحث

تناقش هذه الدراسة إشكالية البناء العربي لمفاهيم النقد الثقافي في مستوياتها الفلسفية والنظرية والمنهجية، بالمقارنة بين استقبالها لدى النقاد واستقبالها في المعجم النقدي؛ ففي المستوى الفلسفي تبيّن هيمنة الرؤية التقليدية (الأدبية) للجمال على وعي الناقد الذي يقارب النصوص ثقافيًا، ولا تؤول الرؤية التوفيقية بين إضمار النص للقبحيات والجماليات على السواء إلا إلى وعي جمالي يستحسن كل ما يأتي به الشاعر، واتضح أن المعجم النقدي لم يجاوز حدود هذه الرؤية في معالجة مفهوم الجماليات الثقافية، باستثناء المعجم الرائد (دليل الدراسات الثقافية والنقد الثقافي) الذي قدّم مفهومًا مختلفًا لهذا المصطلح، وإن كان لايزال بحاجة إلى زيادة كفاءته التعريفية.

وعلى مستوى النظرية اتضح ميل النقاد إلى مفاهيم للثقافة تلبي حاجة النقد الأدبي فقط وترسيخ فوقية الخطاب، الأمر الذي أعاق النقد الثقافي في كثير من التطبيقات عن الوصول إلى نتائج مختلفة عما يصل إليه النقد الأدبي، ولم يشذ المعجم النقدي عن محدودية هذا الفهم، بما أنه بدا غير معني بمفهوم الثقافة / الهيمنة الذي انطلق منه رواد نقد النصوص الأدبية ثقافيًا في الغرب، وهو ما يؤكد ضرورة تقديم معالجة مفاهيمية متأنية لمصطلح الثقافة في المعجم النقدي ما بعد الحداثي.

أما على مستوى المنهج؛ فتبيَّن أن فكرة تعارض الأنساق في النقد الثقافي لاتزال تفرض فهمًا نقديًا مرتبكًا للنسق نفسه، وانعكس ذلك على الوعي

Abstract

This study discusses the problem of the Arab construction of the concepts of cultural criticism at its philosophical, theoretical and methodological levels, by comparing its reception by critics and its reception in the critical dictionary.

At the philosophical level, it shows the dominance of the traditional (literary) vision of beauty over the awareness of the critic who approaches texts culturally. The vision of reconciliation between the text's concealment of ugliness and aesthetics alike does not lead to anything but an aesthetic awareness that approves of everything the poet brings. It became clear that the critical dictionary did not exceed the limits of this vision in dealing with the concept of cultural aesthetics, with the exception of the pioneering dictionary (Guide to Cultural Studies and Cultural Criticism) which presented a different concept for this term, although it still needs to increase its definitional efficiency.

On the level of theory, the critics' tendency to traditional concepts of the term culture became clear, in order to meet the need for literary criticism and to consolidate the superiority of discourse, which in many applications hindered cultural criticism from reaching results different from the literary criticism. With the concept of culture/ hegemony, from which the pioneers of cultural criticism of literary texts started in the West, which confirms the need to provide a careful conceptual treatment of the term culture in the postmodern critical dictionary.

At the level of the curriculum, it became clear that the idea of the systems of conflict in

المعجمي بفكرة النسق، بين من ينكر إضماره، وبين من يقلل من أهميته، وبين من يوسع دائرته فيصبح المضمر والظاهر نسقًا واحدًا، وهذا يقتضي في رأي الدراسة عملية فرز معجمي لمفاهيم النسق الثقافي في السياق الغربي، وصولًا إلى إيضاح منطلق نظرية الغذامي من أيٍّ من هذه المفاهيم، وموقع التطبيقات العربية الأخرى منها؛ ليكون قارئ المعجم على بيّنة من المنهج الذي ينبغي أن يسلكه ليكون نقده نقدًا ثقافيًا.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، المعجم النقدي، الجماليات الثقافية، الثقافة، النسق.

cultural criticism still imposes a turbulent critical understanding of the system itself. The implied and apparent form become one system, and this requires the process of a lexical screening of the concepts of the cultural system in the Western context, in order to clarify the premise of Al-Ghadami's theory of these concepts, and the location of other Arabic applications, so that the reader is aware of the approach that should be made. That he behaves to be his criticism of cultural criticism.

Keywords: cultural criticism, critical dictionary, cultural aesthetics, culture, systems.

المقدمة

برزت نظرية النقد الثقافي Criticism Cultural في الغرب بوصفها نشاطًا يحاول الارتكاز على وسائل جديدة للنظر في النصوص؛ بغية الوصول إلى نتائج مغايرة لما اعتاد أن يصل إليه النقد الأدبي، ولم يكن مثيرًا موقف الرفض العربي لهذا النوع من النقد بقدر محاولة الاحتواء، التي أغرت الناقد الأدبي في كثير من الأحيان بتلمّس معالم التلاقي بين النقدين: الأدبي والثقافي، ومن ثم شحن المصطلحات الثقافية بدلالات جمالية معهودة يجيد النقد الأدبي التعامل معها، وأن يكون الأمر كذلك؛ فمن المهم أن تظل هذه المصطلحات محل فحص ونظر متواصل، سواء على مستوى الاستعمال النقدي أو على مستوى البناء المعجمي، مادام النقد الثقافي العربي نظرية لما تنضج إجراءاتها بعد، ومادامت لحظة الاستقبال شهدت ظهور اتجاهات متباينة بحسب درجة قُرب الناقد أو بُعده من المفاهيم والقناعات التي رسخها النقد الأدبي عبر العصور، ومن هنا يأتي منطلق هذه الدراسة في تناول المفاهيم الإجرائية في النقد الثقافي بوصفها إشكاليات تحتاج إلى التفكيك والمعالجة.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة من سعيها إلى تكوين تصور واضح عن واقع المصطلح النقدي الثقافي، بالمقارنة بين استعمالات الناقد وبين الوعي المعجمي بهذه المصطلحات، وصولًا إلى حالة تمييز وفرز بين ما هو ثقافي مختلف، وبين ما هو جمالي ميدانه النقد الأدبي، فمن شأن هذا الفرز أن يسهم في إنضاج الوعي بالمفاهيم الأساسية في النقد الثقافي معجمًا وتداولًا، وبما يعزز وضوح الإجراءات في تطبيقات هذا النوع من النقد وحداثة نتائجها.

إشكالية الدراسة:

تفترض الدراسة أن عملية تعريب نظرية النقد الثقافي لاتزال تعاني شحةً في إنتاج المفاهيم الإجرائية، التي تضمن قيام منهج نقدي ثقافي بخطوات واضحة وإضافاتٍ جديدة إلى العملية النقدية؛ فالوعي النقدي والمعجمي بأبرز مصطلحات النقد الثقافي كالثقافة والجماليات الثقافية والنسق المضمر، لايزال ينتابه شيء من الإرباك وعدم الوضوح، بفعل الانطلاق في فهم هذه المصطلحات من الشروط الجمالية المتوارثة، ويمكن صياغة هذه المشكلة في السؤال الآتي:

ما الإشكاليات الفلسفية والنظرية والمنهجية التي تعترض مفاهيم النقد الثقافي العربي ولا تزال تربك مساره نحو النضج والتطور؟

أهداف الدراسة:

سعت هذه الدراسة إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسة هي:

١- استكشاف وعي الناقد الثقافي بمفهوم الجمال، بالمقارنة مع واقع الصياغة المعجمية في المعجم النقدي لهذا المفهوم، وذلك بوصف البحث في هذا الجانب محاولةً للإجابة عن سؤال الفلسفة في نظرية النقد الثقافي.

٢- استكشاف وعي الناقد الثقافي بمفهوم الثقافة، بالمقارنة مع واقع الصياغة المعجمية في المعجم النقدي لهذا المفهوم، وذلك بوصف البحث في هذا الجانب محاولةً للإجابة عن سؤال النظرية في النقد الثقافي.

٣- استكشاف وعي الناقد الثقافي بمفهوم النسق المضمر، بالمقارنة مع واقع الصياغة المعجمية في المعجم النقدي لهذا المفهوم، وذلك بوصف البحث في هذا الجانب محاولةً للإجابة عن سؤال المنهج في نظرية النقد الثقافي.

منهج الدراسة:

اعتمد البحث لتحقيق أهدافه على عدد من الآليات المنهجية هي: الوصف والتحليل والمقارنة والنقد والحجاج، بما أن ميدان الدراسة يتوزّع بين المدونة المعجمية والمدونة النقدية؛ لقياس حالات التطابق والافتراق في الوعي بالمصطلحات الأساسية في نظرية النقد الثقافي.

التمهيد: تحولات المصطلح النقدي

لم يعد خافيًا ما أحدثته مسارات ما بعد الحداثة من تأثير في منظومة الوعي بالعملية النقدية برمتها، وإعادة التفكير بجدوى ممارستها، وقيمة النتائج التي تسفر عنها، وأقل ما توصف به هذه الحالة أنها «تحولات اتسمت بتشعّب المنظومة الاصطلاحية للأدب، وانفتاحها على تخصصات ومعارف كان ينظر إليها على أنها خارج الأدب، كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والاقتصاد والسياسة وغيرها»[١]، فنحن إذن إزاء واقع جديد ترسو عليه النظرية النقدية، يحدوها إلى ذلك تحولات الظاهرة الأدبية نفسها بدخولها في أطوار جديدة من تداخل الأجناس واشتباك الخيال الأدبي مع الخيال العلمي ومنجزات العلوم الحديثة ووسائط التواصل الرقمي[٢]، إلى جانب نهضة كثير من الرؤى التي تعيد الاعتبار للفنون والآداب المهمشة بوصفها علامات تفصح عن دلالات مسكوت عنها في الأدب الرسمي.

صحيحٌ أن لحظة التحول هذه قادت إلى معرفة نقدية متنوعة يتحرر فيها الناقد الحديث مما ألزم به الناقد القديم نفسه جرّاء هيمنة المعيارية على البلاغة، وصحيحٌ أن الإشكال النقدي يصنعه اليوم تعدد الفهم للمصطلحات النقدية الجديدة، حسب درجة الوعي بالمصطلح ومنهج الدراسة وما آل إليه ذلك من سير الدراسات النقدية في اتجاهات مختلفة[٣]، ولكن ينبغي في رأينا أن يكون المقياس حداثة النتائج للحكم بجدوى العملية النقدية، بما أن مفاهيم الحداثة لايزال لها سطوة على تجارب نقد ما بعد الحداثة؛ فكثير من هذه التجارب النقدية تبتدئ مع التاريخانية الجديدة والجماليات الثقافية والدراسات الثقافية والنقد المدني، ولكنها

١- الحو، شحاتة محمد: "الكفاءة التعريفية للمصطلح النقدي "مصطلحات النقد الثقافي نموذجًا"، مجلة كلية دار العلوم، ع١٤٦، يوليو ٢٠٢٣، ص٨٤١.

٢- المرجع نفسه، ص٨٤١.

٣- ينظر: عودة، خليل: "المصطلح النقدي في الدراسات العربية المعاصرة بين الأصالة والتجديد: الأسلوبية أنموذجًا"، مجلة جامعة الخليل للبحوث، مج١، ع٢، ٢٠٠٣، ص٤٨.

تؤول في عرضها إلى البنيوية، فتأتي النتائج هي نفسها ولا جديد، وليس يصنع ذلك غير التصرف بالمفاهيم والمصطلحات بشكل يفرغها من دلالتها الأصلية، ومن ثم تفقد فاعليتها في سبر أغوار النصوص، «فللمفاهيم أسس معرفية تاريخية محددة ومستقلة يصعب نمذجتها في إطارات مجتمعية أخرى بإغفال دلالات المفاهيم ومقاصدها»[١]، وهي الإشكالية التي وقف أمامها الغذامي مؤكدًا أن بعض الدارسين يلتقط التسمية ويترك المصطلحات[٢].

لا ننكر أن مصدر الإشكال يعود إلى أن نقل المصطلح النقدي في كثير من الأحيان «لم يخضع لإجماع متفق عليه في إدارة تحويل المصطلح الغربي الحديث إلى العربي، مما أوقع القائمين على الأمر في إشكالية واضحة ووضع مرتبك»[٣]، ولكن يمكننا القول: إن الإشكال يأخذ صورة أوسع ذات خلفية ثقافية، وهي ما أشار إليه عبد العزيز حمودة بتأكيده أن المفاهيم التي تختزنها المصطلحات الوافدة تختلف وقد تتعارض مع القناعات والمعارف التي رسا عليها الفكر العربي[٤]، الأمر الذي يقتضي أن تنتظم عمليةَ الاستقبال محاوراتٌ استكشافية بين هذه المصطلحات وبين النصوص العربية على طريق تشكّل النظرية النقدية العربية الحديثة، من منطلق مسؤوليتنا في اختيار ما نراه صالحًا لثقافتنا، وهو نفسه «ما فعله الغرب لنمو ثقافته، حيث اختار لها كل ما يراه صالحًا من العلوم والفنون

١- إبراهيم، فؤاد: "إشكالية الإطار المرجعي في الفكر العربي المعاصر: قراءة نقدية"، مجلة الكلمة، عدد ٨، ١٩٩٥، ص٤٩.

٢- ينظر تقديمه لكتاب الشرماني، فتحي أحمد: دينامية النسق الثقافي في القصيدة الجاهلية، أربد: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٩، ص ٢.

٣- شريف، محمد غانم: "المصطلح النقدي في تراث أحمد مطلوب بين القديم والحديث"، مجلة آداب الرافدين، عدد ٧٩، ٢٠١٩، ص٢٩٨.

٤- ينظر: حمودة، عبد العزيز: المرايا المقعرة "نحو نظرية نقدية عربية"، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠١، ص٦.

والآداب، وجعل منها مرجعيةً ثقافيةً بنى عليها أسس ثقافة جديدة»[١]، وهو نشاط فكري نهضت به الدراسات الثقافية والنقد الثقافي بسعيهما إلى «تطوير أنظمة التفكير في البنية الثقافية، وإيجاد الأدوات المناسبة لتحقيق ذلك»[٢].

إن أصعب ما يواجهه الفكر النقدي في مرحلة ما بعد الحداثة هو أن تعريب النظريات المنقولة كثيرًا ما يأتي خلوًا من المفاهيم الإجرائية المنتجة، فالعقل النقدي لم يتجاوز مرحلة التعريف بهذه النظريات، ولا الانشغال برسم الصورة التقريبية التي يتركّز فيها الاهتمام على الأسس الفلسفية التي أنتجت هذه النظريات، وهو واقع بقي المعجم النقدي ما بعد الحداثي يتصرف وفقًا لإيقاعه، وباستمرار ذلك ستبقى أصوات الدارسين تتعالى بالسؤال: كيف نمارس؟ وما الإجراءات بعد فهمنا للنظرية؟ وأين هي المعجمات المتخصّصة؟ ولسان الحال يقول: إن محدودية الفهم في النظرية النقدية ما بعد الحداثية هي نفسها محدودية الفهم في المعجم النقدي ما بعد الحداثي سواءٌ بسواء.

تبرز الحاجة إذن إلى وعي الدرس النقدي العربي باستيعاب التحولات لحظة استقبال المتغيرات التي آلت إليها النظرية الأدبية والنقدية، وصولًا إلى اختيار الأدوات الأصيلة التي توفّق بين متطلبات هذه النظرية وخصائص الخطاب العربي، وهو في حقيقة الأمر جهد معجمي ينهض به الناقد أولًا (لحظة تحديده أدوات المنهج)، وينهض به صانع المعجم النقدي ثانيًا؛ إذ يقتضي الأمر تجاوز عملية رصد المفاهيم التأسيسية الكبرى إلى الانشغال بإنضاج المفاهيم الإجرائية التي ترسم حدودًا واضحة للنظرية التي تنطلق منها العملية النقدية، بما أن وضع المصطلح في ضوء التحولات التقنية يقتضي «معايير أساسية تنبع من علم اللغة

١- القحطاني، سلطان سعد: التيارات الفكرية وإشكالية المصطلح النقدي، نادي الطائف الأدبي، ط١، ٢٠٠٥، ص١٠.

2- Barker, Chris: The Sage Dictionary of Cultural Studies. London: Sage Publication, 2004, P.43.

ومن المنطق ومن نظرية المعلومات ومن التخصصات المعنية»[1].

ونحن في هذه الدراسة نهدف إلى استكشاف واقع المفاهيم الإجرائية في نظرية النقد الثقافي Criticism Cultural، بالمقارنة بين الاستعمال النقدي والمدونة المعجمية، وصولًا إلى تحديد الإشكالات الدلالية التي لاتزال تربك مسار هذا النوع من النقد في المحيط العربي، ومن ثم بناء رؤية لمعالجتها معجميًا بشكل ينجح في مواكبة ما يتردّد من مفاهيم إجرائية فاعلة في أحدث التطبيقات المستلهمة للنقد الثقافي، والتي لها دورها في إنضاج الوعي بفكرته وتحديث أدواته.

إذ نفترض أن إشكالية النقد الثقافي ليست في الترجمة ولا تعدد المصطلحات ولا غموض بعضها كما قد نجد في السيميائيات أو التداوليات أو البنيويات، وإنما هي في طبيعة البناء العربي (النقدي والمعجمي) للمفاهيم الإجرائية في هذه النظرية المستجدة بعد استقبال أسسها الفلسفية، ويمكننا اختبار صحة هذه الفرضية من خلال ثلاثة محاور تعالج إشكالية ما هو فلسفي أو تنظيري أو منهجي من هذه المفاهيم، وذلك على النحو الآتي:

١-٣ مفهوم الجمال/ إشكالية الفلسفة:

رسم النقد الثقافي في الغرب حدوده الفلسفية التي تميزه عن النقد الأدبي بانطلاقه من رؤية مغايرة للجمال، وحديثه عن جماليات بديلة أو ما يطلق عليه الجماليات الثقافية Culture Poetics أو جماليات ما بعد الأدبية.

تقوم فكرة هذه الجماليات، كما ينقل أحمد يوسف عن ليونارد فاير Leonard Fire على أنها رؤية مختلفة عن فلسفة البلاغة السفسطائية، بما أن هذه الجماليات ترفض البقاء في أسر المعنى التقليدي والافتتان بسحر الشكل (الجمال البلاغي)، من منطلق أن الإنسان في فلسفة ما بعد الحداثة لم يعد له تلك السلطة المركزية،

١- حجازي، محمود فهمي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، القاهرة، مكتبة غريب، "د، ت"، ص١٩.

التي تجعله المعيار لقياس الأشياء المحيطة به، ومن هنا جاء فلاسفة ما بعد الحداثة ونقادها يدعون لاكتشاف الحس الجمالي من خامات الأشياء[١].

يتحول الجمال البلاغي في وعي الناقد الثقافي إذن إلى أداة ستر وتعمية بعد أن كان في النقد الأدبي أداة تصوير وإيضاح، بما أن جوهر العملية النقدية في النقد الأدبي هي الكشف عن العناصر التي يتحول بها الملفوظ إلى أثر فني[٢]، وهذا اختلاف جوهري ينبغي أن يؤسس لاختلاف التجربة النقدية في الوعي العربي بنظرية النقد الثقافي، فالنقد الأدبي في رأي الغذامي يسعى إلى «تبرير أي فعل للنص مهما كان، تحت مبدأ الأصل الجمالي، مما جعل الجمال منتجًا بلاغيًا محتكرًا، وصار للجمال شرط مؤسساتي يصنعه السيد الشاعر، ويقوم الفعل النقدي بعمليات التسويق والتعميم، وهذا الالتزام المبدئي حرم النقد من القدرة على معرفة عيوب الخطاب، ومن ملاحظة ألاعيب المؤسسة الثقافية، وحيلها في خلق حالة من التدجين والترويض العقلي والذوقي لدى مستهلكي الثقافة وما يسمى بالفنون الراقية والأدب الرفيع»[٣].

فمن الواضح أن الغذامي يقدم فهمًا مغايرًا لوظيفة الجمال في النصوص، مركزًا على مبدأ الأصل الثقافي الذي يصبح الجمال ليس إلا واجهةً له يمرر من ورائها ما تريده الثقافة / المؤسسة، ومن ثم تغدو مهمة الناقد الثقافي على النقيض من مهمة الناقد الأدبي، فالناقد الثقافي ليس معنِيًّا بكشف البلاغي / الجمالي،

١- ينظر: يوسف، أحمد: السيميائيات الواصفة "المنطق السيميائي وجبر العلامات"، الجزائر: منشورات الاختلاف، وبيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، وبيروت: الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٤٣.

2- Jakobson, Linguistics and Poetics, in Modern criticism and Areader Theory Edited David Lodge, Longman- London and New York, 1988, P. 32.

٣- الغذامي، عبد الله: النقد الثقافي "قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ط٣، ٢٠٠٥، ص١٥.

وإنما بكشف المخبوء تحت هذا الجمالي، والمتقنِّع به[1]، وهي ما يسميه الغذامي (القبحيات) التي يعدها «عيوب الجمالي وعِلَله»[2].

وكان طبيعيًا أن يستقبل النقاد والدارسون العرب هذه الأفكار المغايرة بشيء من الارتباك، لكنه الارتباك الذي يصنع فوضى الفهم ووهم التطبيق، حتى انعكس ذلك على الوعي المعجمي بهذه المفاهيم لدى تأصيلها في النظرية النقدية الحديثة، وإصرار هذا الوعي على تطويع مفاهيم النقد الأدبي للنقد الثقافي كما سيتضح.

لا ننكر أن ثمة وعيًا بأهمية الجديد الذي ينقل التجربة النقدية إلى مسارات فاعلة بعيدًا عن التكرار وفرض القوالب الجاهزة على النصوص، ولكن تظل لنظرية النقد الأدبي سطوتها التي تسعى بها إلى احتواء كل جديد، بما أن فلسفة الجمال في نظرية ما بعد الحداثة تجعل النقد الثقافي وجهًا لوجه مع النقد الأدبي، وأن يتجه النقد الأدبي إلى محاولة تشذيب هذه الرؤية المختلفة وتحويرها؛ فهو إذن يجعل من النقد الثقافي مظهرًا جديدًا له يحاول من خلاله تأكيد أنه قادر على التجدد والتطور، الأمر الذي يعني أن تظل أزمة النقد اليوم إشكاليةً فلسفيةً في المقام الأول.

كثير من الدارسين أكدوا الطابع الجمالي للنصوص الأدبية، وأن يكون ذلك منطلقًا لأية عملية نقدية تستهدفها، ولكن هذه الآراء لم تخلق إشكالية في صميم النقد الثقافي؛ لأنها اكتفت بالبقاء على الطرف المقابل له، أما المعالم الأولى لإشكالية النقد الثقافي فكانت في رغبة بعض النقاد بممارسة النقد الثقافي وفقًا لفهم مختلف، وتتمثل بواكير ذلك في مسارعة عبد القادر الرباعي إلى تأكيده

١- ينظر: المرجع نفسه، ص٨٤.
٢- ينظر: المرجع نفسه، ص٥٩.

أن الناقد الثقافي الناجح لا بد أن يتخلص من عقدة القبحيات التي ارتكز عليها مشروع الغذامي، وأن المفهوم الأساسي للنقد الثقافي لابد من أن يحفظ للشعر جماله ويفتِّش عما فيه من قيم سامية، إذ لا ينبغي تحميل الشعر كل إخفاقات التاريخ العربي، ولذلك فهو، أي الرباعي، يثني على القراءات الثقافية التي تهتم بالجماليات البلاغية وتبتعد عن مفهوم الغذامي للنقد الثقافي[١].

بهذه الرؤية يوصلنا الرباعي إلى مفهوم للجماليات الثقافية مغاير تمامًا لمفهومها عند الغذامي، وهذا بحد ذاته خلق إشكالاً أكبر في الفهم العربي لنظرية النقد الثقافي، وهو تحدٍ صعب يحول بينها وبين أن تستقر وتنضج، فالجماليات الثقافية تصبح بذلك هي نفسها الجماليات البلاغية، ولا يقف وراء هذا التمييع والتداخل سوى اليقين المطلق بأن الشعر المنقود ليس له إلا أن يكون جميلًا، وجماله هنا هو ثقافته أيًا كانت هذه الثقافة سلبيةً أو إيجابية.

وجاء يوسف عليمات بمحاولة توفيق بين رؤية الغذامي ورؤية الرباعي، فقد أوضح أنه يقف على إيجابيات النسق مثل وقوفه على سلبياته[٢]، مؤكدًا أنها «رؤية يحسبها جديدة ومغايرة في الآن نفسه فيما يتعلق بقراءة الأنساق في النصوص الشعرية، وهذه الرؤية تتمثل في إمكانية إضمار النص للقبحيات والجماليات»[٣]، وهو مع ذلك ما يلبث أن يَعدِل عن هذه الرؤية إلى النظر إلى الجمال في النص بوصفه عنصر إيجاب وتميز في كل الأحوال، فهو يؤكد أن دراسته «تركز على الوظيفة النفعية للبلاغي والجمالي في النصوص الشعرية، في الوقت الذي تنظر

١- ينظر تقديمه لكتاب عليمات، يوسف محمود: جماليات التحليل الثقافي "الشعر الجاهلي نموذجًا"، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٤، ص١٢، وتقديمه لكتاب المرازيق، أحمد جمال: جماليات النقد الثقافي "نحو رؤية للأنساق الثقافية في الشعر الأندلسي"، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٩، ص٩.

٢- ينظر: عليمات، جماليات التحليل الثقافي، مرجع سابق، ص٣٣-٣٥.

٣- المرجع نفسه، ص١٦.

فيه جُلّ الدراسات الثقافية لهذه البلاغات أو الجماليات على أنها حيل خادعة يجب أن يتخلى النقد الثقافي عن دراستها»[١].

على هذا النحو يفهم عليمات مصطلح الجماليات الثقافية، لاسيما أنه اختار أن تحمل دراسته عنوان (جماليات التحليل الثقافي)، فهي حالة فهم مثالي للجمال يجعل النقد الثقافي في دائرة الغموض والإرباك، ناهيك أن عليمات أثناء التطبيق يمعن في افتراض حتمية وعي الشاعر بخطورة النسق الثقافي المهيمن، وضرورة مواجهته إياه بنسق خاص يتصارع معه في الخطاب الواحد نفسه[٢]، ولذلك لم يكن غريبًا أن يصل عليمات إلى النتائج نفسها التي وصل إليها النقد الأدبي، ذلك أن كل من تناول قصائدهم من شعراء الجاهلية إنما هم في رأيه أصوات تواجه الثقافة، وأن كل رؤاهم تنتظمها قيم جمالية مقصودة، ويكفي هذا الفهم دليلًا على حالة التماهي بين وعي الناقد الجمالي والناقد الثقافي ليبقى الجمال في وعي الأخير مفهومًا مرتبكًا يحول دون نضج إجراءات النقد الثقافي والإفادة منه في سبر أغوار النصوص.

ولايزال النشاط المعجمي المتعلق بالنقد الثقافي من الندرة بمكان، فعلى صعيد المعجمات المتخصصة نجد أن ما هو موجود ليس أكثر من موسوعات أو معجمات مترجمة[٣]، وما هو موجود من المعجمات النقدية العربية يغيب فيه بشكل كبير الحديث الواضح عن مفهوم الجماليات الثقافية، ولعل سبب ذلك يعود - بحسب شحاتة الحو - إلى تصور المعجميين «أن النقد الأدبي لايزال يتصدر المشهد ويحظى باهتمام النقاد، وأن أدواته لاتزال فاعلة، ويمكن توظيفها توظيفًا يكسبها دلالة ثقافية إضافةً إلى دلالتها الأصلية في النقد الأدبي، وأن النقد

١- ينظر: جماليات التحليل الثقافي، مرجع سابق، ص٢٢.
٢- ينظر: المرجع نفسه، ص٣٦.
٣- ينظر: الحو، "الكفاءة التعريفية للمصطلح النقدي"، مرجع سابق، ص٨٤٨.

الثقافي في العالم العربي إلى الآن اتجاه لم يستطع مزاحمة النقد الأدبي فضلًا عن أن يحل بديلًا له»[١]، فهي إشارة إلى أن الوعي المعجمي يظل هنا مسكونًا بوعي الناقد، فهو مثله لا يتخلى عن مركزية النقد الأدبي، ويباشر إعادة كل نظرية جديدة أو رؤية مغايرة إليه.

كان الرويلي والبازعي قد أشارا في معجمهما (دليل الناقد الأدبي) الصادر عام ٢٠٠٣ إلى مقولات ستيفن غرينبلات Stephen jay Greenbla وفنسنت ليتش V. leitch وغيرهما من النقاد الثقافيين، ولكنهما لم ينشغلا بإيضاح المقصود بالجماليات الثقافية[٢]، وهي نفسها طريقة سعيد علوش في عرضه مفهوم (الدراسات الثقافية) وحديثه عن ليتش وغيره من النقاد الثقافيين[٣]، غير أنه يأتي في عرض الرويلي والبازعي ما يؤكد يقينهما بإضمار النص للقبحيات مثل إضماره للجماليات، إلى جانب حديثهما عن بعض الأصوات والحالات الشعرية التي ذكرا أنها تنتظم في سلك المعارضة لأنساق الهيمنة، مثل الصعاليك والمتصوفة وأبي نواس وبشار وأبي العتاهية[٤]، وهذا إشكال آخر يشير إلى عدم وضوح مفهوم النقد الثقافي عند المؤلِّفَين؛ ذلك أن فلسفة هذا النوع من النقد تقتضي النظر إلى هذه الأصوات الشعرية على أنها جزءٌ من الشعرية التي ليس في وسعها النجاة من هيمنة النسقية وإن سعت نحو المعارضة، فالوعي بهذه الهيمنة شرط أساس لقيام نقد ثقافي يبتغي الوصول إلى نتائج تغاير ما يصل إليه النقد الجمالي.

والواقع أن هذه الرؤية المعجمية تأتي صدًى لكثير من الرؤى النقدية التي

١- المرجع نفسه، ص٨٥١.

٢- ينظر: الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد: دليل الناقد الأدبي، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط٥، ٢٠٠٧، ص٨٠، ٨١، ٣٠٨، ٣٠٩.

٣- ينظر: علوش، سعيد: معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠١٩، ص٢١٤- ٢١٩.

٤- ينظر: دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق، ص٣١٠.

أفصحت عن قلقها على جمالية الأدب، واشترطت على النقد الثقافي أن يحتفي بالأنساق الإيجابية مثل تركيزه على الأنساق السلبية، فإذا كان الرباعي وعليمات أرادا سلوك خط مختلف في نقدهما الثقافي؛ فإن الناقد البنيوي حسن البنا عز الدين يتصور أن الغذامي ركَّز على الجانب السلبي من الأنساق وأهمل الإيجابي، وهو بذلك يخالف غرينبلات الذي لا يغفل عن الجانب الإيجابي(١)، فهذه الرؤية تبدو منطقية في توازنها واعتدالها، ولكن لا ننسى أن اهتمام غرينبلات بالجانب الإيجابي لا يأتي إلا من حيث كون هذا الإيجابي استثناءً؛ إذ الأصل هو كشف المضمرات السلبية التي يتحرّج صاحب النص من الإفصاح عنها، ويحرص على تغطيتها بما هو جميل ومؤثر. هذه هي مهمة الناقد الجديدة، وبهذا يظهر لنا أن توزان الرؤية عند حسن البنا عز الدين مراوحةٌ بين النقد الجمالي والنقد الثقافي، وبما يزيد الأخير إشكالاً، ناهيك أن الناقد المتوازن في هذه الحال إذا انتقل إلى مرحلة التطبيق تتغلب عليه مفاهيم النقد التقليدي / الأدبي بحكم تاريخيته ورسوخ مصطلحاته، ونكون أمام نقد جمالي تحت مسمى (نقد ثقافي)، وهي المعضلة التي لم تستطع كثير من التناولات النقدية اليوم التخلص منها.

ويعدّ (دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي) أول معجم عربي متخصص في مصطلحات النقد الثقافي، وهو إنجاز مهم من حيث إنه استقصى كل المصطلحات والمفاهيم المتداولة في هذا السياق النقدي الجديد، ونحسب أن عرضه الوافي لمفهوم (الجماليات الثقافية)؛ أزال كثيرًا من اللبس حول هذه الجماليات، وإن كان قد أطال الحديث، فهو يوضح أن الجماليات الثقافية تعني «إعادة تشكيل العلاقة بين النصوص والنظام الثقافي الذي أنتجه، والخطوة

١- ينظر: حسن البنا عز الدين، "ملامح النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي المعاصر - الغذامي نموذجًا"، ضمن كتاب: الغذامي الناقد "قراءة في المشروع الغذامي النقدي"، تحرير وتقديم: عبد الرحمن بن إسماعيل السماعيل، مؤسسة اليمامة الصحفية، سلسلة كتاب الرياض، ع٩٧ / ٩٨، ديسمبر ٢٠٠١م، نوفمبر ٢٠٠٢م، ص١٠٨.

الأولى في هذه الرؤية هي تحديد إشكالية الفهم الشكلاني للأدب، أو يرفضون كونه نظامًا جماليًا مستقلًا يسمو بالحاجات والاهتمامات»[١].

يطلعنا هذا النص على تحديد واضح لمجال اهتمام الجماليات الثقافية من خلال وضعها وجهًا لوجه أمام الجمال البلاغي، فالجماليات الثقافية تعيد النظر في وعينا التاريخي بالجمال الذي يرسخه الفهم الشكلاني للأدب؛ إذ ترى أن الدلالة الأكثر خطورة هي ما يضمره هذا الجمال، ولا يبقى في رأينا سوى الحاجة إلى زيادة الكفاءة التعريفية لهذا المصطلح، بإيضاح أن الجماليات الثقافية هي في جانب منها وعي جديد بوظيفة الجمال البلاغي في ترسيخ هيمنة الأنساق الثقافية على النصوص، ومن ثم السعي إلى ترسيخ أنساق عادلة مضادة تعيد الاعتبار للمقموع والمهمش، وهي من جانب آخر تركيز على جمالية الخطاب المهمش في تعبيره عن ذاته وإثبات وجوده، وكان جديرًا بهذا المعجم النقدي الرائد أن يفرد مادةً مستقلة تلقي مزيدًا من الضوء على (جماليات ما بعد الحداثة) بوصفها الأساس الفلسفي للجماليات الثقافية.

٢-٣ مفهوم الثقافة/ إشكالية النظرية:

كان الإشكال الأول الذي واجهه النقد الثقافي عند الغرب هو مصطلح الثقافة بوصفه المفهوم الإجرائي المؤسس لهذه النظرية[٢]، ومن هنا تضاربت رؤى الفلاسفة والنقاد والمفكرين، وتنوعت اهتماماتهم تجاه عناصر الثقافة ومكوناتها وتمظهراتها في السلوك وفي الخطاب، الأمر الذي أوجد عدة اتجاهات تهتم بالتشريح الثقافي للنصوص (الدراسات الثقافية / النقد الثقافي / النقد النسوي / الجماليات الثقافية، التاريخانية الجديدة / ما بعد الكولونيالية.. إلخ)،

١- الخليل، سمير: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٤، ص١٤٢.

٢- ينظر: دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق، ص١٤٠، ومعجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، مرجع سابق، ص٢١٥، والخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، مرجع سابق، ص٥.

وهو ما انعكس على طبيعة الاستقبال العربي للنقد الثقافي من حيث المفاهيم الإجرائية.

فحين صاغ الغذامي نموذجًا عربيًا من نظرية النقد الثقافي، آخذًا بالاعتبار سياقاتها المعرفية في الغرب، لاسيما نموذج فنسنت ليتش الذي يركز اهتمامه على العيوب الثقافية التي تضمرها النصوص؛ نجد الغذامي ينطلق من مفهوم كليفورد غيرتز للثقافة، وهو أن الثقافة ليست أحداثًا أو معتقدات أو تقاليد أو أنماطًا من السلوكيات المحسوسة، وإنما هي شبكات من الرموز نسجها الإنسان حول نفسه فهي من يتحكم بسلوكه[1]؛ فالثقافة في هذا المفهوم هي إذن اشتغال بمجال اللاوعي بوصفه الأكثر تأثيرًا في بنية التفكير والسلوك.

لكن لو نظرنا إلى مفهوم محمد عبد المطلب للثقافة فسنجده لا يرتكز على شبكة الرموز التي ينسجها الإنسان حول نفسه، وإنما يرى الثقافة «الإضافة البشرية للطبيعة التي تحيط بها سواء كانت إضافة خارجية في إعادة تشكيل الطبيعة أو تعديل ما فيها إلى تعديل آخر، هذه الإضافات التي لا تكاد تتوقف بل تضم قائمة العادات والتقاليد والمهارات والإبداعات الداخلية، بمعنى أنها تتعلق بما هو غريزي وفطري وبيولوجي في الكائن البشري»[2].

فهو إذن مفهوم أكثر عمومية تتوسع به حدود الثقافة؛ ليدخل فيها كل ما أضافه الإنسان للطبيعة بوعي وبدون وعي، وشأن هذا المفهوم أن يلقي بظلاله على مفهوم النقد الثقافي ليصبح نشاطًا يهتم بما هو قيمي في النصوص، وليس شرطًا أن تكون هذه القيم مضمرة، وإنما قد تكون ظاهرة، مادام أن الثقافة هنا نشاط واعٍ في جزء كبير منها.

١- ينظر: غيرتز، كليفورد: تأويل الثقافات، تر: محمد بدوي، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط١، ٢٠٠٩، ص٩٨، ١٥٠، ١٥١.

٢- عبد المطلب، محمد: النقد الأدبي، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١، ٢٠٠٣، ص٩٠.

ونجد صدى هذا المفهوم في رؤية يوسف عليمات، فهو ينطلق من الجماليات الثقافية وأن النص الشعري يشكل حادثة ثقافية[١]، ولكنه يتحدث عن الثقافة بوصفها العادات والتقاليد الاجتماعية، في مقابل ثقافة الذات الشاعرة التي لا تكون إلا نقيضًا لتلك الثقافة الجمعية[٢]، فالشاعر في رأيه «يستحضر عوالم الأضداد التي يرصدها في مجتمعه؛ لكي يعيد تشكيلها بفعل طاقة اللغة، ولكي يولّد منها أنساقًا متحولة قادرة على استيعاب تصوراته حول إشكاليات الكون والوجود»[٣]، فالواضح من ذلك أن الثقافة في مفهوم عليمات مثلما هي في مفهوم عبد المطلب تتسع لكل العادات والتقاليد والتصورات التي تحضر في مجال الوعي بالواقع لدى الشاعر، فيظل ساعيًا إلى ثقافة خاصة تميزه، مجسدًا بذلك ما أسماه عليمات (ثقافة الحلم) بالإفلات من هيمنة هذه الثقافة الجمعية[٤].

والحق أن إبقاء الثقافة هنا في حيز (الوعي) دائمًا يظل مصدر الإشكال في النقد الثقافي وكثير من تطبيقاته التي لا تلقي بالًا لأهمية التحديد الدقيق لمفهوم الثقافة؛ فربط الثقافة بالوعي مرتكز منهجي في النقد الجمالي، بما أنه يفترض حضور هذا الوعي دائمًا لتأكيد الإتقان الدلالي في النص وفرادة ما يبدعه الشاعر، فيذهب الناقد إلى تأويل كل ما في الخطاب على أنه مقصود، وهنا تتوحد الثقافة بالجمال، ويغدو النص صورةً لجمالية الثقافة وأحد تجلياتها الرائعة.

هذه هي إشكالية النظرية في النقد الثقافي، حين ينطلق الناقد من مفهوم جمالي للثقافة، فيكون النص بحد ذاته ثقافةً في مقابل (اللاثقافة) في المجتمع، أي أن بوصلة الناقد تنحرف من استكشاف هيمنة الثقافة على وعي منتج النص

١- ينظر: جماليات التحليل الثقافي، مرجع سابق، ص١٧.
٢- ينظر: المرجع نفسه، ص٤١.
٣- المرجع نفسه، ص١٨.
٤- ينظر: المرجع نفسه، ص١٨.

إلى النظر إلى الخطاب بوصفه علامةً على ثقافة إيجابية تمحو أي أثر للثقافة السالبة (اللاثقافة)، وأن يبقى طموح الناقد عند هذه النتيجة فهو إذن لايزال يحلق في فضاءات النقد الأدبي فحسب.

ويأتي السؤال هنا عن مدى وعي المعجم النقدي بهذه الفكرة لدى حديثه عن مفاهيم هذه النظرية الجديدة، وكيف يصوغ مفهوم الثقافة؟ وما مدى إنجازية هذا المفهوم لتجربة النقد الثقافي؟

يتضح بالنظر في معجمات النقد الأدبي التي عرضت لمصطلح النقد الثقافي أو لمصطلحات لها علاقة بالنقد الثقافي، أنها لا تقدم مفهومًا أكثر دقة للثقافة تقوم عليه نظرية النقد الثقافي، فنحن نجد مفهوم الثقافة في معجم (المصطلحات الأدبية الحديثة) لا يشير إلى أكثر من أسلوب حياة معين، أو النشاط الفني أو الثقافة الشعبية[1]، وكلها دلالات عمومية لا تقدم دلالة إنجازية لإجرائية النقد الثقافي وقيام نموذج تطبيقي يقارب النصوص كي يصل إلى نتائج مغايرة.

ويبدو المفهوم الذي اختاره سمير حجازي في معجمه (قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر) أقرب إلى هذه الدلالة الإنجازية التي ينهض بها النقد الثقافي، فهو يرى أن الثقافة «بنيات عملية ونماذج نمطية فكرية وواقعية وخيالية تظهر في اللغة المتقنة والرمزية، وتظهر في سلوك وفكر الفرد والجماعة خلال الزمن»[2]؛ فإيجابية هذا المفهوم تتجلى في وعيه بشبكة التصورات التي ينسجها الإنسان حول نفسه، وتظهر في خطابه الواعي واللاوعي، إلى جانب تأثير هذه التصورات عبر الزمن في سلوكه، وهو بذلك يتّسق مع المفهوم الذي اختاره

١- ينظر: عناني، محمد: معجم المصطلحات الأدبية الحديثة، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٣، ص١٩٨، ١٩٩.

٢- حجازي، سمير سعيد: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، القاهرة: دار الأفق الجامعية، ط١، ٢٠٠١، ص٣٤.

الغذامي لبناء نظريته؛ ليتحقق بذلك انسجام المفهوم المعجمي مع المفهوم النقدي، وبما يكسب النقد الثقافي وضوح الرؤية ووضوح الغاية؛ لكونه يتجه لنقد هذه التصورات واستكشاف تأثيراتها.

وفي (معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر) اختار علوش تقديم الحديث عن الدراسات الثقافية بحديث موسّع عن مصطلح الثقافة، الذي عرض له من خلال عدة مفاهيم تستوعب كثيرًا من الآراء والاتجاهات الحديثة في فهمها للثقافة[١]، ولكن يظل هذا المعجم مثل معجمات نقدية أخرى تقصّر في إيضاح مفهوم الثقافة الذي انطلقت منه رؤيتا غرينبلات وليتش اللتان هما أكثر حساسية بأدبية الخطاب، وعلاقة ذلك بالقيم الثقافية التي يمتصها، بل إنهما النظريتان اللتان انطلقت منهما أغلب التطبيقات العربية للنقد الثقافي ولا تزال.

واختار مؤلفا معجم (دليل الناقد الأدبي) الحديث عن عدة مصطلحات تنضوي تحت النقد الثقافي مثل (التاريخانية الجديدة/ التحليل الثقافي/ الآخر/ النقد النسوي)، ولكن أهم ما أوضحا من خلاله نظرية النقد الثقافي هما مصطلحا: (الثقافة والدراسات الثقافية) و(النقد الثقافي)، ففي كليهما يعرض المعجم كثيرًا من الآراء التي يؤكد عن طريقها أن النقد الثقافي نشاط فكري عام قد تأخذ فيه الثقافة مفهوم الحضارة[٢]، وإذا كان شحاتة الحو قد رأى في هذا التعريف غموضًا وإبهامًا[٣]؛ فإن ما يهمنا هنا أن هذا المعجم في جميع ما عرضه تحت هذين المصطلحين لم يكن يهمه الوقوف على مفهوم محدد للثقافة تتضح من خلاله ماهية النقد الثقافي الذي يمكن للدارس العربي ممارسته في إجراء تطبيقي محدد، بل إن إشارة المعجم إلى مقولات غريتز لم يأت فيها حديث عن مفهومه

١- ينظر: علوش، معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، مرجع سابق، ص٢١٠- ٢١٣.
٢- ينظر: دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق، ص٣٠٩.
٣- ينظر: "الكفاءة التعريفية للمصطلح النقدي"، مرجع سابق، ص٨٥٦.

للثقافة[1]، وهذا يجعل المعجم في حالة انكفاء عن هذه المغامرة التي ينبغي أن يخوضها الناقد الثقافي، لاسيما أن الرويلي والبازعي هنا كثَّفا جهدهما في نقد نظرية الغذامي، وحاولا جاهدين ضم هذه التجربة في سلك النقد الأدبي، دونما تقديم رؤية أخرى تضمن قيام نقد ثقافي مختلف عن النقد الأدبي.

وعلى الرغم من أن أسامة البحيري قدّم مصطلح النقد الثقافي في رؤية واضحة شرح من خلالها أبرز المفاهيم؛ فإنه أهمل الوقوف على مفهوم الثقافة الذي ينطلق منه النقد الثقافي[2]، وبذلك يظل هذا النوع من النقد ضبابيًا بما أن مفاهيم الثقافة تتعدد، ومنها ما يستهلكه النقد الجمالي.

أما (دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي)؛ فعلى الرغم من إضاءته الواسعة لمصطلح (الثقافة) وإشارته إلى تعدد مفاهيمها في الغرب، فإن المؤلف انشغل كثيرًا بعرض المفهوم الواسع للثقافة؛ أي ذلك الذي يجعلها مرادفةً للفلكلور أو كل ما يتألف منه البناء الاجتماعي، لاسيما تركيزه على مفهوم إدوارد تايلور الذي يرى الثقافة «ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف، وكل المقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع»[3].

يحتاج الأمر إذن إلى معالجة مفاهيمية متأنية لمصطلح الثقافة الذي انطلق منه رواد النقد الثقافي في الغرب وتطبيقاتهم على النصوص الأدبية، لاسيما نموذج ليتش وغرينبلات، وقد كان الأحرى بمعجم الرويلي والبازعي ومعجم سمير الخليل خصوصًا، البناء على مفهوم الثقافة عند غيرتز الذي اختاره الغذامي؛

١- ينظر: دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق، ص١٣٩- ١٤٩، ٣٠٥- ٣١١.

٢- ينظر: البحيري، أسامة محمد: معجم المصطلحات الأدبية والنقدية، طنطا: دار النابغة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢١، ص١٦١- ١٦٥.

٣- ينظر: الخليل، سمير: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، مرجع سابق، ص٨٢.

لكونه مفهومًا يلبي متطلبات فكرة الأنساق المضمرة، أو كان يجدر بهم على الأقل اختيار مفهوم أكثر خصوصية يخدم هذه الفكرة من قريب أو بعيد.

٣-٣ مفهوم النسق المضمر/ إشكالية المنهج:

يتأسس منهج التحليل في النقد الثقافي على مفهوم النسق المضمر، فبهذا المصطلح تتجلى النظرية النقدية من خلال عدة مفاهيم وإجراءات نصية تهتم بالجملة والصورة والأسلوب والمؤلف والقارئ وغير ذلك، وكان جهد الغذامي في كتابه (النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية) أول اشتغال نقدي بهذا الجانب، حين حرص على تقديم نظريته حول (الأنساق المضمرة) في شكل منهجي سعى إلى تجريب فاعليته على النصوص الأدبية.

لم يفهم الغذامي النسق على أنه بنية أو نظام لغوي كما هو المفهوم البنيوي، وإنما انطلق من مفهوم غيرتز للأنساق؛ أي بوصفها آليات الهيمنة التي هي تشبه برامج الحاسوب، وذلك أنها تعمل بخفاء على التحكم بالتفكير والتوجيه الآلي للسلوك بحيث يبدو الإنسان كأنه مبرمج على هذا النوع من التصورات أو الطبائع، ومن ثم يكون للنص باطن ينقض الظاهر[١]، ووفقًا لذلك حدّد الغذامي المصطلحات التي تمكّن الناقد من الكشف عن هذا الإضمار عبر ما أسماه (نقلة في المصطلح النقدي)، بحديثه عن مجموعة من المفاهيم أبرزها (الوظيفة النسقية في الخطاب، والمجاز الكلي، والتورية الثقافية، والدلالة الثقافية، والجملة الثقافية، والمؤلف المزدوج)، ويشترط للنص المنقود نقدًا ثقافيًا أن يتعارض فيه نسقان ظاهر ومضمر، وتكون الغلبة للمضمر الذي هو راسخ في الذهنية الثقافية والأكثر فاعلية في الشخصية بوصفه ناسخًا لما هو عقلاني ومتوازن ومعتدل[٢].

١- ينظر: تأويل الثقافات، مرجع سابق، ص١٥٠، ١٥١، ١٦٣، والنقد الثقافي "قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، مرجع سابق، ص٧٤، ٧٩.

٢- ينظر: النقد الثقافي "قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، ص٦٢- ٨٣.

وإذا كانت الصورة قد وضحت حيال المضمر السلبي المختبئ في النص، فإن ما يثير السؤال هنا هو مدى دقة التوصيف لنوعين من التصورات النصية، أحدهما: ما هو جمالي يتستّر به النسق، والآخر: ما هو قبيح ولكنه سافر ومجاهر بالسلبية، فما هو جمالي يتستر به النسق ويتزين هل يصح أن نعده نسقًا؟ أليس هو في حقيقة الأمر مجرد صورة للنسق الحقيقي؟ وإذا كان كذلك فلماذا يعده الغذامي نسقًا بحد ذاته؟ ألم يكن الأحرى توصيف مفهوم التعارض في الخطاب من خلال لفظين: النسق والصورة المزيفة، بدل أن نتحدث عن نسقين متعارضين؟

ناهيك عن أن هذا النسق الظاهر هو في حقيقة الأمر مجموعة من القيم والمواقف الإيجابية التي لا خلاف على أن المضمر النسقي ينسخها، فهل من الدقة أن نجعل هذا القيمي والإيجابي في سلك النسق، وهو مجرد رؤى وادعاءات لا تأثير لها في التفكير ولا السلوك بحكم أنها منسوخة وغير فاعلة في شخصية الإنسان النسقي؟

وكذلك النوع الآخر (القبيح المكشوف) إذا ما وجدناه في نص ما؛ فهل يكون من الصحيح أن نعده نسقًا ونحن نعلم أن من طبائع النسق التخفي والتستر بالجمال؛ ليظهر في شكل مؤثر؟ بمعنى أن الثقافة المأزومة حين تتخلى عن التجمّل وتكشف عن نفسها في خطاب صارخ في التمركز والإلغاء فهل يُعدّ هذا الخطاب صالحًا لأن ننقده نقدًا ثقافيًا وقد اشترط الغذامي أن يتعارض نسقان ظاهر ومضمر؟

هذه الحالات تظل مثار تساؤل مع علمنا بأن الغذامي كان دقيقًا حين ركز اهتمامه على حالة التخادم بين الجمال والنسق، أي حين يكون هذا النسق مضمرًا، ويظهر بمظهر الجميل ليمارس وظيفة التأثير والهيمنة على السلوك، وعلى هذه الحال تأتي أكثر النصوص، وهو مدار الاهتمام في النقد الثقافي.

وأيًا ما كان الأمر، فإن تمظهر الثقافة من خلال مفهوم النسق، يجعل كلا

الثقافة والنسق عماد المنهج في النقد الثقافي، وهذا يعني أن تغدو ممارسة هذا النقد، بمعزل عن مصطلح النسق وغيره من المصطلحات المتعلقة كالمجاز الكلي والجملة الثقافية، سببًا للتداخل والضبابية التي تصم كثيرًا من تطبيقات هذا النوع من النقد.

وأكثر ما يتجلى ذلك في عدم وضوح وعي النقاد الثقافيين بفكرة الإضمار وحدوده، وعلاقته بما هو ظاهر، وكذا تعاملهم مع المضمر بوصفه ظاهرًا أو العكس، إلى جانب إشكالية التعامل مع المضمر غير الثقافي على أنه مضمر ثقافي، ناهيك عن تشكيك بعض النقاد بواحدية الإضمار، وأن النص لا ينطوي إلا على عدة مضمرات.

نقرأ من ذلك إنكار عليمات أن يكون النص الذي يصلح للنقد الثقافي منطويًا على نسقين فقط: ظاهر ومضمر، فهو يرى أن هناك أنساقًا مضمرة متعددة وغير متناهية، حيث يقول: إن «النسق المضمر في النص الشعري لا يتخذ دلالة أحادية المعنى وحسب، ولكنه يبدو حاملاً للأنساق اللامتناهية دلاليًا، مما يجعل النص الشعري بنية افتراضية نسقية وسيرورة نفسية واجتماعية وثقافية»[1].

وأن يتحول النسق الضدي إلى أنساق لا متناهية؛ فهو خروج به من المفهوم الثقافي وإقحامه من جديد في الجماليات البنيوية، حين يكون النسق اللغوي صورة لجمالية النص، ويؤدي وظيفة إيجابية في تماسكه وإيحائه بكثير من الدلالات التي تشير إلى جمالية اللغة الشعرية وصدق رؤى الشاعر وفرادتها، وليس هذا مجال اهتمام النقد الثقافي.

إضافةً إلى ذلك نجد بعض الآراء التي تفهم النسق في سياقه الثقافي الإضماري، ولكن مفهوم النسق يتوسّع لديها ويتحول إلى وعاء يشمل كل

١- عليمات، جماليات التحليل الثقافي، مرجع سابق، ص٢١، ٢٢، وينظر أيضًا قوله بتعدد المضمرات في كتابه: النسق الثقافي "قراءة في أنساق الشعر العربي القديم"، إربد: عالم الكتب الحديث - جدارا للكتاب العالمي، ط١، ٢٠٠٩، ص٧٠.

المعتقدات والتقاليد والقيم والأعراف؛ أي أنه يأخذ شكل الثقافة بمفهومها العام؛ ليغدو بالأحرى تسميته بالنسق الاجتماعي الذي يتحدث عنه بارسونز وغيره كثير من علماء الاجتماع [١]، ومن ثم فالنقد هنا أقرب إلى أن يكون نقدًا أنثروبولوجيًا، ولعل أقرب ما يستوقفنا في هذا السياق فهم نادر كاظم للنسق بوصفه انتخاب الفرد / الجماعة واختياراتهم من الأفكار والتقاليد؛ لتكون ثقافة خاصة بهم، وتبعًا لذلك نظر كاظم إلى الدين بوصفه نسقًا ثقافيًا[٢]، وهو ما وجد فيه الغذامي خروجًا عن المفهوم الحقيقي للنسق، فسارع إلى تأكيد أن الدين في فلسفة النقد الثقافي لا يأتي نسقًا، وإنما هو «خطاب إنساني وإنصافي في جوهره وأصل دعواه»[٣]، خلافًا للنسق الذي هو في حقيقة الأمر تشويهات للفطرة السوية، وهي نفسها رؤية الجابري حين يؤكد أن الدين «لا يتغير، وإنما يتغير نوع فهمه والارتباط به»[٤].

ولا يقف الارتباك في مفهوم النسق عند هذا الحد، فكثيرة هي القراءات التي سارعت إلى تصنيف بعض الأفكار والخصائص والسمات على أنها أنساق ثقافية، حتى أصبح الزهد عند أبي العتاهية ومجون أبي نواس وفلسفة أبي العلاء كلها أنساق ثقافية[٥]، وكل هذا يشير إلى غياب الفهم الدقيق لماهية النسق الثقافي وحقيقة وظيفته في الخطاب، الأمر الذي يخلق تشويشًا على تجربة النقد الثقافي، فلا يكون له من هذه العملية سوى التسمية، وتكون كل الإجراءات والأدوات والنتائج تدور في فلك النقد الأدبي.

١- ينظر: مرسي، محمد عبد المعبود: علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي، القصيم- بريدة: مكتبة العليمي الحديثة، ط١، "د، ت"، ص٣٥، ٩٢، ٩٤، ٩٧.

٢- ينظر: كاظم، نادر: تمثيلات الآخر "صورة السود في المتخيل العربي الوسيط"، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤، ص١٠١.

٣- جاء ذلك في تقديمه لكتاب: تمثيلات الآخر، المرجع نفسه، ص١٠.

٤- الجابري، محمد عابد: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ١٩٩٠، ص٣٨.

٥- ينظر على سبيل المثال: دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق، ص٣١٠.

ويبقى فهم الإضمار بحد ذاته مظهرًا لغياب الوعي بحقيقة النسق، وذلك حين نجد من يطالب الناقد الثقافي بالاهتمام بالأنساق الظاهرة جنبًا إلى جنب مع الاهتمام بالأنساق المضمرة، كما هو الحال عند عبد الله إبراهيم الذي يرى أن الانشغال بالنسق في تجليه الواضح هو الأسلم، لاسيما في الخطاب الديني والسياسي والإعلامي، وفي الحضور المعلن للأنساق في العلاقات الأسرية والقبلية والطائفية وفي نمط الحكم ومركزية الذكورة وغير ذلك[١]، ونحن نقول: ما قيمة الاهتمام بالنسق الظاهر للنقد الثقافي؟ وهل قيمة النقد هنا إلا في كشفه عن المختبئ وراء ما هو جميل وساحر، فإذا كشف عن نفسه فإنه يفقد تأثيره بسبب قبحه وفجاجته؟

وإذا نظرنا في المعجمات النقدية، فسنجد أنها على قلة تعرّضها للنقد الثقافي تمعن في عزل هذا المنهج في سياق غربي لا يهمها فيه أكثر من توضيح الأسس الفلسفية التي قام عليها، ولا تأتي إشارتها إلى المنهج الذي اقترحه الغذامي إلا على سبيل النقد والاعتراض، كما هو الحال في تناول البازعي والرويلي لمفهوم الثقافة والنقد الثقافي، فحديثهما عن الغذامي لم يكن إلا لتفنيد آرائه، ومن هنا غاب الحديث في هذا المعجم عن مفهوم النسق الثقافي وغيره من المفاهيم الإجرائية المتعلقة به، وحاول مؤلفاه أن ينسفا فكرة إضمار الأنساق السوداوية بتأكيد أن الإضمار يحدث كذلك للأنساق الإيجابية، في سبيل إثبات بطلان مفهوم الغذامي للنسق؛ لتكون خاتمة حديثهم أن فكرة الغذامي ليست أكثر من نقد جمالي[٢].

وحين عرض علوش في معجمه للحديث عن النسق فإنه أجرى ذلك بعيدًا

١- ينظر: إبراهيم، عبد الله: "النقد الثقافي: مطارحات في النظرية والمنهج"، ضمن كتاب: الغذامي والممارسة النقدية والثقافية، إعداد: حسين السماهيجي وآخرين، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٣، ص٥٦.

٢- ينظر: دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق، ص٣٠٥- ٣١١.

عن فكرة النقد الثقافي وضرورة بلورة منهج واضح لنقد النصوص العربية نسقيًا؛ فهو يكتفي بعرض بعض المفاهيم، مثل مفهوم ميشيل فوكو، تحت مصطلح (نسق) فقط، ولم يتعرض لتلك المفاهيم التي انطلقت منها الجماليات الثقافية والتاريخانية الجديدة ونموذج ليتش في النقد الثقافي[1].

ويقدم البحيري في معجمه عرضًا مقتضبًا للمصطلحات والمفاهيم المستعملة في منهج النقد الثقافي عند الغذامي، ولكن تظل الإشكالية في أنه لم يقدم مفهومًا واضحًا للنسق الثقافي المضمر، إذ إنه يقول عن هذا النسق: «هو نسق مركزي في منهج النقد الثقافي، يرى أن في الخطاب الأدبي، والشعري تحديدًا، قيمًا نسقية مضمرة تتسبب في التأسيس لنسق ثقافي مهيمن، ولا تهتم المقاربة الثقافية للنصوص بالأبنية اللغوية والبلاغية والجمالية المباشرة، وإنما تهتم باستكشاف الأنساق الثقافية المضمرة في البنية العميقة للنصوص»[2]؛ فالبحيري هنا يعي محورية النسق في منهج النقد الثقافي، ولكنه يعرض أوصافًا له (مضمر/ قيم نسقية مضمرة) بدون أن يحدثنا عن ماهية هذا النسق أو هذه القيم، كما هو الحال في مفهوم فوكو وغيرتز وغرامشي، ناهيك عن أن صياغة الكلام عند البحيري تشي بأنه ينظر إلى النسق الثقافي على أنه هو نفسه النقد الثقافي، ولذلك فهو يعزو الفعل في كلامه إلى النسق (يرى أن..)، وهذا يؤكده سرعة التفاته إلى مصطلح (المقاربة الثقافية)، منشغلًا بالحديث عنها لا عن النسق الذي هو مجال اهتمامه في تلك الفقرة.

وتظل تجربة سمير الخليل في (دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي) هي الإنجاز المعجمي الرائد الذي وقف على كثير من المصطلحات المستعلمة في حقل النقد الثقافي، منها ما هو مصطلحات تأسيسية توضح الأبعاد

١- ينظر: معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، مرجع سابق، ص٦٠٢، ٦٠٣.
٢- ينظر: معجم المصطلحات الأدبية والنقدية، مرجع سابق، ص١٦١- ١٦٥.

الفلسفية لهذا النوع من النقد، ومنها ما هو إجرائي منهجي يقود إلى الكشف عن مضمرات النصوص، ونجده يقدم شرحًا وافيًا لمفهوم النسق الثقافي عند الغرب وعند الغذامي، إلى جانب إضاءته لكل ما استعمله الغذامي من مصطلحات ومفاهيم إجرائية.

وإذا كان بعض الدارسين أخذ على هذا المعجم تجافي الصياغة الدقيقة لمفهوم النسق قبل الإفاضة في الشرح[1]؛ فإن الأهم في رأينا هو أن هذا المعجم لم يفرز مفاهيم النسق الثقافي في السياق الغربي، وموقع الاتجاهات البارزة في النقد الثقافي هناك من هذه المفاهيم، وصولًا إلى إيضاح منطلق الغذامي من هذا المفهوم أو ذاك، وسلوكه هذا الاتجاه أو ذلك، وكذا موقع التطبيقات العربية الأخرى من هذه المفاهيم، إلى جانب إغفال هذا المعجم ذكر أمثلة تتجلى فيها هذه الأنساق؛ ليكون القارئ/ الناقد على بيّنة من إجراءات هذا المنهج النقدي، وتطبيقه على النصوص كما ينبغي.

١- ينظر: "الكفاءة التعريفية للمصطلح النقدي"، مرجع سابق، ص٨٦٦.

الخاتمة

تناولت الدراسة إشكالية المفاهيم الإجرائية في النقد الثقافي بالمقارنة بين استقبالها لدى النقاد واستقبالها في المعجم النقدي، وكان منطلقنا في ذلك أن مصدر الإشكال هو طبيعة البناء العربي لمفاهيم هذه النظرية المستجدة بعد استقبال أسسها الفلسفية، وهي الفرضية التي سعينا إلى اختبار صحتها من خلال استكشاف معالم الوعي النقدي والمعجمي حيال ثلاثة مفاهيم تعالج ما هو فلسفي أو تنظيري أو منهجي في النقد الثقافي.

فعلى المستوى الفلسفي الذي انطلق منه هذا النوع من النقد، ناقشت الدراسة تحول الجمال البلاغي في وعي الناقد الثقافي إلى أداة ستر وتعمية بعد أن كان في النقد الأدبي أداة تصوير وإيضاح، واتضح أن المفهوم التقليدي للجمال الأدبي لايزال له سطوة على وعي الناقد الذي يقارب النصوص ثقافيًا، كما هو الأمر عند الرباعي في إصراره على إنجاز القراءة الثقافية بعيدًا عن فكرة القبحيات، أو كما هو الأمر في وقوف عليمات موقفًا وسطًا بتأكيده إمكانية أن يضمر النص القبحيات والجماليات على السواء.

وهي نفسها المخاوف التي انعكست على الوعي المعجمي الذي ظل مسكونًا بوعي الناقد الأدبي، فالمعجمات النقدية لم تهتم بإجلاء الصورة حول قضية (الجماليات الثقافية)، ناهيك عن سعي الرويلي والبازعي في معجمهما إلى تأكيد إضمار النص للجماليات، في دليل على تشابههما مع الرباعي وعليمات في اليقين بحتمية حضور وعي الشاعر لمواجهة النسق، وهي فكرة تتعارض مع جوهر النقد الثقافي المرتكز على فكرة الهيمنة اللاشعورية للأنساق، وإذا كان سمير الخليل في معجمه قد أوضح الصورة تجاه الجماليات الثقافية؛ فإن صياغته المقتضبة هنا لايزال يحتاج معها هذا المصطلح إلى زيادة كفاءته التعريفية، لاسيما الحديث عن

الوعي الجديد بوظيفة الجمال البلاغي، أي بوصفه أداة هيمنة، وإمكانية توظيف هذا الجمال ثقافيًا في ترسيخ أنساق مضادة، يعبر فيها الهامشي عن ذاته ويثبت وجوده.

وعلى مستوى النظرية تبيّن أن انطلاق النقاد الثقافيين من مفاهيم متباينة للثقافة ألحق إشكالاً بجوهر العملية النقدية؛ فكثير من الدراسات التطبيقية في هذا الصدد تتوسع في فهمها للثقافة لتصبح كل ما أنتجه الإنسان (مفهوم عبد المطلب)، فيصبح الشاعر/ الأديب تبعًا لذلك هو المثقف التنويري (مفهوم يوسف عليمات)، وليس هذا ما جاء النقد الثقافي من أجله، فهو لا يهتم من الثقافة إلا بما يهيمن على التفكير ويتحكم في السلوك، وتبقى ممارسة النقد الثقافي بهذه المفاهيم المتعددة مشكلة تعيق وصول هذا النقد إلى نتائج مختلفة عن المعهود والمكرور الذي يصل إليه النقد الأدبي، وهي المشكلة التي ألقت بظلالها على المتن المعجمي الذي بدا فيه صُنّاع المعجمات النقدية غير معنيين بتحديد مفهوم الثقافة، الذي انطلق منه رواد النقد الثقافي في الغرب، مثل غرينبلات وليتش وغرامشي وغيرتز، الأمر الذي يقتضي معالجة مفاهيمية متأنية لمصطلح الثقافة لدى حديث هذه المعجمات عن النقد الثقافي.

أما على مستوى المنهج؛ فاتضح أن الغذامي ارتكز على مفهوم النسق الثقافي في استعماله مجموعة من المصطلحات ينقد من خلالها النص نقدًا ثقافيًا، ولكن ثمة ما يثير السؤال حول دقة إطلاقه اسم النسق على نوعين من التصورات، ما هو جمالي يتستر به النسق السلبي، وما هو قبيح وسافر ومجاهر بالسلبية، فالأول يظل بعيدًا عن فكرة الهيمنة اللاشعورية، والآخر يظل بعيدًا عن فكرة الإضمار والهيمنة، وهذا فتح الباب أمام الرؤى النقدية التي أربكت النقد الثقافي بتقديم فهم مختلف للنسق، كأن يقال: إن النص يضمر أنساقًا لامتناهية (مفهوم

عليمات)، أو أن يقال: إن معرفة النسق الظاهر أولى من معرفة المضمر (رؤية غلوم)، أو أن تصبح الأفكار والمعتقدات والأديان نسقًا ثقافيًا بغض النظر عن ظهورها أو إضمارها (رؤية نادر كاظم)، وانعكس هذا الاختلاف على الفهم المعجمي للنسق الثقافي، فجاءت رؤية الرويلي والبازعي ترفض إضمار السلبيات بالحديث عن إضمار الجماليات، في حين نجد مفهوم النسق الثقافي عند البحيري في معجمه يتداخل مع مفهوم النقد الثقافي، ناهيك عن أن معجمات نقدية أخرى لم تعرض لهذا المصطلح، وعلى الرغم من أن الجهد المعجمي الذي قدّمه سمير الخليل يعد عملًا رائدًا استقصى جُلّ مفاهيم النقد الثقافي والدراسات الثقافية؛ فإن ما ينقصه هو فرز مفاهيم النسق الثقافي في السياق الغربي وإيضاح موقع الاتجاهات البارزة في النقد الثقافي هناك من هذه المفاهيم، وصولًا إلى إيضاح منطلق الغذامي من هذا المفهوم أو ذاك، وسلوكه هذا الاتجاه أو ذلك، وكذا موقع التطبيقات العربية الأخرى من هذه المفاهيم؛ ليكون القارئ/ الناقد على بينة من المنهج الذي ينبغي أن يسلكه ليكون نقده نقدًا ثقافيًا.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- إبراهيم، عبد الله: «النقد الثقافي: مطارحات في النظرية والمنهج»، ضمن كتاب: الغذامي والممارسة النقدية والثقافية، إعداد: حسين السماهيجي وآخرين، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٣.
- إبراهيم، فؤاد: «إشكالية الإطار المرجعي في الفكر العربي المعاصر: قراءة نقدية»، مجلة الكلمة، عدد ٨، ١٩٩٥.
- البحيري، أسامة محمد: معجم المصطلحات الأدبية والنقدية، طنطا: دار النابغة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢١.
- الجابري، محمد عابد: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ١٩٩٠.
- حجازي، سمير سعيد: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، القاهرة: دار الأفق الجامعية، ط١، ٢٠٠١.
- حجازي، محمود فهمي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، القاهرة، مكتبة غريب، «د، ت».
- حسن البنا عز الدين، «ملامح النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي المعاصر – الغذامي نموذجًا»، ضمن كتاب: الغذامي الناقد «قراءة في المشروع الغذامي النقدي»، تحرير وتقديم: عبد الرحمن بن إسماعيل السماعيل، مؤسسة اليمامة الصحفية، سلسلة كتاب الرياض، ع٩٧ / ٩٨، ديسمبر ٢٠٠١م، نوفمبر ٢٠٠٢م.
- حمودة، عبد العزيز: المرايا المقعرة «نحو نظرية نقدية عربية»، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠١.
- الحو، شحاتة محمد: «الكفاءة التعريفية للمصطلح النقدي «مصطلحات النقد الثقافي نموذجًا»، مجلة كلية دار العلوم، ع١٤٦، يوليو ٢٠٢٣.
- الخليل، سمير: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٤.

- الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد: دليل الناقد الأدبي، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط٥، ٢٠٠٧.
- الشرماني، فتحي أحمد: دينامية النسق الثقافي في القصيدة الجاهلية، أربد: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٩.
- شريف، محمد غانم: «المصطلح النقدي في تراث أحمد مطلوب بين القديم والحديث»، مجلة آداب الرافدين، عدد ٧٩، ٢٠١٩.
- عبد المطلب، محمد: النقد الأدبي، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١، ٢٠٠٣.
- علوش، سعيد: معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠١٩.
- عليمات، يوسف محمود: النسق الثقافي «قراءة في أنساق الشعر العربي القديم»، إربد: عالم الكتب الحديث - جدارا للكتاب العالمي، ط١، ٢٠٠٩.
- عليمات، يوسف محمود: جماليات التحليل الثقافي «الشعر الجاهلي نموذجًا»، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٤.
- عناني، محمد: معجم المصطلحات الأدبية الحديثة، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٣.
- عودة، خليل: «المصطلح النقدي في الدراسات العربية المعاصرة بين الأصالة والتجديد: الأسلوبية أنموذجًا»، مجلة جامعة الخليل للبحوث، مج١، ع٢، ٢٠٠٣.
- الغذامي، عبد الله: النقد الثقافي «قراءة في الأنساق الثقافية العربية»، الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي، ط٣، ٢٠٠٥.
- غيرتز، كليفورد: تأويل الثقافات، تر: محمد بدوي، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط١، ٢٠٠٩.
- القحطاني، سلطان سعد: التيارات الفكرية وإشكالية المصطلح النقدي، نادي الطائف الأدبي، ط١، ٢٠٠٥.

- كاظم، نادر: تمثيلات الآخر «صورة السود في المتخيل العربي الوسيط»، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤.
- المرازيق، أحمد جمال: جماليات النقد الثقافي «نحو رؤية للأنساق الثقافية في الشعر الأندلسي»، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٩.
- مرسي، محمد عبد المعبود: علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي، القصيم- بريدة: مكتبة العليمي الحديثة، ط١، «د، ت».
- يوسف، أحمد: السيميائيات الواصفة «المنطق السيميائي وجبر العلامات»، الجزائر: منشورات الاختلاف، وبيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، وبيروت: الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠٠٥م.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

- Barker, Chris: The Sage Dictionary of Cultural Studies. London: Sage Publication, 2004.
- Jakobson: Linguistics and Poetics, in Modern criticism and Areader Theory Edited David Lodge, Longman- London and New York, 1988.

References in Roman Script:

- ʾIbrāhīm, ʿAbd Allāh: «al-Naqd al-Thaqāfī: Muṭāraḥāt fī al-Naẓariyyah wa-al-Manhaj,» fī kitāb: al-Ghidhāmī wa-al-Mumārasah al-Naqdīyyah wa-al-Thaqāfiyyah, ʾiʿdād: Ḥusayn al-Samāhījī wa-ʾākharīn, Bayrūt: al-Muʾassasah al-ʿArabīyyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, 1st edition, 2003.
- ʾIbrāhīm, Fuʾād: «ʾIshkālīyyat al-ʾIṭār al-Marjiʿī fī al-Fikr al-ʿArabī al-Muʿāṣir: Qirāʾah Naqdīyyah,» Majallat al-Kalimah, issue 8, 1995.
- al-Buḥayrī, ʾUsāmah Muḥammad: Muʿjam al-Muṣṭalaḥāt al-ʾAdabīyyah wa-al-Naqdīyyah, Ṭanṭā: Dār al-Nābighah lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ, 1st edition, 2021.
- al-Jābirī, Muḥammad ʿĀbid: ʾIshkālīyyāt al-Fikr al-ʿArabī al-Muʿāṣir, Bayrūt: Markaz Dirāsāt al-Waḥdah al-ʿArabīyyah, 2nd edition, 1990.
- Ḥijāzī, Samīr Saʿīd: Qāmūs Muṣṭalaḥāt al-Naqd al-ʾAdabī al-Muʿāṣir, al-Qāhirah: Dār al-ʾUfuq al-Jāmiʿīyyah, 1st edition, 2001.
- Ḥijāzī, Maḥmūd Fahmī: al-ʾUsus al-Lughawīyyah li-ʿIlm al-Muṣṭalaḥ, al-Qāhirah, Maktabat Gharīb, (d.n.).
- Ḥasan al-Bannā ʿIzz al-Dīn: «Malāmiḥ al-Naqd al-Thaqāfī fī al-Khiṭāb al-Naqdī al-ʿArabī al-Muʿāṣir - al-Ghidhāmī Namūdhajān,» fī kitāb: al-Ghidhāmī al-Nāqid «Qirāʾah fī al-Mashrūʿ al-Ghidhāmī al-Naqdī,» taḥrīr wa-taqdīm: ʿAbd al-Raḥmān bin ʾIsmāʿīl al-Samāʿīl, Muʾassasat al-Yamāmah al-Ṣaḥafīyyah, Silsilat Kitāb al-Riyāḍ, ʿ97/98, Dīsīmbr 2001, Nūfimbir 2002.
- Ḥammūdah, ʿAbd al-ʿAzīz: al-Marāyā al-Muqaʿʿarah «Naḥwa Naẓariyyah Naqdīyyah ʿArabīyyah,» Silsilat ʿĀlam al-Maʿrifah, al-Majlis al-Waṭanī lil-Thaqāfah wa-al-Funūn wa-al-ʾĀdāb, al-Kuwayt, 2001.
- al-Ḥaww, Shaḥātah Muḥammad: «al-Kafāʾah al-Taʿrīfīyyah lil-Muṣṭalaḥ al-Naqdī «Muṣṭalaḥāt al-Naqd al-Thaqāfī Namūdhajān»,» Majallat Kullīyyat Dār al-ʿUlūm, issue 146, Yūlyū 2023.
- al-Khalīl, Samīr: Dalīl Muṣṭalaḥāt al-Dirāsāt al-Thaqāfiyyah wa-al-Naqd al-Thaqāfī, Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmīyyah, 2014.
- al-Ruwaylī, Mījān, wa-al-Bāziʿī, Saʿd: Dalīl al-Nāqid al-ʾAdabī, Bayrūt wa-al-Dār al-Bayḍāʾ: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 5th edition, 2007.
- al-Shormānī, Fatḥī ʾAḥmad: Dīnāmīyyat al-Nasaq al-Thaqāfī fī al-Qaṣīdah al-Jāhilīyyah, ʾIrbid: ʿĀlam al-Kutub al-Ḥadīth lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ, 1st edition, 2019.

- Sharīf, Muḥammad Ghānim: «al-Muṣṭalaḥ al-Naqdī fī Turāth ʾAḥmad Maṭlūb bayn al-Qadīm wa-al-Ḥadīth, «Majallat ʾĀdāb al-Rāfidayn, issue 79, 2019.
- ʿAbd al-Muṭṭalib, Muḥammad: al-Naqd al-ʾAdabī, al-Qāhirah: al-Hayʾah al-ʿĀmmah li-Quṣūr al-Thaqāfah, 1st edition, 2003.
- ʿAllūsh, Saʿīd: Muʿjam Muṣṭalaḥāt al-Naqd al-ʾAdabī al-Muʿāṣir, Bayrūt: Dār al-Kitāb al-Jadīdah al-Muttaḥidah, 2019.
- ʿUlaymāt, Yūsuf Maḥmūd: al-Nasaq al-Thaqāfī «Qirāʾah fī ʾAnsāq al-Shiʿr al-ʿArabī al-Qadīm,» ʾIrbid: ʿĀlam al-Kutub al-Ḥadīth - Jadārā lil-Kitāb al-ʿĀlamī, 1st edition, 2009.
- ʿUlaymāt, Yūsuf Maḥmūd: Jamālīyyāt al-Taḥlīl al-Thaqāfī «al-Shiʿr al-Jāhilī Namūdhajān», Bayrūt: al-Muʾassasah al-ʿArabīyyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, 1st edition, 2004.
- ʿAnānī, Muḥammad: Muʿjam al-Muṣṭalaḥāt al-ʾAdabīyyah al-Ḥadīthah, al-Mamlakah al-Muttaḥidah: Muʾassasat Hindāwī, 2023.
- ʿAwdah, Khalīl: «al-Muṣṭalaḥ al-Naqdī fī al-Dirāsāt al-ʿArabīyyah al-Muʿāṣirah bayn al-ʾAṣālah wa-al-Tajdīd: al-ʾUslūbīyyah ʾAnmūdhajān,» Majallat Jāmiʿat al-Khalīl lil-Buḥūth, V. 1, 2nd edition, 2003.
- al-Ghidhāmī, ʿAbd Allāh: al-Naqd al-Thaqāfī «Qirāʾah fī al-ʾAnsāq al-Thaqāfiyyah al-ʿArabīyyah,» al-Dār al-Bayḍāʾ wa-Bayrūt: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 3th edition, 2005.
- Ghīrtz, Klīfūrd: Ṫawīl al-Thaqāfāt, translated into Arabic by Muḥammad Badawī, Bayrūt: al-Munaẓẓamah al-ʿArabīyyah lil-Tarjamah, 1st edition, 2009.
- al-Qaḥṭānī, Sulṭān Saʿd: al-Tayyārāt al-Fikrīyyah wa-ʾIshkālīyyat al-Muṣṭalaḥ al-Naqdī, Nādī al-Ṭāʾif al-ʾAdabī, 1st edition, 2005.
- Kāẓim, Nādir: Tamthīlāt al-ʾĀkhar «Ṣūrat al-Sūd fī al-Mutakhayyal al-ʿArabī al-Wasīṭ,» Bayrūt: al-Muʾassasah al-ʿArabīyyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, 2004.
- al-Marāzīq, ʾAḥmad Jamāl: Jamālīyyāt al-Naqd al-Thaqāfī «Naḥwa Ruʾyah lil-ʾAnsāq al-Thaqāfiyyah fī al-Shiʿr al-ʾAndalusī,» Bayrūt: al-Muʾassasah al-ʿArabīyyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, 1st edition, 2009.
- Mursī, Muḥammad ʿAbd al-Maʿbūd: ʿIlm al-ʾIjtimaʿ ʿinda Tālkūt Bārsūnz bayn Naẓariyyatay al-Fiʿl wa-al-Nasaq al-ʾIjtimaʿī, al-Qaṣīm-Buraydah: Maktabat al-ʿAlīmī al-Ḥadīthah, 1st edition, (d.n.).

- Yūsuf, ʾAḥmad: al-Sīmīyāʾīyyāt al-Wāṣifah «al-Manṭiq al-Sīmīyāʾī wa-Jabr al-ʿAlāmāt,» al-Jazāʾir: Manshūrāt al-ʾIkhtilāf, wa-Bayrūt wa-al-Dār al-Bayḍāʾ: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, wa-Bayrūt: al-Dār al-ʿArabīyyah lil-ʿUlūm, 1st edition, 2005.

البورتريه الشِّعري في الشعر الإماراتي
شِعر أمل السَّهلاوي أنموذجًا

Poetic Portrait in Emirati Poetry:
Amal Al Sahlawi's Poetry as an Example

أسماء يوسف الحمادي
باحثة دكتوراه جامعة الوصل – دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة

Asmaa Yousuf AlHammadi
Ph.D. Researcher, Al Wasl University, Dubai, United Arab Emirates

https://doi.org/10.47798/fom.2024.i4.03

ملخص البحث

تسعى الباحثة في هذا البحث إلى دراسة البورتريه الشعريّ في الشعر الإماراتيّ وصفًا وتحليلاً من وجهة نظر أجناسية، متَّخذةً شِعْر أمل السهلاوي مُدوَّنةً للدراسة، وذلك عبر ثلاثة مباحث تتمثَّل في (البورتريه بين الفنّ والأدب)، و(أشكال البورتريه الشعريّ في شعر أمل السهلاوي)، و(من تقنيات تشكيل البورتريه الشعريّ في شعر أمل السهلاوي)، ولعلَّ أبرز ما توصَّلت إليه الباحثة يتمثَّل في أنَّ البورتريه الشعريّ يُشكِّل ظاهرة في شِعْر أمل السهلاوي، فضلاً عن أنَّ البورتريه الذاتيّ هو الأبرز في شعرها، ويُشكِّل ظاهرة فيه؛ نظرًا إلى النزعة الذاتية العالية في قصائدها، علاوةً على أنَّ تيار الوعي يمثِّل التقنية الأبرز لرسم البورتريه الشعريّ لديها، وتقدِّم الشاعرة من خلاله تفاصيل ذاتية خاصَّة.

الكلمات المفتاحية: البورتريه الشِّعْريّ، أمل السهلاوي، شِعْر، سرد، فنّ.

Abstract

The researcher seeks studying poetic portraiture in Emirati poetry, describing and analyzing it from a genre point of view, and applying on Amal Al-Sahlawi's poetry as an example. This research is divided on three sections which are (portraiture between art and literature), (types of poetic portraiture in Amal Al-Sahlawi's poetry), and (techniques of drawing poetic portraiture in Amal Al-Sahlawi's poetry). Perhaps the most prominent finding of the research is that poetic portraiture constitutes a phenomenon in Amal Al-Sahlawi's poetry, in addition to the fact that self-portrait is the most prominent in Al-Sahlawi's poetry, and constitutes a phenomenon in it, due to the high subjective tendency in her poems, in addition to that the stream of consciousness represents the most prominent technique for drawing her poetic portraiture, through which the poet presents special personal details.

Keywords: poetic portraiture, Amal Al-Sahlawi, poetry, narrative, art.

المقدمة

يُعَدّ البورتريه الشعريّ من المواضيع الجديدة التي تلفت انتباه الباحثين، وهو موضوع متَّصل بالتفاعل بين الأدب والفن، ويُمثِّل إشكالية جديدة وخصبة في الدراسات المُعاصِرة، ناهيك عن أنه لا توجد دراسات تتناول الشِّعر الإماراتيّ من هذا المنظور، وذلك في ضوء اجتهاد الباحثة في البحث والتحرّي، فضلا عن أنَّ دراسة أشكال كتابات الأنا من المواضيع التي يرومها النقد المُعاصِر في محاولة لاستكشاف الهوية الإنسانية الفردية، مفهومًا منتميًا إلى الحداثة وما بعدها، كما أنَّ أمل السهلاوي صوتٌ شعريّ إماراتيّ، له حضور بارز وتأثير لافت في الجمهور الإماراتيّ خصوصًا والعربيّ عمومًا، ومِن هنا فإنَّ العنوان المطروح للدراسة ذو أهمية نقدية ووطنية، ومِن شأنه أنْ يملا فجوة بحثية.

إنَّ البحث محاولة من الباحثة لرفد الميدان النقديّ بدراسة جادَّة ذات منظور جديد في الأدب الإماراتيّ، ولَمَّا اتَّخذت الدراسة أمل السهلاوي أنموذجًا لدراسة البورتريه الشعريّ في الشعر الإماراتيّ، مع التركيز على القصيدة العموديّة وقصيدة التفعيلة مُدوَّنات للدراسة، جاءت الأسئلة أو الفرضيات التي تحاول الباحثة الإجابة عنها كالآتي:

- ما أشكال البورتريه الشعريّ عند أمل السَّهلاوي من حيث الكيان المرسوم؟
- ما التقنيات / الآليات المُستخدَمة في رسم البورتريه الشعريّ في الشعر الإماراتيّ؟
- هل بإمكاننا القول إنَّ البورتريه الشعريّ يشكِّل ظاهرة في شعر أمل السَّهلاوي؟

ولعلَّ مِن أهمّ التحديات التي واجهت الباحثة، قلة المراجع العربية المتصلة

بالموضوع، ما اضطرَّها إلى توثيق بعض المعلومات مِن كتب نقلا عن كتب أخرى، مع الإشارة إلى ذلك في الهامش، فضلا عن صعوبة الوصول إلى بعض المراجع، مثل: (الرواية والرسم: من خلال نماذج روائية لإدوار الخرَّاط) لمصطفى بوقطف، علاوةً على أنَّ الشاعرة أمل السهلاويّ لها إصدار واحد يجمع بين شعر التفعيلة وقصيدة النثر، إلا أنَّ الكثير من القصائد التي سيستجليها البحث لا يضمُّها إصدار مطبوع، وعليه تُسْترفد صفحتها على موقع التواصل الاجتماعيّ (انستغرام)؛ حيث تشارك الشاعرة الجمهورَ قصائدها بشكل يوميّ.

وفيما يتَّصل بالدراسات السابقة، فثمة شُحٌّ في الدراسات المُتَمَحْورَة حول البورتريه في الشعر؛ نظرًا إلى حداثة الموضوع، وقد وقعت بين يدي الباحثة الدراسةُ الآتية مع استبدال مصطلح البورتريه بمصطلح صورة الشخصية:

- دراسة منى سعيد عبده أبو الوفا الموسومة بـ (صورة الشخصية في شعر حلمي سالم)، مجلة البحث العلمي في الآداب (اللغات وآدابها)، المجلد ٢٣، العدد ٠٥، ٢٠٢٢.

رصد البحث ظاهرة البورتريه في شعر الشاعر حلمي، مُستشْرِفا أشكال البورتريه، فضلا عن تقنيات رسمه، وما تعكسه البورتريهات المرسومة. أعتقد أنّ الدراسة ركَّزت على المضامين باتجاهها إلى دراسة البورتريه استنادًا إلى المذاهب الأدبية من سريالية وتعبيرية وغيرها، ما أغفل التقنيات السردية التي لم تظهر في البحث بشكل جليّ للقارئ، كما أنها لم تبحث في العلاقة بين تسريد الشعر والبورتريه، حتى أنَّها تدرس عناصر من غير تبيان صلتها بالبورتريه الشعريّ أو صورة الشخصية على حدّ اصطلاح الباحثة، كالإيقاع مثلا، فضلا عن تقديم مفاهيم والتطبيق عليها من غير شرح ماهيّتها، مثل تقنية (دلالة الشكل الهندسيّ) التي عدَّتها الدراسة تقنية سردية.

كما اطَّلعتْ الباحثة على دراسة موازِية تتناول البورتريه السرديّ جنسًا أدبيًا قائم الذات، ودراسة أخرى تتناول التفاعل بين الشِّعر والسَّرد في الشعر العربيّ الحديث، وفق الآتي:

- دراسة محمّد الصّالح البوعمراني الموسومة بـ (البورتريه السرديّ عند كمال العيَّادي الكينغ وتوسيع دائرة الجنس)، مجلة جامعة السلطان قابوس للآداب والعلوم الاجتماعية، المجلد ١٦، العدد ١، ٢٠٢٥ م.

يتناول البحث جنسا أدبيّا جديدا هو البورتريه السرديّ، ويبحث في نشأته وعلاقته بالفنون الأخرى والأجناس الأدبية المُجاورة، ويحدِّد خصائصه وتحوّلاته عند الأديب المتناوَل بالدراسة. ويذهب إلى أنَّ البورتريه السرديّ جنس أدبيّ قائم بذاته، في حين أنَّ البورتريه الشعريّ يمثّل تقنية في كتابة القصيدة وإخراجها، ولعلِّي هنا أتساءل إنْ كان ذلك التعريف يصدُق على البورتريه الشعريّ، أم لا بدّ من إعادة النظر فيه، وهذا ما نرجو أن يتَّضح لنا من خلال هذا البحث.

- دراسة مكّي محمد حسّون الموسومة بـ (السردية والشعرية في الشعر العربي الحديث)، مجلة العلوم الإنسانية (تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة القادسية)، المجلد ٣٧، العدد ٠٤، ٢٠٢٠.

يرصد البحث مفاهيم ذات صلة بالسردية في الشعر العربيّ، كالحكاية والشخصية، ويقدم نماذج ذات صلة، إلا أنَّه -من وجهة نظري- يخلو من أسئلة محددة يحاول أن يجيب عنها، كما يفتقر إلى منهجية واضحة يتّبعها.

وتسعى الباحثة إلى دراسة البورتريه الشعريّ في الشعر الإماراتيّ وصفًا وتحليلاً من وجهة نظر أجناسية، متَّخِذةً شعر أمل السهلاوي مدوَّنةً للدراسة، وقد تخيَّرتْ له منهجية تقوم على تحديد الروافد الفنية والسردية والتأسيس للمصطلح والمفهوم في المبحث الأول، يتبعه استجلاء ثلاثة أشكال للبورتريه الشعريّ لدى

أمل السهلاوي في المبحث الثاني، وانتهاءً إلى استشراف تقنيات رسم البورتريه الشعريّ لديها في المبحث الثالث، تسبقها مقدمة، وتلحقها خاتمة، وقائمة المصادر والمراجع، والملحقات، وقد جاء تقسيم المباحث الثلاثة وفق الآتي:

المبحث الأول: البورتريه بين الفن والأدب:

أولا: البورتريه من الفنّ إلى السَّرد

ثانيا: البورتريه جنسًا أدبيًا وظاهرة

ثالثا: البورتريه الشعريّ

المبحث الثاني: أشكال البورتريه الشعريّ في شعر أمل السهلاويّ:

أولا: البورتريه الشعريّ الذاتيّ

ثانيا: البورتريه الشعريّ الغيريّ

ثالثا: البورتريه الشعريّ الغيريّ الذاتيّ

المبحث الثالث: من تقنيات تشكيل البورتريه الشعريّ في شعر أمل السهلاوي:

أولا: قصيدة «أكاد أجنُّ مِن فرط اندفاعي»

ثانيا: قصيدة «اترُكيني أحاوِرُ الأشياءَ»

ثالثا: قصيدة «أحبِّيهم على مهلِ»

وما أبتغيه هو رفد ميدان البحث العلميّ بدراسة جديدة وجادَّة حول الشعر الإماراتيّ النسائيّ الذي يستحق أنْ ينال حظَّه من الالتفات والعناية. ولله الحمد من قبل ومن بعد.

البورتريه بين الفنّ والأدب:

العلاقة بين الأدب والفنّ قديمة ووثيقة، ولعلَّ ذلك يعود إلى وحدة الجوهر والفَحْوى؛ ذلك أنَّ كلاً منهما وجهٌ من وجوه التعبير عن الذات الإنسانية، والكشف عن مشاعرها وأفكارها وهواجسها ومكنوناتها ورؤاها، مع اختلاف الأدوات، فالفنّ يتخذ من الصورة أداةً له، في حين أنَّ الأدب أداتُه الكلمات التي تأتي حافلة بالصور كذلك، لاسيَّما الشِّعْر.

ويذهب إحسان عبَّاس إلى أنَّ الجاحظ كان على وشك أنْ يقارن بين الشعر والرسم حين قال إنَّ الشعر يمثِّل جنسًا من التصوير، وذلك في صدد تعريفه الشعر ضمن مقولة الكلمات المطروحة في الطريق[1]، في حين أنَّ نزار قباني بلغ الفكرة وطرحها شعرا في قصيدة (الرسم بالكلمات) ضمن الديوان الذي يحمل العنوان نفسه. يقول نزار:

كلُّ الدروبِ أمامَنا مسدودة وخَلاصُنا في الرَّسمِ بالكلماتِ[2]

فالعلاقة بين الفنّ والأدب ثاوية في أذهان النقَّاد والأدباء، وتسعى الباحثة إلى التركيز على أحد تمظهُرات هذه العلاقة، ألا وهو فنّ البورتريه الذي حظي برحلة من الفنّ إلى الأدب، سَرْدًا فَشِعْرًا. يُناقش هذا المبحث ثلاثة محاور أساسية تتمثَّل في البورتريه من الفنّ إلى السَّرد، فالبورتريه جنسًا أدبيًّا وظاهرة، انتهاءً إلى محور البورتريه الشعريّ مصطلحًا وإشكالية.

أولا: البورتريه من الفنّ إلى السرد:

تتواشج الفنون وتتراسل، وتتفاعل تأثُّرا وتأثيرا، ويتجلَّى ذلك في العلاقة

١- يُنظر: عباس (إحسان)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط٥، عمّان، ٢٠١١م، ص٨٦.

٢- قباني (نزار)، الرسم بالكلمات، منشورات نزار قباني، ط٢٢، بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٥.

بين الرسم والأدب، ومَرَدُّ ذلك إلى بواعثَ شتَّى، لعلَّ من أبرزها أنَّ الأدب في حقيقته محاكاة، والرسم كذلك[١]، فضلا عن أنَّ كلاً منهما يُعَدُّ شكلا من أشكال التعبير عن الذات الإنسانية، فكلاهما يحمل طابعًا إنسانيًّا ذاتيًّا تعبيريًّا، ولا يخفى علينا أنَّ كثيرًا من المبدعين جمعوا بين موهبتي الشعر والرسم. ومن تَمَظْهُرات هذا التفاعل؛ انتقال مصطلح البورتريه من الفنّ إلى الأدب وحضوره في الكتابات الأدبية، وذلك على غرار الرومانسية الغربية التي أسهمت في كسر الحدود الصارمة بين الفنون والأجناس الأدبية والفنون عمومًا، إذ «انتقل الجنس الأدبيّ من مرحلة الصفاء والنقاء النوعيّ مع الشعرية اليونانية إلى مرحلة وحدة الأجناس الأدبية مع الرومانسية»[٢].

وَجْهُ الإنسان هويّتُه، ومنه تُسْتَجلى سِماته الباطنية، وأحواله النفسية بمختلف تقلُّباتها، وفي الفنّ يُعرف البورتريه أو فنّ الوجه أو فنّ الصورة الشخصية كشكل من أشكال الفنون التشكيلية، ويقوم على تمثيل الصورة الشخصية، أو الوجه الإنسانيّ عمومًا، رسمًا أو نحتًا أو تصويرًا، وقد يقتصر على الوجه أو يشتمل على الصدر أو الجذع كذلك، ويُعدّ من أهم وسائل التعبير عن خصائص الشخصية، وعن مختلف حالاتها الإنسانية من فرح أو حزن أو حب أو كره أو غيرها، فهو يكشف عن حالة إنسانية تعبيرية خاصة[٣]؛ ذلك أنّ «الوجه أشبه ما يكون بكتاب مفتوح، يمكن أن تُقرأ فيه حالة صاحبه الآنية، وتُستشف تركيبته النفسية ككل»[٤].

١- يُنظر: مكاوي (عبدالغفار)، قصيدة وصورة: الشعر والتصوير عبر العصور (ضمن سلسلة عالم المعرفة)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م، ص١٠-١٣.

٢- حمداوي (جميل)، نظرية الأجناس الأدبية: آليات التجنيس الأدبي في ضوء المقاربة البنيوية التاريخية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١٥م، ص١٠.

٣- يُنظر: أبو عياش (صلاح الدين)، معجم مصطلحات الفنون (ج١)، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط١، عمّان، ٢٠١٥م، ص٦٨٩-٦٩٤.

٤- المرجع نفسه، ص٦٩٠.

ويُعدّ البورتريه فنًّا غربيًا مُهمّا، وينتمي -بصفته شكلا فنيا مُكْتَملا- إلى عصر النهضة، وإنْ كانت له إرهاصات سابقة، إذ إنَّ «هذه الممارسة واسعة الانتشار لرسم البورتريه يمكن أن تعود إلى عصر النهضة، على الرغم من أنَّ جذورها أقدم. ومع ذلك، ثمة رأي آخر شائع، وهو أنَّ فن البورتريه ظاهرةٌ غربية إلى حدٍّ كبير»[١]، وقد بدأ احتراف رسم فن البورتريه في القرن الخامس عشر، وظهر فنَّانوه المتخصِّصون في القرن السادس عشر، بينما في القرنين السابع عشر والثامن عشر تعزَّزت ممارسته بفضل بروز مفاهيم الشخص والشخصية وتطوُّر أشكال جنس السيرة، كما كان من شأن التقدُّم المشهود خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، في مجال علم النفس، تعميقُ استكشاف الفردية والشخصية[٢]، فالبورتريه شكلٌ فنيٌّ مرتبط بمفاهيم الفردية والهوية الذاتية، وبالنفس البشرية ومقولات علم النفس.

وحين يحدث التفاعل بين الفنّ والأدب في سياقنا هذا، يحضر البورتريه في الأدب بوصفه «فرعًا من فروع كتابة الأنا يسعى فيه المؤلف إلى تعريف القرّاء بحقيقة ذاته وتقديم وصف شامل لنفسه لحظة الكتابة»[٣]، إلا أنَّ الفارق الجوهريّ بين البورتريه الفنيّ والبورتريه الأدبيّ يكمن في السؤال الذي يثيره كلٌّ منهما؛ إذ إنَّ الأول يطرح سؤال: «كيف أنا؟»، في حين أنّ الثاني يبحث عن إجابات لسؤال: «مَن أنا؟»[٤]، فالفنَّان مهتم بالكيفية أو الهيئة التي تتَّخذها ذاته، إلا أنّ

١- ويست (شيرر)، فن البورتريه: مجموعٌ غنيٌّ من الارتباطات والانتظارات النفسية والاجتماعية، تر: رضا الأبيض، مجلة نزوى: فصلية ثقافية (تصدر عن وزارة الإعلام في عمان)، العدد ١١٨، ٢٠٢٤م، ص١٧٢.

٢- يُنظر: ويست (شيرر)، فن البورتريه: مجموعٌ غنيٌّ من الارتباطات والانتظارات النفسية والاجتماعية، ص١٧٠-١٧٢.

٣- القاضي (محمد)، وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، ط١، تونس، ٢٠١٠م، ص١٩٩.

٤- See: Beaujour (Michel), 1984, Miror dencre, Paris, ed, Seuil نقلا عن القاضي (محمد)، وآخرون، معجم السرديات، ص١٩٩.

الأديب مهتم بماهية ذاته وخصائصها وسماتها وأحوالها، ولعل ذلك مَرَدُّه إلى أنَّ الفنان يهتم بالمظاهر والوضعيات والأشكال الجمالية، في حين أنَّ الأديب يهتم بجوهر الأمور وخباياها ومكنوناتها.

ولعلَّ التفاعل بين الفنّ والأدب ينبثق من وعي الأدباء بضرورة تغذية الجانب البصريّ؛ لاستمالة أصحاب الإدراك البصريّ إلى جانب أصحاب الإدراك السمعيّ، لاسيَّما في الشِّعر الذي -في الواقع- لا يتأسَّس على الموسيقى فحسب، بل تعاضد الصورةُ الموسيقى في جعل الشِّعْر شِعْرا.

ومن هنا حَظِي البورتريه بسَيْرورة من الفنّ إلى الأدب، مصحوبةً بصَيْرورة تمسُّ مبادئه أو نقاط ارتكازه، وتلك سَيْرورة ذات صلة بإشكالية تداخل الفنّ والأدب وتفاعلهما وتراسلهما؛ نتيجة التواشج والتقاطع في الغاية، مع اختلاف كلٍّ منهما في وسيلته.

ثانيا: البورتريه جنسا أدبيا وظاهرة:

يُعَد البورتريه أو الرسم الذاتيّ «جنسًا أدبيًّا قائم الذات»[١]، وهو شكلٌ من أشكال كتابة الأنا يقدِّم من خلاله الأديب تعريفًا لذاته الحاضرة لحظة الكتابة، ويخلع عليه محمّد الصّالح البوعمراني مصطلح «البورتريه السرديّ» ويعدُّه جنسًا أدبيًّا جديدًا عند العرب، وافدًا من الثقافة الغربية، ناتجًا عن تمازج فنون وأجناس أدبية شتَّى، ويأتي على شكلين ذاتيّ وغيريّ[٢]، ويمتاز بأنه مُتَعالٍ على التنميط، وغير خاضع لحدود أجناسية صارمة، كما أنّه قادر على الامتزاج بمختلف الأجناس

١- Beaujour (Michel)، 1984، Miror dencre، Paris، ed، Seuil، نقلا عن القاضي (محمد)، وآخرون، معجم السرديات، ص١٩٩.

٢- يُنظر: البوعمراني (محمّد الصّالح)، البورتريه السرديّ عند كمال العيّادي الكينغ وتوسيع دائرة الجنس، مجلة جامعة السلطان قابوس للآداب والعلوم الاجتماعية، المجلد ١٦، العدد ١، ٢٠٢٥ م..

الأدبية، وأخذ أسماء شتَّى[1]، ومن خصائصه العامة[2]:

- العناية بالوصف والمكان أكثر من السرد والزمان، وذلك وصفٌ ذو طابع تجزيئيّ يضع على عاتق المتلقي مهمة جمع قطع البازل وتنضيدها؛ للتعرُّف على صورة المؤلف.
- الثبات وتقديم الأنا جوهرًا مُطْلَقًا متجرِّدًا من الزمن، ما يُوهِم بمَنْحى شموليّ في رسم الذات.
- التجدُّد والتوسُّع والانفتاح على البحث عن الذات وتقديم إجابات جديدة لماهيَّتها؛ نظرًا إلى عدم اكتمال الإجابات السابقة.

لعلَّ تناقضا يبدو بين خَصيصَتَي الثبات والتجدُّد؛ انفتاحًا على إجابات لماهيّة الذات، إلا أنّي أرى كل خَصيصة تَصْدُق في لحظة ما من لحظات كتابة البورتريه، فالثبات يحضر أوانَ تجلِّي الأنا وكتابتها جوهرًا مطلقًا، في حين أنّ فعل الكتابة المفتوحة يكون أوان كل كتابة لاحقة لكل كتابة مُطْلَقة سابقة، وهذه الكتابة اللاحقة قد تنسف ما قبلها من ملامح للذات أو تعمِّقها وتتوسَّع فيها، فالمَسْعى الشُّموليّ المُطْلَق لا يتنافر مع كلّ مَسْعى تجدُّديّ لاحق له، ولَكَأنَّ المؤلِّف يواصل -في الواقع- محاولاته الحثيثة للتعرُّف على ذاته واستكشافها، وذلك من خلال ممارسة فعل كتابتها ورسمها بالكلمات.

ويضيف محمّد الصّالح البوعمراني إلى خصائص البورتريه السرديّ المرونةَ والامتداد؛ لكونه جنسًا أدبيًّا بَيْنيًّا ناشئًا عن تمازج فنون وأجناس أدبية مختلفة، علاوةً على كونه جنسًا أدبيًّا مستقبليًّا منسجمًا مع العقل السرديّ الرقميّ الجديد؛

١- القاضي (محمد)، وآخرون، معجم السرديات، ص١٩٩.

٢- See: Beaujour (Michel), 1984, Miror dencre, Paris, ed, Seuil نقلا عن القاضي (محمد)، وآخرون، معجم السرديات، ص٢٠٠.

نظرًا إلى انتقاله إلى الفضاء الرقميّ، فضلا عن انتمائه إلى الأشكال السردية الوجيزة، وتقاطعه معها في عدد من الخصائص[١]؛ كالتكثيف، والقِصَر، ووضوح البنية الخطاطية، والدفقة الشعورية الواحدة، والذاتية، والحكاية والأسلوب الأدبيّ، وتداخل التخييليّ بالمرجعيّ[٢]، فالمرجعيّة الواقعية طموح بعيد المنال لمؤلف البورتريه السرديّ.

وكان لتراكم الكتابات في البورتريه السرديّ دورٌ في الاعتراف به جنسًا أدبيًّا قائم الذات، ومن الإصدارات التي أسهمت في هذا التراكم، ومن ثَمّ الاعتراف: (وجوه مرّت بورتريهات عراقية) لعبدالرحمن الربيعي، و(ألاعيب الذاكرة بورتريهات) لسليمان فيّاض، و(هؤلاء عرفت) لعبدالفتاح أبو مدين، و(خمسون برتريه وبرتريه) لكمال العيادي الكينغ[٣].

ولا بد في هذا السياق من التفريق بين السيرة الذاتية والبورتريه السرديّ؛ نظرًا إلى ما قد يجري بينهما من خَلْط، فالسيرة الذاتية سردٌ لقصة حياة شخص ما وتاريخه على امتداد الزمن، أي أنها: «حكيٌ استعاديّ نثريّ يقوم به شخص واقعيّ عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركِّز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته، بصفة خاصة»[٤]، وأمَّا البورتريه السرديّ أو الرسم الذاتيّ فهو «محاولة لتقديم تحليل تأليفيّ يُعرِّف بالذات ولا يعتني بسرد أطوار حياة المرء بل يقوم عادةً على بنية منطقية تنتظمها مجموعة من القضايا والمواضيع ووجهات

١- يُنظر: البوعمراني (محمّد الصّالح)، البورتريه السرديّ عند كمال العيّادي الكينغ وتوسيع دائرة الجنس، ص ١٠ - ١١.
٢- المرجع نفسه، ص٥.
٣- المرجع نفسه، ص٣.
٤- لوجون (فيليب)، السيرة الذاتية: الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حلمي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٤م، ص٢٢.

النظر»[١]، وتكمن أبرز الفروقات بينهما في الآتي[٢]:

- النطاق الزمنيّ: تركِّز السيرة الذاتية على الأحداث الماضية، في حين يتمحور البورتريه السرديّ حول اللحظة الحاضرة، ففي السيرة يحاول المؤلف «الإجابة عن سؤال (مَن أكون؟) بواسطة حكي يكشف (كيف صرت كذلك)»[٣]، في حين أن مؤلف البورتريه يحاول أن يقدم وصفًا مطلقًا لذاته لحظة الكتابة كما لو أنّ هذه الذات الآنية تمثِّل جوهره وحقيقته المُطْلَقة.

- بين الوصف والسرد: يتمخَّض هذا الفارق عن الفارق الأول، ويتمثَّل في أنّ السرد غالبٌ على السيرة الذاتية، في حين أنّ الوصف هو الغالب على البورتريه السرديّ، وإنْ كان لا يخلو من سرد بعض الأحداث، بل لعلَّ السرد ضروريّ؛ ليتمكن البورتريه السرديّ من بلوغ غايته.

ورغم أنّ البورتريه السرديّ جنس أدبيّ قائم بذاته، وشكل من أشكال كتابة الذات، فإنَّه يحضر في أجناس أدبية أخرى بصفته «تقنية في الكتابة السردية» على حدّ تعبير محمّد الصّالح البوعمراني، فقد يحضر في الرواية أو القصة أو الشِّعر أو سواها، مع الإبقاء على الجنس الأدبيّ لكل منها، فلا يعمل توظيف تقنية البورتريه السرديّ على تحويل جنس أدبيّ ما إلى آخر[٤]، كما يذهب إلى تغيير المصطلح عند حضوره في الشِّعر ويعدُّه تقنية كتابة وآلية إخراج، مُقْتَرِحًا مصطلح «البورتريه الشعريّ»[٥].

١- القاضي (محمد)، وآخرون، معجم السرديات، ص٢٠٠.
٢- يُنظر: المرجع نفسه، ص٢٠٠-٢٠١.
٣- لوجون (فيليب)، السيرة الذاتية: الميثاق والتاريخ الأدبي، ص١١.
٤- يُنظر: البوعمراني (محمّد الصّالح)، البورتريه السرديّ عند كمال العيّادي الكينغ وتوسيع دائرة الجنس، ص٧.
٥- يُنظر: المرجع نفسه، ص١٢.

وتذهب جليلة طريطر إلى أنَّ أدب البورتريه «من الأجناس المكوِّنة لمنظومة أدب الذات في الأدب العربيّ الحديث»[١]، كما أنه -وفق رأيها- حاضر في الأدب العربيّ القديم، إذ تجده عند الجاحظ الذي رسم بورتريه البخيل مُبْرِزا ملامحه النفسية الداخلية ضمن سياق تاريخيّ اجتماعيّ، وعند أبي حيان التوحيديّ الذي رسم البورتريه الكاريكاتوريّ الغيريّ للوزيرين الصاحب بن عباد وابن العميد[٢]، ويذهب محمّد الصّالح البوعمراني إلى أنَّ ذلك لا يدخل في إطار البورتريه جنسًا أدبيًّا قائمًا بذاته، إنَّما هي عند الجاحظ والتوحيديّ تقنية من تقنيات الكتابة السردية[٣]، ولعلِّي أذهب إلى أنَّ تصنيفَ الأدب في إطار البورتريه السرديّ جنسًا أدبيًّا مرتبطٌ بوعي الأديب بذلك لحظة الكتابة، كما هو الحال في الإصدارات المتراكمة المذكورة سَلَفًا.

ولمَّا كان البورتريه الشِّعْريّ مُتمخِّضًا عن التفاعل بين الأجناس الأدبية، فبإمكاننا الذهاب إلى أنَّ البورتريه الشعريّ وجهٌ من وجوه التَّناص الذي يكون بحلول جنس أدبيّ في جنس أدبيّ آخر؛ ذلك أنّ «العلاقة بين مفهوم تفاعل الأجناس الأدبية ومفهوم تداخل النصوص متينة، وهو ما حدا بالعديد من النقَّاد والمهتمين بقضايا النظرية الأدبية إلى اعتبار التَّناص مرحلة لازمة في البحث في شعرية الأجناس»[٤]، فكما تحِلُّ النصوص في بعضها وتتداخل، كذلك تحلُّ الأجناس الأدبية في بعضها على سبيل التفاعل والتداخل والتمازج.

١- طريطر (جليلة)، أدب البورتريه: النظرية والإبداع، دار محمد علي للنشر، ط١، صفاقس، ٢٠١١م، ص١٤٠.

٢- يُنظر: المرجع نفسه، ص١٤١-١٤٢.

٣- يُنظر: البوعمراني (محمّد الصّالح)، البورتريه السرديّ عند كمال العيّادي الكينغ وتوسيع دائرة الجنس، ص١٢.

٤- عروس (بسمة)، التفاعل في الأجناس الأدبية: مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة، مؤسسة الانتشار العربيّ، ط١، بيروت، ٢٠١٠م، ص١١٠.

كما أذهب إلى أنّ التداخل والتفاعل بين الشِّعر والسرد ينطلق من بواعثَ متعدِّدة، لعلَّ أهمَّها العقل البشريّ السرديّ؛ الذي يحمل الشعراء على توظيف التقنيات السردية في الشعر، فبالعقل السرديّ «نفكّر وبه نحيا ونتواصل ونكتب نصوصنا الأدبية الفذّة، وبه نفهمها ونفكّكها»[1] من وجهة نظر عرفانية، كما أنّ «السردية العامة تعتبر مبدأ مُنظِّمًا لكل خطاب» وفق مشروع غريماس[2]، ناهيك عن وعي الشعراء بحاجتهم الفطرية إلى الحكي، علاوةً على إدراكهم تعطُّشَ المتلقِّي إلى القصة التي من شأنها إشباع حاجات نفسية لديه؛ فهي وسيلة لاستمالة المتلقّي وتحقيق التأثير، ناهيك عن نزوعهم إلى التجديد والتنويع والتجريب في أساليب التعبير وآليات الكتابة.

وإذا ما تأمَّلنا فكرة نقاء الأجناس الأدبية لوجدنا أنَّها فكرة ابتدعها نُقَّاد الأدب؛ بُغْية الدراسة والتصنيف وتحديد الخصائص ورصد الجماليات الناتجة عن الانزياح وهلمَّ جرًّا، ثمَّ عمد الشعراء إلى إذابة الحدود بين الأجناس الأدبية، ومزجها ببعضها على سبيل التجديد والتجريب والإبداع، حتى «أصبح من البديهيّات لدى دارسي الأجناس الأدبية ونماذج الخطاب أنْ ليس هناك جنس أدبيّ نقيّ لا تشوبه شائبة»[3].

وهكذا نجد أن البورتريه حظِي برحلة من الفن إلى الأدب، فوَلَج إليه بصفته جنسًا أدبيًّا سرديًّا قائمًا بذاته، وقد أسهم في تعزيز حضوره والاعتراف به جنسًا أدبيًّا تراكمُ الكتابات الأدبية فيه، إلا أنَّه وجد لنفسه مَداخِل إلى الأجناس الأدبية الأخرى، كالرواية والقصة والشِّعر، متفاعلاً ومتمازِجًا، انطلاقًا مِن أنَّ «التهجين

١- يُنظر: البوعمراني (محمّد الصّالح)، العقل السرديّ: مدخل إلى السرديات العرفانية، منشورات مسكلياني، ط١، تونس، ٢٠٢٣م، ص٣٨٠.

٢- مفتاح (محمد)، تحليل الخطاب الشعريّ: استراتيجية التناص، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، ط٣، ١٩٩٢م، ص١٥٠.

٣- المرجع نفسه، ص١٤٩-١٥٠.

دائما وسيلة فعّالَة في دينامية النقلات الكبرى بين الأشكال المختلفة»[١]، وحين يدخل البورتريه السرديّ فضاء الشِّعر فنحن إزاء تقنية في الكتابة الأدبية ليس إلا، وقد يُطلق عليها مصطلح مختلف يُدْعى (البورتريه الشعريّ)، ويُطرح ذلك للنقاش في المَبْحَث الآتي.

ثالثًا: البورتريه الشِّعْريّ:

يأتي البورتريه الشِّعْريّ باعتباره وجهًا من وجوه التداخل والتفاعل اللافت بين السَّرد والشِّعر، وذلك مِن مُنْطَلَق أنَّ «السَّرد قابلٌ للاندساس في كافَّة أشكال التعبير، وأنَّ الشِّعر مُهَيَّأ بطبيعته لصَهْر كل عنصر طارئ عليه في بنيته وتحويله إلى صورة من صور اللغة الشعرية»[٢]، فهو ثمرة تلاقحٍ خلَّاقٍ بين السَّرد والشِّعر، ومن شأنه أن يكشف عن مرونة كلٍّ منهما، وعنً مدى تواشجهما، وقابليتها للتَّراسُل.

وفيما يتصل بالمصطلح، فلم يرد مصطلح البورتريه السرديّ أو الشعريّ في معجم السرديات، إلا أنه ذكر مصطلح الرسم الذاتيّ مقابلا للمصطلحين الأجنبيين Autoportrait وSelf-Portrayal، وبالإمكان ترجمة الأول كذلك إلى الصورة الشخصية أو الصورة الذاتية أو اللوحة الذاتية، كما بالإمكان ترجمة المصطلح الثاني إلى التصوير الذاتيّ أو التمثيل الذاتيّ، فالأول يتصل بما هو بصريّ، في حين أنّ الثاني أعمّ؛ إذ قد يشتمل على كتابة الذات أو رسمها أو نحتها أو مختلف أشكال التعبير عنها. يُلحظ أنّ مصلح الرسم الذاتيّ لا يتضمَّن على مفردة (سرد) أو (سرديّ)، إلا أنّ وجوده ضمن إطار معجم السرديات؛ يُنْبِئ عن انتمائه السرديّ.

١- فضل (صلاح)، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، ط١، بيروت، ١٩٩٥م، ص١٠٠.

٢- النصري (فتحي)، السرديّ في الشعر العربيّ الحديث: في شعرية القصيدة السردية، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط٢، تونس، ٢٠٢٠م، ص٣٣٠.

ويبدو أنّ معجم السرديات تَخيَّر مصطلح (الرسم الذاتيّ) دونًا عن تلكم البدائل، انطلاقًا من ثلاثة بواعث؛ أمَّا الأول فلعلَّه التمسُّك بالمصطلح العربيّ، وأمَّا الثاني فلعلَّه تخيُّر اللفظ الذي يُحيل على فعل الرسم بشكل مباشر ويربط المصطلح بالمفهوم الفنيّ الذي استعاره الأدب، وأمَّا الثالث فلعلَّه التركيز على المصطلح الشموليّ العام للأنا، فانتقى الذات دون الشخص مضيفًا ياء النسب، وقد جاء في تعريفات الجرجاني أن «الذاتيّ لكل شيء: ما يخصُّه ويميِّزه عن جميع ما عداه، وقيل: ذات الشيء نفسه وعينه... والفرق بين الذات والشخص أنّ الذات أعم من الشخص»[1].

إلا أنَّ الدارسين كانت لهم مذاهبُ شتَّى في استصفاء المصطلح، فقد انتخبت منى أبو الوفا مصطلح (الصورة الشخصية) عِوَضًا عن الرسم الذاتيّ، وسوَّغت ذلك بإحالة المصطلح المُنتخَب في وعي القارئ على أشخاص واقعيِّين، لا الشاعر نفسه[2]، ما يتناسب مع مَرْمى دراستها، إذ قدَّمت دراسة لبورتريهات شعرية غيرية، غير ذاتية.

على الضِّفة الأخرى، اصطلح محمّد الصّالح البوعمراني على (البورتريه السرديّ)[3] للجنس الأدبيّ السرديّ المعنيّ برسم صورة الذات أو الغير، في حين اصطلح على (البورتريه الشعريّ)[4] للتقنية السردية التي تعمل على رسم ملامح الذات أو الآخر في الشعر، ولعلَّ البوعمراني تخيَّر مصطلح البورتريه

١- الجرجاني (علي بن محمد)، معجم التعريفات، تحقيق محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت)، باب الذال مع الألف.

٢- يُنظر: أبو الوفا (مني سعيد عبده)، البورتريه: صورة الشخصية في شعر حلمي سالم، مجلة البحث العلميّ في الآداب: اللغات وآدابها (تصدر عن جامعة عين شمس)، المجلد ٢٣، العدد ٠٥، ٢٠٢٢م، ص٣٨.

٣- البوعمراني (محمّد الصّالح)، البورتريه السرديّ عند كمال العيّادي الكينغ وتوسيع دائرة الجنس، ص١٠.

٤- المرجع نفسه، ص١٢.

السرديّ؛ لجمعه بين عنصرين لفظيَّين أحدهما ينتمي إلى الفن، والآخر ينتمي إلى السرد؛ ما فيه إيضاح لكونه تركيبًا مُتمخِّضا عن التفاعل والتمازج بين ما هو فنيّ وما هو سرديّ.

ولعلِّي أنزع إلى مصطلحي (البورتريه السرديّ الشعريّ) أو (البورتريه السرديّ في الشعر)، لاسيَّما الأول؛ لما فيهما من إيضاح للتفاعل والتداخل بين الفنيّ والشعريّ والسرديّ، فالمصطلحان جامعان للأبعاد الثلاثة، إلا أنَّ البورتريه الشعريّ قد يكون أكثر اختصارًا وخفَّة وسلاسة في الاستخدام؛ ما حدانا إلى الاصطلاح عليه في هذه الدراسة رغم إغفاله علاقة المصطلح بالسَّرد.

وإنْ كان محمّد الصّالح البوعمراني ذهب إلى أنّ البورتريه الشعريّ يمثِّل تقنية في كتابة القصيدة وإخراجها، فلعلّي أجنح إلى كونه ظاهرة من الظواهر الثاوية في الشِّعرية المُعاصِرة ولها تقنياتها، وتحديدًا في الشعر التعبيريّ ذي الطابع الدراميّ والطابع الغنائيّ الذاتيّ[١]، حتى أنَّ باسكال روي يذهب إلى أنَّه « كان على جورج ميش، في بحثه الكبير عن أصول السيرة الذاتية، أن يضع في الحُسْبان مجموعة كبيرة ومتنوعة من الكلام، بَدْءا من الشعر الغنائيّ والتأمُّل الفلسفيّ وحتى روايات الإنجازات»[٢]، فثمَّة تقاطعات بين السيرة الذاتية والشعر الغنائيّ اللَّذَيْن يتقاطعان مع البورتريه الشعريّ بطبيعة الحال، وسيكشف عن ذلك لاحقًا تحليلُ قصائد أمل السهلاوي، في حين أنَّ أدوات رسم البورتريه الشعريّ هي ما أقترح تسميتها بتقنيات أو آليات في كتابة القصيدة وإخراجها، وبتوظيفها تتشكَّل في الشِّعْر ظاهرةُ البورتريه الشعريّ.

١- يُنظر سلَّم أساليب الشعرية المعاصِرة ومصطلحاته: فضل (صلاح)، أساليب الشعرية المعاصرة، ص٣٤-٣٥.

2- Pascal (Roy), Design and Truth in Autobiography, Routledge Taylor & Francis Group, E1 (of new edition) London and New York, 2016, p2.

وفيما يتَّصل بالمفهوم، يحضر البورتريه الشعريّ حين يكون الإنسان موضوعًا للحكي في الشِّعْر، وكل نص شعريّ يمثِّل «رسالة تحكي صيرورة ذات»[1] وفق تيار السرديين، ويذهب صلاح فضل إلى أنّ الحكي في الشعر يدخل في إطار «تشعير السرد» الذي يقوم على «بناء الوحدات السردية بطريقة شعرية تتجاوز مستوى الحكاية ببنيتها السببية والمنطقية لتُقيم تفاعلا ديناميكيًّا عبر بناء المنظور بحدقة الشاعر لا القَصاص»[2]، في حين أذهب إلى أنّه يدخل في إطار «تسريد الشعر»؛ فهو شعرٌ يُكتب بتقنيات سردية.

جدير بالذكر أنَّ البورتريه الشعريّ لا يتطلَّب ميثاقًا أجناسيًّا، كما هو الحال في السيرة الذاتية مثلا أو في جنس البورتريه السرديّ، إنَّما القراءة الواعية للنصوص تجعلنا نستشفّ وجود البورتريه الشعريّ وتقنياته في قصائد الشاعر؛ ذلك أنَّ البورتريه الشعْريّ غير قَصْديّ، على نقيض البورتريه السرديّ جنسًا أدبيًا؛ حيث يكون رسم الصورة الذاتية أو الغيرية مقصودًا، وفق تصريح المؤلف أو وفق ما تُنْبِئ به العتبات النصية، فالشاعر غالبًا لا يقصد رسم ملامحه الذاتية أو ملامح الغير، إنما يعبرِّ عن مكنوناته وانفعالاته وانطباعاته ورؤاه، فيتخلَّق في خضمِّ ذلك البورتريه الشعريّ بأشكاله المتعدِّدة.

وأمَّا أشكال البورتريه الشعريّ، فتتبنَّى الباحثة الشَّكلين الخاصَّين بالبورتريه السرديّ جنسا أدبيًّا، البورتريه الذاتيّ والبورتريه الغيريّ[3]؛ وتضيف إليهما البورتريه الغيريّ الذاتيّ الذي يرسم من خلاله الشاعر صورته الشخصية، بينما يرسم الصورة الشخصية للغير أو يُوهِم بذلك.

١- Laurent jenny، «Le poetique et le Narratif» in poetique No 28 1976، PP. 440-449. نقلا عن مفتاح (محمد)، تحليل الخطاب الشعريّ: استراتيجية التناص، ص١٤٩.

٢- فضل (صلاح)، أساليب الشعرية المعاصرة، ص٩٢.

٣- يُنظر: البوعمراني (محمّد الصّالح)، البورتريه السرديّ عند كمال العيّادي الكينغ وتوسيع دائرة الجنس، ص١٠.

وفيما يتَّصل بتقنيات أو أدوات تشكيل البورتريه الشعريّ، فتعتمد الباحثة تقنيتي الوصف والسرد اللَّتَيْن اقترحَهُما معجم السرديات[1]، وتُضيف إليهما الحوار، بشِقَّيْه الخارجيّ والداخليّ (الديالوج والمونولوج)؛ ذلك أنه يأخذ على عاتقه مهمة الكشف عن ملامح الشخصيات وتَجْلِيَة أفكارها ومشاعرها ومنازعها. فلمَّا استعار الشِّعرُ المفهومَ من السَّرد، كان له أن يستعير للبورتريه الشعريّ من أشكال البورتريه السرديّ وتقنياته ما يَصْدُق عليه ضمن باقة واحدة.

ومن هنا البورتريه وجه من وجوه تفاعل الفن مع الأدب؛ إذ حظي بسيرورة لازمتها صيرورة تمسُّ طبيعتَه والسؤالَ المطروح للإجابة في كل ميدان، فكان في الفنّ شكلا من أشكال الرسم، ثمَّ في السرد جنسًا أدبيًّا قائما بذاته يُسمَّى بالبورتريه السرديّ، ثمَّ في الشِّعْر ظاهرةً شعرية مع تغيير الاصطلاح إلى البورتريه الشعريّ، وإنْ كان ليس المصطلح الأدقّ، إلا أنه أكثر اختصارًا وخفَّة في الاستعمال.

وتذهب الباحثة إلى أنَّ البورتريه الشِّعْريّ ظاهرة ثاوية في الشِّعْرية المُعاصِرة، وتحديدًا في الشعر التعبيريّ، الدراميّ منه والغنائيّ الذاتيّ، ويجيء على ثلاثة أشكال وفق الكيان المرسوم؛ فإمَّا أن يكون ذاتيًّا أو غيريًّا أو غيريًّا ذاتيًّا؛ يُوهِم برسم الغير في حين يرسم الذات، ويتم تشكيل البورتريه الشعريّ بعدد من التقنيات؛ لعل أبرزها السرد، والوصف، والحِوار بشِقَّيه الخارجيّ والداخليّ.

أشكال البورتريه الشِّعْريّ في شِعْر أمل السهلاويّ:

كما يتقاطع البورتريه السرديّ مع السيرة الذاتية، فإنه يتقاطع كذلك مع السيرة الغيرية، فيأتي على شكلين، بورتريه سرديّ ذاتيّ وبورتريه سرديّ غيريّ، ليتشكَّل لدينا بورتريه يرسم صورة ذات الأديب، وبورتريه آخر يرسم صور ذوات شخصيات أخرى لها حضورها في حياة الأديب أو شخصيات عامة

١- يُنظر: القاضي (محمد) وآخرون، معجم السرديات، ص٢٠٠-٢٠١.

مؤثِّرة، إلا أنها قد تكون بشكل أو بآخر انعكاسًا لذات الأديب، فلَكأنَّها قناع فنيّ يرسم الأديب من ورائه ملامح ذاته التي قد تطابق أو تناقض، ويكون على المتلقِّي السبر والاستكناه والتحليل؛ للتوصُّل إلى إجابات أو ربما افتراضات بهذا الشأن.

ولَمَّا كان البورتريه السرديّ شكلاً من أشكال الكتابة المفتوحة المتجدِّدة، القائمة على تقديم وجهات نظر ورؤى تخصُّ الأديب عن ذاته في البورتريه السرديّ الذاتيّ، وعن غيره في البورتريه السرديّ الغيريّ، ولَمَّا كان ذا طابع انتقائيّ في سرد المواضيع المُعبِّرة عن الذات، فسيظلُّ هناك اختلاف بين الذات المرجعية الواقعية والذات النصية التي لا بدَّ أنْ يكون لها نصيبٌ من التخييل.

وكما ذهبنا إلى إسقاط بعض خصائص البورتريه السرديّ جنسًا أدبيًّا على البورتريه الشعريّ ظاهرةً في أسلوبية الشِّعرية المُعاصِرة، فلعلَّنا نذهب إلى إسقاط أشكاله كذلك، فيكون لدينا بورتريه شعريّ ذاتي، وبورتريه شعريّ غيريّ، ونضيف إليه البورتريه الشعريّ الغيريّ الذاتيّ الحاضر في الشِّعر، لاسيَّما في شعر أمل السهلاوي[1]، ويقوم على رسم ملامح الذات من خلال رسم الآخر؛ مراوغةً وإيهاما وتَلاعُبا بالضَّمائر.

نستشرف في هذا المبحث كلَّ شكل من الأشكال الثلاثة في شعر السهلاوي، عبر تحديد نموذج طرازيّ، فضلا عن استشراف قصيدتين يصْدُق عليها كلُّ شكل عبر تحليل مُجْمَل، وتقديم إشارات حول قصائد إضافية، ونَعْمَد أثناء ذلك إلى تسمية القصائد بمَطالِعها؛ نظرا إلى أنَّ الشاعرة لا تمنح قصائدها عناوين، تاركةً المُهمَّة للمتلقِّي؛ وذلك ضمن إطار مشاركته في كتابة النصِّ تأويلا وعَنْوَنة. يُبسط ذلكم أدناه:

١- شاعرة إماراتية شابة من إمارة الشارقة. حاصلة على بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة الشارقة. لها حضور وتأثير في الساحة الثقافية عبر الأمسيات الشعرية وعبر مواقع التواصل الاجتماعيّ، لاسيما حسابها في انستغرام، حيث تشارك كتاباتها مع القارئ العربيّ على مدار الساعة. عُرِفت بتقديم قضايا نسوية ووجودية وإنسانية معاصِرة في أدبها الذي يخاطب الإنسان المعاصِر ويلامس وَجدانه.

أولاً: البورتريه الشعريّ الذاتيّ:

لعلَّ النزعة الذاتية اللافتة في قصائد أمل تحملنا على الافتراض بأنّ البورتريه الشعريّ الذاتيّ هو الأبرز، حتى يكاد يشكّل ظاهرة في شعرها، ويمكننا من خلاله استشفافُ ملامح صورتها، وهذا ما يؤكِّده استنطاق شعرها والتأمُّل فيه.

ويتجلَّى ذلك في قصيدة «أكاد أُجنُّ من فرطِ اندفاعي»[١] حيث ترسم الشاعرة البورتريه الشعريّ الخاصّ بها مستعينةً بأداتَي الوصف والسَّرد، وتُغْرِق في استخدام ضمير المتكلِّم بالصيغَتَين: (أنا) و(ياء المتكلم)، بشكل لا يترك مجالا للشكّ بشأن ذلك، فلَكأنّ ضمير المتكلِّم ميثاق بين الشاعرة والمتلقّي حول الذات المرسومة في القصيدة، ويتجلَّى ذلك في الدراسة المُفْرَدة لهذه القصيدة الطرازية في المبحث القادم. كما يتجلّى البورتريه الذاتيّ في قصائد أخرى من شعر السهلاوي، مثل:

قصيدة «قد قيل لي وجهٌ بريء»[٢]:

ترسم الشاعرة في القصيدة صورتها الذاتية الساذجة المُحِبَّة للحياة، رغم شقائها في فهم حقيقة الحياة وعجزها عن نَوال نصيبها منها، وذلك من خلال الوصف، نحو عبارة: «وجهٌ بريء» التي تكرَّرت مرتين، و«فمٌ غبيّ»، والجملة الاسمية «وجهي مستمرٌ في الحياة»، علاوةً على السرد الآنيّ المتزامن مع اللحظة الحاضرة عبر استخدام الفعل المضارع، نحو: «وجهي الذي يترقَّبُ الأيام»، و«يُقبِّل الأيام.. يضحكُ.. أو يغنِّي»، وإنْ كان يبدو أنّها ترسم الوجه الجسديّ عند ذكر الوجه والفم، إلا أنها تمنحهما سمات وملامح نفسية؛ فالوجه مرآة لما يعتمل في أعماقها من معاناة خفية.

١- السهلاوي (أمل)، حساب الشاعرة في انستغرام، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/CxD7dgTSmR5/?igsh=MWZ1bG16NjA2Ymw1NA%3D%3D

٢- السهلاوي (أمل)، كان عليَّ أن أؤجِّلك، رواشن للنشر، ط١، الإمارات، ٢٠٢١م. ص٦٨.

ولعلَّ القصيدة بأكملها تُجسِّد مونولوجا داخليا هو في جوهره تيارُ وعي، وتقدِّم الشاعرة من خلاله مشاعرها وتصوُّراتها الإنسانية الناشئة باسترسال وعشوائية، أوانَ تدفُّقها، من غير غربلة أو تنقيح أو إعادة تنظيم، ولعلّ الشاهد على ذلك عبارة «فمٌ غبيّ»؛ ما يمنحها طابعا حميميا ويجعلها أدْعى للتأثير في المتلقي.

قصيدة «أتفهم قصدي»[1]:

يُرى في القصيدة (وجه امرأة مخذولة تنهشها الخيبة)، وتُرسم ملامحها عبر السَّرد اللاحق والسَّرد السابق، بالفعل الماضي والفعل المضارع مضافةً إليه سين الاستقبال، ومن الأفعال السردية الماضية: «سكتُّ»، و«طالَ صمتي»، وصرختُ بلا أيِّ صوت»، فضلا عن: «لقد خذلتْني الحواراتُ جدا»، وأقصَتْني اللغةُ الدارجةْ»، وأما السَّرد الاستشرافيّ؛ فقد جاء مرةً واحدة في نهاية القصيدة على هيئة قرار يرسم قَسَمات الذات في المستقبل، ويتمثَّل في: «لذا سأثرثرُ بالسردِ حينًا.. وحينًا بضحكتيَ الساذجةْ».

كما تخلَّلت السردَ عباراتٌ وصفية، مثل: «ودمعٌ ثقيلٌ يبلِّلُ كلَّ البياض»، وتُضاف أداة الاستفهام الانفعاليّ الماثلة في عبارة: «أتفهم قصدي؟»، والتي تكرَّرت ٣ مرات في مطلع كل مقطع من مقاطع القصيدة، مُعمِّقةً النبرة الخائبة للذات، ويأتي الاستفهام ضمن أداة رابعة تتجسَّد في الحوار؛ فالقصيدة برمَّتها حوار داخليّ وتيّار وعي مُتَداع تتوجَّه به الشاعرة إلى مخاطَب عام مُطْلَق لا ترجو منه إجابات، إنَّما تبتغي من تداعيها الحر التَّعبير والتَّنفيس بصيغة درامية يتمخَّض عنها البورتريه الشعريّ لذات خذلتها الحوارات العقيمة وهمَّشتها الأحاديث العادية التي لا تُطرب الشعراء ولا تمنحهم فرصة للتجلِّي.

١- السهلاوي (أمل)، كان عليَّ أن أؤجِّلك، ص٢١.

ولا ينفكّ البورتريه الذاتيّ يتكرَّر في قصائد شتَّى للسهلاوي، ومنه على سبيل المثال، لا الحصر: بورتريه (الذات العاشقة للوطن) في قصيدة «سهرتُ كثيرًا»[١]، وبورتريه (الذات المهمَّشة الناقمة) في قصيدة: «سَل الساعات عن أرقي»[٢]، وبورتريه (الذات الساهرة الحَيْرى) في قصيدة «أعدُّ الخِراف.. أعدُّ الخطايا.. أعدُّ الزمنْ»[٣]، وبورتريه (الذات النامية من خلال الألم) في قصيدة «اجرحوني.. فكلُّ جرح سيبرى»[٤]، إضافةً إلى بورتريه (الذات النقية الساذجة) في مُقطَّعة «يذوبُ عليَّ فمي كلُّ الكلام»[٥]، علاوةً على بورتريه (الذات الحالمة الشجاعة) في مُقطَّعة «ولديَّ أحلامٌ.. لَديَّ حكايةٌ»[٦]، وبورتريه (الذات الحزينة الساهرة) في مُقطَّعة «أنا التي صدَّقوا بالأمس بهجتها»[٧]، فضلا عن قصائد ومقطَّعات كثيرة قد تُرجِّح كون البورتريه الشعريّ الذاتيّ هو الشكل الغالب في شعر أمل السهلاوي التي امتازت بنزوعها الذاتيّ، لاسيّما أنّ كتابات الأنا «أكثر الأنواع الأدبية تمثيلاً في الأدب النسويّ»[٨]، ومِن ثَمَّ يكاد الافتراض يصدُق،

١- المصدر نفسه، ص٢٩.

٢- المصدر نفسه، ص٥٣.

٣- السهلاوي (أمل)، كان عليَّ أن أؤجِّلك، ص٦٤.

٤- السهلاوي (أمل)، حساب الشاعرة في انستغرام، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/CegkS8pMVwL/?igsh=MTQ2eDA1dWZ0bTJzaw%3D%3D

٥- المصدر نفسه، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/CegkS8pMVwL/?utm_source=ig_web_button_share_sheet

٦- المصدر نفسه، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/ChcYYPRL9Q2/?igsh=MWQ5ZXQxMnhocDVoaA%3D%3D

٧- المصدر نفسه، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/Chg9pbsLgus/?igsh=cmV4dHZiOXllejM3

٨- جبّار (سعيد)، وآخرون، كتابة الأنا بين المرجعيّ والتخييليّ: من السيرة الذاتية إلى التخييل الذاتيّ (نصوص مترجمة)، تر: توفيق الستيتي وآخرون، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، عمَّان، ٢٠٢٢م، ص١٠ (مقدمة فريق الترجمة).

ونكاد نذهب إلى ترجيح أنَّ البورتريه الذاتيّ يشكِّل ظاهرة لافتة في شعر أمل السهلاوي؛ نظرًا إلى النزعة الذاتية العالية التي نتلمَّسُها في شِعْرها وتؤكِّدها هذه النماذج.

ثانيًا: البورتريه الشعريّ الغيريّ:

يحضر كذلك البورتريه الشعريّ الغيريّ في قصائد السهلاوي، إلا أنَّه وفق الاستقراءات والملحوظات لا يشكِّل ظاهرة، فهي مجرَّد نصوص محدودة، ومنها قصيدة «وصايا إلى أمي» التي مَطْلَعها «اتركيني أحاورُ الأشياء»، وهي القصيدة الوحيدة التي تمنحها الشاعرة عنوانًا، وترسم من خلالها ملامح وجهين، هما وجه الشاعرة إلى جانب وجه أمّ الشاعرة، مُبرِزةً التَّناقضات والفوارق بينهما، أو ربَّما انعكاسات كل منهما في مرآة الأخرى، ولعلَّ ذلك يظهر منذ القراءة الأولى للقصيدة من خلال ضمائر المتكلِّم والمُخاطَب، وإنْ كانت ملامح الذات أَجْلى من ملامح الأم، كما هو ظاهر في الدراسة التفصيلية للقصيدة في المبحث اللاحق. ونجد نماذج للبورتريه الغيريّ في بعض قصائد أمل، مثل:

قصيدة «أراقبُهمْ يعْبُرونَ الحياة»[1]:

يُرسَم البورتريه الغيريّ في النص، لوجوه القُساة الجامدين، وهي وجوه عامَّة غير محدَّدة، إلا أنّها على ما يبدو وجوه لشخصيات مُهِمَّة، بشهادة قولها: «يَعْبُرونَ الحياةَ كخَطبٍ جَلَلْ»، ويجري رسم بورتريه الوجوه الجامدة القاسية من خلال صوت الراوي العليم الذي ينظر إلى الحكاية من الأعلى قائلا مرّتين «أراقبُهم»، إذ افتتحت الشاعرة بعبارتها الجملتين الأولى والثانية؛ مُوحِيةً بأهمية ما يُقال بعدها وبدِقَّته.

١- السهلاوي (أمل)، كان عليّ أن أؤجِّلك، ص٣٦.

وتوظِّف الشاعرة كذلك أداة الوصف التي تتجلَّى في النعوت، نحو: «مُملُّون»، و«قُساة»، فضلا عن الجُمَل الوصفية التي تصف دَأْبهم وأحوالهم، مثل: «إذ يرَوْنَ السَّحابْ.. ولا يشعرونَ ببعض الأملْ»؛ فهم ذوو أرواح جامدة لا تشعر بالحياة من حولها ولا تستبشر بكرم الطبيعة، ومثل: «إذا أمطرتْ.. يجمعون الثيابْ.. يخافونَ حدَّ الجنونِ البَلَلْ»؛ فهم حريصون على أناقتهم كل الحرص، هاربون من الغيث، وغير قادرين على الاستمتاع بالأفراح والمَسَرَّات الصغيرة، علاوةً على التشبيه المتمثِّل في «كمن وُلِدوا من جَبَلْ»، فقلوبهم جامدة كالجبال الصخرية التي لا يحرِّكها شيء، ومن هنا فالشاعرة ماضية في الوصف المُسرَّد لسمات وأحوال هذه الشخصيات؛ حتَّى يتشكَّل من خلاله البورتريه الغيريّ لوجوه عامَّة مُطْلَقة تجمعها القسوة والجمود، فضلا عن الأهمية والمكانة.

قصيدة «مُذْ جئتَ تضحكُ للحياةِ ملأتَها»[1]:

ترسم الشاعرة من خلال المُقطَّعة صورة الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم بالتزامن مع يوم ميلاده، وذلك عبر السَّرد السَّابق لزمن الكتابة باستخدام الأفعال، مثل: «مذ جئتَ تضحكُ للحياة ملأتَها.. ثقةً بأنَّ الفوزَ للحلم البهي»، و«أسرجتَ خيل الأمنياتِ مسابِقا»، و«وأخذتَنا لغدٍ.. نحبُّ ونشتهي»، و«جعل البلادَ قصيدةً لا تنتهي»، كما ترسم صورته عبر السرد الآنيّ المزامِن لزمن الكتابة، نحو: «تبدو بسعيكَ في الطريقِ كواحد»، و«ويعيش داخلكَ الوجودُ ويزدهي»، ناهيك عن الجُملة الاسمية الوصفية المتمثِّلة في «ومحمَّدٌ لدبيّ قصةُ شاعرٍ».

ومن تضافر السَّرد والوصف نجمع قطع البازل لملامح الشيخ محمد بن راشد؛ ليتشكَّل لدينا البورتريه الشعريّ لشخصية (الفارس الوطنيّ المتفرِّد) الذي سابق

١- السهلاوي (أمل)، حساب الشاعرة في انستغرام، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/CgBwtHvrBvN/?igsh=MXJxcG5nZjRzaXgyag%3D%3D

الزّمن بأهدافه التنافسية، حتى جعل وطنه وإمارته في بهاء القصيدة، وفي منزلة متقدِّمة تتقاطع مع تطلُّعات شَعْبه وآمالهم.

كما تُشكِّل الشاعرة بورتريهات غيرية أخرى، إذ ترسم للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -طيَّب الله ثراه- بورتريه (القائد المُحبّ الطَّموح) في مُقطَّعتها «قد جئتَ ضحكة فجرٍ كيف نُنْكِرُها»[1]، علاوةً على بورتريه (المرأة الخليجية)، على إطلاقها، في مُقطَّعتها «كلُّ عامٍ وكيدُكنَّ عظيمُ»[2].

ومن هنا يتبدَّى لنا أنّ البورتريه الغيريّ في شعر السَّهلاوي غالبا ما يتناول شخصية معروفة وبارزة، أو شخصيات عامة مُطْلَقة، كما يأتي دائمًا في نصوص وجيزة، وقد يرتبط بمناسبات أو أحداث اجتماعية محدَّدة، ولعلَّ أبرز ما توصلنا إليه هنا يتمثَّل في أنَّ البورتريه الغيريّ محدود لدى السَّهلاوي، فلا يشكِّل ظاهرة في أشعارها، لاسيّما أن يد الباحثة لا تقع عليه إلا بعد بحث طويل، على عكس البورتريه الذاتيّ الحاضر بغزارة في شعرها.

ثالثًا: البورتريه الشعريّ الغيريّ الذاتيّ:

نُضيف هذا الشكل الثالث إلى ما اقترحه محمّد الصّالح البوعمراني من أشكال للبورتريه السرديّ أو الشعريّ، فهو شكلٌ حاضر في شعر السَّهلاوي، وربَّما في كتابات الشَّواعر عمومًا، ويقوم على رسم البورتريه الذاتيّ من خلال الإيهام برسم بورتريه غيريّ، ويُعاضد عملية الكتابة إيرادُ إشاريّات مُلْبِسة؛ ذلك أنّ التخييل الذاتيّ عند المرأة «ممارسة نصية تفسح المجال أمامها لتطوير خُدَع

١- السهلاوي (أمل) حساب الشاعرة في انستغرام، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/CITn0PsHbCh/?igsh=MXM5bDQ0eml2a2Rxag%3D%3D

٢- المصدر نفسه، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/Chy0DY8Lycm/?igsh=MWdndjJqOTQzdGduZA%3D%3D

المُضْمَر وخُدَع المقول دون الظهور بمظهر القائل»[١]؛ فالمرأة أكثر جنوحًا إلى المُوارَبة والمُخاتَلة والإضْمار عند التَّعبير عن ذاتها انطلاقًا من الخوف أو الحذر أو الخجل، أو ربَّما افْتِتانًا بالتَّلاعب اللغويّ.

ويَكْمُن الفرق بين البورتريه الشعريّ الغيريّ، والبورتريه الشعريّ الغيريّ الذاتيّ في أنَّ الأول يرسم بوضوح ملامح الغير الذي قد يتشابه أو يتنافر أو لا تربطه صلة بذات الشاعر، إلا أنَّ الثاني يُوهِم برسم الغير في حين أنَّه في الواقع يُمارِس رسم الذات، فلَكأنَّها لعبةٌ باللُّغة وضمائرها، فيُوحي للمتلقِّي أنَّ القصيدة تتمحور حول الغير، في حين نَجِدها من الذات وإليها.

ولعلَّ من أبرز الأمثلة على هذا الشكل قصيدة «أحِبِّيهم على مهل»[٢]، حيث نكون إزاء بورتريهَيْن لشخصيتين إحداهما تخاطب الأخرى مُوصِيةً مُوَجِّهة، إلا أنَّ استنطاق النَّص أفضى بنا إلى القول بأن الشَّاعرة كانت من خلالهما ترسم البورتريه الخاص بها، وهو بورتريه ثالث جامع لمتناقضات الشخصيتين كما هو مُفصَّل في المبحث اللاحق من الدراسة. ويحضر البورتريه الغيريّ الذاتيّ في قصائد أخرى للشاعرة، مثل:

قصيدة «إذا أحزَنوكَ.. فحُزنُكَ أقدمْ»[٣]:

ترسم الشاعرة في قصيدتها صورتين شخصيّتين، إحداهما صورة (ذات حزينة تقاوم على ناصية الحياة)، وهي الذات الحاضِرة المُتشكِّلة لحظة كتابة القصيدة، والثانية صورة (ذات متسامحة مع الهزيمة)، وهي الذات المَرجوّ

١- جبار (سعيد)، وآخرون، كتابة الأنا بين المرجعيّ والتخييليّ: من السيرة الذاتية إلى التخييل الذاتيّ، ص١٠ (مقدمة فريق الترجمة).

٢- السهلاوي (أمل)، حساب الشاعرة في انستغرام، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/s/aGlnaGxpZ2h0OjE3ODQ4MDY4NTgzMjkwMDM1?story_media_id=1887254922135625246&igsh=M3NyMGo3dzI4dmp4

٣- السهلاوي (أمل)، كان عليّ أن أؤجِّلك، ص٦٠.

التحوُّل إليها، وذلك من خلال الجُمَل الاسمية الوصفية، والأفعال الكلامية الإنجازية غير المباشرة المتضمَّنة في الأفعال القولية؛ فعل النَّهي وأفعال الأمر.

أمَّا الجُمَل الاسمية الوصفية فتَصِف الذات الأولى، وهي الحزينة المحاصَرة في حربها، وتتمثَّل في: «إذا أحزنوكَ.. فحزنُكَ أقدمْ»، إضافةً إلى «وإنْ حاصروكَ.. فطِرْوادةٌ أنتَ»، وأمَّا ما تبقى من النص؛ فهو حشدٌ من الأفعال الكلامية المتدرِّجة في قوَّتها الإنجازية تَصاعُدًا وتَراجُعًا، بين فعل اقتراح وفعل تحريض حتى بلوغ ذروة القوَّة الإنجازية في ختام النَّص. يُدْرَج جدول تحليليّ للأفعال الكلامية الإنجازية غير المباشرة في قصيدة «إذا أحزنوك»، وفق الآتي:

من النص	الأفعال الكلامية الإنجازية غير المُباشِرة
أسقِطْ حصونَكْ	أقترح التجرُّد من الأسلحة
لا تنتظرهمْ	أقترح عدم منحهم شرف انتزاع الأسلحة
ترجَّلْ قليلا	أقترح الانسحاب
لديكَ مكانٌ لبعضِ الهزائمْ	أقترح قبول الهزيمة
إنَّ الهزيمةَ شيءٌ حَميمْ	أحرِّضك على الانهزام
دَعِ الشمسَ تغربْ	أقترح الاستسلام للنهاية
إنّ النهارَ إذا طالَ جدًا.. يصيرُ جحيمْ	أحرِّضك على الاستسلام للنهاية
ترنَّحْ كأثملِ ما يمكنُ المرءَ	أقترح الرقص على شرف النهاية
غنِّ النهاياتِ	أقترح الابتهاج بالنهايات
إنَّ الغناءَ بلحنِ الخَساراتِ نصرٌ عظيمْ	أحرِّضك على الخسارة والاحتفال بها

جدول (١)

فبين (ذات حزينة تقاوم على ناصية الحياة)، وذات (متسامحة مع الهزيمة) يُبْتَغى التحوُّل إليها، تُوهِم كاف الخطاب بأنَّ الأولى ذاتٌ في الخارج، غير أنَّها كالأخرى في الداخل، فالسهلاوي ترسم البورتريه الذاتيّ، عبر الإيهام بالبورتريه

الغيريّ، مُحرِّضةً ذاتها على التحوُّل من المقاوَمة إلى الترجُّل والانسحاب وقبول الهزيمة، فنحن أمام ذات أرهقتْها المقاوَمة، حتى باتتْ تزيِّن الاستسلام؛ استعدادا للاحتفال بالهزيمة.

مُقَطَّعة «هي الأحلامُ تُحْدِثُ فيكِ تِيها»[١]:

تُوهمنا الشاعرة في هذه المُقطَّعة بأنها تُخاطِب أنثى عامَّة مُطْلَقة غير مُحدَّدة، هي (الأنثى الحالمة في طريق اللاوصول)، تتخبَّط حينًا وتحترس حينًا، وتغتمُّ حينًا، غير أنَّها تواصل رحلتها وتدوِّن مَاجَرَيات الأيام لتخليد قصتها، فترسم بورتريها غيريًّا، في حين أنَّ الاستكناه يدفع الباحثة، بصفتها قارئا ضمنيًّا للسهلاوي، إلى القول بأنَّ الشاعرة تُخاطِب ذاتها، فهو حوار داخليّ من نمط تيار الوعي يتدفَّق في لحظة انكشاف وتجلٍّ ذاتيّ، ويتم ذلك عبر السَّرد الآنيّ بواسطة الأفعال المضارعة، مثل: «هي الأحلامُ تُحْدِثُ فيكِ تيها»، «وتأخذُ منكِ ما تجدينَ فيها»، «وتحترسينَ في الخطواتِ»، «وتكترثينَ للأيام تمضي»، «وشيءٌ فيكِ حتمًا يصطفيها»، «تخلِّدُ روحكِ اللحظاتِ حتّى»، و«تبجّلَ لحظةٌ من مُتْرَفيها».

كما يحضر البورتريه الغيريّ الذاتيّ في قصائد أخرى للشاعرة، من مثل: بورتريه (الإنسان القلِق في مضمار الحياة) في قصيدة: «قد كان عمركَ إعصارا قبلتَ به»[٢]، وبورتريه (القلب الطيب بمختلف تقلُّباته) في قصيدة «بسيطٌ.. مثل أفكارِ الصَّبايا»[٣]، وإنْ كانت تكشف في ختام القصيدة عن كونه قلبها هي، فضلا

١- السهلاوي (أمل)، حساب الشاعرة في انستغرام، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/CyEvnYby5nb/?igsh=Nm9veGpzN2RjOXhu

٢- المصدر نفسه، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/CrYoru1SHfE/?igsh=ZnZxeWl4OGpoandy

٣- المصدر نفسه، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/Ca7s2gEr0bd/?igsh=MWkwZHN5MThyMnBu==bQ

عن بورتريه (الأنثى المتناقضة) في قصيدة «على مَن يكذب الإنسانُ؟ مهلا»[١]، وبورتريه (الإنسان العائد من الحرب) في قصيدة «تَرى في المسافات ما لا يُرى»[٢]، ولعلَّ ما يبعث الشاعرة على المخاتلة في توظيف الضمائر وإيهام المَتلقِّي بأنَّ النَّص سردٌ لقصّة شخص آخر؛ هو محاولة منح طريق التأويل سِمة الوُعورة، فلا يكون مُيَسَّرًا، على غرار انكشاف الذات وآمالها وهواجِسها ومَخاوِفها، ولعلَّ هذا ما يبعثنا على الذهاب إلى أنَّ في نصوص الشاعرة نسبة عالية من المرجعية والواقعية في عملية التخييل الذاتيّ، ضمن عملية رسم البورتريه الشعريّ. يُدرج جدول إحصائيّ لأشكال البورتريهات كالآتي:

١- المصدر نفسه، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/CZkMIz_sFVT/?igsh=MWR5b3dsYjBnaTBveA%3D%3D

٢- المصدر نفسه، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/DEB-4ymSDV_/?igsh=eTg4c2tqbmpveDU0

أشكال البورتريه	القصائد	عدد البورتريهات
البورتريه الشعريّ الذاتيّ	بورتريه (الذات المتمرِّدة المُقاومة المُحْتَجَّة على الواقع غير المُرْضي) في قصيدة «أكاد أُجنُّ من فرط اندفاعي» نموذجًا طرازيًّا بورتريه (الذات الساذجة المُحبَّة للحياة) في قصيدة «قد قيل لي وجهٌ بريء» بورتريه (الذات المخذولة) في قصيدة «أتفهم قصدي» بورتريه (الذات العاشقة للوطن) في قصيدة «سهرتُ كثيرًا» بورتريه (الذات المهمَّشة الناقمة) في قصيدة: «سَل الساعاتِ عن أرقي» بورتريه (الذات الساهرة الحَيْرى) في قصيدة «أعدُّ الخِراف.. أعدُّ الخطايا.. أعدُّ الزمنْ» بورتريه (الذات النامية من خلال الألم) في قصيدة «اجرحوني.. فكلُّ جرحٍ سيبرى» بورتريه (الذات النقية الساذجة) في مُقطَّعة «يذوبُ على فمي كلُّ الكلام» بورتريه (الذات الحالمة الشجاعة) في مُقطَّعة «ولديَّ أحلامٌ.. لديَّ حكايةٌ» بورتريه (الذات الحزينة الساهرة) في مُقطَّعة «أنا التي صدَّقوا بالأمس بهجتها» بورتريه (الابنة الشاعرة) في قصيدة «وصايا إلى أمي»	١١ بورتريه ذاتيّ
البورتريه الشعريّ الغيريّ	بورتريه (أم الشاعرة) في قصيدة «وَصايا إلى أمي»، إلى جانب بورتريه (ذات الشاعرة) بورتريه (القُساة الجامدين) في قصيدة «أراقبُهمْ يعْبُرونَ الحياة» بورتريه (الفارس الوطنيّ المتفرِّد) في قصيدة «مُذْ جئتَ تضحكُ للحياةِ ملأتَها» بورتريه (القائد المُحِبّ الطَّموح) في مُقطَّعتِها «قد جئتَ ضحكة فجرٍ كيف نُنْكِرُها» بورتريه (المرأة الخليجية) على إطلاقها، في مُقطَّعتها «كلُّ عامٍ وكيدُكنَّ عظيمُ»	٥ بورتريهات غيرية

البورتريه الشعريّ الغيريّ الذاتيّ	بورتريه (الأنثى الطفولية الساذجة المُسْتَضْعَفة) في قصيدة «أحِبِّيهم على مهلِ» بورتريه (الأنثى القوية الحكيمة الناضجة) في قصيدة «أحِبِّيهم على مهلِ» بورتريه (الذات الحزينة المُقاوِمة على ناصية الحياة) في قصيدة «إذا أحزَنوكَ.. فحُزنُكَ أقدمْ» بورتريه (الذات المتسامحة مع الهزيمة) يُبْتَغى التحوُّل إليها في قصيدة «إذا أحزَنوكَ.. فحُزنُكَ أقدمْ» بورتريه (الأنثى الحالمة في طريق اللاوصول) في مُقَطَّعة «هي الأحلامُ تُحْدِثُ فيكِ تيها» بورتريه (الإنسان القلِق في مضمار الحياة) في قصيدة: «قد كان عمركَ إعصارًا قبلتَ به» بورتريه (القلب الطيب بمختلف تقلُّباته) في قصيدة «بسيطٌ.. مثل أفكارِ الصَّبايا» بورتريه (الأنثى المتناقضة) في قصيدة «على مَن يكذب الإنسانُ؟ مهلا» بورتريه (الإنسان العائد من الحرب) في قصيدة «تَرى في المسافاتِ ما لا يُرى»	٩ بورتريهات غيرية ذاتية

جدول (٢)

وحين نتأمَّل ما تقدَّم عرضُه وتعزيزه بالجدول الإحصائيّ، نَخْلُص إلى القول بأنّ البورتريه الذاتيّ هو الشكل الأبرز في شعر السهلاوي، ويُشكِّل ظاهرة فيه؛ ذلك أنّه أكثر ما يقع بين يدي الباحثة؛ لغزارته، ويُعاضِده البورتريه الغيريّ الذاتيّ، فكلاهما مرتبطان بالنزعة الذاتية في قصائدها، إلاّ أنَّ البورتريه الغيريّ في شِعْرها محدود، ويصعب الوصول إليه؛ لنُدْرته، وغالبًا ما يتناول شخصية معروفة وبارزة، أو شخصيات عامة مُطْلَقة، كما يأتي في نصوص وجيزة، وقد يرتبط بمناسبات أو أحداث اجتماعية محدَّدة. كما أنّ الملامح التي تعمل الشاعرة على رسمها في بورتريهاتها، بمختلف أشكالها، ذاتُ أبعاد نفسية داخلية في مُجْمَلِها، فضلا عن وجود نسبة عالية من الصِّدق والمرجعية في عملية التخييل الذاتيّ لديها.

ومهما ذهبنا إلى رسم الحدود بين أشكال البورتريهات وتصنيفها، إلا أنها تتفاعل وتتداخل وتتأثر ببعضها بشكل أو بآخر، فالبورتريه الغيريّ مثلا وإن كان يُقدِّم ملامح الغير، إلا أنّه في الوقت نفسه يقدِّم وجهة نظر الشاعر وتصوُّراته وانطباعاته، فيأخذ من ملامحه بشكل أو بآخر؛ ذلك أنَّ «فنان الصورة الشخصية أو الوجه، لا بد أنْ يضع شيئًا من صورته الذاتية في ملامح النموذج المرسوم أو المنحوت... الصورة الشخصية هي دوما صورة الفنان مُضافًا إليها صورة النموذج»[١]، ويحدث ذلك في الرسم والأدب على حدٍّ سواء، فضلا عن أنَّ البورتريه الذاتيّ لا يقدِّم صورة الشاعر وَحْدَه، إنَّما يقدِّم معه لاشعورًا جمْعيًّا وخلفيات ثقافية وأيدلوجيات مُتعدِّدة.

من تقنيات تشكيل البورتريه الشعريّ في شعر أمل السهلاوي:

تتعدَّد الأدوات والتقنيات التي يُرسَم من خلالها البورتريه الشعريّ في شعر أمل السهلاوي، ولعلَّ أبرزها يتمثَّل في الوَصْف، والسَّرد، إلى جانب الحِوار الذي يأتي في صيغة تيار الوعي مونولوجا داخليا، وتتخلَّله أفعال كلامية إنجازية غير مُباشِرة في مُجْمَلِها.

ولا بدَّ في هذا السِّياق من التفريق بين التقنيات وفق طبيعة كلٍّ منها، فالوصف «حكاية الأشياء»؛ إذ تغلب عليه النعوت، بينما السرد «حكاية الأعمال»[٢]؛ إذ تسود فيه الأفعال، في حين أنَّ الحوار يمثِّل «حكاية الأقوال»[٣]؛ إذ يتجسَّد في الأحاديث التي تأتي على ألسنة الشخصيات. وتُبْسَط كلُّ تقنية أدناه:

١- أبو عياش (صلاح الدين)، معجم مصطلحات الفنون (ج١)، ص٦٩٤.

٢- J. Ricardou: Nouveaux problemes du roman، Paris، Seuil، Coll. 'Poetique'، 1978، P185، نقلا عن قسّومة: الصادق، طرائق تحليل القصة، ج١، دار الجنوب، ط٢، تونس، ٢٠١٥م، ص٦٦.

٣- جينيت (جيرار)، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، تر: محمد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة ضمن المشروع القومي للترجمة، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٨٣.

١– تقنية الوصف:

أمَّا الوصف، فهو الأداة الارتكازية الأبرز في رسم البورتريه الشعريّ، ويقوم على نقل صور ثابتة للأشخاص والأشياء والأحداث بمَعْزل عن سَيْرورة الزمان، مُسْهِما في رسم ملامح الشخصيات، وتقريب الموصوفات إلى المتلقِّي، فهو «تقديم (تمثيل) الأشياء والكائنات والمواقف أو الأحداث في وجودها المكانيّ عِوَضا عن وجودها الزمنيّ»[١]، وغالبا ما يعمل على إيقاف الزمن السرديّ أو تعليقه[٢]، ما مِن شأنه خلق التشويق والتوتر[٣]، فهو تصويرٌ للأشياء والأشخاص والأحداث، وتفسيرٌ لأحوالها.

ويأتي الوصف جَليّا أو خَفيًّا يتطلَّب الاستدلال والاستنتاج في بعض المَواضِع، فيتمظهر في النُّعوت أو التَّشبيهات، وقد يستند إلى الجُمَل الاسمية أو إلى توظيف الجُمَل الفعلية، خصوصًا الجُمَل الفعلية المُقيَّدة بزمن الماضي في فعل الكون (كان)، التي يُستفاد منها دَأْب الشخصية وأحوالها المتواصلة المُتجدِّدة.

٢– تقنية السَّرد:

وأمَّا السَّرد، فهو أداة ذات صلة بالأفعال والأحداث والوقائع والمواقف، ورغم أنه ليس الأداة الأساسية في تسريد الذات وتشكيل البورتريه الشعريّ، إلا أنَّه لا بُدَّ من توظيفه؛ «فما حالة الأنا لحظة الكتابة إلا نتيجة ما مرَّت به الذات من تجارب»[٤]، ويمثِّل التَّسْريد «إضفاء صبغة سردية على نمط من الخطاب ليس في

١- برنس (جيرالد)، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٤٣-٤٤.

٢- يُنظر: المرجع نفسه، ص٤٤.

٣- يُنظر: زيتوني (لطيف)، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، ط١، بيروت، ٢٠٢٢م، ص١٧١.

٤- القاضي (محمد)، وآخرون، معجم السرديات، ص٢٠١.

الأصل كذلك»[١]، ويأخذ صِيَغا شتَّى، لعلَّ أهمّها في سياقنا هذا الوصف المُسَرَّد للذات، الذي يمثّل وصف الذات عبر تصوير سلسلة من الأحداث المتعاقبة التي صنعتها على ما هي عليه[٢].

وتتعدد وضعيات سرد الخطاب في النظام الزمنيّ للأدب السرديّ، وتتمثّل في السَّرد اللاحق الذي تُحكى فيه القصة بعد حدوثها، فضلا عن السَّرد السابق أو الاستشرافيّ التنبُّؤيّ الذي تُحكى فيه القصة قبل حدوثها، إضافة إلى السَّرد المُزامِن أو الآنيّ الذي يأتي خِطابه مُتزامِنا مع زمن القصة[٣]، ويكون النَّمط الأول بصيغة الماضي، بينما يأتي الثاني بصيغة مستقبلية أو بصيغة الماضي على اعتبار ما يكون، في حين تتلازم مع الثالث صيغةُ المضارِع.

٣- تقنية الحِوار:

وتُعاضِد الوصفَ والسردَ، في رسم البورتريه، أداةُ الحِوار بصفته خطابا متبادلا بين الشخصيات تُبسَط فيه أفكارها ومشاعرها، فهو «عرض دراميّ الطابع للتبادل الشفاهيّ يتضمّن شخصيتين أو أكثر»[٤]، ديالوجا أو حوارًا خارجيًّا، إلا أن الحوار يحضر في شعر أمل السهلاوي على هيئة تيار الوعي الذي يمثِّل «ضربًا من ضروب المونولوج الداخليّ يظهر في النصوص والمقاطع السردية بضمير المخاطَب ويتميّز بإقامة وضع تلفُّظيّ مشترَك بين المُتكلِّم والمخاطَب دون أن يحدث تبادل كلام بينهما، فالمُخاطَب لا يُجيب بل يظلُّ شاهدًا فقط على الخطاب الذي يُلقى أمامه وعنه، وهو خِطاب مَصُوغَةٌ أفعالُه النَّحْوية في المضارع»[٥]، ويمكن فيه

١- المرجع نفسه، ص٩٠.

٢- يُنظر: المرجع نفسه، ص٩٠.

٣- يُنظر: برنس (جيرالد)، قاموس السرديات، ص١٢٢.

٤- برنس (جيرالد)، قاموس السرديات، ص٤٥.

٥- Danon-Boileau (Laurent)، 1982، Produire le fictive، (Linguistique et ecriture roman-esque)، Paris، Klincksieck (without page number نقلا عن القاضي (محمد) وآخرون، معجم السرديات، ص١٦١.

الانتقال بين الأزمنة دون قطع الاسترسال والتدفُّق[١].

ومِن شأن تيار الوعي رسمُ البورتريه الشعريّ كاشفا عن الملامح النفسية الباطنية للشخصيات، مُسْتَجْليا منازعها، وباسطا انفعالاتها ومُدْرَكاتها، عبْر انسياب الأفكار والمشاعر، والتَّداعي الحرّ للانفعالات والانطباعات أوانَ نشوئها، فهو تدفُّق متواصل «للأفكار والمشاعر داخل الذهن»[٢]، ومن شأنه «تقديم الوعي البشريّ بالتركيز على الاسترسال العشوائيّ للفكر، والتأكيد على طبيعته غير المنطقية واللانحوية والتداعيّة»[٣]، ومن خصائصه التحرُّر من النِّظام النحويّ، وغياب التَّرابط المنطقيّ والإتيان بجمل ناقصة، وبمفردات جديدة غير اعتيادية؛ ذلك أنّه يسبر أغوار النفس البشرية ويتيح للمتلقي الاطلاع على الأفكار الحميمة للشخصية القريبة من منطقة اللاشعور الإنسانيّ[٤]، وله حضور في شعر أمل السهلاوي كما سنفصِّل في الجزئية القادمة.

وتتخلَّل تيارَ الوعي في شعر السهلاوي أفعالٌ كلامية إنجازية، تمثِّل مُكوِّنات سَرْدية[٥]، فكلُّ فعل كلاميّ «نشاط ماديّ نحويّ يتوسَّل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر والوعد والوعيد... الخ، وغايات تأثيرية تخصُّ ردود فعل المتلقِّي كالرَّفض والقبول»[٦]؛ فهي أفعال اجتماعية، وتُعَدُّ «القَصْدية صفة لكلِّ أفعال الكلام»[٧]، وتَكْمُن القصدية في الفعل المتضمَّن في القول، لا

١- See: Van Sossum- Guyon (Freancoise), 1970, Critique du roman (Essai sur la «Mod- ifi-cation» de Michel Butor), Paris, Gallimard (without page number) نقلا عن القاضي (محمد) وآخرون، معجم السرديات، ص١٦١.

٢- زيتوني (لطيف)، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص٦٦.

٣- برنس (جيرالد)، قاموس السرديات، ص١٨٩-١٩٠.

٤- يُنظر: المرجع نفسه، ص١٨٩-١٩٠، والقاضي (محمد) وآخرون، معجم السرديات، ص١٢٦.

٥- يُنظر: مفتاح (محمد)، تحليل الخطاب الشعريّ: استراتيجية التناص، ص١٥٠.

٦- صحراوي (مسعود)، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٤٠.

٧- سيرل (جون)، القصدية: بحث في فلسفة العقل، تر: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، بيروت، ٢٠٠٩م، ص٢٢٧.

في فعل القول أو الفعل التَّأثيريّ[١]، وللأفعال الكلامية مَرْتَعٌ خصبٌ في الأجناس الأدبية السردية والأجناس المُتَفاعِلة معها، ومن ثَمَّ يكون حضورها في الشِّعر ذي الطبيعة الحِوارية من البَديهيّات.

وتَعْمَد الباحثة إلى دراسة تقنيات تشكيل البورتريه الشعريّ في ٣ قصائد طرازية، تتمثَّل في «أكادُ أُجنُّ من فرطِ اندفاعي»، و«اتركيني أُحاوِرُ الأشياءَ»، و«أحبّيهم على مهل»، مع الإشارة إلى أنَّ الشاعرة لا توظِّف تقنية واحدة في النص الواحد، بل تتعدَّد تقنياتها في كلّ نص. تُدْرس تقنيات رسم الصور الشخصية في كلِّ قصيدة على حِدة أدناه:

أولا: قصيدة «أكادُ أجنُّ مِن فرط اندفاعي»[٢]

يحضر في القصيدة البورتريه الشعريّ الذاتيّ بشكل لافت، فتأتي الشاعرة شخصيةً مِحْوَرِية تُرسم ملامحها الداخلية النفسية، لا الخارجية الشكلية، فنرى من خلالها ذاتا تمارس فعل المقاوَمة وتنتهج التمرُّد والاحتجاج على الواقع غير المُرْضي. ولَكأنَّ الشاعرة ألمَحَت في النص إلى أنَّها تمارس رسم صورتها الذاتية عبر قولها:

أنـا الإنسـانُ في كـلِّ المَرايـا وأجمعُـني بـقَـدْرِ المستطاعِ

فكأنَّها أخبرتنا ضمنيًّا عن محاولاتها الحثيثة للتعرُّف على ذاتها من خلال استكشاف انعكاساتها في مرايا الآخرين، فهي ما تنفكَّ تجمع قطع (البازل) الخاصة بها من وجوه الآخرين، مُحاوِلةً تقديمها شعرا، لنفسها أولا، ثُمَّ للمتلقِّي، الذي

١- سيرل (جون)، العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعيّ، تر: صلاح إسماعيل، المركز القوميّ للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١١م، ص١٧٣.

٢- السهلاوي (أمل)، حساب الشاعرة في انستغرام، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/CxD7dgTSmR5/?igsh=MWZ1bG16NjA2Ymw1NA%3D%3D

يكون على عاتقه مواصلة جمع القطع المتناثرة في القصائد وإعادة تنضيدها وفق رؤاه، كما تؤكِّد على فعل الرسم الذاتيّ في نهاية القصيدة حين تقول: «أُعيد بكلِّ فجرٍ اختراعي» رغم الضجر واليأس، فهي ما انفكَّتْ تُعيد اختراع ذاتها وتشكيلها من خلال فعل الكتابة.

ويتم رسم البورتريه الشعريّ في متن القصيدة عبر المُراوَحة بين التقنيات أو الأدوات القصصية المتمثِّلة في الوصف والسَّرد اللَّذَيْن كثَّفت الشاعرة توظيفهما، فضلا عن الحِوار الذي جاء خجولا في هذه القصيدة، ويُسْرد ذلك وفق الآتي:

الوصف:

تُكثِّف الشاعرة الوصف في القصيدة، عبر الجُمَل الاسمية والنعوت، التي تُفيد الثبوت واللزوم، فهي الأم والفتاة والطفل في بعض الأحايين، وهي شاعرة دَيْدنُها الأنين دونما مُسوِّغات، وهي الإنسان المُتشظِّي في مرايا الآخرين، ولعلَّها تتدرَّج من الأخصّ إلى الأعمّ، أو من الأوصاف الأقل تمثُّلا إلى الأكثر تَمثُّلا. تقول الشاعرة:

أنا الأمُّ، الفتاةُ، الطفلُ حينًا وشاعرةٌ تئِنُّ بغير داعِ
أنا الإنسانُ في كلِّ المرايا وأجمعُني بقدر المستطاعِ

كما تخلع على قلبها صفة الضعف، فهو «ضعيفٌ في الوداع»، وتصف ذاتها بصفتين متناقضتين تتمثَّلان في «قسوة المَدَنيّ» و«دفء سُكَّان المَراعي»، وتخبرنا كذلك في نهاية القصيدة عن صفتين مترادفتين تلازمانها، ألا وهما الضجر واليأس من الواقع والمدينة التي «لا تُراعي» الإنسان الشَّاعر المتطلِّع إلى أن يعيش الحياة «حلما بعد حلم»، حين تقول: «وبي ضجرٌ ويأسٌ». تقول الشاعرة:

وإنْ قالوا لها قلبٌ ضعيفٌ أقولُ نعم.. ضعيفٌ في الوداعِ
وبي من قسوةِ المَدَنيّ شيءٌ وبي من دفء سكّانِ المراعي

×××

وبي ضجرٌ ويأسٌ غير أنّي أعيد بكلِّ فجرٍ اختراعي

السَّرد:

تظهر في القصيدة وَضْعيَّتان للسَّرد، ألا وهما السَّرد الآنيّ المُزامِن لزمن سرد القصيدة، والسَّرد السابق لزمن سردها، فأمَّا الوضعية الأولى، فتتجلَّى في الفعل المضارِع الذي تكرَّر ٨ مرّات، وأمَّا الثانية، فتتجلّى في الفعل الماضي الذي تكرَّر ٤ مرات فقط، أي أنَّ نصيب اللحظة الحاضرة أكبر من نصيب الزمن الماضي في تشكيل البورتريه الشعريّ.

فنجد السهلاوي تستهلُّ قصيدتها بالسَّرد الآنيّ المزامن، ويتجلَّى ذلك في «أكادُ أجنُّ من فرط اندفاعي» و«أريد العيش حلمًا بعد حلم»، ثُمَّ بعد تكثيف الوصف وبعد أن تخبرنا الشاعرة عن جمعها ملامحَها المتناثرةً من مرايا الآخرين في قولها: «وأجمعني بقدر المستطاع»، يحضر السَّرد السابق لزمن الخطاب على شكل ٤ أفعال ماضية، اثنين منهما يتَمظهران في فعل الحكي (كان)، راوِيةً لنا ما مضى من إبحارٍ قديم وشيك الغرق، ومن حروب وصراعات خطِرة يُديرها منطق الغاب، ما انفكَّت تخوضها بشجاعة وخبرة. تقول الشاعرة:

إذا كانت سنينُ العمرِ بحرًا فقد بلَّلتُ من أزَلٍ شِراعي
وإنْ كانَ الصراعُ صراعَ غابٍ فكم راقصتُ أبطالَ السِّباعِ

وبعد الحوار المُقْتَضَب وتكثيف الوصف للمرة الثانية، تستأنف الشاعرة السَّرد الآنيّ المزامن الذي بدأته سَلَفا بالفعل «أجمعني»، بل وتنتهج تكثيفه راوِيةً أبرز الأحداث المتجدِّدة في الزمن الحاضر التي من شأنها أنْ تجيب عن سؤال: «مَن أنا؟»؛ فالشاعرة تعاني الهلع من ترصُّد القطيع لذاتها المتفرِّدة، واستماتته لغمسِها فيه نسخةً شبيهة بالنُّسخ الأخرى، في حين أنّ «العبقرية لا يلائمها أن تنغمس في سواد الناس»[1]، كما أنّ الوحوش تقف في وجهها مرةً بعد مرة، فلا مَفرَّ لها من مواصلة استمرار «صراع الغاب»، بينما الطريق التي تسترشد بها تُرشدها إلى التيه والضياع، ورغم يأسها وضجرها من تلك الدوَّامات والمتاهات، إلا أنها تعيد اختراع ذاتها فجرًا بعد فجر، فهي تعيد استكشاف ذاتها عبر فعل الكتابة الذي فيه الأمان بعد الخوف، والسلام بعد الحرب، والهدى بعد الضياع؛ فالكتابة فعل ترميم وتشكيل وتجدُّد وانفتاح على الحياة، فلَكأنَّ السهلاوي عنقاء تنبعث من رمادها بعد كل قصيدة. تقول الشاعرة:

ويُوقِظُني بنصفِ الليلِ خوفٌ لإصرارِ القطيعِ على ابتلاعي
يُواجِهُني الزمانُ بألفِ وحشٍ ويُجبرُني الطريقُ على الضَّياعِ
وبي ضجرٌ ويأسٌ غير أنّي أعيدُ بكلِّ فجرٍ اختراعي

ولعلَّ الشاعرة حين تقفل القصيدة بالفعل المضارع «أعيد بكلِّ فجرٍ اختراعي»، لا تقفلها في الواقع، بل تُبْقيها مفتوحة على مصراعيها؛ ذلك أنَّ اختراعَ الذات فعلٌ مُتجدِّد بتجدُّد فعل الكتابة الذي ما ينفكّ يشكِّل ذات الشاعرة، ويرسم البورتريه الشعريّ الخاصّ بها، ويأبى إلا أن يكون رسما بالكلمات مُتجدِّدا مُتوسِّعا مُمتدّا، لا يروم اكتِمالا.

١- هلال (محمد غنيمي)، الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت.، ص٥٤.

الحِوار:

جاء الحِوار مُقْتضَبا في القصيدة؛ إذ ضمَّه بيتٌ واحدٌ فقط عارضا صوتين أو قولين يقدِّمان انطباعين حول الشاعرة، أو بالأحرى انطباع مع ردّ عليه يُثْبته -بشكلٍ ما- ويُفصِّل فيه مستدرِكا، فأمَّا الانطباع الأول، فأتى من الخارج واصفا الشاعرةً بضعف القلب، ويبدو أنَّ القائلين هم «أبطال السباع» الذين ابتُلِيت الشاعرة بمراقصتهم مرةً بعد مرة، وذلك قول فيه تعريض برهافة الشاعرة وحساسيتها العالية في «صراعات الغاب» والمواقف الصعبة، وأمَّا الانطباع الثاني فأتى من الداخل يؤكِّد -بانفعال- ويستدرك مُحدِّدًا السياق المخصوص الذي تصْدُق فيه الصفة، ألا وهو لحظات الوداع وحسب. ولعلَّ الحوار، رغم اقتضابه، يحمل في كلمتي: «قالوا» و«أقول»، إيحاءاتٍ من شأنها تحفيز المتلقّي وتنبيهه لما يأتي بعدهما، فضلا عن حصد تفاعله. تقول السهلاوي:

وإنْ قالوا لها قلبٌ ضعيفٌ أقولُ نعم.. ضعيفٌ في الوداعِ

ويبدو أنّه قولٌ متواتر متكرِّر على ألسنة الآخرين في السَّرد، إلا أنَّ الشاعرة تختار اختزاله، فتذكره مرةً واحدة في خطابها الشعريّ، وترسم من خلاله مَلْمَحًا ذاتيًّا نفسيًّا عاطفيًّا، يتمثل في التعلق بالماضي وبالذكريات وأصحابها، فضلا عن الخوف من الفراق والمستقبل الذي يلحقه.

وإذا ماتأمَّلنا النص، لوجدنا أنّ الأبيات الأربعة الأولى تجسِّد الرسمَ التخطيطيّ للوحة بالقلم الرصاص (sketch)، في حين أنَّ الشاعرة تبدأ من البيت الخامس بتعميق الملامح ومنح اللوحة ألوانها؛ فكأنَّها تبدأ، مع بدء سرد الأحداث، إيضاحَ الأوصاف التي خلعتْها على ذاتها في الأبيات الأولى وتفسيرَ بواعثها.

يتكثَّف الوصف في مَوْضِعَيْن مِن متن القصيدة، أمَّا الأول ففي البيتين الثالث

والرابع خلال الرسم التخطيطيّ للوحة، وقبل الانتقال المباشر إلى تكثيف الأفعال أو إلى السَّرد اللاحق على وجه الخصوص، وأمّا الثاني فيأتي بعد السَّرد اللاحق والحِوار المُقْتَضَب، وقبل تكثيف السَّرد الآنيّ المُزامِن؛ ولعلَّ الشاعرة ترمي إلى خلق إيقاع سرديّ عبر الوقفات السردية في مواضِع حسَّاسة، ما مِن شأنه توليد التشويق؛ ومِن ثَمَّ التوتُّر وفتح الباب للاحتمالات على مصراعيها حول ما يستجدُّ من أحداث، وهكذا تعمل على إشراك المتلقِّي في رسم البورتريه الشعريّ.

ويُلْحظ أنَّ الزَّمان والمكان يأتيان في خلفية البورتريه مُمتدَّان، فهما رُؤيَويَّان مُطْلَقان غير مُحدَّدَيْن على وجه الدقَّة، والشاعرة لا تُغرِق في تحديدهما، بل تقدِّم إشارات تُوحي برُؤْيَويَّتهما وإطلاقهما، فأمَّا الزمان، فيتضح في الأبيات الأخيرة، ويتمثَّل في «نصف الليل» و«الفجر»، وهما توقيتان ذاتيّان، على عموميّتهما، يتوحَّد الإنسان خلالهما مع ذاته. وأمَّا المكان، وهو الأهم في سياق البورتريه الشعريّ، فيتمثَّل في الأرض الضيِّقة والمدينة التي «لا تُراعي» مكانَيْن مرجعيَّيْن رغم إطلاقهما، فضلاً عن البحر والغاب مكانَيْن مجازِيَّيْن، فهي أمكنة قد توحي بالتمرُّد وتتَّسق مع فعل المقاوَمة والصِّراع الذي تمارسه الشاعرة في الحياة شَجاعةً وإباءً.

كما يُلحظ أنَّ السهلاوي تقدِّم لنا في قصيدتها اعترافات شخصية، حول جوانب لا يراها الإنسان في الإنسان، بل يعايشها ويُقاسيها الإنسان منفردًا، ما مِن شأنه تقديم ملامح إنسانية نفسية خفية عميقة، مثل: «أكادُ أُجَنُّ من فرطِ اندفاعي»، إضافةً إلى: «ويُوقظُني بنصفِ الليلِ خوفٌ»، علاوةً على: «أقولُ نعم.. ضعيفٌ في الوداعِ»، فالشَّاعرة لديها من الشَّجاعة والاعتداد بالذات، ما يجعلها تذكر فرط اندفاعَها وهلعها وضعفها في شِعْرها.

وهكذا نجد أنّ الشاعرة تُراوح بين تقنيات الوصف والسرد والحوار في

قصيدتها، وإنْ كان الحوار مقْتضَبا، لتشكِّل لنا صورة شخصية لذات إنسانية شاعرية مُرْهَفة وقوية في آنٍ معًا، تتمرَّد على واقع الأرض الضيِّقة والمدينة التي «لا تُراعي»، وتختار مقاوَمة سِباع الغاب ووحوش الزمان مرةً بعد مرة على سبيل الشجاعة، وتُواجِه الخوف وتُروِّض الطريق المُضَلِّلة من خلال مواصلة التعبير عن الذات وكتابتها وإعادة اختراعها.

فنحن أمام قصيدة تعبيرية ذات نزعة غنائية وجدانية ودرامية في آنٍ معًا، يطغى عليها الطابع الذاتيّ، ونتلمَّس فيها صدق التجربة الشعورية، حتَّى أنَّ السهلاوي تقدِّم فيها للمتلقِّي اعترافات شخصية نادرًا ما يبوح بها الشعراء في قصائدهم، وهذا وجه من وجوه شجاعتها كذلك، ومن هذه الملامح كلّها يتشكَّل لنا البورتريه الشعريّ الذاتيّ في قصيدة «أكاد أُجنُّ من فرط اندفاعي».

ثانيًا: قصيدة «اترُكيني أحاوِرُ الأشياءَ»[1]

ترسم الشاعرة في القصيدة شكلين من أشكال البورتريه الشعريّ، أمَّا الأول فهو الشكل الذاتيّ، ونرى من خلاله ذات الشاعرة بطبيعة الحال، وأمَّا الثاني فهو الغَيْريّ، ونرى من خلاله ملامح أُمّ الشاعرة، ويرتكز الرسم هنا بشكل كبير على تقنية الحوار الداخليّ الذي يأخذ نمط تيّار الوعي، ويَحْفَل بالأفعال الكلامية الإنجازية، وإنْ كان يشوب تيارَ الوعي على استحياء نمطان من السرد، هما السرد السابق (التنبُّؤيّ الاستشرافيّ)، والسرد اللاحق.

الطريف هنا أنّ الشاعرة يُعرف عنها الجنوح إلى عدم عَنْوَنة قصائدها، في حين أنَّ هذه هي القصيدة الوحيدة التي تمنحها عنوانا يتمثَّل في «وصايا إلى أمي»، وهو عنوان ينطوي على مفارقة، إذ جرت العادة أن يوصي الآباءُ والأمهاتُ

١- السهلاوي (أمل) حساب الشاعرة في انستغرام، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/Cwnorw_LA8u/?igsh=NjIxeTVxNHo0c3F4

أبناءَهم، في حين أنّ الشاعرة تتبادل الأدوار مع أمِّها وتقدم لها جُمْلةً من الوصايا. تُبْسط أدناه تقنيّات رسم البورتريه الشعريّ المتمثِّلة في تيار الوعي، بما يكتنفه من أفعال كلامية إنجازية، إضافةً إلى السَّرد:

الحوار:

تتَّخذ القصيدة بِنْية حوارية، وإنْ كان الصوت فيها أُحاديًا، فلا نكاد نسمع إلا صوت الشاعرة مُخاطِبةً والدتها؛ فالشاعرة هي الطرف الأول للخِطاب المُتمثِّل في المُتكلِّم، في حين أن صوت الأم غائب، فهي لا تُجيب، إنَّما تبقى شاهِدة على خطابٍ يُوجَّه إليها، وهي طرفه الثاني المتمثِّل في المُخاطَب، كما يغيب صوت الراوي، ونكون هنا إزاء حوارٍ داخليّ يأخذ صيغة تيار الوعي.

يقدِّم تيار الوعي أقوال الشاعرة التي تأتي على شكل أفعال كلامية إنجازية غير مباشِرة ومباشِرة، ذات طابع ذاتيّ، وتكشف عن ملامح شخصية الشاعرة، وعن شخصية والدتها كذلك، إذ نستشفُّ من الأفعال الكلامية الإنجازية المُتوالِية رغبات الشاعرة وتطلُّعاتها، ونقف على انطباعاتها واحتِجاجاتها ومُدْرَكاتها، ونتعرَّف على مشاعرها وأفكارها، كما نستكشف جوانب من شخصية والدتها، فالشاعرة هنا تخاطب والدتها خطابا زاخرا بالانفعالات والالتماسات والاعتذارات والاحتِجاجات والتعهُّدات.

تتخلَّل الحِوارَ أفعالٌ إنجازية مباشرة، منها ما هو تعبيريّ، نحو: «إني أحبُّكِ، جدا»، و«أفورُ استياءَ»، ومنها ما هو إخباريّ، نحو: «أعلمُ الآنَ أنَّ أمريَ صعبٌ»، كما تتمظهر أفعال كلامية إنجازية غير مباشرة، وهي الغالبة، تشكِّل لنا مَلْمَح الأم المثالية المعيارية، والابنة المتفرِّدة المُنْزاحَة عن المعيار الاجتماعيّ، مثل: «واتركيني لكلِّ ما يتحدّى.. لينَ عودي لكي أطالَ السَّماءَ»، فضلا عن مَلْمَح الأمّ الخائفة على ابنتها من الأخطار، مقابل الابنة الشجاعة المُخاطِرة، نحو: «لا تخافي إذا

جنوني تراءى»، علاوةً على مَلْمح الأمومة والحنان عند الأم، مقابل الحاجة إلى الحب والتقبُّل عند الابنة، المُتجلِّي في: «واتركيني في حضنكِ الحلوِ أغفو». تظهر في الجدول التحليليّ الآتي الأفعالُ الكلامية الإنجازية وما ترسمه مِن ملامح للأم والابنة:

من النص	الأفعال الكلامية الإنجازية	ملامح الأم	ملامح الشاعرة
اتركيني أُحاوِر الأشياءَ	ألتمس مساحةً من الحرية	المثالية والصرامة	الاندفاع والفضول
لا تخافي إذا جنوني تراءى	ألتمس الهدوء والاطمئنان أحتجُّ على الخوف	الخوف	الشجاعة والجنون
سامحيني مُقدَّما لذنوبي	أعتذر عن أخطائي القادمة	المثالية المعيارية	التفرُّد الانزياح عن المعيار الاجتماعيّ
واعلَمي سوف أُكثِرُ الأخطاءَ	أتعهَّد بارتكاب الأخطاء الكثيرة	المثالية المعيارية	التفرُّد الانزياح عن المعيار الاجتماعيّ
يا ملاكا مازالَ يفهمُ ضعفي	أستعطفكِ	الأمومة	الحاجة إلى الرعاية
وحبيبا لم يهْوَ يوما رياءَ	أشعر بحبِّكِ - أتحبَّب إليكِ	الأمومة	الحاجة إلى الحب الصادق
عانقيني بشدةٍ واجرفيني	ألتمس الحب والتقبُّل والاحتواء	الأمومة والحنان والقداسة	الحاجة إلى الحب والتقبُّل والاحتواء
تلك بنتٌ كم تعشقُ الانتماءَ			
واتركيني في حضنكِ الحلوِ أغفو			
لكي أرى في مناميَ الأنبياءَ			
ذكِّريني كلَّ يومٍ بأنّي			
حبَّكِ البكر كي أزيد ارتواءَ			
شجِّعيني على العنادِ اسمحي لي	ألتمس التقبُّل والدعم والتعزيز	المثالية المعيارية	الحاجة إلى التقبُّل والدعم والتعزيز
أن أكون التي تحب المراءَ			
سامحيني إذا كذبت اعتذاري	أعتذر منكِ.. أعتذر منكِ	الاستياء من الكذب	الإحساس بالذنب
لونُ عينيكِ يجرحُ الكبرياءَ	أحمي كبريائي بالكذب	الهيبة والقوة	الكبرياء

سامحيني مليون ألف اعتذارٍ	أعتذر اعتذارات غير متناهية	–	الندم
عن مئاتِ الأيامِ ضاعتْ هباءَ		–	النُّضْج
لم أقلْها، إني أحبُّكِ، جدا	أحبكِ	–	الحب والانتماء
كيف للكون أن يزيد انتشاءَ	–	–	
لا تُضَحِّي بكلِّ شيءٍ لأجلي	أحتجُّ على التضحيات ألتمس التوقُّف عن التضحيات	الأمومة والعطاء	الرحمة الاستياء من عدم توازن العطاء
رأفةً بالجميع كُفِّي عطاءَ			
واترُكيني لكلِّ ما يتحدَّى	أحتجُّ على الحماية المفرطة ألتمس الحرية	المثالية المعيارية	الوعي التفرُّد والانزياح عن المعيار الاجتماعيّ الشجاعة والمخاطرة
لينَ عُودي لكي أطالَ السماءَ			
أعلم الآنَ أنَّ أمري صعبٌ،	أعلم تَبِعات جنوني	–	
لا أُبالي، نعم، أفورُ استياءَ	أتجاهل التَّبِعات رغم أنّي أنفعل وأستاء منها	–	
لا تَخافي عَلَيَّ مِنِّي،	أحتجُّ على الخوف ألتمس الهدوء أمام جنوني	المثالية المعيارية الخوف	الشجاعة والاندفاع
أدري.. أنَّ كلَّ الذي تخافينَ جاءَ..	أعلم أن خوفك في محلّه وقد صدَق		
لستُ خَيْرى بشأن نفسي ولكنْ،	أعلم أنَّ معضلتي معضلة	–	الوعي بالذات وبطبيعة النوع الإنسانيّ
ليس سهلا بأنْ نكونَ النساءَ	ألتمس التفهُّم لي ولكِ ولجميع النساء	–	

(جدول ٣)

ويُلحظ أنّ الشاعرة في حِوارها الداخليّ تستخدم مفردة غير مُتَداوَلة تتجسَّد في «ضاءَ»، كما يتجلَّى استرسال الأفكار والانفعالات من غير نظام منطقيّ، إنَّما الشعور يتدفَّق في حالته الناشئة، من غير تدخّل في تنظيمه وإعادة بناء تسلسله، فيُتاح للمتلقِّي الغوص في أغوار نفس الشاعرة، واستكناه عوالمها، والتلصُّص على أسرارها.

فالقصيدة تُمثِّل تدفُّقًا عشوائيا للمشاعر والانفعالات والأفكار والمُدْرَكات والذكريات والتنبُّؤات المستقبلية، في هيئة عبارات مباشِرة وقصيرة ومختزَلة، قد يعوزُها الترابط المنطقيّ ولا تخضع لنظام، فهي تداعيات حرَّة للوعي، وتكاد تقترب من منطقة اللاوعي، وتستثمرها الشاعرة؛ لإبراز التجربة الإنسانية الداخلية الباطنية، ومِن ثَمَّ رسم ملامح الذات وملامح الأم في آنٍ معًا.

وهكذا نكون إزاء وجهين، كل منهما يمثِّل انعكاسًا للآخر، فالذات الشعرية متفرِّدة شجاعة مُخاطِرة مندفعة توَّاقة للحرية ومُقْبِلة على الحياة وتجاربها، ورغم أنّها تتعهَّد بارتكاب الأخطاء، إلا أنها تشعر بالذنب تجاه والدتها، وتبحث عن حبها وتقبُّلها في الوقت نفسه، وعلى الجانب الآخر، نجد الأم مثالية صارمة خائفة على ابنتها ومُسرِفة في الحماية، غير أنَّ ذلك نابع أمومتها ونزوعها إلى العطاء.

السَّرد:

أمَّا السَّرد اللاحق لزمن الخِطاب (الاستشرافيّ التنبُّؤيّ)، فترسم من خلاله الشاعرة صورة الذات المُتحوِّلة من العناد والترفُّع عن الانقياد اصطداما، إلى النَّدم والإحساس بالذنب بعد كلِّ اصطدام، كما ترسم من خلاله صورة الأم المتأمِّلة المنكسِرة جرّاء كبرياء ابنتها وعنادها واستماتتها في إثبات وجهات نظرها. تقول الشاعرة:

سنخوضُ الشِّجارَ تلو شِجارٍ وسأهذي وقاحةً وغباءَ
ثُمَّ سِرّا أنا سأكره نفسي إنْ أثارَ الجِدالُ فيكِ البكاءَ

وأما السَّرد السابق لزمن الخطاب، فقد رسمت الشاعرة من خلاله، بالفعل الماضي والفعل المضارع المنصرف إلى الماضي بفعل أداة الجزم (لم)، صورةَ الذات الأنثوية التي لا تُفرط في أنوثتها الشكلية الظاهرية تزيُّنًا والنفسية الباطنية

خجلاً، علاوةً على صورة الذات الشاعرة المتحوِّلة من التيه والوحدة والاحتراق في الهوامش إلى الإشراق في المتون، وفق قولها:

لم أكــنْ مثلهنَّ أتـقـنُ كحلي أو كما الأخريـات أذوي حياءَ

قد تسكَّعتُ في الهوامشِ وَحْدي وحـريـقـي الـذي عرفتيهِ ضاءَ

ولعلَّه من الأهمية بمكان الإشارة إلى ظهور تحوُّل خطير من ضمير المُتكلِّم بصيغة المفرد إلى ضمير المتكلِّم بصيغة الجمع في البيت الأخير، ولعلَّه يُوهِم بأنَّ الصيغة تُحيل إلى الذات الشاعرة وأمها في آنٍ معًا، إلا أنَّها -من وجهة نظري- تشمل نساء العالم أجمع، فلَكأنَّها تقول إنَّ صراعها هو صراع جميع النّساء، وملامحها ملامحهنَّ جميعا، ولَكأنّها تقول إنَّ جِدالها مع أمِّها هو جِدال كلِّ فتاة مع أمِّها، فهو صِراع أزليّ، أو فلنقل إنَّه حوارٌ أزليّ كونيّ يدور في سلسلة لا تنقطع، ولَكأنَّه بورتريه مُطْلَق يجمع كل فتاة بأمّها عبر الزَّمان والمكان، ولعلَّ ما يعاضد هذا القول عدم تقديم أيّة إشارات في النص حول الزَّمان والمكان، ما يؤكِّد رُؤْيَويَّة البورتريه. تقول السّهلاوي:

لستُ حَيْرى بشأن نفسي ولكنْ ليس سهلاً بـأن نكون النساءَ

ومِن هنا نجد أنَّنا أمام بورتريه يجمع الشاعرة وأمها، فأمَّا الأم، فتتمثَّل ملامحها في المثالية والمعيارية والصرامة والخوف والحماية المفرطة النابعة من الحب والعطاء، فضلا عن الانكسار أمام كبرياء الابنة وعنادها، وأمَّا الابنة الشاعرة، فتتمثَّل ملامحها في التفرُّد والانزياح عن المعيار الاجتماعيّ والشجاعة والمخاطَرة، إضافةً إلى التَّوْق إلى الحرية والإقبال على الحياة، فضلا عن الحاجة إلى حب الأم وتقبُّلها، علاوةً على عدم الإفراط في الأنوثة الشكلية والنفسية، فضلا عن ملامح تحوُّلية مِن العناد والاصطدام مع الأم إلى الندم والإحساس بالذنب،

ومِن الاحتراق في الهوامش إلى الإشراق في المتون. ولعلَّ ختام القصيدة يُفْضي إلى القول برُؤْيُويَّة البورتريه وامتداده زمانيًّا ومكانيًّا، ومِن ثَمَّ فمن شأنه أن يصوِّر علاقة الفتيات بأمهاتهنّ.

ثالثًا: قصيدة «أحبِّيهم على مهلٍ»[١]

تَعْمَد الشاعرة في قصيدتها إلى رسم ٣ بورتريهات، اثنين منهما غيريّين والثالث ذاتيّ، فأما البورتريه الأول، فهو بورتريه الأنثى الطفولية الساذجة المُسْتَضْعَفة التي تخوض تحدّيات شتَّى على صعيد العلاقات الإنسانية، وأمَّا البورتريه الثاني، فهو بورتريه الأنثى القوية الحكيمة الناضجة التي تقدِّم توصيات وتوجيهات وتعليمات من شأنها تقوية الأنثى الأولى وتزويدها بأساسيات للتعامل مع الحياة وأهلها، وأرى أنَّ كليهما يُحيلان إلى الذات الشاعرة، ما يرسم لنا بورتريه ثالث لامرأة ضعيفة تسْتقوي أو ربما قوية تُستَضْعَف، فهو بورتريه يتشكَّل من ملامح متناقضة تخصُّ امرأتين متحاوِرَتيْن قابِعَتَيْن داخل الشاعرة.

ويتم ذلك من خلال تقنية الحوار الداخليّ، فالقصيدة عبارة عن مونولوج يتّخذ صيغة تيار الوعي مُتضمِّنا متوالية أفعال كلامية إنجازية غير مباشرة، فإنْ كانت أفعال القول تتمثَّل في أفعال الأمر والنهي، إذ تكرر الأول ١٤ مرة، بينما تكرر الثاني ٤ مرات في متن القصيدة، إلا أنّه بإمكاننا تأويلها كلها إلى فعل واحد متضمَّن في القول، يتمثَّل في الفعل التوجيهيّ «أوصي»، ويتكرَّر ١٨ مرة على سبيل التأكيد والترسيخ، وأما الفعل الناتج عن القول (الفعل التأثيريّ)، فيتمثَّل في توجيه الأنثى الأولى (المخاطَبة)؛ للتطبُّع بطباع الأنثى الثانية (المتكلِّمة)، واتباع نهجها في مواجهة تحديات علاقاتها الإنسانية. تُبْسط في الجدول التحليليّ

١- السهلاوي (أمل)، حساب الشاعرة في انستغرام، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/s/aGlnaGxpZ2h0OjE3ODQ4MDY4NTgzMjkwMDM1?story_media_id=1887254922135625246&igsh=M3NyMGo3dzI4dmp4

الآتي الأفعال الكلامية الإنجازية غير المباشرة، وما ترسمه مِن ملامح للذات المتكلِّمة والذات المخاطَبة:

النص	الأفعال الإنجازية غير المباشرة	ملامح الذات المتكلِّمة	ملامح الذات المخاطَبة
أحبِّيهمْ على مهلِ	أُوصي بالاتزان العاطفيّ	الاتزان العاطفيّ	الاندفاع العاطفيّ
وكوني حرَّةَ العقلِ	أوصي بالاستقلالية الفكرية	الاستقلالية الفكرية	التّبعية الفكرية
وخوضي العمرَ خاليةً	أوصي بالتخفُّف من الأعباء	خفَّة الروح	ثقل الروح بأعباء الحياة
وعيشي دهشةَ الطفلِ	أوصي باسترجاع الشَّغف	الشَّغف بالحياة	فقدان الشَّغف بالحياة
ولا تبكي على أحدٍ	أوصي بالتَّماسك عند الفراق	التَّماسك عند الفراق	الانهيار لحظات الفراق
ولا تسعَيْ إلى الوصلِ	أوصي بالتوقُّف عن ملاحقة الراحلين	التّقدير العالي للذات	ملاحقة الراحلين وانخفاض تقدير الذات
وإنْ آذَوْكِ فابتسمي	أوصي بابتسامة المنتصرين لحظة الأذى	التّقدير العالي للذات	الحزن لفرط الأذى وانخفاض تقدير الذات
وأَخْفي الدمعَ بالكُحلِ	أوصي بالسَّيطرة على الدمع والتجمُّل	التّقدير العالي للذات	سرعة انهمار الدمع والضَّعف النفسيّ
ورُدِّي صاعَهم صاعَيْن	أوصي -ثلاثا- بالتعامل بمبدأ (العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم) دون الفجور في الخصومة	التّقدير العالي للذات	التّهاون مع المُسيئين
رُدِّي الشيءَ بالمثلِ			التّهاون مع المُسيئين
وكوني السَّهمَ إن خذلوكِ			التّهاون مع المُسيئين
إذ يُدمي بلا قتلِ			-
وكوني صلبةً كالصخرِ	أوصي بالتَّماسك في المُلِمَّات	التَّماسك في المُلِمَّات	الانهيار في المُلِمَّات
أو كالوردِ في الحقلِ	أوصي بالحفاظ على الأنوثة	الأنوثة والجَمال	إهمال الأنوثة في المُلِمَّات

أَريهم بهجةَ الإنسانِ	أوصي بإظهار الأثر الإيجابيّ للعطاء على صاحبه	الابتهاج بالعطاء لذاته	الحزن جرّاء العطاء المجحود
إنْ أعطى بلا بخلِ			
أريهم كيف يحيا المرءُ	أوصي بإظهار المزاج الرائق وخفَّة الروح	المزاج الرائق وخفَّة الروح	التَّشويش والثِّقل النفسيّ نتيجة أعباء الحياة
خالي البالِ والرحلِ			
وجوبي الأرضَ حافيةً	أوصي بالسفر والاستمتاع وتخفيف الجِدِّية	الاستمتاع وعيش اللحظة	الجِدِّية الزائدة في الحياة
ولا تخشَيْ من الوَحْلِ	أوصي بالمخاطرة والمغامرة	المُخاطَرة	الخوف من المُخاطَرة
نخوضُ الوحلَ أحيانا	أؤكِّد على جدوى المخاطرة		
لنفهم بهجة الرملِ			
ولا لا تُشبهي أحدا	أوصي -مرَّتيْن- بعدم إلغاء الذات	التَّقدير العالي للذات	إلغاء الذات إرضاءً للآخرين
دعي الأشباهَ للظلِّ			

جدول (٤)

جدير بالذكر أن الضمائر المُشِيرة إلى المخاطَب تكرَّرت ٢٠ مرة، إذ جاءت ياء المؤنثة المخاطَبة ١٨ مرة، وجاءت كاف الخطاب مرتين، في حين أنَّ الضمائر المُشِيرة إلى المتكلِّم وردت مرتين فقط -مُستَترةً- بصيغة الجمع؛ على سبيل التضامن مع المخاطَب في الفعلين «نخوض» و«نفهم»، كما جاءت ضمائر الغيبة ٥ مرات؛ للإحالة على الشخصيات المُؤْذِية، إذ وردت «واو الجماعة» مرتين، في حين ورد الضمير المتصل «هم» ٣ مرات، ما يوضِّح لنا أنَّ الذات الطفولية الضعيفة هي محور تركيز الذات القوية الناضجة؛ بُغْية تحقيق الأفعال التأثيرية المَرْجوَّة.

وهكذا نجد أنَّ القصيدة برمَّتها تمثيلٌ لتيار وعي ينطوي على أفعال كلامية إنجازية توجيهية غير مباشرة، عملت على رسم بورتريهَيْن شِعْرِيَّيْن غيريَّيْن لأُنْثَيَيْن

غير متشابهتين في الوعي والقوة وتقدير الذات، ومِن ثَمَّ في أساليب التعامل مع الحياة والآخرين، فكلّ فعل إنجازيّ يستلزم صِفةً للذات المتكلِّمة، وصِفةً مُضادة للذات المخاطَبة، فالذات المتكلِّمة تمتاز بجُملة من الصفات، لعلَّ أهمَّها الاتزان العاطفيّ، والتقدير العالي للذات، وخفَّة الروح، والتَّماسك في المُلِمَّات، والمُخاطَرة، في حين تتَّسِم الذات المخاطَبة بالاندفاع العاطفيّ، وانخفاض تقدير الذات، وثِقل الروح بأعباء الحياة، والانهيار في المُلِمَّات، والخوف، وهلمَّ جرًّا.

وإذا ما أمْعنَّا النظر في هاتين الصورتين الشخصيتين لوجدناهما -في الواقع- مرآة للشاعرة، إذ باجتماعهما معًا، بكل تناقضاتهما، يتأتَّى لنا بورتريه ثالث، ألا وهو البورتريه الذاتيّ الذي يُحيل إلى الشاعرة، ولعلّ البورتريه الذاتيّ هنا يجسّد ملامحها خلال مرحلة تحوُّلية انتقالية على مستوى وعيها الخاص؛ فكأنها ترسم ملامح ذات كائنة هنا والآن، وملامح ذات أخرى تَروم أن تكونها، ولو كان للقصيدة من عنوان، لكان -في مِلَّتي واعتقادي- (وصايا إلى ذاتي).

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الشاعرة لم تُحدِّد الزمان والمكان في قصيدتها، بل قدَّمت إشارات تُوحي بإطلاقهما، وتتمثَّل في: « وخوضي العمرَ خاليةً»، و« وجوبي الأرضَ حافيةً»؛ ومِن ثَمَّ نعدُّها قصيدة رُؤْيَوِيَّة قد تَصْدُق على أيَّة فتاة تجوب الأرض وتخوض العمر، وتعيش مرحلة تحوُّلية على صعيد وعيها الخاص، وتتطوَّر من نسخة شخصية إلى أخرى، عبر الزَّمان والمكان.

ومن هُنا نجد أنَّ البورتريه الشعريّ يشكِّل ظاهرة في شعر أمل السهلاوي، لاسيَّما البورتريه الذاتيّ، ويعاضده البورتريه الغيريّ الذاتيّ الذي يُرام من خلاله الذاتيّ؛ ذلك أنَّ «الشعر مُسْتَوْدَعُ الذاتية»، والنص الشعري «بمثابة جملة واحدة آمِرة أو ناهية أو متوجِّعة»[1]، ويتم تشكيل البورتريه الشعريّ في شِعْرها عبر

١- مفتاح (محمد)، تحليل الخطاب الشعريّ: استراتيجية التناص، ص١٤٧.

تقنيات الوصف والسَّرد والحِوار الداخليّ الذي يأخذ صيغة تيار الوعي وتتخلَّله أفعال كلامية إنجازية بصفتها مُكوِّنات سردية، ولعلَّ تيار الوعي يمثِّل التقنية الأبرز، وتقدِّم الشاعرة من خلاله تفاصيل ذاتية خاصة، كما يُلحظ أنَّ البورتريهات الذاتية والبورتريهات الغيرية الذاتية تتَّسِم بالرُّؤْيَوِيَّة والإطْلاق.

ورغم أنَّ المرجعية الواقعية وهمٌ في كتابات الأنا، إلا أنّي، كقارئة ضمنية للسهلاوي، أذهب إلى وجود نسبة عالية من المرجعية في التخييل الذاتيّ عند السهلاوي، ولعلَّ ما يدفع إلى القول بذلك تطابق بعض الملامح الذاتية من بورتريه إلى آخر، كالشجاعة والمقاومة والاندفاع والمخاطَرة والسذاجة، فضلا عن وجود ملامح وملامح مضادَّة لها، كالخوف مقابل الشجاعة وهلمَّ جرّا.

الخاتمة

تَخْلُص الدارِسة إلى نتائج خاصَّة تتَّصل بالبورتريه الشعريّ في شعر أمل السهلاوي، فضلا عن نتائج عامَّة ترتبط بالبورتريه الشعريّ عموما، وبفكرة التفاعل بين الأجناس الأدبية والفنّ. أمَّا النتائج الخاصَّة، فتتمثَّل في الآتي:

- البورتريه الشعريّ يشكِّل ظاهرة في شعر أمل السهلاوي، إذ نجد لديها بورتريهات ذاتية وغيرية وغيرية ذاتية، تتجسّد من خلالها ملامح الذات أو الغير أو الذات من خلال الغير.
- لعلَّ البورتريه الذاتيّ هو الأبرز في شعر السّهلاوي، ويُشكِّل ظاهرة فيه، ويُعاضِده البورتريه الغيريّ الذاتيّ الذي ترسم الشاعرة من خلاله صورتها الذاتية، بينما توهِم برسم الصورة الشخصية للغير؛ ولعلَّ بروز هذين الشكلين يعود إلى النَّزعة الذاتية العالية في قصائدها.
- شخصية الشاعرة هي الشخصية المِحْوَرية لبورتريهاتها الشِّعرية، حتَّى حين ترسم الآخر، فإنَّها ترسم ذاتها في الواقع، وهي التي تُصرِّح بجمع ذاتها الإنسانية المتشظِّية في مرايا الآخرين.
- البورتريه الغيريّ في شعر السّهلاوي محدود ونادر، وغالبا ما يتناول شخصية معروفة وبارزة، أو شخصيات عامَّة مُطْلَقة، كما يأتي في نصوص وجيزة، وقد يرتبط بمناسبات أو أحداث اجتماعية محدَّدة.
- يتم تشكيل البورتريه الشعريّ في شِعْر السهلاوي عبر تقنيات الوصف والسَّرد والحِوار الداخليّ الذي يأخذ صيغة تيار الوعي، ويتخلَّله حَشْدٌ من الأفعال الكلامية الإنجازية في مُجْمَلها، ويبدو أنَّ تيار الوعي يُمثِّل التقنية الأبرز، وتقدِّم الشاعرة من خلاله تفاصيل ذاتية خاصَّة، وقد تنزع إلى المزج بين التقنيات كلِّها في القصيدة الواحدة.

- الملامح التي تعمل الشاعرة على رسمها في بورتريهاتها هي -في مُجْمَلِها- ملامح نفسية داخلية.
- رغم التداخل بين المرجعيّ والتخييليّ، إلا أنَّ ثمة نسبة من الصِّدق في عملية التخييل الذاتيّ، فهي أقرب إلى الذات المرجعية الواقعية؛ وذلك بشهادة وجود سمات جامعة للذَّوات المرسومة في القصائد المدروسة.
- الزَّمان والمكان مُطْلَقان في شِعْر أمل السهلاوي، فإمَّا أن تصمت الشاعرة عنهما، أو أنْ تقدِّم إشارات تُوحي برُؤْيُوِيَّتهما.
- وأمَّا النتائج العامة فتتمثَّل في الآتي:
- لعلَّ التفاعل بين الفنّ والأدب ينبثق من وعي الأدباء بضرورة تغذية الجانب البصريّ؛ لاستمالة ذوي الإدراك البصريّ إلى جانب ذوي الإدراك السمعيّ، لاسيّما في الشعر الذي -في الواقع- لا يتأسَّس على الموسيقى فحسب، بل تعاضد الصورةُ الموسيقى في جَعْل الشِّعْر شِعْرًا.
- البورتريه الشعريّ ظاهرة ثاوية في الشِّعرية المُعاصِرة، وتحديدًا في الشِّعْر التعبيريّ ذي الطابع الدراميّ والطابع الغنائيّ الذاتيّ.
- البورتريه الشعريّ وجهٌ من وجوه التَّناص الذي يكون بحلول جنس أدبيّ في جنس أدبيّ آخر؛ إذ تتشكَّل هذه الظاهرة باختراق تقنيات السَّرد مجال الشِّعر.
- البورتريه الشعريّ لا يتطلَّب ميثاقًا أجناسيًّا، كما هو الحال في السيرة الذاتية مثلا أو في جنس البورتريه السرديّ، إنَّما القراءة الواعية للقصائد، تجعلنا نَسْتَشِفّ بروز ظاهرة البورتريه الشِّعْريّ؛ ذلك أنّ البورتريه الشعريّ غير قَصْديّ، على نقيض البورتريه السرديّ جنسًا أدبيًّا، إذ يكون فيه رسم الصورة الذاتية أو الغيرية مقصودًا.

- البورتريه الذاتيّ لا يقدِّم صورة الشاعر وَحْدَه، إنَّما يُقدِّم معه لاشعورًا جَمْعيًّا وخلفيات ثقافية وأيديولوجيات متعدِّدة.

- مهما ذهبنا إلى رسم الحدود بين أشكال البورتريهات وتصنيفها، إلا أنها تتفاعل وتتداخل وتتأثَّر ببعضها بشكل أو بآخر، فالبورتريه الغيريّ مثلا، وإنْ كان يقدِّم ملامح الغير، إلا أنَّه في الوقت نفسه يقدِّم وجهة نظر الشاعر وتصوُّراته وانطباعاته، فيأخذ مِن ملامحه بشكل أو بآخر.

ثبت المصادر والمراجع

أولا: المُدوَّنات:

- السهلاوي (أمل)، حساب الشاعرة في انستغرام، الرابط المباشر: https://www.instagram.com/amal_alsahlawi?igsh=MWM2c2J1OWFrd3RvMw==
- السهلاوي (أمل)، كان عليّ أن أؤجِّلك، رواشن للنشر، ط١، الإمارات، ٢٠٢١م.

ثانيا: المصادر والمراجع:

- برنس (جيرالد)، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- البوعمراني (محمّد الصّالح)، العقل السرديّ: مدخل إلى السرديات العرفانية، منشورات مسكلياني، ط١، تونس، ٢٠٢٣.
- جبّار (سعيد)، وآخرون، كتابة الأنا بين المرجعيّ والتخييليّ: من السيرة الذاتية إلى التخييل الذاتيّ (نصوص مترجمة)، تر: توفيق الستيتي وآخرون، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، عمَّان، ٢٠٢٢م.
- الجرجاني (علي بن محمد)، معجم التعريفات، تحقيق محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت).
- جينيت (جيرار)، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، تر: محمد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة ضمن المشروع القومي للترجمة، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧م.
- حمداوي (جميل)، نظرية الأجناس الأدبية: آليات التجنيس الأدبي في ضوء المقاربة البنيوية التاريخية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١٥م.
- سيرل (جون)، العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعيّ، تر: صلاح إسماعيل، المركز القوميّ للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١١م.
- سيرل (جون)، القصدية: بحث في فلسفة العقل، تر: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، بيروت، ٢٠٠٩م.

- صحراوي (مسعود)، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م.
- طريطر (جليلة)، أدب البورتريه: النظرية والإبداع، دار محمد علي للنشر، ط١، صفاقس، ٢٠١١م.
- عباس (إحسان)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط٥، عمّان، ٢٠١١م.
- عروس (بسمة)، التفاعل في الأجناس الأدبية: مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة، مؤسسة الانتشار العربيّ، ط١، بيروت، ٢٠١٠م.
- أبو عياش (صلاح الدين)، معجم مصطلحات الفنون (ج١)، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط١، عمّان، ٢٠١٥م.
- فضل (صلاح)، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، ط١، بيروت، ١٩٩٥م.
- القاضي (محمد)، وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، ط١، تونس، ٢٠١٠م.
- قباني (نزار)، الرسم بالكلمات، منشورات نزار قباني، ط٢٢، بيروت، ٢٠٠٥م.
- قسّومة (الصادق)، طرائق تحليل القصة، ج١، دار الجنوب، ط٢، تونس، ٢٠١٥م.
- لوجون (فيليب)، السيرة الذاتية: الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حلمي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٤م.
- مفتاح (محمد)، تحليل الخطاب الشعريّ: استراتيجية التناص، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، ط٣، ١٩٩٢م.
- مكاوي (عبدالغفار)، قصيدة وصورة: الشعر والتصوير عبر العصور (ضمن سلسلة عالم المعرفة)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م.
- النَّصري (فتحي)، السرديّ في الشعر العربيّ الحديث: في شعرية القصيدة السردية، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط٢، تونس، ٢٠٢٠.

- هلال (محمد غنيمي)، الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت.

ثالثًا: المجلات والدوريات:

- البوعمراني (محمّد الصّالح)، البورتريه السرديّ عند كمال العيّادي الكينغ وتوسيع دائرة الجنس، بحث مرقون قيد النشر في إحدى المجلات (تم الاطلاع على البحث عن طريق التواصل المباشر مع الباحث).
- أبو الوفا (منى سعيد عبده)، البورتريه: صورة الشخصية في شعر حلمي سالم، مجلة البحث العلميّ في الآداب: اللغات وآدابها (تصدر عن جامعة عين شمس)، المجلد ٢٣، العدد ٠٥، ٢٠٢٢م.
- ويست (شيرر)، فن البورتريه: مجموعٌ غنيٌّ من الارتباطات والانتظارات النفسية والاجتماعية، تر: رضا الأبيض، مجلة نزوى: فصلية ثقافية (تصدر عن وزارة الإعلام في عُمان)، العدد ١١٨، ٢٠٢٤م.

رابعًا: المراجع الأجنبية:

- Pascal (Roy), Design and Truth in Autobiography, Routledge Taylor & Francis Group, E1 (of new edition) London and New York, 2016.

First: Blogs:

- al-Sahlāwī, Amal., Poet's Instagram account, direct link: https://www.instagram.com/amal_alsahlawi?igsh=MWM2c2J1OWFrd3RvMw==
- al-Sahlāwī, Amal. Kāna ʿAlayya an Uʾajjilak. Rawāshin lil-Nashr, UAE, 1st ed., 2021.

Second: Sources and references:

- Prince, Gérard. Qāmūs al-Sardiyyāt. Trans. al-Sayyid Imām. Mirit lil-Nashr wa-l-Maʿlūmāt, 1st ed., Cairo, 2003.
- al-BuʿUmrānī, Muḥammad al-Ṣāliḥ. al-ʿAql al-Sardī: Madkhal ilā al-Sardiyyāt al-ʿIrfāniyyah. Manshūrāt Miskilyānī, 1st ed., Tunis, 2023.
- Jabbār, Saʿīd, et al. Kitābat al-Anā bayn al-Marjaʿī wa-l-Takhyīlī: min al-Sīrah al-Thātiyyah ilā al-Takhyīl al-Thātī (Nuṣūṣ Mutarjamah). Trans. Tawfīq al-Sitītī et al. Dār Kunūz al-Maʿrifah lil-Nashr wa-l-Tawzīʿ, 1st ed., ʿAmmān, 2022.
- al-Jurjānī, ʿAlī ibn Muḥammad. Muʿjam al-Taʿrīfāt. Ed. Muḥammad Ṣiddīq al-Manshāwī. Dār al-Faḍīlah, Cairo, n.d.
- Genette, Gérard. Khiṭāb al-Ḥikāyah: Baḥth fī al-Manhaj. Trans. Muḥammad Muʿtaṣim et al. al-Majlis al-Aʿlā lil-Thaqāfah Ḍimn al-Mashrūʿ al-Qawmī lil-Tarjamah, 2nd ed., Cairo,1997.
- Ḥamdāwī, Jamīl. Nadhariyyat al-Ajnās al-Adabiyyah: Āliyāt al-Tajnis al-Adabī fī Ḍawʾ al-Muqārabah al-Bunyawiyyah al-Tārīkhiyyah. Afrīqiyā al-Sharq, Casablanca, 2015.
- Searle, John. al-ʿAql wa-l-Lughah wa-l-Mujtamaʿ: al-Falsafah fī al-ʿĀlam al-Wāqiʿī. Trans. Ṣalāḥ Ismāʿīl. al-Markaz al-Qawmī lil-Tarjamah, 1st ed., Cairo, 2011.
- Searle, John. al-Qaṣdiyyah: Baḥth fī Falsafat al-ʿAql. Trans. Aḥmad al-Anṣārī. Dār al-Kitāb al-ʿArabī wa-Muʾassasat Muḥammad bin Rāshid Āl Maktūm, Beirut, 2009.
- Ṣaḥrāwī, Masʿūd. al-Tadāwuliyyah ʿind al-ʿUlamāʾ al-ʿArab: Dirāsah Tadāwuliyyah li-Dhāhirat al-Afʿāl al-Kalāmiyyah fī al-Turāth al-Lisānī al-ʿArabī. Dār al-Ṭalīʿah lil-Ṭibāʿah wa-l-Nashr, 1st ed., Beirut, 2005.

- Ṭarīṭar, Jalīlah. Adab al-Burtrīh: al-Nadhariyyah wa-l-Ibdāʿ. Dār Muḥammad ʿAlī lil-Nashr, 1st ed., Ṣafāqis, 2011.
- ʿAbbās, Iḥsān. Tārīkh al-Naqd al-Adabī ʿind al-ʿArab. Dār al-Shurūq lil-Nashr wa-l-Tawzīʿ, 5th ed., ʿAmmān, 2011.
- ʿArūs, Basmah. al-Tafāʿul fī al-Ajʿnās al-Adabiyyah: Mashrūʿ Qirāʾah li-Namāthij min al-Ajʿnās al-Nathriyyah al-Qadīmah. Muʾassasat al-Intishār al-ʿArabī, 1st ed., Beirut, 2010.
- Abū ʿAyyāsh, Ṣalāḥ al-Dīn. Muʿjam Muṣṭalaḥāt al-Funūn (Juzʾ 1). Dār Usāmah lil-Nashr wa-l-Tawzīʿ, 1st ed., ʿAmmān, 2015.
- Faḍl, Ṣalāḥ. Asālīb al-Shiʿriyyah al-Muʿāṣirah. Dār al-Ādāb, Beirut, 1st ed., 1995.
- al-Qāḍī, Muḥammad, et al. Muʿjam al-Sardiyyāt. Dār Muḥammad ʿAlī lil-Nashr, 1st ed., Tunis, 2010.
- Qabbānī, Nizār. al-Rasm bil-Kalimāt. Manshūrāt Nizār Qabbānī, 22nd ed., Beirut, 2005.
- Qassūmah, al-Ṣādiq. Ṭarāʾiq Taḥlīl al-Qiṣṣah (Juzʾ 1). Dār al-Janūb, 2nd ed., Tunis, 2015.
- Lejeune, Philippe. al-Sīrah al-Thātiyyah: al-Mīthāq wa-l-Tārīkh al-Adabī. Trans. ʿUmar Ḥilmī. al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 1st ed., Beirut, 1994.
- Miftāḥ, Muḥammad. Taḥlīl al-Khiṭāb al-Shiʿrī: Istrātījiyyat al-Tanāṣ. al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 3rd ed., Casablanca,1992.
- Makāwī, ʿAbd al-Ghaffār. Qaṣīdah wa-Ṣūrah: al-Shiʿr wa-l-Taṣwīr ʿAbr al-ʿUṣūr (Ḍimn Silisilat ʿĀlam al-Maʿrifah). al-Majlis al-Waṭanī lil-Thaqāfah wa-l-Funūn wa-l-Ādāb, Kuwait, 1978.
- al-Naṣrī, Fatḥī. al-Sardiyy fī al-Shiʿr al-ʿArabī al-Ḥadīth: fī Shiʿriyyat al-Qaṣīdah al-Sardiyyah. Miskilyānī lil-Nashr wa-l-Tawzīʿ, 2nd ed., Tunis, 2020.
- Hilāl, Muḥammad Ghunaymī. al-Rūmāntīkiyyah. Nahḍat Miṣr lil-Ṭibāʿah wa-l-Nashr wa-l-Tawzīʿ, Cairo, n.d.

Third: Journals and Periodicals:

- al-Buʿumrānī, Muḥammad al-Ṣāliḥ. al-Burtrīh al-Sardī ʿind Kamāl al-ʿAyādī al-Kīng wa-Tawsīʿ Dāʾirat al-Jins. Forthcoming, manuscript accessed via direct communication with the author.
- Abū al-Wafā, Munā Saʿīd ʿAbduh. al-Burtrīh: Ṣūrat al-Shakhṣiyyah fī Shiʿr Ḥilmī Sālim. Majallat al-Baḥth al-ʿIlmī fī al-Ādāb: al-Lughāt wa-Ādābuhā, ʿAyn Shams University, Vol. 23, Issue 5, 2022.

- West, Scherer. Fan al-Burtrīh: Majmūʿ Ghanī min al-Irtibāṭāt wa-l-Intidhārāt al-Nafsiyyah wa-l-Ijtimāʿiyyah. Trans. Riḍā al-Abyaḍ. Majallat Nizwa, Oman, Issue 118, 2024.

Fourth: Foreign references:

- Pascal (Roy), Design and Truth in Autobiography, Routledge Taylor & Francis Group, E1 (of new edition) London and New York, 2016.

المُلْحَقات

قصيدة «قد قيل لي وجهُ بريءْ»[١]

قد قيلَ لي وجهٌ بريءْ
وجهي الذي أحببتُهُ
وجهي الذي يترقّب الأيام..
تعبره الحقيقةُ والظّلال..
وألفُ إنسانٍ مضى..
وجهٌ بريءْ..
وجهٌ بكلِّ الليلِ في الدنيا..
يكافحُ كي يضيءْ..
عينان يسكرها الوجود..
فمٌ غبيٌّ..
ليتَهُ يحتجُّ يوما بالسّكوتْ..
أنا أموتْ..
لكنَّ وجهي..
مستمرٌّ في الحياة..
يقبِّل الأيام..
يضحكُ أو يغنّي..
كم تفلتُ الأشياءُ منّي..

١- السهلاوي (أمل)، كان عليَّ أن أؤجِّلك، رواشن للنشر، ط١، الإمارات، ٢٠٢١م. ص٦٨.

قصيدة «أتفهمُ قصدي»[1]

أتفهمُ قصدي؟
إذا ما سكتُّ..
إذا طالَ صمتي..
إذا ما صرختُ بلا أيّ صوتِ..
أتفهمُ قصدي؟
إذا كنتُ أضحكُ حدّ الشهَقْ..
ودمعٌ ثقيلٌ يبلّل كلّ البياض..
يشوّشُ كلّ الرؤى في عيوني..
حتى الغرقْ..
أتفهمُ قصدي؟
لقد خذلتني الحواراتُ جدّا..
وأقصتْنيَ اللغةُ الدّارجة..
لذا سأثرثرُ بالصمت حينا..
وحينا بضحكتيَ السّاذجة..

١- السهلاوي (أمل)، كان عليَّ أن أؤجِّلك، ص٢١.

قصيدة «أراقبهم يعبرونَ الحياة»[١]

أراقبُهمْ
يعبرون الحياةَ..
كخطبٍ جَلَلْ..
أراقبهمْ..
إذ يرَونَ السّحابْ
ولا يشعرونَ.. ببعضِ الأملْ..
إذا أمطرتْ.. يجمعون الثيابْ..
يخافونَ حدّ الجنون..
البلَلْ..
مُملّون..
لا دهشةٌ في العيونْ..
ولا ضحكةٌ..
يعتريها خَجلْ..
قساةٌ كمَن وُلِدوا من جَبلْ

١- السهلاوي (أمل)، كان عليّ أن أؤجِّلك، ص٣٦.

قصيدة «مذ جئتَ تضحكُ للحياة»[1]

مذ جئتَ تضحكُ للحياة ملأتَها..
ثقةً.. بأنَّ الفوز.. للحلم البهيّ..
أسرجتَ خيل الأمنيات مسابقًا..
وأخذتنا لغدٍ.. نحبّ ونشتهي..
تبدو بسعيكَ في الطريق كواحدٍ..
ويعيش داخلك الوجودُ ويزدهي..
ومحمدٌ لدبيّ.. قصةُ شاعرٍ
جعل البلاد.. قصيدةً لا تنتهي..

١- السهلاوي (أمل)، حساب الشاعرة في انستغرام، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/CgBwtHvrBvN/?igsh=MXJxcG5nZjRzaXgyag%3D%3D

قصيدة «إذا أحزنوك»[١]

إذا أحزنوكَ..

فحزنكَ أقدم..

وإن حاصروك..

فطروادةٌ أنتَ.. أسقط حصونك..

لا تنتظرهم..

ترجَّل قليلا..

لديك مكانٌ لبعض الهزائم..

إنّ الهزيمة شيءٌ حميم..

دعِ الشّمس تغرب..

إنّ النهار إذا طال جدّا..

يصيرُ جحيم..

ترنّح كأثملَ ما يمكن المَرء..

غنّ النهايات..

إنّ الغناء بلحنِ الخَسارات.. نصرٌ عظيم..

١- السهلاوي (أمل)، كان عليّ أن أؤجِّلك، ص٦٠.

مُقطَّعة «هي الأيامُ تُحْدثُ فيك تيها»[1]

هي الأحلامُ تُحْدِثُ فيكِ تيها.. وتأخذُ منكِ ما تجدينَ فيها..

وتحترسينَ في الخطواتِ لكنْ.. لكلّ طريقةٍ ما يعتريها..

وتكترثينَ للأيامِ تمضي.. وشيءٌ فيكِ حتما يصطفيها..

تخلِّدُ روحكِ اللحظات حتّى.. تبجّلَ لحظةٌ من مُتْرَفيها..

١- السهلاوي (أمل)، حساب الشاعرة في انستغرام، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/CyEvnYby5nb/?igsh=Nm9veGpzN2RjOXhu

قصيدة «أكادُ أجنُّ من فرطِ اندفاعي»[١]

أكـاد أجـنُّ مـن فـرط اندفاعي وضيق الأرضـ رغـم الاتساعِ
أريـد العيش حلْما بعد حلمٍ ولـكـنَّ المـديـنـة لا تـراعـي
أنـا الأمُ، الـفـتـاةُ، الطفلُ حينا وشـــاعـرةٌ تـئـنُّ بـغـير داعِ
أنـا الإنـســان.. في كـل المـرايـا وأجـمـعُـني.. بـقـدرِ المستطاعِ
إذا كـانـتْ سنينُ الـعـمرِ بحرا فـقـد بـلَّـلـتُ مـن أزلٍ شراعي
وإنْ كانَ الصراعُ صراعَ غابٍ فكم راقـصـتُ أبـطـال السباعِ
وإنْ قـالـوا لها قـلـبٌ ضعيف أقـول نعم ضعيفٌ في الـوداعِ
وبـي مِـن قسوةِ المـدنيّ شيءٌ وبـي من دفءِ سكّان المراعي
ويوقظُني بنصفِ الليلَ خوفٌ لإصـرارِ القطيعِ على ابتلاعي
يواجهني الزمانُ بألفِ وحشٍ ويجبرني الطريقُ على الضياعِ
وبـي ضـجـرٌ ويـأسٌ غـير أنّي أُعـيـدُ بـكـل فـجـرٍ اخـتـراعـي

١- السهلاوي (أمل)، حساب الشاعرة في انستغرام، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/CxD7dgTSmR5/?igsh=MWZ1bG16NjA2Ymw1NA%3D%3D

قصيدة «اتركيني أحاور الأشياءَ»[1]

اتركيني أحاورُ الأشياءَ ... لا تخافي إذا جنوني تراءى
سامحيني مقدَّما لذنوبي ... واعلَمي سوف أُكثرُ الأخطاءَ
يا ملاكا مازالَ يفهمُ ضعفي ... وحبيبا لم يهْوَ يوما رياءَ
عانقيني بشدّةٍ واجرِفيني ... تلك بنتٌ كم تعشقُ الانتماءَ
واتركيني في حضنكِ الحلوِ أغفو ... لكي أرى في منامَيَ الأنبياءَ
ذكِّريني كلَّ يومٍ بأنّي ... حبَّكِ البكر كي أزيد ارتواءَ
شجِّعيني على العنادِ اسمحي لي ... أنْ أكون التي تحب المراءَ
سامحيني إذا كذبتُ اعتذاري ... لونُ عينيكِ يجرحُ الكبرياءَ
سنخوضُ الشِّجارَ تلو شجارٍ ... وسأهذي وقاحةً وغباءَ
ثمّ سرّا أنا سأكرهُ نفسي ... إنْ أثارَ الجِدالُ فيكِ البكاءَ
سامحيني مليون ألف اعتذارٍ ... عن مئاتِ الأيامِ ضاعتْ هباءَ
لم أقلها، إني أحبّكِ، جدا ... كيف للكون أنْ يزيد انتشاءَ
لا تُضحِّي بكلِّ شيءٍ لأجلي ... رأفةً بالجميعِ كُفِّي عطاءَ
واتركيني لكل ما يتحدى ... لينَ عودي لكي أطالَ السماءَ

١- السهلاوي (أمل)، حساب الشاعرة في انستغرام، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/p/Cwnorw_LA8u/?igsh=NjIxeTVxNHo0c3F4&img_index=1

أعـلـمُ الآنَ أنَّ أمــريَ صعبٌ لا أُبــالي، نـعـم، أفــورُ استياءَ

لم أكــنْ مثلهنَّ أتـقـنُ كحلي أو كما الأخـريـاتِ أذوي حياءَ

قد تسكّعتُ في الهوامش وحدي وحريقي الـذي عرفتيه، ضاءَ

لا تـخـافي عـلـيَّ مـنـي، أدري أنَّ كـلّ الــذي تـخـافـين جـاءَ

لستُ حَيْرى بشأن نفسي ولكنْ ليس سهلا بـأن نكون النساءَ

قصيدة «أحبِّيهم على مهلِ»[1]

أحـبِّـيـهـمْ عـلـى مـهـلِ وكـونـي حـرَّةَ الـعـقـلِ
وخـوضـي الـعـمـرَ خـالـيـةً وعـيـشـي دهـشـةَ الـطـفـلِ
ولا تـبـكـي عـلـى أحـدٍ ولا تـسـعَـيْ إلى الـوصـلِ
وإنْ آذَوْكِ فابتسِمي وأخـفـي الـدمـعَ بـالـكُـحـلِ
ورُدِّي صـاعَـهـم صـاعَـيْن رُدِّي الـشـيءَ بـالمـثـلِ
وكـونـي الـسـهـمَ إن خـذلـوكِ إذ يُـدمـي بـلا قـتـلِ
وكـونـي صـلـبـةً كـالـصـخـرِ أو كـالـوردِ في الحـقـلِ
أريـهـم بـهـجـةَ الإنـسـانِ إنْ أعـطـى بـلا بـخـلِ
أريـهـم كـيـف يـحـيـا المـرءُ خـالـي الـبـالِ والـرحـلِ
وجـوبـي الأرضَ حـافـيـةً ولا تـخـشَـيْ مـن الـوحـلِ
نـخـوضُ الـوحـلَ أحـيـانًـا لـنـفـهـمَ بـهـجـةَ الـرمـلِ
ولا لا تُـشـبـهـي أحـدًا دَعـي الأشـبـاهَ لـلـظـلِّ

١- السهلاوي (أمل)، حساب الشاعرة في انستغرام، الرابط المباشر:
https://www.instagram.com/s/aGlnaGxpZ2h0OjE3ODQ4MDY4NTgzMjkwMDM1?story_media_id=1887254922135625246&igsh=M3NyMGo3dzI4dmp4

المصطلح النقدي وشعر النساء: «فحولة الشعراء» للأصمعي أنموذجًا

Critical Terminology and Women's Poetry: Al-Asma'i's «Fuhulat al-Shu'ara» as a Model

د. سليم قسطي
دكتور في الأدب العربي القديم، جامعة السربون، باريس ٤
أستاذ مبرز في جامعة ستراسبورغ، فرنسا

Dr. Salim Qusti
PhD of Classical Arabic Literature, Sorbonne University, Paris IV
Distinguished Professor at the University of Strasbourg, France

https://doi.org/10.47798/fom.2024.i4.04

ملخص البحث

لا يختلف اثنان في أمرين: أولهما أن الشعر العربي من أهم مصادر معرفة تاريخ وثقافة العرب وثانيهما أن ما وصل إلينا من الشعر العربي وخاصة الجاهلي منه ليس إلا غيضا من فيض. ومن يقرأ ما وصلنا من كنوز الشعر الجاهلي لا يصطدم باسم شاعرة إلا نادرا وكأن الشعر كان حكرا على الرجال.

زخرت مصادر الشعر الجاهلي منذ القديم بقصائد الشعراء ولم تحظ قرائح النساء بالاختيار والتدوين. وواصل المهتمون بجمع الشعر وتمحيصه على نهج الأصمعي والمفضل وأبي زيد القرشي فلم يعيروا لشعر النساء الجاهليات اهتماما. وتبعهم في ذلك النقاد الذين خلقوا معجما لغويا يجعل من الشعر فنا لا يتمكن منه إلا الرجال، فنا لا تبدع فيه المرأة أبدا. ورغم بعض الجهود المتواضعة من أبي تمام والمرزباني والسيوطي بقي شعر الرجال طاغيا على مختارات الشعر الجاهلي ودراسات النقاد إلى يومنا هذا.

إنّ الإشكالية التي نطرحها في دراستنا تتمثل في علاقة المعجمية العربية بدراسة الشعر النسوي القديم ونقده، والدور الذي لعبه المعجم اللغوي لنقادنا القدامى في إقصاء المرأة من سيرورة شعرنا العربي.

الكلمات المفتاحية: المعجمية العربية، بينية، نقد، الشعر النسوي القديم، فحولة، طبقات، لين، الأصمعي، الجمحي، رثاء، ثقافة، حيوان.

Abstract

Two things do not differ: the first is that Arabic poetry is one of the most important sources of knowledge of the history and culture of the Arabs, and the second is that the Arabic poetry that has reached us, especially the pre-Islamic poetry, is only the tip of the iceberg. Whoever reads what we have received of the treasures of pre-Islamic poetry will rarely come across the name of a female poet, as if poetry was restricted to men.

Since ancient times, the sources of pre-Islamic poetry have been full of poems by poets, and women's poems have not been chosen or codified. Those interested in collecting and examining poetry continued following the approach of Al-Asma'i, Al-Mufaddal, and Abu Zaid Al-Qurashi, and did not pay attention to the poetry of pre-Islamic women. They were followed in this by critics who created a linguistic dictionary that made poetry an art that only men could master, and an art in which women would never excel. Despite some modest efforts by Al-Marzbani, Al-Suyuti, and Abu Tammam, men's poetry has remained dominant in pre-Islamic poetry selections and critics' studies to this day.

The problem that we raise in our study is the relationship of the Arabic lexicography to the study and criticism of ancient feminist poetry, and the role that the linguistic dictionary of our ancient critics played in excluding women from the process of our Arabic poetry.

Keywords: Arabic lexicography, interstitialism, criticism, ancient feminist poetry, masculinity, layers, softness, Al-Asma'i, Al-Jumahi, lamentation, culture, animal.

مقدمة

الأصمعي الذي نتعرض إليه هو لغوي وراوية عصره وقد قال عنه الزبيدي: «كان الأصمعي من أوثق الناس في اللغة وأبرع الناس جوابا وأحضر الناس ذهنا ولم يتهم الأصمعي في شيء في دينه».[1] أما عالمنا هذا فقد عاش حتى السنة السادسة عشرة من القرن الثالث الهجري إبان خلافة العباسيين الذين اشتهروا بتشجيع العلم والمعرفة. وبقدر ما زخرت المراجع بأخبار الأصمعي وأفاضت في ذكر أخباره وكتبه فقد ضنت عن أهم كتاب له وهو «فحولة الشعراء»، فلم يذكر إلا نادرا. ويعدُّ هذا الكتاب أقدم سفر في النقد العربي وموسوعة حاملة لأسماء كثيرٍ من الشعراء اشتهروا في عصره والعصور السابقة خاصة في العصر الجاهليٍ. وهذا الكتاب هو إجابات الأصمعي لأسئلة تلميذه أبي حاتم السِّجستاني. «فالكتاب هو إجابات أسئلة وجهت للأصمعي من طرف تلميذه أبي حاتم السجستاني ولكن هذا الأخير لا يتردد أحيانا في أن يضيف إلى آراء أستاذه بعض التعليقات أو الشروح اليسيرة»[2]. وبكتابه هذا، يعدّ الأصمعي من المؤسسين للنقد العربي، حيث إن السياق العام الذي يندرج من ضمه هذا المؤلَّف يشتمل على اتجاهين: أولا الكشف عن الشعراء الفحول وعن الشعراء الذين ليست صفة الفحولة وأسباب ذلك، ثانيا تقديم مصطلحات ودلالات في مفاهيم ثابتة، ذلك أن الفترة التي يشملها كاتبنا تشكل مرحلة نضج المصطلحات والمفاهيم في مجال النقد. ولعل هذا الكتاب سفر مفتوح للمعجمية العربية في مجال النقد في مرحلة لها خصوصياتها الثقافية والتاريخية.

١- الزبيدي، أبو بكر، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط. ٢، ص. ٦٩.

٢- الطرابلسي، أمجد، نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس الهجري، ترجمة إدريس بلمليح، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط. ١، ١٩٩٣، ص. ٦٤.

للألفاظ أوجه كثيرة من الاستعمالات الاصطلاحية واللغوية لهذا ما وجب أن نتبينه كيف وضعت هذه المصطلحات اللغوية مفاتيح النقد العربي آنذاك، لأن المصطلح الذي يدل على شيء محدد وتتميز به المعاني والأشياء بعضها عن بعض هو المعبر الأول عن هوية أمة وثقافتها وأصالتها، كما أنه جزء هام من المنهج العلمي ويعبر عن لغة التفاهم بين النقاد. فالمصطلحات «تحتفظ في صلبها بطبقات دلالية ورثتها عن مجمل الحقب التاريخية التي مرت بها متى كتب لها الاستمرار ولم تنقرض ولا يمكن أن نفهم النقد دون اقتحام عقبة هذه المصطلحات».[١]

موضوع هذا المقال هو مصطلح الفحولة في النقد القديم تأسيسا لنص «فحولة الشعراء» للأصمعي. فالقارئ لكتب النقد القديم، يظن أن الجودة هي المعيار الأول والأخير في الحكم على الشعر والشعراء حسب قول قدامة ابن جعفر «النقد هو علم جيد الشعر من رديئه»[٢] لكن المعيار الحاضر دوما ليس كذلك، لأن أول المعايير هو الفحولة ونقصد هنا الذكورة. زخرت مكتباتنا بكتب النقد القديم رغم غياب نصوص كثيرة تكوّن لهذا المتن النقدي كليا أو جزئيا، واكتفى نقادنا اليوم بهذا الفيض من الكتب وراحوا يدرسونه مستعملين مصطلحات عديدة ومقاربات مختلفة. وهنا تظهر مشكلتان: الأولى مشكلة المصطلح والثانية مشكلة القراءة. نجد أن هناك مصطلحات أهملت وأخرى حرّفت كما هو الحال في مصطلح الفحولة الذي غاب عن الدراسات النقدية تارة أو أنه لم يفهم الفهم الصحيح تارة أخرى. لهذا اخترنا مصطلح الفحولة لثلاثة أسباب: أولا مركزية هذا المصطلح في حكم نقادنا القدماء على الشعر والشعراء، ثانيا أن مركزية هذا المصطلح تعد خطورة في الحكم النقدي لأنه ببساطة يهمل شعر المرأة فلم يدرس

١- البوشخي، الشاهد، مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهلين والإسلاميين، قضايا ونماذج، دار القلم، ط. ١، ١٩٩٣، ص. ٢٣.

٢- قدامة، ابن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ص. ١١.

شعر النساء وأهمل إهمالا، أما السبب الثالث فهو نجاعة استعمال الدراسة البينية في فهم هذا المصطلح رغبة في فهم المعجمية العربية الخاصة بالشعر. على هذا الأساس، تتمحور إشكاليتنا كما يلي: ما مدى نجاعة الدراسات البينية في دراسة مصطلح الفحولة في كتاب فحولة الشعراء للأصمعي من أجل معرفة أسباب تهميش الشعر النسائي القديم؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية، سندرس مصطلح الفحولة في ثلاثة مجالات معرفية أولا الفحولة وعالم الحيوان، ثانيا الفحولة كمصطلح نقدي للشعر العربي، وأخيرا الفحولة وعلم الاجتماع الثقافي كل هذا من أجل إثراء المعجمية العربية في مجال نقد الشعر العربي.

سنعتمد في بحثنا عن منهجية ثلاثية الأبعاد: أولا تاريخية لسانية، فنتصفح في أمهات الكتب حضور مصطلح الفحولة ومعانيه، لأن هذا الأخير جاب العصور من قبل الإسلام إلى ما بعد الأصمعي. ثانيا وصفية، وهذا بقراءة متأنية لكتاب فحولة الشعراء الذي قدّم لنا فيه الأصمعي مادة علمية نقدية رغم صغر حجمه. إنها قراءة لا تكتفي بإحصاء الشعراء الفحول وبسبر شروط الفحولة الشعرية الظاهرة، بل تتعدى ذلك إلى التركيز على الفقرات التي جاء فيها حديث عن الشواعر العربيات، وما أقلها من فقرات! ثالثا تحليلية، لأن دراسة المعجمية العربية في «فحولة الشعراء» وعلاقة ذلك بتهميش وإقصاء شعر النساء دراسة علمية لا تكتفي بسبر ما تركت لنا كتب تاريخ الأدب العربي ونقده من مادة دسمة حول مفردة الفحولة، ولا تتوقف عند ما وصفه الأصمعي بالشاعر الفحل، بل ترتكز على تحليل مستفيض لكتاب الأصمعي من جهة، ومن جهة أخرى على دراسة علمية لمفردة، صارت مصطلحا نقديا بارزا في تاريخ الأدب العربي ونقده. وهذه الدراسة التحليلية ستجعل من المقاربات البينية ركنا هاما للوصول إلى نتائج تبرز أهمية المعجمية العربية في الدراسات النقدية والبلاغية.

١- الفحولة ومعجم الحيوان

الإنسان ابن بيئته ولا يشذ العربي عن هذه القاعدة. والشعر العربي منذ الجاهلية يثبت ذلك. فما أكثر أبيات الوصف التي ترسم لوحة صادقة على حياه العربي: ترحال مستمر بحثا عن الكلأ والماء، مواجهات متواصلة مع حيوانات البراري، حروب طاحنة من أجل الثروة أو الشرف. لم يخل الشعر الجاهلي من ذكر المطايا خيولا أو جمالا، ومن وصف الطبيعة بشمسها وسحابها ورمالها وأمطارها ونباتاتها وحيواناتها. هكذا كان الشاعر العربي ابن الطبيعة، وتبعه في ذلك دارس الشعر العربي وناقده، فقد استعمل الاثنان مفردات لها علاقة بالطبيعة. فهذا الخليل بن أحمد الفراهيدي قد أنشأ علم العروض، معتمدا على مصطلحات من رحم الطبيعة كالزحاف والإقواء والخبب، وهؤلاء النقاد الأوائل الذين رسموا معالم الشعر الجاهلي قد استخدموا مصطلحات تحيلنا إلى الطبيعة. ولعل أهم مثال على ذلك مصطلح الفحولة الذي يحتاج الى دراسة معجمية عميقة، سنبدأ بوضع معالمها من خلال كتاب فحولة الشعراء للأصمعي. فالفحولة هي من رحم تلك البيئة، «فإذا كان الفراهيدي قد نظر إلى (الخباء) في وضع مصطلح العروض، فإن الأصمعي قد وقف عند (الجمل) في تصور الشاعرية».[1]

صحيح أن الأصمعي لم يكن أول من استعمل مصطلح الفحل، واسم علقمة الفحل دليل على توارد هذا اللفظ قبله. فقد ذكر مصطلح الفحل قبل الأصمعي من طرف أبي عمرو بن العلا والحطيئة والفرزدق وذي الرمة، غير أن الأصمعي يعد المؤسس الأول لهذا المصطلح في النقد العربي. وهنا تأتي الفحولة من موقع مركزي في بنية القضايا النقدية العربية القديمة كالقديم والحديث، اللفظ والمعنى، الطبع والتصنع، السرقات، حيث تستمد تلك القضايا من وعي المفاضلة والتراتب بين الفحول وغيرهم مثل مزية الفحول عن غيرهم.

١- إحسان، عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، لبنان، ط. ٤، ١٩٨٣. ص. ٨٥.

ما يعنينا في هذا الكتيّب بدايته التي سنسجلها بحيثياتها: «سمعت الأصمعي عبد الملك بن قريب غير مرة يفضل النابغة الذبياني على سائر شعراء الجاهلية، وسألته آخر ما سألته قبيل موته: مَن أوّلُ الفحول؟ قال: النابغة الذبياني.. ثم قال: ما أرى في الدنيا لأحد مثل قول امرئ القيس

وقاهم جدهم ببنى أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب

قال أبو حاتم: فلما رآني أكتب كلامه، فكر ثم قال: بل أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس، له الحظوة والسبق، وكلهم أخذوا من قوله، واتبعوا مذهبه.. وكأنه جعل النابغة الذبياني من الفحول. قال أبو حاتم: قلت: فما معنى الفحل؟ قال: يريد أن له مزية على غيره، كمزية الفحل على الحقاق. قال: وبيت جرير يدلك على هذا

وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطعْ صولةَ البُزْلِ القَنَاعِيسِ»[1]

إذا كان الذوق قد دفع الأصمعي في بداية حديثه إلى اختيار النابغة أول الفحول، فانه لم يستطع أن يخرج عن المألوف، فهو حين رأى تلميذه السجستاني يكتب ما يقول، لم يشذ عن القاعدة واصطفى امرأ القيس، لأنه أول من ابتدع الشعر. امرؤ القيس أو النابغة أو شاعر آخر، فالفحول يختلفون من ناقد إلى آخر، وهذا باختلاف الانطباعات والأذواق والمشارب، مثلا البصريون يقدمون امرأ القيس، والكوفيون يفضلون الأعشى، والحجازيون وأهل البادية يجعلون زهيرا والنابغة رؤوس الفحول، لكن وجب في النقد وضع أسس لا يخرج عنها الآخرون، لهذا جاء سؤال السجستاني عن الفحل، ليأتي جواب الاصمعي تعريفا واستشهادا.

١- عبد الملك بن قريب، الأصمعي، فحولة الشعراء، تح: ش. توري، قدم لها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط. ١، ١٩٨٠، ص. ٩.

ومن خلال التعريف هناك ثلاث مفردات مهمة: المزية، الفحل والحقاق. والمزية لا تعرف إلا بمعرفة الطرفين، فالفحل في العرف هو الذَّكر القوي الذي بلغ أشده. يقول ابن فارس في مادة (فحل): «الفاء والحاء واللام أصل صحيح يدل على ذكارة وقوة. من ذلك الفحل من كلِّ شيء وهو الذكر الباسل ... وفحل فَحيل: كريم. والعرب تسمِّي سهيلا: الفحل، تشبيهاً له بفحل الإبل، لاعتزاله النجوم، وذلك أن الفحلَ إذا قرع الإبل اعتزلها».[١] أما الحق من الإبل فهو ابن ثلاث سنين ودخل في السنَة الرابعَة، أي الضعيف الظاهر في أمرين: القوة والعمر. ففحل واحد يمتاز عن مجموعة من الحقاق، لأنه بلغ أشده وقوته. لكن إذا ما بحثنا في معجم الحيوان، نجد أن الحق يستعمل غالبا في التأنيث، فأكثر ما نقول الحقة. وهنا يظهر المعيار الثالث لهذا التمييز وهو الجنس، لأن الفحل أصلا هو الذكر من كل شيء، ولنا في ديواننا العربي أبيات لا تعد ولا تحصى، نذكر منها ما يلي:

قال حسان بن ثابت (البحر الكامل):

«ويصدُّ عني المفحمونَ، كما صدّ البكارة عن حرى الفحلِ».[٢]

وقال الحطيئة (البحر الطويل):

«غدوا ببنات الفحلِ رهبى رذّيّة وكوماءَ قد ضرَّجتها بنجيع».[٣]

١- أحمد، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، مصر، ١٩٧٩. ج ٤ ص. ٤٧٩.

٢- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤، ص. ٢٠٣.

٣- ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق نعمان محمد أمين طه، ط. ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧، ص. ٣٠٩.

وقال الشماخ بن ضرار (البحر الطويل):

«تفادى إذا استذْكى عليها وتتّقي كماتتقي الفحلَ المخاضُ الجوامزُ».[١]

وقال الراعي النميري (البحر البسيط):

«ونصّيَ العيسَ تهديهمْ وقدْ سَدِرَتْ كُلُّ جُمَالِيَّةٍ كالفَحلِ هِمْلاَجِ».[٢]

وقال كعب بن زهير (البحر البسيط):

«ضَخمٌ مُقَلَّدُها فَعَمٌ مُقَيَّدُها في خَلقِهاعَن بَناتِ الفَحلِ تَفضيلُ».[٣]

وقال نابغة بني شيبان (البحر الوافر):

«وعـانـاتٌ يـطـردهـا فـحـولٌ نَواشطُ في أَياطِلِها انطواءُ».[٤]

وقال جرير (البحر الوافر):

«إذا ما كـانَ فحلكَ فحلَ سوءٍ خلجتَ الفحلَ أوْ لؤمَ الفصيل».[٥]

وقال المتنبي (البحر الطويل):

«وَكانَ هَديرًا مِنْ فُحُولٍ تَرَكتَها مُهَلَّبَةَ الأذنابِ خُرْسَ الشّقاشِقِ».[٦]

١- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف، القاهرة، دت، ص. ١٨٠.
٢- ديوان الراعي النميري تحقيق راينهرت فايبرت، بيروت، ١٩٨٠، ص. ٣٢.
٣- ديوان كعب بن زهير، تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص. ٦٣.
٤- ديوان نابغة بني شيبان، ط. ١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٢، ص. ٤٦.
٥- ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦، ص. ص. ٣٣٢.
٦- شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦، ص. ٧٠.

وقال (البحر الكامل):

«لم يَتْرُكُوا لي صاحِبًا إلاّ الأسَى وَذَمِيلَ ذِعْلِبَةٍ كفحل نَعَامِ».[١]

وقال (البحر المنسرح):

«والمَوْجُ مِثْلُ الفُحولِ مُزْبِدَةً تَهْدِرُ فيها وما بِها قَطَمُ».[٢]

قال البحتري (البحر البسيط):

«أَعْطى الجَزيلَ وَلَمْ يَنْهَضْ بِهِ أَحَدٌ كالفحل يَحمي حِمَاهُ وهْوَ مَأْبُوضُ».[٣]

وقال أبو تمام (البحر الكامل):

«حَمَلَتْ رَجَايَ إليكَ بِنْتُ حديقة غَلْبَاءُ لَمْ تُلْقَحْ لِفحلٍ مُقْرِفِ».[٤]

وقال ابن الرومي (البحر الكامل):

«يُغشى الفحولَ البزلَ بَرْكاً مِهرسا إذا أَحسَّ البَكْرُ منه جَرَسا».[٥]

استشهد الأصمعي ببيت لجرير لا يحوي مفردة الفحل. ولفهم هذا البيت، وجب أن نبحث في معجم الحيوان، من أجل شرح مفردات: ابن اللبون والبزل والقناعيس. «فإذا دخل [ذكر الإبل] في [السنة] الثالثة قيل: ابن لبون، لأن أمه فيها تكون ذات لبن والأنثى بنت لبون، وإذا دخل في الرابعة قيل: حق، لأنه يستحق أن يحمل عليه والأنثى حقة، فإذا دخل في الخامسة قيل: جذع والأنثى جذعة،

١- نفسه، ص. ١٢٢.

٢- نفسه، ص. ١٨٧.

٣- ديوان البحتري، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، ط. ٢، دار المعارف، مصر، ٢٠٠٩، ص. ١٢١٨.

٤- المستوفى من شعر أبي تمام ديوان حبيب بن أوس الطائي، صنعه محمد أبو شوارب، مؤسسة البابطين، الكويت، ط ٢، ٢٠٠٧، ص. ٤٣.

٥- ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٢، ص. ١١٩.

فإذا دخل في السادسة قيل: ثني، لأنه يلقي فيها ثنيته والأنثى ثنية، فإذا دخل في السابعة قيل: رباع بفتح الراء لأن فيها يلقي رباعيته والأنثى رباعية بالتخفيف، فإذا دخل في الثامنة قيل: سديس وسدس، الذكر والأنثى فيه سواء، وربما قيل في الأنثى سديسة؛ فإذا دخل التاسعة قيل: بازل، لأنه فيها يبزل نابه».[1] فابن اللبون هو الجمل الصغير الذي تمّ له سنتان ودخل في الثالثة، والبزل هي الإبل إذا طلعت أنيابها، وذلك في السنة التاسعة من أعمارها، أما القناعيس فهي الجمال الضخمة القوية. فإذا شدّ ابن اللبون بحبل مع البازل القنعاس، فإنه لن يقوى على مدافعة صَولته فيخرج منتصرا لحداثة سنه وضعفه.

ويظهر من الشاهد أيضا حضور العمر والقوة للتفريق بين ابن اللبون والبازل القنعاس، لكن المعيار الذي قد يتغاضى عنه القارئ وهو الجنس، ويظهر جليا في اختيار الذكور من الإبل. فلا نرى جريرا إذا ما أراد أن يبرز فحولته الشعرية أن يختار أنثى كمنافس. فلا أحد يستطيع أن يغلبه، لأنه مثل ابن اللبون إذا قُرن مع البازل القنعاس، فلن يقوى على مدافعة صَولته مهما رام ذلك لضعفه وحداثة سنه. وقد عني جرير بهذا كل من يطاولونه أو يهجونه. فالمعركة قد نشأت بين ذكرين، اختلف عمرهما ودرجة قوتهما، وغابت عن المعادلة الناقة والأنثى.

ومن الفحل الحيوان، ننتقل الى الفحل الإنسان، الذكر بعينه من أجل المقابلة مع المرأة، وفي ديواننا العربي أبيات كثيرة يظهر فيها الرجل فحلا:

قال الطرماح (البحر الطويل):

ولـكـنَّـهُ عـبـدُ تـقـعَّـدَ رأيَـــهُ لِئامُ الفُحُولِ وارْتِخَاصُ النَّواكِحِ».[2]

١- أبو العباس، القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج ٢، مطبعة الدار الأميرية، القاهرة، ١٩١٣، ص. ٣٥.

٢- ديوان الطرماح، تحقيق عزة حسن، دار الشرق العربي، ط. ٢، حلب، ١٩٩٤، ص. ٩١.

وقال نابغة بني شيبان (البحر الوافر):

مـن الـشُّـعـراءِ أكْـفـاءٌ فُـحـولٌ وفَرّاثونَ إنْ نطقوا أساؤوا».[١]

قال جرير (البحر الكامل):

«لا تَـخْـطُـبُنّ إلى عَـدِيٍّ إنّـكُـمْ شَرُّ الفُحُولِ وَألأمُ الخُطّابِ».[٢]

وقال (البحر البسيط):

«وَالتّغلِبيّونَ بِئسَ الفَحلُ فَحلُهُمُ فحلاً وأمـهـمُ زلاء منطيق».[٣]

قال مهيار الديلمي (البحر الرجز):

غـريـبـة الحـدثـانِ في أزمـانـهـا بذَّتْ فحولَ الشُّعراءِ السُّبَّقا.[٤]

وجاء في مجمع الأمثال: «دون غليان خرط القتاد». وغليان: اسم فحل. يضرب للممتنع. وهو فحل لكليب بن وائل، ولما عقر كليب ناقة جارة جساس، قال جساس: ليقتلن غدا فحل هو أعظم من ناقتك، فبلغ ذلك كليبا فظن أنه يعني فحله الذي يسمى غليان، فقال: دون غليان المثل، وكان جساس يعني بالفحل نفس كليب».[٥]

فالفحولة مصطلح ذكوري رجالي يقابل الأنوثة، أو التأنث، أو الخصي، أو التخنث.

١- ديوان نابغة بني شيبان، ط. ١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٢، ص. ٤٣.
٢- ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦، ص. ٥٢.
٣- نفسه، ص. ٣١٣.
٤- ديوان مهيار الديلمي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٢٥، ص. ٣٢٢.
٥- أبو الفضل أحمد بن محمد، الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، ١٩٨٣، ص. ٢٦٩.

قال المتنبي (البحر الكامل):

«خنْثى الفُحُولِ من الكُماةِ بصَبْغِهِ مَا يَلْبَسُونَ منَ الحديدِ مُعَصْفَرا».[1]

وقال (البحر الكامل):

«يَقْمُصْنَ في مثلِ المُدَى من بارِدٍ يَذَرُ الفُحُولَ وَهنّ كالخصْيانِ».[2]

يتبادر في ذهن قارئ كتاب الأصمعي، أن الفحولة الشعرية، تكمن عند الأصمعي في الحظوة والجودة والسبق والابتكار وتعدد الأغراض والزمن، لكن المعيار الغائب في الفحولة الشعرية الذي غض عنه نقادنا البصر هي الفحولة الجنسية، فالفحل لا يكون إلا ذكرا. وقد جاءت في الكتاب مقابلة بين الرجل الفحل والمرأة الأنثى، في حديث الأصمعي عن الشاعر عدي بن زيد. «قلت: فعَدي بن زيد، أفحل هو؟ قال: ليس بفحل ولا أنثى».[3]

والغريب في اللغة العربية، أنه لا وجود لمؤنث الفحل الذي يحمل معنى القوة والضخامة، وكأن المرأة تبقى مخلوقا ضعيفا، لا حول له ولا قوة. فالفحلة في اللغة العربية هي سليطة اللسان، فاستعملت اللفظة في المعنى السلبي. ونأخذ مثالا آخر على هذا الاستعمال التعسفي في حق المرأة. فالعجوز بعدما اشتعل رأسها شيبا، تفقد قوتها وملكاتها، وتصير عالة على غيرها، أما الشيخ وإن شاب شعره، فهو يتقلد منصب الرجل الناصح والآمر الناهي. لقد بحثنا عن مفردة فحلة، فلم نجد لها أثرا في ديواننا الشعري، وعثرنا على حديث واحد يذكر مفردة الفحلة، وهي سليطة اللسان، وبعيدا عن فحولة الشعراء، نتصفح مؤلفا

١- شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦، ص. ٢٧١.

٢- نفسه، ص. ٣١٠.

٣- عبد الملك بن قريب، الأصمعي، فحولة الشعراء، تح: ش. توري، قدم لها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط. ١، ١٩٨٠، ص. ١١.

آخرا اشتهر به الأصمعي وهو كتاب الإبل. وحسب دراسة معمقة للمعجم اللغوي للجمل، نجد الكثير من المفردات التي تبرز فتوة وضخامة وقوة الناقة. يقال «ناقة رهشوش إذا كانت رقيقة خوارة غزيرة [...]. ويقال ناقة خبر إذا كانت غزيرة [...] ويقال ناقة برعيس إذا كانت رقيقة غزيرة، ويقال ناقة صفي وهن الصفايا إذا كن غزارا، وناقة لهموم إذا كانت غزيرة [...]. وناقة خنجور وهي الغزيرة. [...] وناقة عيسجور إذا كانت كذلك، [...]. ويقال ناقة جلعد إذا كانت عظيمة غليظة شديدة ويقال ناقة حرجوج إذا كانت طويلة على الأرض [...]. ويقال أعطاه مئة جرجورا وهي الضخام».[١] من خلال هذه الأمثلة، يتبين أن الناقة قوية، ضخمة وغزيرة اللبن. ولعل أهم لفظة تبين قوة وضخامة الناقة، كلمة نجيبة التي نراها مصطلحا صادقا ومقابلا حقيقيا لمصطلح الفحل. «قال الراعي [الكامل]:

كانت نجائب منذر ومحرق أماتهن وطرقهن فحيلا».[٢]

وقال كعب بن زهير[الطويل]:

«إذا كانَ نَجْلُ الفحل بين نَجِيبةٍ وبين هجانٍ منجبٍ كرمُ النَّجلُ».[٣]

كي نتتبع الأمر الذي فرضه السياق النقدي في تلك الفترة، وجب تتبع إجابات الاصمعي من بداية الكتاب الذي استعمل فيه أسلوب الحوار مع تلميذه، وفي بعض الأحيان يتعمق ويترك التعليق للسجستاني. فمن البداية، كان لابد من ذكر مفهوم الفحل الذي نجد فيه معنيين: الحقيقي والمجازي. الحقيقي مرتبط بعالم الحيوان، والمجازي مرتبط بعالم الشعر. ونعتقد أن هذا التعريف لم يكن بريئا، ما دام الأصمعي الراوية اللغوي النحوي كان متعصبا للشعر البدوي

١- عبد الملك بن قريب، الأصمعي، كتاب الإبل، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط. ١، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٣، صص. ٨٩-١٠٢.

٢- نفسه، ص. ٩٤.

٣- ديوان كعب بن زهير، تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص. ٨٠.

عامة والذكوري خاصة. من هنا، يظهر أنه أثبت الصفة للحيوان الذكر وللشاعر الرجل. يتشابه المفهومان، وضم المفهوم الحيواني إلى المفهوم الشعري. فهما مشتركان اشتراكا عاما، حيث لا ينفرد أحدهما عن الآخر، وارتبطا أزليا لدى الخاصة والعامة. فهذا المعنى المخترع الذي شاع، فتداوله الناس وكثر على ألسنة الشعراء والنقاد، فصار الفحل من الشعراء كالفحل من الحيوان.

من خلال معجم الحيوان، يظهر جليا أن كتاب الأصمعي هو كتاب للشعراء الرجال فحسب، فقد أهمل الناقد الناقة والأنثى والشاعرة، فذكر مئة شاعر منهم الفحل واللا فحل، ومنهم من يشبه الفحل، ومنهم الكريم والفصيح والحجة والفارس والصعلوك والزنجي والمولد والمخضرم والراجز وهلم جرًا من المفردات، ولا نعثر في صفحات الكتاب على مفردة تحيلنا إلى عالم الأنثى، أكانت منتمية إلى معجم الحيوان أو إلى فضاء الشعر، ما دام هذا السفر كتاب نقد للشعر العربي. فلا نجد إلا شاعرتين قد ذكرتا عرضا في الكتاب وهما ليلى الأخيلية والخنساء. وسنحاول في المبحث الثاني دراسة مصطلح الفحولة وعلاقته بمعجم الشعر.

٢– الفحولة ومعجم الشعر

ما هو مسلم به أن التواصل اللغوي مرتبط بمصطلحات الحقيقة والمجاز «التي أقيمت عليها اللغة وأدت الى تنوع الكلام والخطاب وهذا ما أطلق عليه البلاغيون مفهوم العدول».[1] تعدّ عملية العدول عند البلاغيين هي الخروج والتوسع والتجاوز والتحويل والالتفات، أما عند النحويين فهي الضرورة والتقدير. هذا العدول ينقلنا إلى الالتفات الذي يحيل إلى انصراف الشيء عن ضده أو خروجه عن صفته. فالالتفات ظاهرة أسلوبية، تشتبك فيها العلاقات الغيابية والعلاقات

١– محمد، عبد المطلب، البلاغة والاسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٤، ص. ٢٢٩.

الحضورية، ولعلّ السياق هو الذي يمكّن متلقي الخطاب من الحكم على أن الانحراف عن النسق أو الانتقال من صورة إلى أخرى كان ضرورة معنوية، ولم يكن عملا عشوائيا لمجرد رغبة في الانحراف. فالدلالة المنتجة تختلف من منشئ الخطاب وهو الأصمعي ومتلقي الخطاب وهو القارئ. فعند منشئ الخطاب، هناك الدلالة المتاحة بالقصد والقصدية المعنوية، أما عند متلقي الخطاب، فهي الدلالة المنتجة بالقراءة مقارنة بين الصيغة الأصلية والصيغة المنزاحة للدلالات المضمرة.

فالقوة هي أساس الفحولة، فمن الحيوان الذكر القوي الفحل، انتقلنا إلى الشاعر الذكر القوي الفحل. «وأخبرني أبو محمد عبد الله بن مالك النحوي، قال: أخبرنا حمّاد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن أبيه، عن أبى عبيدة، قال: حدثني أبو عمرو بن العلاء، قال: فحلان من الشعراء كانا يُقْوِيان: النابغة، وبشر بن أبى خازم».[١] ويقول الجاحظ: «ومن الشعراء من يدعو القصيدة تمكث عنده حولا كريتا وزمنا طويلا يصير قائلها فحلا خنذيذا وشاعرا مفلقا».[٢] ففي كلام الجاحظ، جمع بين الفحولة الحيوانية والفحولة الشعرية، والتي نراها مختلفة في مؤلفات أخرى. «إن الشعراء أربعة أقسام: شاعر خنذيذ بالخاء والنون والذالين المعجمات على وزن إبريق وهو الذي يجمع إلى جيد شعره رواية الجيد من شعر غيره، وشاعر مفلق وهو الذي لا رواية له إلا أنه مجيد كالخنذيذ في شعره، والمفلق معناه الذي يأتي في شعره بالفلق بالكسر وهو العجب وقيل هو اسم الداهية وشاعر فقط وهو الذي فوق الرديء بدرجة وشعرور وهو لا شيء وقيل، بل هم شاعر مفلق وشاعر مطلق وشويعر وشعرور».[٣]

١- أبو عبيد الله بن موسى، المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، تحقيق علي أحمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٥، ص. ٦٧.

٢- عمرو بن بحر، الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ج. ٢، ص. ٨.

٣- عبد القادر بن عمر، البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٩٩٧ ج ١، ص. ٢٧٠.

جاءت مفردات عديدة في كتاب الفحولة: أول الفحول، رأس الفحول، فحل من الفحول، لاحق بالفحولة، أشباه الفحول، فحول بالظن، الفحولة المنقوصة، ليس بفحل وكلّها تتعلق بالرجال، فقد ذكر الأصمعي مئة شاعر في كتابه الفحولة. وتنشأ الفحولة حسب قراءة أولية من صحة اللغة وقوتها وسلامتها، وغلبة الشعر على الشاعر واكتمال أدواته، وتعدد الأغراض خاصة المدح والهجاء. الفحولة أمر غريزي، لكن هذا الأمر لا ينهض إلا ببعض المقومات المعرفية. فلا يصير الفحل فحلا، حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ، وهذا ما يسمى بالثقافة الشعرية. الجودة تساوي القوة، عكس الضعف واللين. وتتحقق الجودة في صدق التجربة، وصحة المعنى وانتظامه وسلامته من النقص والاضطراب والخلل، أما الحظوة، فتتحقق بالاستجابة والقبول للشعر، أما السبق فهو الابتكار الذي يخلق صفه الشعرية. كما نجد معيار الكثرة والزمن اللذين عُدّا مضطربين، فالعدد غير محدد والزمان غير واضح.

قد يتعجب قارئ فحولة الشعراء من إقصاء الأصمعي لبعض الشعراء من طبقة الفحول، فقد أخرج خمسةً من شعراء المعلقات من هذه المرتبة، وهم عنترة وطرفة وعمرو بن كلثوم ولبيد وزهير ولم يُبقِ إلا امرأ القيس والنابغة والحارث بن حلزة، ولم يذكر أصلا عبيدا بن الأبرص. وهنا يحاول القارئ البسيط، ويبحث الناقد الحاذق عن أسباب اختيار شعراء وإقصاء آخرين، وينسيان أمرا مهما وهو غياب الشعر النسائي أصلا من هذا الكتاب. فالشاعر الفحل لابد أن يكون ذكرا، ولا حظ للإناث في الفحولة، وهذا مُقتضى ما استقر في الأذهان من ضعف الشاعرية النسوية، فقد «قيل للفرزدق: إن فلانة تقول الشعر، قال: إذا صاحت الدجاجة صياح الديك فلتُذبح»، و«قال بشار بن بُرد: لم تقل امرأة شعراً قط إلا تبيَّن الضعف فيه، فقيل له: أو كذلك الخنساء؟ فقال: تلك كان لها أربع خُصَى!

«.[١] وهذا مثال آخر عن النابغة الذي كانت تضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ، ويأتيه الشعراء فيعرِضون عليه أشعارهم، «فأنشده الأعشى أبو بصيرٍ، ثم أنشده حسان بن ثابت، ثم الشعراء، ثم جاءت الخنساء السُّلمية فأنشدته، فقال لها النابغة: والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفاً، لقلت إنك أشعر الجن والإنس، فقال حسان: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك! فقبض النابغة على يده، ثم قال: للخنساء: أنشديه، فأنشدته، فقال: والله ما رأيت ذات مثانة أشعر منك!، فقالت له الخنساء: والله ولا ذا خُصيَين!» .[٢]

الفحولة في الحقيقة وإن كانت غائبة هي الذكورة، ومجازا هي الشاعرية لهذا غابت أسماء الشاعرات من هذا السفر، ومن هنا وجب إلحاق دراسة معجم الشعر إلى الدراسة السابقة لمعجم الحيوان، لنتمكن من رؤية واضحة لمصطلح الفحولة. ولن يتحقق ذلك إلا بدراسة عميقة ومستفيضة لمصطلح الفحولة وعلاقته بمعجم الشعر. حين نبحث في الكتاب، نجد أن الأصمعي ذكر ليلى الأخيلية مرتين والخنساء مرة واحدة وذكرهما هنا، يستدعي التوقف. ذكر الأصمعي ليلى الأخيلية في حديثه عن الشعراء المغلوبين، «قال: والنابغة الجعدي فحل.. ثم أنشد:

يشد الشئون أو أراد ليزفرا.

وقد أحسن في قصيدته التي يقول فيها:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا».[٣]

١- محمد بن يزيد، المبرد، الكامل، تح: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، سورية، ط. ٣، ١٩٩٧، ج ٣ ص. ١٣٩٧.

٢- محمد عبد الله بن مسلم، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط. ١، ١٩٨٢، ج ١، ص. ٣٤٥.

٣- عبد الملك بن قريب، الأصمعي، فحولة الشعراء، تح: ش. توري، قدم لها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط. ١، ١٩٨٠، ص. ١١.

وبعد حديثه عن الفحول وغيرهم، يعود الأصمعي للنابغة الجعدي: «حدثني الأصمعي قال: كان يقال: أشعر الناس مُغَلَّبُو مضر، حميد والراعي وابن مقبل، فأما الراعي فغلبه جرير، وغلبه حنزر رجل من بني بكر. والجعدي غلبته ليلى الأخيلية».[1] وإذا استعملنا التعريف المجازي لمفردة الفحول والتي ذكرها اللسان: وهم الشعراء الذين غلبوا غيرهم بالهجاء، نرى بأن الشاعر الذي يستحق مرتبة الفحول هو ليلى الأخيلية، لكن الاصمعي لم ينبس ببنت شفة وتلميذه لم يسأل عن هذه الشاعرة. فأمامنا شاعر فحل عظيم مقحم وشاعرة نجيبة لم تذكر أصلا، لكنها غلبت النابغة الجعدي الشاعر الفحل! أفلا تستحق أن تستأثر بمرتبة الفحول. المنطق يقول: نعم، لكن لا التلميذ ولا الأستاذ ذكرا فحولة ليلى، إذا ما استعملنا هذا المصطلح من وجهة نظر شعرية محضة. لكن من المستحيل، أن تكون ليلى الغالبة للفحل في طبقة الفحول، ما دامت أنثى. وتعود ليلى في آخر صفحات الكتاب، « قال الأصمعي يوما: أشعرت أن ليلى أشعر من الخنساء؟».[2] لا تحدث المقابلة بين شاعر وشاعرة، بل بين شاعرتين، وكأن الشاعرة لا يمكن أن تكون ندا لشاعر، وإن قورنت فهي تقارن بأنثى مثلها. لا يسأل التلميذ ولا يتبع الأصمعي جملته بتعليق، وكأن الحديث عن الشاعرتين جاء عرضا.

لا يمكن أن نكتفي بهذا الصمت، ووجب أن ندرس أسباب إقصاء أو تهميش شعر النساء من الكتاب باستعمال معجم الشعر. لقد رأينا سابقا، أن الأصمعي جعل عديا بن زيد بين الفحل والأنثى فلا هو بالذكر، ولا هو بالأنثى، ولا هو بالفحل الشاعر ولا هو بالشاعرة النجيبة. ويظهر أنّ شعر عدي لم يكن نجديا من جهة وكان لينا من جهة أخرى. واللين مصطلح، وجب دراسته بعمق لفهم خفايا مصطلح الفحولة. يرى بعض النقاد أن اللين هو استعمال ألفاظ سهلة لا غريب

١- نفسه، ص. ١٧.

٢- نفسه، ص. ١٩.

فيها: «وذكر أبو عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء قال: كان عدى بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم، يعارضها ولا يجرى مجاريها. قال: والعرب لا تروى شعره، لأن ألفاظه ليست بنجدية».[١]

وهناك من يرى أن اللين ينشأ مع الغرض نفسه. ولعل الرثاء من أهم الأغراض التي تتصف باللين، والمرأة الشاعرة قد أبدعت فيه، دون أن تصل إلى مرتبة الفحولة. فابن سلام الجمحي لم يجعل الخنساء في طبقات الفحول العشرين، بل وضعها في طبقة المراثي. وحين يتحدث الأصمعي عن حسان بن ثابت، فإنه يقول: «وطريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان. ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم، لان شعره. وطريق الشعر هي طريق الفحول، مثل امرئ القيس وزهير والنابغة، من صفات الديار والرحل، والهجاء والمديح، والتشبيب بالنساء، وصفة الحمر والخيل، والافتخار. فإذا أدخلته في باب الخير لان».[٢]

نشأت الشاعرة خاصة في العصر الجاهلي في البيئة نفسها التي ترعرع فيها الشاعر، ذاقت الحروب والمجاعات والكوارث، سقيت من مفردات العربية ورويت بغريبها أفلا تكون شاعرة؟ وإن كان الشعراء أكثر من أن يحاط بهم عدداً، «ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم، وسار شعرهم، وكثر ذكرهم، حتى غلبوا على سائر من كان في أزمانهم، ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له، وقل ما يجتمع على واحد. وحكى الأصمعي عن ابن أبي طرفة: كفاك من الشعراء أربعة: زهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب، وعنترة إذا كلب، وزاد

١- عبد الله بن مسلم، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢، ص. ٢٣٠.

٢- أبو عبيد الله بن موسى، المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، تحقيق علي أحمد، البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٥، ص. ٧٦.

قوم: وجرير إذا غضب».[1] والظاهر أنّ الشعر حكر على الرجال، كما المشاعر تنعدم عند المرأة، فهي لا ترغب ولا ترهب ولا تغضب، وإنما استأثرت بالدموع والرثاء.

وإن أخرج الأصمعي الشاعرات من الفحول بحجة أنهن لا يتقنّ إلا غرضا واحدا لينا وهو الرثاء، فهو يناقض نفسه في كتابه فحولة الشعراء، فنجده يلحق الشاعرين الغنوي وأعشى باهلة بالفحول بفضل الرثاء. «قلت: فأعشى همدان؟ قال: هو من الفحول، وهو إسلامي كثير الشعر وسألت الأصمعي عن كعب بن سعد الغنوي، قال: ليس من الفحول إلا في المرثية، فإنه ليس في الدنيا مثلها، قال: وكان يقال له كعب الأمثال».[2] ويضيف: «قلت: فأعشى باهلة، أمن الفحول هو؟ قال: نعم، وله مرثية ليس في الدنيا مثلها، وهي:

إني أَتَتني لسانٌ لا أسرُ بها من علو لا كَذِبٌ فيها ولا سَخَرُ».[3]

فالرثاء ليس غرضا هامشيا، لأنه ينبع من فؤاد صاحبه، لا يحركه هوى ولا ينبض تصنعا. وأعذب القصائد من روتها دموع صادقة، دون كذب يجعل الشعر عذبا. «فانظر إلى قول جليلة بنت مرة ترثي زوجها كليباً، حين قتله أخوها جساس، ما أشجى لفظها، وأظهر الفجيعة فيه!! وكيف يثير كوامن الأشجان، ويقدح شرر النيران، وذلك في قولها:

يا ابنةَ الأقوامِ إنْ لُمْتِ فلا تعجلي باللوم حتى تسألي».[4]

١- الحسن بن رشيق، القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مطبعة السعادة، مصر. ط. ١، ١٩٠٧. ج ١ صص. ٩٥-١٠٢.

٢- عبد الملك بن قريب، الأصمعي، فحولة الشعراء، تح: ش. توري، قدم لها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط. ١، ١٩٨٠، ص. ١٤.

٣- نفسه، ص. ١٥.

٤- الحسن بن رشيق، القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مطبعة السعادة، مصر. ط. ١، ١٩٠٧. ج ٢ ص. ١٥٣.

لهذا نرى أن التعمق في فهم الرثاء، ووضع آلياته في معجم الشعر طريق مهم لفهم مصطلح الفحولة. فالرثاء ليس بالغرض الضعيف، وهو يرقى إلى الأغراض الأخرى: «فقد تبين أن أهم الطرق الشعرية أربع ، وهي التهاني وما معها والتعازي وما معها، والمدائح وما معها، والتهاجي وما معها، وأن كل ذلك راجع إلى ما الباعث عليه الارتياح ، وإلى ما الباعث عليه الاكتراث وإلى ما الباعث عليه الارتياح والاكتراث معا».[١] كما أنّ الرثاء مدح يمتزج بحزن على المفقود، ولا ينظمه الشاعر طمعا في مكافأة: «إنه ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك، مثل: كان وتولى وقضى نحبه وما أشبه ذلك، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه، لأن تأبين الميت إنما هو بمثل ما كان يمدح به في حياته، وقد يفعل في التأبين شيء ينفصل به لفظه عن لفظ المدح بغير كان وما جرى مجراها، وهو أن يكون الحي وصف مثلا بالجود، فلا يقل: كان جوادا ولكن بأن يقال: ذهب الجود أو فنى الجود بعده ومثل: تولى الجود وما أشبه هذه الأشياء».[٢]

كما يجب أن يضاف لهذا المعجم غرض آخر وهو الهجاء. وهذا المجال يُحيلنا على تعليق الفحولة بالغلبة في الهجاء، وفي المعارضة. فالشاعر في نظر الأصمعي، لا يصير «في قريض الشعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ. وأوَّل ذلك: أن يعلم العروض، ليكون ميزاناً له على قوله، والنحوَ، ليُصلح به لسانه، وليقيم به إعرابه، والنسب وأيام الناس، ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب، وذكرها

١- حازم، القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط. ٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١، ص. ١٠٩.

٢- قدامة، ابن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ص. ١١٨.

بمدح أو ذم».[1] فإن كان الهجاء هو الغرض الأساسي الذي يرفع الشاعر إلى درجة الفحول، فإنّ الأصمعي قد أخرج بعض الشعراء من طبقة الفحول بسبب الهجاء: «قلت: فالشماخ؟ قال: فحل [...]. قلت: فمزرد أخوه؟ قال: ليس بدون الشماخ، ولكنه أفسد شعره بما يهجو الناس».[2]

ولا نظن أن الأصمعي يجهل معجم الحيوان، وليس بدار بمعجم الشعر، لكن هناك سبب آخر جعله وتلميذه يهملان الشعر النسائي القديم، إنه ثقافة المجتمع الذي يعيشان فيه، ويغرفان من أفكاره. لهذا، وكي تستكمل هذه الدراسة البينية لفهم مصطلح الفحولة، وجب دراسة العلاقة بين الفحولة وعلم الاجتماع الثقافي الذي أنشأ ما يسمى بالنقد الثقافي.

٣- الفحولة والمعجم الثقافي:

لكل مجتمع ثقافته، فإذا بحثنا في المجتمع العربي، نعثر على ثقافة الكرم والضيافة والشجاعة من جهة، وعلى ثقافة العنف والجندرة من جهة أخرى. وهذه الثقافة تخلق ما يسمى النسق القيمي، الذي هو «نموذج منتظم للقيم في مجتمع أو جماعه وهذا ما يجعله إطارا لتحليل المعايير والمثل والمعتقدات والسلوكات الاجتماعية».[3]

العرب أمة شاعرة، وليس أحد من العرب إلا وقادر على قول الشعر. لهذا وجدت كتب الاختيارات لاصطفاء الشعراء الخناذيذ. ومن هنا بدأت مشكلة إقصاء وتهميش شعر النساء، استكمالا لإقصائها وتهميشها من المجتمع. فليس

١- الحسن بن رشيق، القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مطبعة السعادة، مصر. ط. ١، ١٩٠٧. ج ١ ص. ١٣٢.

٢- عبد الملك بن قريب، الأصمعي، فحولة الشعراء، تح: ش. توري، قدم لها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط. ١، ١٩٨٠، ص. ١٢.

٣- عبد الفتاح، أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط. ١، ٢٠١٠، ص. ١٤٠.

الشعر إلا صورة للأمة، وليس مصطلح الفحول إلا صدى لجندرة الشعر وجعله حكرا على الذكور. و»هذا يعني أن الفحولة الشعرية هي فحول عاقرة نتيجة للفراغ والفضاء الخيالي والمجازي للأمة التي صنعت رموزا فحولية مزيفة ومهترئة وهي نماذجنا العليا [...] ففحل الفحول هي فصيلة بشرية متعالية على شروط الواقع الحق، وهي ذوات فوق القانون والقاعدة».[٤] لهذا لم يستطع الأصمعي ولا تلميذه أن يتنصلا من ثقافة مجتمعهما أو أن يغتسلا من اللاشعور الجمعي، فلم تخرج أسئلة السجستاني عن عالم الرجال، ولم تمس آراء الأصمعي شعر النساء.

إذا كان الشعر منذ العصر الجاهلي ذكوريا وهذا ما نقله الرواة، فلن يتعدى النقد إلا أن يكون صورة طبق الأصل لهذه الفكرة الثقافية. كانت القبيلة تحتفل من أجل ثلاث مناسبات: لذكَر يُنجَب، ولفرس منتج، ولشاعر يلمع، فالذكر قوة للقبيلة أثناء الحروب، والفرس متاعها في ساحات الوغى، والشاعر حاميها أمام العدو اللدود. إنه الشاعر الذكَر الذي يذود عن حياض قبيلته، ويصون شرفها وعرض نسائها. وما تركت قبيلة عربية هذه المسؤولية لشاعرة، فالمرأة خُلقت لتصان، والرجل بسيفه الصارم وشعره القاطع من يحمي الحمى ويهجو من يحاول تدنيس الأعراض. «وكل قبيلة إنما تعتد الشاعر لسانها السياسي، وتعده للخصومة في تاريخها والنضح عن أحسابها، وتنال به ما ينال الأسد من أنيابه، فهو منهم إن أرادوه كان المعنى المتوحش في المعنى الإنساني، وإن أرادوه لأفئدتهم كان المعنى الإنساني في المعاني الوحشية ولذلك يسمون الشعراء «أظفار العشيرة» والمرأة لا تصلح ظفرا ولا نابا، ولا تحسن أن تمضغ لحوم الأعداء في هجائها، ولا أن تأتي بالكلام الذي تترقرق فيه دماؤهم، ثم هي نفسها جزء تقع عليه الخصومة بينهم،

٤- عبد الله، الغدامي، المرأة واللغة، ط. ٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٦، ص. ٦٣.

وفيها أكثر المعاني التي يستبون بها، بل هي أم هذه المعاني».[1] فالرجل يحمل صفات الوحشية والافتراس والقوة، صفات يستطيع بها أن يحمي أطفال وشيوخ ونساء قبيلته الضعفاء، «فتصبح مفردة فحل الوصف الأعلى للشاعر / الرجل / القوي في مقابل اللافحل / المرأة / الضعيفة».[2]

وإن كان ديوان الشعر العربي يزخر بقصائد شحذت بها شاعرة همم رجال قبيلتها، ونفخت فيهم البأس والبسالة فلا نجد لذلك أثرا في أمهات كتبنا، لكننا نعثر على قصيدتين اختيرتا من ضمن أنفس الأشعار القبلية: معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي ومعلقة الحارث بن حلزة البكري. «فالشعر ديوان أمجاد القبيلة وأحسابها، وسجل مآثرها ومفاخرها، ومستودع آدابها، وأنسابها، وأخبارها. وكانت القبيلة تحتفي إذا نبغ فيها شاعر: فتصنع الأطعمة، وتجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعن في الأعراس، وتأتي القبائل فتهنئها. ودللنا على مبلغ عناية القبيلة بالشعر بأن بني تغلب كانوا يعظمون قصيدة عمرو بن كلثوم المعلقة، فقال بعض شعراء بكر:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبدا منذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسئوم».[3]

تلعب النساء بالمزاهر، وتحضر الأطعمة ليشكرن حامي الأعراض، ويبقى رجال القبيلة يفتخرون بهذه القصيدة ويعظمون قائلها. ويبقى الرجل في القبيلة ذا الوزارتين، فهو الفارس الباسل الشجاع الذي يدفع عن القبيلة أعداءها، وهو الخطيب الشاعر الفحل الذي ينفث شعره سما لاذعا ضد كل حاقد. فاللسان

١- مصطفى صادق، الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، لبنان، ج ٣، ص. ٤٥.

٢- نصر حامد، أبو زيد، دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٤، ص. ٣١.

٣- ناصر الدين، الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ط. ٧، دار المعارف، مصر، ١٩٨٨، ص. ٢٣١.

والقلم والشعر مفردات مذكرة وهي حكر على الرجل. «وفي المجتمع العربي، تعدّ الصفات العليا والأخلاق الرفيعة حكرا على الرجل، لهذا «فالكرم رجل مثل ما أن الشجاعة رجل والعقل رجل».[١]

ولا تنشأ الثقافة من عادات وتقاليد وقيم وتاريخ فحسب، بل هي أيضا وليدة الخرافات والأساطير التي تلعب دورها في إرساء دعائمها. فمن فكرة شرف القبيلة الذي لا يحميه سوى الرجال، ننتقل إلى فكرة أخرى حاكتها أسطورة دعمت قضية أن الشعر فن ذكوري محض. إنها علاقة الشعر بالشياطين والجن. وقد ذكر القرشي في جمهرة أشعار العرب، والمعري في رسالة الغفران، مثلا، حكايات عن هذه العلاقة بين الشاعر الرجل وعالم الجن، وكأن هذه الشياطين لا تختار من الخلق إلا رجالا تحوّلهم إلى عباقرة في الشعر وسبك الكلام. فما قرأنا في كتاب أن شيطانا التقى بامرأة بواد عبقر، وصيّرها شاعرة نجيبة، فالخيال ينسجه الرجال ومن أجل الرجال. «وليس من شأن القوي المهيمن أن يدع صوتا ناشزا يرتفع ويعلو فوق ما هو سائد ومقبول ومتعارف عليه ومحتوم أمره، وكلما ظهرت حالة من حالات الانكسار والشذوذ، بادرت الثقافة إلى معالجة الحالة بكل ما لديها من وسائل رمزية مجازية وسردية».[٢]

فلفهم مصطلح الفحولة ودراسته موضوعيا، لا يتأتى إلا من وجهة نظر ثقافية، نعني علاقة مصطلح الفحولة بالثقافة العربية. فإن كان المعنى الحقيقي للفحل هو الذكَر من كل شيء، لينتقل مجازا للشاعر، فإن هذا المجاز لم ينشأ صدفة، إنما هو منتوج ثقافي بحت، وإلا لماذا لا نجد مفردة «الفحلة» بمعنى القوية والغالبة. هذا المنتوج جعل السجستاني يسأل عن عشرات الشعراء، ولا ينطق مرة واحدة

١- عبد الله، الغذامي، المرأة واللغة، ثقافة الوهم، مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط. ١، ١٩٩٨، ص. ٩٧.

٢- نفسه، ص. ١٣٩.

اسم شاعرة، ودفع الأصمعي للحديث عن شعراء اختلفت درجة فحولتهم دون أن يذكر صراحة فحولة شاعرة. اللغة من دعائم الثقافة، ولم يستطع الأصمعي أحد أعمدة الضاد وأساطينه أن يبتكر فحولة النساء. لم يستطع ناقدنا ولا تلميذه أن يتحدثا عن شاعرية المرأة في عصرهما أو ما قبله، ولا أن يتنصلا من ثقافتهما الذكورية في فترة ما زالت فيها الذكورة والفحولة والرجولة عناوين بارزة للثقافة العربية. إن إضافة علم الاجتماع الثقافي في هذه الدراسة البينية أداة ناجعة لنقد ثقافي قويم من أجل فهم مصطلح الفحولة، وعلاقته بإقصاء وتهميش الشعر النسائي القديم.

يعد المعجم الثقافي لبنة مهمة لدراسة ثرية لمصطلح الفحولة، فلا يمكن أن ندرس الشعر في مجتمع أو في حضارة دون أن نسقطه على الثقافة. فمصطلح الفحولة حيواني في الدرجة الأولى يدرسه بإسهاب معجم الحيوان، وهو مصطلح شعري وجب إضافته إلى المعجمية النقدية الأدبية اليوم، وهو في الدرجة الثالثة مصطلح ثقافي، لا يفهم إلا بدراسة معمقة. فالفحولة من المصطلحات الأولى التي استعملها النقاد القدامى في دراسة الشعر العربي القديم، فزخر مؤلّف الأصمعي بمفردة فحل، وأعطى ابن سلام الجمحي بعده صفة «الفحول» لطبقاته، واختار ابن قتيبة «الفحول» المشهورين في كتابه «الشعر والشعراء». ولم يخل كتاب نقدي منذ القرن الثاني الهجري من هذا المصطلح، لذكر طبقة الشعراء الأفذاذ، وكم حوت معاجم الأدب والنقد والثقافة في فهارسها هذا المصطلح، وكأنه لا يستدعي شرحا ولا دراسة ولا تمحيصا، رغم أنه أوّل أسباب إقصاء المرأة من الشعر. فبالدراسة البينية، يمكن فهم هذا المصطلح، بتآزر المعجمات الثلاثة، نقصد معجم الحيوان ومعجم الشعر ومعجم الثقافة. فإن ابتكر النقاد مفردة الفحل «الحيوانية»، «الشعرية» و«الثقافية» لنعت أجود الشعراء، فيمكن لنقادنا اليوم ونحن في عصر المساواة أن يخلقوا من معجم الحيوان أيضا مصطلحا يصفون به

أبرع الشواعر، مع إبقاء معايير الجودة الشعرية الأصيلة ومع احترام ثقافة تساوي بين الرجل والمرأة في الخلق والإبداع. ولا يمكن لمجتمع تهيمن فيه ثقافة الشعر أن يقبل اليوم بمعجم شعريّ لا تحترم فيه ثقافة المساواة والابتكار والشاعرية. فلا مركزية اليوم للفحولة بمعنى الذكورة، ولا هامشية للأنوثة الشعرية. فالشعر هو الأساس والقطبية تكون للجودة بصفتها الشعرية والثقافية والحضارية.

إن تاريخ الشعر العربي يوازي تاريخ نقده نفسها، وهكذا فإن قراءة ديوان شعرنا العربي لا تكون صحيحة إلا بقراءة كتب النقد والعناصر التي تحدّدها كمؤلفات اجتماعية، وثقافية وجنسية. كان الشعر يقاس بمعايير فنية ونمطية ذات ارتباط بتاريخ النقد دون مراعاة لتاريخ ذات الشاعر ولا لمقاصده ورؤيته للعالم. وحين يتعارض التاريخان، فإن الناقد القديم كان يرجّح كفه التاريخ الجمعي المرتبط بقواعد الغرض على التاريخ الفردي الذي يعبر حضور الأنا في بنية الأغراض الشعرية القديمة. و»هذا ما جعل شعر العرب في معظمه شعر نماذج يحتذى أكثر منه شعر تجربة».[١]

١- حسين، الواد، المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب، دار المغرب الاسلامي، ط. ٢، ٢٠٠٤ ص. ٩٣.

خاتمة

إن الحيز الذي منحه الأصمعي للشعراء في كتابه يدل على اختزال هذا المفهوم على شعر الرجال الذين ظل لاصقا بمفهوم الفحل من الحيوان. وقد كان فهم مفهوم الفحول والحكم على فحولة الشعراء مرتبطا بعوامل ظلت كامنة لدى الأصمعي وكان لها الدور في اقصاء الشعر النسائي القديم من الواجهة. فالمفهوم الحيواني للفحل كان له تأثير واضح في اختزال فن الشعر على الرجال ولعل هذا المفهوم ما يزال في حاجة ماسة إلى مزيد من البحث والتمحيص لارتباطه بباقي أسئلة نقد الشعر. يعترف الدرس النقدي بالفحولة في سياق ترتيب متكامل لا ينفصل فيه الشعر عن الثقافة من وجهة نظر جدلية تقوم على تعظيم شعر الرجل وإهمال شعر المرأة. ويضم مفهوم الفحول عناصر متفاعلة يكونها الوعي النقدي ويتداخل فيها المفهوم الشعري بالحيواني بالثقافي بالجنسي ويرتكز على مقاربة تاريخية. فالأصمعي رائد من رواد الفكر النقد اللغوي خاصة حيث إن النقد عنده ليس شيئا عابرا، بل تعبير عن موقف فكري وذوق شعري ويجب أن ننتبه ان النقد في كتابه لا يمارسه ممارسة أكاديمية مجردة وبعيدة عن الثقافة، بل هو يمزج بين النقد الشعري والثقافي واللغوي وليس غريبا أننا نجده يمزج معجم الشعر بمعجم الحيوان. وإذا أردنا ان نستحضر معايير الفحولة عنده، فنجدها ثلاثة الجودة والزمان وأخيرا الغلبة وهذا الثالوث يخفي معيارا أهمّ وهو الذكورة.

إذا كان كتاب الأصمعي قد أهمل واجهة الأنوثة، فإن دراسة هذه الواجهة، يساعد على نقد الشعر العربي القديم والخروج برؤية جمالية معرفية ثقافية فكرية لشعرنا العربي القديم برؤية بينية لمصطلحات نقد الشعر العربي. ولم يكن الهدف من هذا المقال الخروج بنظرية خاصة لشعر النساء، لأن هذا الأمر يحتاج لدراسات مستفيضة لكنه إجابة على إشكالية مهمة وهي خطورة مصطلح الفحولة في إقصاء

الشعر النسائي ونجاعة الدراسات البينية في فهم المصطلح.

كثر اليوم الحديث عن المناهج النقدية الحديثة من تاريخي وثقافي واجتماعي ونفساني، وكل هذه المناهج تحتاج إلى مفاهيم ومصطلحات مفاتيح كي يستطيع الباحث إتقانها. ويمكن للدارس أن يمزج بين هذه المناهج من أجل الوصول إلى إجابات عن إشكاليات شائكة. ولأجل هذا الهدف النبيل، يظهر أن المعجمية أول أركان هذه المناهج النقدية الحديثة، لأنها تخلق المصطلحات وتشرحها وتحولها إلى أدوات علمية صلبة. ولقد اعتمدنا في بحثنا هذا عن المعجمية العربية من أجل دراسة مؤلَّف نقدي عن فحولة الشعراء. لكننا لم نتبنّ في هذه الدراسة معجمية لسانية بحتة، بل جعلنا من الدراسات البينية حجر الزاوية للإجابة عن إشكالية إقصاء شعر النساء من كتب النقد العربي القديم عامة، ومن كتاب فحولة الشعراء خاصة. فالمقاربات البينية تنفخ نفسا جديدا في الدراسات المعجمية العربية، وتنهض بلغة الضاد، كما أنها منعطف جديد في إثراء المعجم العربي في شتى المجالات المعرفية. فقد نشأت المعجمية العربية، فظهرت معاجم بحث أصحابها عن مفردات اللغة العربية، وأكمل آخرون من بعدهم هذه الرسالة العربية، لتحل اليوم ساعة التحولات، باعتماد كل ما هو جديد كالمقاربات البينية، والتكنولوجيا والذكاء الاصطناعي في تطوير لغة القرآن والنهوض بها.

المراجع

- ابن جعفر، قدامة. نقد الشعر. تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.
- ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة، ج. ٤. تح: عبد السلام هارون. دار الفكر، مصر، ١٩٧٩.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد. الشعر والشعراء. تحقيق أحمد محمد شاكر. دار المعارف، مصر، ١٩٨٢.
- أبو زيد، نصر حامد، دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة. المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٤.
- الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي. دار المعارف، مصر، ١٩٨٨.. ط. ٧
- الأصمعي، عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء. تح: ش. توري، قدم لها: صلاح الدين المنجد. دار الكتاب الجديد، لبنان، ١٩٨٠.
- الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب الإبل. تحقيق حاتم صالح الضامن. دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٣.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج. ١. تحقيق عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧. ط. ٤.
- البوشيخي، الشاهد، مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهلين والإسلاميين، قضايا ونماذج، دار القلم، ١٩٩٣. ط. ١.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج. ٢. دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ت.
- ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٢.
- ديوان البحتري، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي. ط. ٢. دار المعارف، مصر، ٢٠٠٩.
- ديوان جرير. دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦.
- ديوان حسان بن ثابت. تحقيق عبدأ مهنا. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤.

- ديوان الحطيئة. برواية وشرح ابن السكيت. تحقيق نعمان محمد أمين طه. مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧. ط. ١.
- ديوان الراعي النميري. تحقيق راينهرت فايبرت. بيروت، ١٩٨٠.
- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني. تحقيق صلاح الدين الهادي. دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- ديوان الطرماح. تحقيق عزة حسن. دار الشرق العربي، حلب، ١٩٩٤. ط. ٢.
- ديوان كعب بن زهير. تحقيق علي فاعور. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
- ديوان مهيار الديلمي. دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٥. ط. ١.
- ديوان نابغة بني شيبان. دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٢. ط. ١.
- الرافعي، مصطفى صادق. تاريخ آداب العرب، ج. ٣. دار الكتاب العربي، لبنان، د.ت.
- الزبيدي، أبو بكر، طبقات النحويين واللغويين. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف، مصر، د.ت. ط. ٢.
- شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦.
- الطرابلسي، أمجد، نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس الهجري، ترجمة إدريس بلمليح. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٣. ط. ١.
- عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، لبنان، ١٩٨٣. ط. ٤.
- عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية. الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ١٩٩٤. ط. ١.
- الغذامي، عبد الله. المرأة واللغة، ثقافة الوهم، مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨. ط. ١.
- الغذامي، عبد الله. المرأة واللغة. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٦. ط. ٣.
- القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١. ط. ٣.

- القلقشندي، أبو العباس، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، ج. ٢. مطبعة الدار الأميرية، القاهرة، ١٩١٣.
- القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج. ١. مطبعة السعادة، مصر، ١٩٠٧. ط. ١.
- المبرد، محمد بن يزيد، الكامل. تح: محمد أحمد الدالي. مؤسسة الرسالة، سورية، ١٩٩٧. ط. ٣.
- المرزباني، أبو عبيد الله بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، تحقيق علي أحمد البجاوي. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٥.
- المستوفى من شعر أبي تمام، ديوان حبيب بن أوس الطائي، صنعه محمد أبو شوارب. مؤسسة البابطين، الكويت، ٢٠٠٧. ط. ٢.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، ج. ٢، ١٩٨٣.
- الواد، حسين، المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب، دار المغرب الاسلامي، ٢٠٠٤. ط. ٢.
- يوسف، عبد الفتاح أحمد، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ٢٠١٠. ط. ١.

قائمة المصادر والمراجع (مرومنة):

- Ibn Ja‘far, Qudāma. Naqd al-Shi‘r. Taḥqīq Muḥammad ‘Abd al-Mun‘im Kafājī. Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya, Bayrūt, 1985.
- Ibn Fāris, Aḥmad. Mu‘jam Maqāyīs al-Lugha, j. 4. Taḥqīq ‘Abd al-Salām Hārūn. Dār al-Fikr, Miṣr, 1979.
- Ibn Qutayba, ‘Abd Allāh ibn Muslim ibn Qutayba al-Dīnūrī, Abū Muḥammad. Al-Shi‘r wa-l-Shu‘arā’. Taḥqīq Aḥmad Muḥammad Shākir. Dār al-Ma‘ārif, Miṣr, 1982.
- Abū Zayd, Naṣr Ḥāmid. Dawā’ir al-Khawf, Qirā’a fī Khitāb al-Mar’a. Al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, Bayrūt, 2004.
- Al-Asad, Nāṣir al-Dīn. Maṣādir al-Shi‘r al-Jāhilī. Dār al-Ma‘ārif, Miṣr, 1988, Ṭ. 7.
- Al-Asm‘ī, ‘Abd al-Malik ibn Quraib. Fuḥūlat al-Shu‘arā’. Taḥqīq Sh. Tūrī, Qaddama Laha: Ṣalāḥ al-Dīn al-Manjid. Dār al-Kitāb al-Jadīd, Lubnān, 1980.
- Al-Asm‘ī, ‘Abd al-Malik ibn Quraib. Kitāb al-Ibil. Taḥqīq Ḥātim Ṣāliḥ al-Ḍāmin. Dār al-Bashā’ir, Dimashq, 2003.
- Al-Baghdādī, ‘Abd al-Qādir ibn ‘Umar. Khazānat al-Adab wa-Lubb Lubāb Lisān al-‘Arab, j. 1. Taḥqīq ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn. Maktabat al-Khānījī, al-Qāhira, 1997, Ṭ. 4.
- Al-Būshakhī, al-Shāhid. Muṣṭalaḥāt al-Naqd al-‘Arabī ladā al-Shu‘arā’ al-Jāhilīn wa-l-Islāmiyyīn, Qaḍāyā wa-Namādhij. Dār al-Qalam, 1993, Ṭ. 1.
- Al-Jāḥiẓ, ‘Amr ibn Bahr. Al-Bayān wa-l-Tabyīn, j. 2. Dār wa-Maktabat al-Hilāl, Bayrūt, D.T.
- Dīwān Ibn al-Rūmī. Sharḥ Aḥmad Ḥasan Bisj. Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya, Lubnān, 2002.
- Dīwān al-Buḥturī. Taḥqīq wa-Sharḥ Ḥasan Kāmil al-Ṣayrifī. Ṭ. 2. Dār al-Ma‘ārif, Miṣr, 2009.
- Dīwān Jarīr. Dār Bayrūt li-ṭ-Ṭibā‘a wa-l-Nashr, Bayrūt, 1986.
- Dīwān Ḥassān ibn Thābit. Taḥqīq ‘Abd al-Mahannā. Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya, Bayrūt, 1994.
- Dīwān al-Ḥuṭayʾa. Birāwayat wa-Sharḥ Ibn al-Sikkīt. Taḥqīq Nu‘mān Muḥammad Amīn Ṭāhā. Maktabat al-Khānījī, al-Qāhira, 1987, Ṭ. 1.

- Dīwān al-Rā‘ī al-Namīrī. Taḥqīq Rāyinhart Fāyibart. Bayrūt, 1980.
- Dīwān al-Shamākh ibn Ḍarrār al-Dhabīānī. Taḥqīq Ṣalāḥ al-Dīn al-Hādī. Dār al-Ma‘ārif, al-Qāhira, D.T.
- Dīwān al-Ṭarmāḥ. Taḥqīq ‘Azza Ḥasan. Dār al-Sharq al-‘Arabī, Ḥalab, 1994, Ṭ. 2.
- Dīwān Ka‘b ibn Zuhayr. Taḥqīq ‘Alī Fā‘ūr. Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya, Bayrūt, 1997.
- Dīwān Mahyār al-Daylamī. Dār al-Kutub al-Miṣriyya, al-Qāhira, 1925, Ṭ. 1.
- Dīwān Nābiġat Banī Shaybān. Dār al-Kutub al-Miṣriyya, al-Qāhira, 1932, Ṭ. 1.
- Al-Rāfi‘ī, Muṣṭafā Ṣādiq. Tārīkh Ādāb al-‘Arab, j. 3. Dār al-Kitāb al-‘Arabī, Lubnān, D.T.
- Al-Zubaydī, Abū Bakr. Ṭabaqāt al-Naḥwiyyīn wa-l-Lughawiyyīn. Taḥqīq Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. Dār al-Ma‘ārif, Miṣr, D.T., Ṭ. 2.
- Sharḥ Dīwān al-Mutanabbī. Wada‘ahu ‘Abd al-Raḥmān al-Barqūqī. Dār al-Kitāb al-‘Arabī, Bayrūt, 1986.
- Al-Ṭarāblusī, Amjad. Naqd al-Shi‘r ‘Ind al-‘Arab ḥattā al-Qarn al-Khāmis al-Hijrī. Tarjamat Idrīs Bilmalīḥ. Dār Ṭubqāl li-l-Nashr, al-Dār al-Bayḍā’, 1993, Ṭ. 1.
- ‘Abbās, Iḥsān. Tārīkh al-Naqd al-Adabī ‘Ind al-‘Arab. Dār al-Thaqāfa, Lubnān, 1983, Ṭ. 4.
- ‘Abd al-Muṭṭalib, Muḥammad. Al-Balāgha wa-l-Usūbīya. Al-Sharika al-Miṣriyya al-‘Ālamīya li-l-Nashr, al-Qāhira, 1994, Ṭ. 1.
- Al-Ghadhāmī, ‘Abd Allāh. Al-Mar’a wa-l-Lughā, Thaqāfat al-Wahm, Muqārabāt ḥawl al-Mar’a wa-l-Jasad wa-l-Lughā. Al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, al-Dār al-Bayḍā’, 1998, Ṭ. 1.
- Al-Ghadhāmī, ‘Abd Allāh. Al-Mar’a wa-l-Lughā. Al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, al-Dār al-Bayḍā’, 2006, Ṭ. 3.
- Al-Qurṭājīnī, Ḥāzim. Minhāj al-Bulaghā’ wa-Sirāj al-Adabā’. Taḥqīq Muḥammad al-Ḥabīb ibn al-Khuja. Dār al-Gharb al-Islāmī, Bayrūt, 1981, Ṭ. 3.
- Al-Qalaqashandī, Abū al-‘Abbās. *Ṣuḥb al-A‘shā fī Kitābat al-Inshā’, j. 2. Maṭba‘at al-Dār al-Amīriyya, al-Qāhira, 1913.

- Al-Qīrūwānī, al-Ḥasan ibn Rāshiq. Al-‘Umda fī Maḥāsīn al-Shi‘r wa-Ādābihi, j. 1. Maṭba‘at al-Sa‘āda, Miṣr, 1907, Ṭ. 1.
- Al-Mubarrad, Muḥammad ibn Yazīd. Al-Kāmil. Taḥqīq Muḥammad Aḥmad al-Dālī. Mu’assasat al-Risāla, Sūriyā, 1997, Ṭ. 3.
- Al-Marzabānī, Abū ‘Ubayd Allāh ibn Mūsā. Al-Muwashshaḥ fī Mā’khidh al-‘Ulamā’ ‘alā al-Shu‘arā’ fī ‘Adad Anwā‘ min Ṣinā‘at al-Shi‘r. Taḥqīq ‘Alī Aḥmad al-Bijāwī. Nahdat Miṣr li-ṭ-Ṭibā‘a wa-l-Nashr wa-l-Tawzī‘, al-Qāhira, 1965.
- Al-Mustawfī min Shi‘r Abī Tamām. Dīwān Ḥabīb ibn Aws al-Ṭā’ī. Ṣan‘ahu Muḥammad Abū Shawārib. Mu’assasat al-Bābaṭīn, al-Kuwayt, 2007, Ṭ. 2.
- Al-Maydānī, Abū al-Faḍl Aḥmad ibn Muḥammad. Majma‘ al-Amthāl, j. 2, 1983.
- Al-Wād, Ḥusayn. Al-Mutanabbī wa-l-Tajriba al-Jamāliya ‘Ind al-‘Arab. Dār al-Maghrib al-Islāmī, 2004, Ṭ. 2.
- Yūsuf, ‘Abd al-Fattāḥ Aḥmad. Lisānīyāt al-Khiṭāb wa-Ansaq al-Thaqāfa. Al-Dār al-‘Arabīya li-l-‘Ulūm Nāshirūn, Munshūrāt al-Ikhtilāf, 2010, Ṭ. 1.

مساهمة بعض الدول العربية في صناعة معاجم مختصة بالذكاء الاصطناعي، «مقاربة وصفية مقارنة السعودية والإمارات أنموذجًا»

The Contribution of Some Arab Countries to the Development of Specialized Dictionaries in Artificial Intelligence «A Descriptive Comparison Approach, with Saudi Arabia and the UAE as Examples»

أ. د. نوال بومَشْطَـه
جامعة أم البواقي – الجزائر

Prof. Naouel Boumechta
University of Oum El Bouaghi, Algeria

https://doi.org/10.47798/fom.2024.i4.05

ملخص البحث

تتناول الدراسة تجربة الدول العربية في صناعة المعاجم المتخصصة في الذكاء الاصطناعي باللغة العربية، وذلك من أجل توحيد المعاني والدلالات التي تحملها هذه المصطلحات التقنية الجديدة، في ظل نقص عمليات الترجمة وعدم توافقها بين مختلف الدول، وعليه تهدف الدراسة إلى التعرف على مبادرات الدول العربية في هذا المجال، على غرار معجم البيانات والذكاء الاصطناعي (السعودية)، والمعجم العربي للذكاء الاصطناعي (الإمارات).

فبعد وصف وتحليل المعجمين شكلا ومضمونا، توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أبرزها أن الدول العربية لها تجربة رائدة في صناعة المعاجم المتخصصة في الذكاء الاصطناعي، وتهدف من ذلك إلى تعزيز اللغة العربية والحفاظ على مكانتها في ظل التطور المتزايد التقنية، وأوضحت الدراسة إلى أن هذه التجربة فتية وتحتاج إلى تكاثف الجهات المتخصصة لصناعة معاجم الذكاء الاصطناعي ذات جودة عالية.

الكلمات المفتاحية: المعجم – المعجم المتخصص– الذكاء الاصطناعي – صناعة المعاجم.

Abstract

The study deals with the experience of Arab countries in creating dictionaries specialized in artificial intelligence in the Arabic language, in order to unify the meanings and connotations of these new technical terms, in light of the lack of translation processes and their incompatibility between different countries. Accordingly, the study aims to identify the initiatives of Arab countries in this regard. field, such as the Dictionary of Data and Artificial Intelligence (Saudi Arabia) and the Arabic Dictionary of Artificial Intelligence (UAE). It aims to strengthen the Arabic language and maintain its position in light of the increasing technical development. The study indicated that this experience is young and requires the intensification of specialized bodies to manufacture high-quality artificial intelligence dictionaries.

Keywords: dictionary - specialized dictionary - artificial intelligence - dictionary industry.

١. مقدمة

أصبحت تقنيات وتطبيقات الذكاء الاصطناعي سمة من سمات العصر بفعل تزايد استخدامها في مختلف القطاعات أين أصبح لها الأثر الكبير في تسريع الأعمال وأداء المهام ورفع الإنتاج واختصار الجهد.

هذا التطور والاستخدام المتزايد لتقنيات الذكاء الاصطناعي أوجد مصطلحات ومفاهيم جديدة تفتقر في بعض الأحيان لضبط دقيق ومتفق عليه، بسبب التطور المستمر لها، فإذا كان الأمر يطرح إشكالات في المصادر الأجنبية، فإنه في المقابل يطرح نقاشات في محتوى المصادر العربية حيث تعد قليلة جدا بفعل ضعف الترجمة التي تتطلب خبراء ومتخصصين في مجال التقنية والذكاء الاصطناعي.

وعليه عمدت بعض الدول العربية إلى إطلاق مبادرات لإصدار معاجم متخصصة في الذكاء الاصطناعي توضح من خلالها المعاني القريبة للمصطلحات من خلال ترجمتها وجعلها في قالب موحد يمكن الاعتماد عليه في مختلف المجالات اليومية البحثية والتداولية وغيرها.

ومن أوائل المبادرات في إنجاز المعاجم العربية المتخصصة في الذكاء الاصطناعي، مبادرة دولة السعودية التي أطلقت معجم البيانات والذكاء الاصطناعي خلال سنة ٢٠٢٢، ومبادرة الإمارات العربية المتحدة من خلال إنشاء المعجم العربي للذكاء الاصطناعي خلال سنة ٢٠٢٣، التي تعد مبادرات لتعزيز مكانة اللغة العربية في عالم لتكنولوجيا، والسعي لسد الفجوة التقنية.

ومن هذا المنطلق تطرح الدراسة التساؤل الرئيسي الآتي:

كيف ساهمت الدول العربية في إنشاء معاجم متخصصة في الذكاء الاصطناعي في ضوء تجربتي السعودية والإمارات العربية المتحدة؟

وتندرج تحت هذا التساؤل عدة تساؤلات فرعية وهي:

- ما هو المحتوى الذي يركز عليه كل من معجم البيانات والذكاء الاصطناعي والمعجم العربي للذكاء الاصطناعي؟
- ما الشكل المعتمد في صناعة هذين المعجمين؟
- ما هي أوجه التشابه والاختلاف في محتوى وشكل المعجمين محل الدراسة؟

٢. أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في النتائج التي ستتوصل لها بخصوص الكشف عن جهود الدول العربية في صناعة المعاجم المتخصصة في الذكاء الاصطناعي، والذي يعد تحديا بارزا في ظل التطورات الحاصلة في هذا المجال، وكذا عدم الاتفاق على معاني المفاهيم الجديدة للذكاء الاصطناعي، وتقنياته، وعليه هذه الدراسة تبين أهمية المعاجم الالكترونية العربية في توحيد هذه المعاني وتوحيدها على المستوى العربي.

٣. أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى الكشف عن مضامين وأسس بناء هذه المعاجم، وأبرز المجالات التي تم التركيز عليها في ضبط معاني المصطلحات وترجمتها، كما تهدف إلى إبراز جوانب القوة والضعف في المعجمين ومدى التقارب والتطابق والاختلاف في تحديد معاني الكلمات.

٤. مفاهيم الدراسة:

١,٤. المعجم:

يُعرّف المعجم بأنه قائمة من الكلمات وتعريفاتها أو معانيها في لغات أخرى، وغالبًا ما يتضمن معلومات إضافية مثل النطق، والقواعد النحوية، والاشتقاق، وتاريخ الكلمة، ورسوم توضيحية تبين معناها، بالإضافة إلى أمثلة على كيفية استخدامها. (الجرف، ٢٠٢٠، صفحة ٢٢).

بينما يعرفه آخرون على أنه مرجع يتضمن مفردات لغة مرتبة هجائيًا، مع تقديم تعريفات لكل كلمة وذكر معلومات متعلقة بها مثل صيغتها، نطقها، اشتقاقها، ومعانيها المتعددة.» (عنقاق و بوساحة، ٢٠٢٣، صفحة ٣٧٧).

وعليه يمكن تعريف المعجم على أنه كتاب يتضمن معاني خاصة بمفردات لغة معينة ودلالتها وفق السياق الذي تأتي فيه.

٢,٤. المعجم الالكتروني:

المعجم الإلكتروني هو نتيجة تطبيق تقنيات الإلكترونيات وعلوم الحاسوب في مجال صناعة المعاجم، حيث يُعد قاعدة بيانات آلية تحتوي على الوحدات اللغوية والمعلومات المرتبطة بها مثل النطق، الأصول الصرفية، الدلالات، وطرق الاستخدام، حيث يتم إدارة هذه البيانات من خلال جهاز آلي وفق برنامج محدث مسبقا. (نزارقبايلي، عباس، و عيشون، ٢٠١٨، صفحة ٣٨).

كما يُعتبر المعجم الإلكتروني نسخة معدلة من المعجم الورقي، ويتكون من عدد كبير من المدخلات التي تحتوي كل منها على المعلومات المتعلقة بها، والتي تختلف من معجم لآخر بناءً على أهدافه والفئة المستهدفة من المستخدمين. (فصيح، ٢٠٢٣، صفحة ٢٦٦).

يعد المعجم الإلكتروني مصدرًا مرجعيًا يشمل قائمة من المفردات أو المصطلحات وتعريفاتها في لغات أخرى، مع توفير معلومات إضافية مثل النطق والمعلومات اللغوية، مشتقات الكلمة، تاريخها، ورسومات توضيحية تشرح معناها، بالإضافة إلى أمثلة توضح طريقة استخدامها. يمكن أن يُصدر المعجم الإلكتروني إما بنسخة ورقية مطبوعة أو إلكترونية دون نسخة ورقية، ويُخزن على الأقراص أو يُتاح عبر الإنترنت، وتشمل معاجم أحادية اللغة، ثنائية اللغة، متعددة اللغات، معاجم عامة، ومعاجم متخصصة تغطي مصطلحات في مجالات معينة. (بولقرون و بولقرون، ٢٠١٥، صفحة ١٩).

٣,٤. المعجم المتخصص:

هناك من يعرف المعجم المتخصص على أساس معيار الفئة المستهدفة وهو بذلك المعجم الذي يكون موجّها إلى فئة معيّنة من الأفراد فتقتصر على تسجيل المفردات التي تفي بحاجاتهم الخاصة. (سيليني، ٢٠٢٠، صفحة ٢٨٦).

وهناك من يعرفه على أساس معيار المحتوى الذي يتضمنه فهو «الذي يتناول الألفاظ أو المصطلحات الخاصة بموضوع معين أو مجال من مجالات المعرفة أو عدة موضوعات ذات علاقة وثيقة، وهذه المعاجم تتنوع بين أحادية اللغة، ومتعددة اللغات. (بولقرون و بولقرون، ٢٠١٥، صفحة ٢٥).

والتعريف الثاني هو الأقرب إلى مفهوم الدراسة، حيث نقصد بالمعجم المتخصص ذلك المعجم الذي يتناول مفردات خاصة بمجال معين.

٤,٤ الذكاء الاصطناعي:

الذكاء الاصطناعي هو مصطلح يتكون من كلمتين: «الذكاء» الذي يشير إلى القدرة على فهم الظروف أو الحالات الجديدة والمتغيرة، أي القدرة على إدراك

وفهم وتعلم المواقف الجديدة، وعليه، فإن مفاتيح الذكاء تكمن في الإدراك، الفهم، والتعلم.

أما كلمة «الاصطناعي»، فهي مرتبطة بالفعل «يصنع» أو «يصطنع»، وتشير إلى الأشياء التي يتم إنشاؤها بواسطة نشاط أو فعل يتم من خلاله تشكيل وتصنيع الأشياء، تمييزًا عن تلك الموجودة بالفعل والمولدة بشكل طبيعي من دون تدخل الإنسان. وعليه، يعني الذكاء الاصطناعي بشكل عام الذكاء الذي يخلقه الإنسان في الآلة أو الحاسوب، مما يجعله علمًا يتعلق بتطوير الآلات الحديثة. (محمود، ٢٠٢٠، صفحة ١٨٢).

أكثر المفاهيم تتناول الذكاء الاصطناعي هي تلك التي يتم فيها تضمين الذكاء الاصطناعي داخل الحاسوب بطريقة تحاكي العقل البشري، وذلك من خلال تضمين مجموعة من المعرفة داخل الحاسوب، حيث تُعرَف بقواعد المعرفة وأدوات البرمجة التي تقوم بالبحث واستخلاص النتائج. (أبوزقية، ٢٠١٨، صفحة ١١٣).

٥. منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي المقارن، الذي يساعدنا على وصف المحتوى وتبيان أسسه وأبعاده، واستخراج أوجه التشابه والاختلاف بين المعجمين، للخروج باقتراحات يمكن أن تكون ركيزة لوضع معاجم عربية متخصصة في الذكاء الاصطناعي تساير التطور التقني، وتضبط المعنى الحقيقي لمفردات الذكاء الاصطناعي وتحافظ على مكانة اللغة العربية وأدوارها الحضارية والثقافية.

٦. الدراسات السابقة:

في حدود البحث عن الدراسات السابقة والمشابهة تم الوصول إلى عدة

دراسات تتشابه في إحدى متغيرات الدراسة وهي:

الدراسة ١: (دقناتي، ٢٠٢٢): أبدع المعجميون العرب في تطوير أساليب جمع وتنظيم المادة اللغوية، وما زالت الحاجة قائمة لخدمة اللغة العربية. وفي الوقت الراهن، أصبح التحدي قائمًا حول قدرة اللغة العربية على دخول عالم الحاسوب، وحوسبة اللغة العربية من خلال إنجاز معاجم إلكترونية عامة ومتخصصة تواكب المعاجم الإلكترونية العالمية.

في هذا السياق، تسعى الورقة البحثية إلى دراسة واقع المعجم الإلكتروني العربي من خلال طرح الإشكالية التالية: هل نجحت المعاجم الإلكترونية العربية المنجزة في الوصول إلى المستوى المطلوب؟ وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج، أبرزها أن المعجم العربي الحديث قد تمكن من الظهور في صورة إلكترونية، بما يتماشى مع التطورات في مجال حوسبة اللغة، مما يستجيب للمطالب الرامية إلى إدخال المعجم العربي في عالم الرقمنة لزيادة وصوله إلى أكبر عدد من المستخدمين، ومع ذلك، لا يزال بحاجة إلى مزيد من الجهد لتحسينه وتقديمه بصورة أفضل.

الدراسة ٢: (الجرف، ٢٠٢٠): تهدف هذه الدراسة إلى استعراض المعاجم العربية الرقمية المتوفرة على شبكة الإنترنت للتعرف على أنواعها، وعدد المواد والمشتقات والمفردات التي تغطيها، ومدى مواكبتها للتطورات اللغوية والعلمية اليومية. كما تهدف إلى تقييم مدى احتوائها على المفردات الجديدة التي تتكرر في وسائل الإعلام مثل «الديمقراطية، التعددية، الخصخصة، رتل عسكري، مصفوفة، العولمة»، بالإضافة إلى فحص مدى كفاية المعاني المقدمة لهذه المفردات الحديثة، ومحتويات المداخل، ودقة المقابلات التي توفرها لبعض المصطلحات الحديثة، وجوانب القصور فيها.

وقد أظهرت نتائج التحليل أن عدد المعاجم العربية الرقمية ثنائية اللغة والمتخصصة في مجالات معينة يفوق بكثير عدد المعاجم الأحادية والمتعددة اللغات في مجموعة من التخصصات. كما تبين أن المعاجم العربية الرقمية لا تحتوي على العديد من المفردات والمصطلحات الجديدة، ولا تقدم معاني شاملة لمفرداتها، ولا تحدد نوع المشتقات. علاوة على ذلك، تقدم المعاجم الرقمية التراثية والحديثة للباحث الاشتقاق فقط دون توضيح المعاني أو تقديم سياق يبين كيفية استخدامها.

الدراسة ٣: (فصيح، ٢٠٢٣): إشكالية الدراسة تتمثل في مدى استفادة الأمة العربية من تطبيق تقنيات الذكاء الاصطناعي في تطوير المعاجم العربية وحوسبتها، وكيفية استثمار هذه التقنيات في خدمة اللغة العربية. تكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على فائدة المعاجم الإلكترونية العربية في دعم اللسان العربي، حيث يُعد المعجم الإلكتروني نموذجًا مفيدًا للباحث العربي.

توصلت الدراسة عن عدة نتائج، أبرزها:

- يُعتبر المعجم الإلكتروني من مخرجات المعالجة الآلية للغات الطبيعية، وهو نتاج الاستفادة من علم الإلكترونيات وعلوم الحاسوب في صناعة المعاجم.
- يتميز المعجم الإلكتروني بعدة مزايا، منها: سعة التخزين الكبيرة، تطور تقنيات قواعد البيانات، إمكانية توليد بعض الكلمات تلقائيًا دون الحاجة إلى تضمينها في المعجم، احتوائه على العديد من التطبيقات اللغوية المهمة، وسهولة تعديله بإضافة مداخل جديدة، فضلاً عن الاعتماد على الوسائل الحاسوبية الحديثة والمتعددة الوسائط.
- المعجم الإلكتروني أصبح أداة ضرورية للفرد العربي في مجتمع المعلومات والاقتصاد المعرفي، حيث تطورت وظيفة المعجم في السنوات الأخيرة

ليُصبح أداة عمل أساسية للطلاب الأساتذة، الباحثين، المترجمين، والعديد من الفئات الاجتماعية والمهنية الأخرى.

٧. مدخل إلى المعاجم الالكترونية:

١,٧. نشأة المعاجم الالكترونية:

بدأ الاهتمام بالمعاجم الإلكترونية في منتصف القرن الماضي، حيث اقتصر استخدامها في البداية على كونها موارد لغوية للتحليل الآلي للغات الطبيعية على المستويات الصرفية والنحوية والدلالية، وكانت المعاجم في تلك الفترة بمثابة قواعد بيانات تحتوي على معلومات مشفرة لا يفهمها سوى البرنامج الذي يعالجها، مثل: تقطيع الجمل، تحليل النصوص واسترجاعها، البحث عن المعلومات، التدقيق الإملائي، التلخيص الآلي للوثائق، والترجمة الآلية. (فصيح، ٢٠٢٣، صفحة ٢٢٦).

ومع التطور الذي شهدته مجالات البيانات والبرمجيات والأجهزة الحاسوبية، ظهرت أولى المعاجم الإلكترونية عبر الإنترنت في أوائل الثمانينات. وكانت تلك المعاجم إما مواقع إلكترونية مفتوحة أو يتم تحميلها على أقراص مدمجة وغيرها. (Husein و Doğru، ٢٠٢٣، صفحة ١٧٠).

٢,٧. مزايا المعاجم الالكترونية:

يتمتع المعجم الإلكتروني بعدد من المزايا المرتبطة بسرعة المعالجة وسعة التخزين، ويمكن تفصيلها على النحو التالي: (دقناتي، ٢٠٢٢، صفحة ١٢٤).

- **تنوع طرق البحث عن المعلومات:** يتيح المعجم الإلكتروني للمستخدم الوصول إلى المعلومات باستخدام طرق متعددة، سواء عبر الجذر أو الجذع (البحث البسيط)، أو عبر المعنى (البحث المتقدم).

- **طاقة التخزين الواسعة وتطور تقنيات قواعد البيانات**: توفر سعة تخزين كبيرة تتيح بناء معاجم ضخمة تجمع بين المعاجم القديمة والمعاصرة، ومتعددة اللغات والوسائط. هذه المعاجم تتميز بالدقة والشمولية لأنها تقدم معاني الكلمة الأساسية والفرعية وتدعمها بأمثلة وشواهد متنوعة.

- **إمكانية التوليد الآلي لبعض الكلمات القياسية**: يتم توليد بعض الكلمات القياسية آليًا استنادًا إلى قواعد الاشتقاق، هذه الميزة يصعب تنفيذها في المعاجم الورقية، حيث إن إدراج جميع المشتقات القياسية لكل الأفعال سيؤدي إلى زيادة حجم المعجم بشكل كبير ويجعله غير عملي.

- **احتواء المعجم الالكتروني على تطبيقات لغوية مهمة**: يتضمن المعجم الإلكتروني عدة تطبيقات لغوية مفيدة مثل تصريف الأفعال والأسماء، البحث عن المترادفات، المعالجة الصوتية لتحويل النصوص المكتوبة إلى منطوقة، والتدقيق الإملائي لتصحيح الكلمات المدخلة.

- **سهولة تعديل المعجم الإلكتروني**: يمكن إضافة مداخل جديدة أو تحديث المداخل الحالية، مما يمنح المعجم مرونة عالية. ومع ذلك، يجب أن يتم تعديل المحتوى بحذر للحفاظ على مصداقية المعجم وجودته، حيث ينبغي أن يُنفذ التعديل من قبل معجميين محترفين وفقًا لإجراءات منظمة تضمن تماسك المحتوى.

- **الاعتماد على الوسائل الحاسوبية الحديثة والمتعددة الوسائط**: يعزز المعجم الإلكتروني من تقديم المعارف باستخدام النصوص، الأصوات، الصور الثابتة والمتحركة، وأفلام الفيديو، مما يسهم في تسهيل فهم واستيعاب المعلومات المعروضة.

٣,٧. أنواع المعاجم الالكترونية:

إن أبسط تصنيف للمعاجم الإلكترونية الذي يمكن أن يستخلص مما ذكر يميز بين المعاجم الموجهة إلى الآلة والمعاجم الموجهة للإنسان، علما بأن الجهود قد اتجهت في السنوات الأخيرة إلى دمج هذين الصنفين وذلك باقتراح منهجية بناء معاجم تراهن على تلبية حاجة الإنسان والآلة في نفس الوقت (فصيح، ٢٠٢٣، صفحة ٢٧٧).

وعليه يمكن تصنيف المعاجم الإلكترونية على النحو التالي:

- **معاجم لغوية**: تتضمن مجموعة من المفردات، ويحتوي كل مدخل على المعلومات اللغوية الأساسية مثل: تعريف الكلمة، خصائصها الصرفية والنحوية، طريقة الكتابة الإملائية، المعاني المختلفة، بالإضافة إلى أمثلة وشواهد لطرق الاستخدام المختلفة.
- **معاجم متخصصة**: تحتوي على المفردات المستخدمة في مجالات علمية أو فنية معينة، مثل: قاموس الرياضيات، قاموس الطب، قاموس الاقتصاد، قاموس الحاسوب، وقاموس أسماء العلم.
- **معاجم بصرية**: تتضمن مجموعة من الصور وأشرطة الفيديو مصنفة حسب المواضيع التي تعالجها، مثل: الأبنية، الحيوانات، الألعاب، وسائل النقل، وغيرها.
- **معاجم متعددة اللغات**: توفر ترجمة الكلمات إلى لغة أو لغات أجنبية. (فصيح، ٢٠٢٣، صفحة ٢٧٧).

٨. الجزء التطبيقي للدراسة:

١,٨. معجم البيانات والذكاء الاصطناعي:

شكل رقم١: صورة تبين واجهة معجم البيانات والذكاء الاصطناعي

صاحب المعجم:

هذا المعجم تم إطلاقه سنة ٢٠٢٢ في طبعته الأولى من طرف الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي بالتعاون مع مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية.

التعريف بالمعجم:

حسب الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي (٢٠٢٢)، يشير هذا المعجم على أنه مع الانتشار الواسع لتطبيقات البيانات والذكاء الاصطناعي، لا تزال العديد من المصطلحات والمفاهيم التقنية في هذه المجالات غير واضحة

أو غير مُعرّفة تعريفًا علميًا دقيقًا، خاصة في المحتوى العربي، يعود ذلك إلى قلة المصادر العربية المتخصصة وضعف الترجمة المعتمدة من قبل الخبراء والمختصين.

بالإضافة إلى ذلك، تفتقر المصادر الأجنبية إلى معايير عالمية متفق عليها لتعريف مصطلحات البيانات والذكاء الاصطناعي، نظرًا لأن هذين المجالين ما زالا قيد البحث والتطوير المستمر، وقد ظهرت دعوات وجهود عالمية متعددة لوضع معايير موحدة في هذه المجالات.

وفي هذا السياق، عملت الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي (سدايا) بالتعاون مع مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية على إعداد معجم يضم أبرز المصطلحات التقنية المتعلقة بالبيانات والذكاء الاصطناعي، مع تقديم تعريفات مختصرة لها باللغتين الإنجليزية والعربية، ويأتي هذا العمل في إطار جهود هذه الهيئة لإثراء اللغة العربية، زيادة الوعي، توحيد المفاهيم، وتسهيل الوصول إلى المعلومات التي يحتاجها الباحثون والممارسون والإعلاميون وغيرهم من المهتمين بهذه المجالات.

من هنا، يمكن القول إن المعجم يأتي استجابة للتطورات السريعة في مجال الذكاء الاصطناعي ودخوله في مختلف مجالات الحياة، مما يحتم على الدارسين تحديد وتوحيد معاني الكلمات والمصطلحات المتعلقة بهذا المجال، في ظل نقص الترجمة إلى اللغة العربية، مما أدى إلى تباين المعاني حسب الأشخاص، الهيئات والدول.

نوع المعجم:

معجم البيانات والذكاء الاصطناعي هو معجم متخصص من حيث المحتوى، أي أنه يتناول شرح معاني الألفاظ المتعلقة بتقنيات الذكاء الاصطناعي، كما أنه معجم ثنائي اللغة، حيث إنه يشرح المصطلحات باللغة الإنجليزية وما يقابلها باللغة

العربية، كما يمكن تصنيفه على أنه معجم الكتروني، باعتباره يمكن تحميله في صيغة ملف PDF.

مراحل صناعة المعجم:

حرصت الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي (سدايا) بالتعاون مع مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية على إعداد هذا المعجم بطريقة علمية دقيقة لضمان جودة المحتوى وسهولة استيعابه، وجعله مرجعًا أساسيًا لفهم المصطلحات الدارجة في مجالات البيانات والذكاء الاصطناعي. وكان العمل على هذا المعجم وفق منهجية مكونة من أربع مراحل رئيسة مثلما أشارت إليه هيئة سدايا (٢٠٢٢):

المرحلة الأولى: جمع المصطلحات وتعريفاتها

تم التركيز في هذه المرحلة على جمع المصطلحات الإنجليزية والبحث عن تعريفاتها من أكثر من ٢٠ مصدرًا موثوقًا، مع مراعاة حداثة المصادر وتنوعها لتشمل المراجع الأكاديمية والصناعية والمعايير العالمية المختصة في مجال البيانات والذكاء الاصطناعي. وتضمنت هذه المرحلة خطوتين أساسيتين:

- **جمع المصطلحات**: تم اختيار المصطلحات وفق معايير دقيقة لضمان تغطية أهم المفاهيم المتداولة في الأوساط الأكاديمية والصناعية، ومن بين هذه المعايير:

  - أن يكون المصطلح مرتبطًا بمجالات البيانات والذكاء الاصطناعي.
  - أن يكون المصطلح عامًا في تقنية المعلومات، ولكنه يُستخدم بشكل خاص في سياق البيانات والذكاء الاصطناعي.
  - أن يكون المصطلح شائع الاستخدام في مجالات غير تقنية (مثل الرياضيات، الإحصاء، الاحتمالات)، ولكنه ذو صلة وثيقة بمجال الذكاء الاصطناعي.

- **تعريف المصطلحات**: تم البحث عن أكثر من تعريف لكل مصطلح من مصادر متعددة، ثم صياغة تعريف مختصر وشامل لأهم المفاهيم الأساسية، مع ربط التعريفات بالمصطلحات المرتبطة الأخرى لتحقيق تكامل في المعلومات.

المرحلة الثانية: ترجمة المصطلحات وتعريفاتها

من خلال هذه المرحلة تم البحث عن الترجمات العربية الأكثر دقة ووضوحًا للمصطلحات الإنجليزية وتعريفاتها، مع تجنب الترجمة الحرفية أو غير المألوفة، وقد تم التركيز على تقديم مفاهيم سهلة الفهم، واعتماد الترجمات الأكثر شيوعًا ما لم تتضمن أخطاءً في المعنى، كما تم الإبقاء على بعض المصطلحات بلغتها الأصلية في حال عدم توفر ترجمة مناسبة، حيث قد يؤدي تعريبها إلى فقدان معناها الدقيق أو صعوبة استخدامها في السياق التقني، بالإضافة إلى ذلك، تم العمل على توحيد الترجمات حيثما كان ذلك ممكنًا لضمان تناسق المصطلحات بين مختلف المجالات التقنية واللغوية.

المرحلة الثالثة: المراجعة التقنية

في هذه المرحلة، شارك خبراء ومختصون في مجالات البيانات والذكاء الاصطناعي في مراجعة المصطلحات وتعريفاتها باللغتين العربية والإنجليزية، لضمان الدقة العلمية والتقنية، والتأكد من صحة المفاهيم الواردة في المعجم.

المرحلة الرابعة: المراجعة اللغوية

تمت مراجعة المصطلحات وتعريفاتها من قبل خبراء لغويين في اللغتين العربية والإنجليزية، لضمان صحة الصياغة اللغوية ودقة التعبير، مما يعزز وضوح التعريفات وسلاسة فهمها.

التحديات وآفاق التطوير:

على الرغم من الجهود المبذولة في إعداد هذا المعجم ومراجعته بدقة، يبقى أي عمل بشري معرضًا للنقص أو الخطأ، خاصة مع التحديات التي تواجه الترجمة العربية، ومنها:

- تعقيد بعض المصطلحات الإنجليزية وصعوبة إيجاد مقابل عربي دقيق لها.
- عدم وجود معايير عالمية معتمدة لتعريف جميع المصطلحات التقنية.
- وجود اختلافات في الترجمات العربية للمصطلحات بين الخبراء والمختصين.

ومع ذلك، سيستمر تطوير المعجم وتحديثه بما يتماشى مع المستجدات التقنية، ويلبي احتياجات المستخدمين، ويتوافق مع أي معايير عالمية جديدة يتم اعتمادها.

طريقة البحث في المعجم:

يعد معجم البيانات والذكاء الاصطناعي معجمًا إلكترونيًا يتوفر بنسخة رقمية قابلة للطباعة. يتضمن المصطلحات والاختصارات المتعلقة بتقنيات الذكاء الاصطناعي، ويتيح البحث فيها من خلال فهرسين: أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية، حيث يمكن البحث حسب الترتيب الأبجدي، مع تقديم الترجمات والتعريفات لكل مصطلح باللغتين.

٢,٨ . المعجم العربي للذكاء الاصطناعي:

شكل رقم٢: صورة تبين صفحة واجهة المعجم العربي للذكاء الاصطناعي على الموقع الالكتروني

صاحب المعجم:

هذا المعجم تم إطلاقه سنة ٢٠٢٣ في طبعته الأولى من طرف مكتب الذكاء الاصطناعي والاقتصاد الرقمي، الذي ينتمي إلى الحكومة الإماراتية، وهو مكتب يعمل على ترسيخ جهود الدولة ومكانتها في مجالات الذكاء الاصطناعي والتقنيات الرقمية وعلوم المستقبل ويعمل مكتب الذكاء الاصطناعي على تشكيل السياسات والاستراتيجيات واللوائح المتعلقة بمجالات الذكاء الاصطناعي ما يضمن اقتصاداً رقمياً مزدهراً وتنافسياً للدولة وتحقيق أقصى استفادة من التكنولوجيا والابتكار وتعزيز النمو الاقتصادي وتحسين جودة حياة المجتمع .

التعريف بالمعجم:

أطلق مكتب الذكاء الاصطناعي «المعجم العربي للذكاء الاصطناعي»، مستهدفا المهتمين بمصطلحات الذكاء الاصطناعي باللغة العربية. وتسعى هذه المبادرة إلى تعزيز مكانة اللغة العربية في قطاعات الذكاء الاصطناعي، وتوضيح المصطلحات، وتقليل الأخطاء اللغوية، وسد الفجوة بين الذكاء الاصطناعي واللغة العربية، كما تشجع على مشاركة المجتمع باقتراح مصطلحات باللغة

الإنجليزية وسيعمل مكتب الذكاء الاصطناعي مع المختصين لترجمتها ووضع تعريفات لها ونشرها في المعجم الرقمي.

نوع المعجم:

معجم البيانات والذكاء الاصطناعي هو معجم متخصص من حيث المحتوى، أي أنه يتناول شرح معاني الألفاظ المتعلقة بتقنيات الذكاء الاصطناعي، كما أنه معجم ثنائي اللغة، حيث إنه يشرح المصطلحات باللغة الإنجليزية وما يقابلها باللغة العربية، حيث أنه يترجم المصطلح من الإنجليزية إلى العربية ويشرحه باللغة العربية فقط، كما يمكن تصنيفه على أنه معجم عبر الانترنت، لأنه متواجد عبر الموقع https://ai.gov.ae/ar/ai-dictionary/ ، ولا يمكن تحميله في ملف.

صناعة المعجم:

هذا المعجم عبارة عن مصطلحات خاصة بالذكاء الاصطناعي تم جمعها عبر الموقع المشار إليه سابقا والذي ينتمي إلى موقع الحكومة الإماراتية، هذا المعجم وضع لتسهيل فهم هذه المصطلحات لدى المهتمين وغيرهم.

طريقة البحث في المعجم:

معجم البيانات والذكاء الاصطناعي هو معجم الكتروني دون نسخة ورقية، يتضمن كلمات وعبارات واختصارات لها علاقة بتقنيات الذكاء الاصطناعي، لكنها غير مرتبة أبجديا، بل عبارة عن مجموعة من الكلمات والعبارات التي يتم شرحها بشكل مختصر دون الاعتماد على جذر الكلمة أو اشتقاقها. وهذه صورة توضح ذلك:

شكل رقم٣: صورة تبين تنظيم المصطلحات في المعجم العربي للذكاء الاصطناعي

٣,٨. المقارنة بين المعجمين:

من خلال وصف الجوانب الشكلية والموضوعية للمعجمين محل الدراسة، نجد أن كليهما يحاول إعطاء معاني وشروح للألفاظ والمصطلحات والعبارات المرتبطة بتقنيات الذكاء الاصطناعي، وذلك في شكل الكتروني متاح لكل من يبحث عن هذه المعاني، كما أن كليهما يعتمد على ثنائية اللغة، وذلك لأن المصطلحات منشؤها أجنبي والذكاء الاصطناعي تم تطويره في دول غربية، والمعجمين يهدفان إلى تحديد المعاني باللغة العربية ليستفيد منها كل الفئات التي تعمل على ذلك في الوطن العربي.

من جهة أخرى نلاحظ أن هناك اختلاف بين المعجمين، فمن ناحية الملكية نجد أن معجم البيانات والذكاء الاصطناعي (السعودية)، تم تصنيعه من طرف هيئة متخصصة في مجال الذكاء الاصطناعي، في حين المعجم العربي للذكاء الاصطناعي تم وضعه من طرف مكتب متخصص في الذكاء الاصطناعي تابع

للوزارة الأولى في دولة الإمارات.

من الجانب التقني، معجم البيانات والذكاء الاصطناعي، يمكن تحميله عبر الانترنت في شكل ملف PDF، لكن المعجم العربي للذكاء الاصطناعي عبارة عن معجم متاح عبر موقع الانترنت ولا يمكن تحميله.

ومن حيث الشكل نلاحظ أن معجم البيانات والذكاء الاصطناعي أقرب في شكله إلى المعاجم والقواميس، من حيث ترتيب الألفاظ ترتيبا أبجديا باللغتين، وفهرسة المحتوى، في حين المعجم العربي للذكاء الاصطناعي عبارة عن تجميع للألفاظ المرتبطة بالذكاء الاصطناعي في واجهة واحدة دون الأخذ بعين الاعتبار الترتيب الأبجدي، مما يصعب عملية البحث فيه.

كذلك نلاحظ اختلاف في حجم المحتوى الذي يتناوله المعجمان، حيث إن المعجم العربي للذكاء الاصطناعي يبدو مختصرا جدا ويحوي ١٩١ مصطلحا فقط، في حين معجم البيانات والذكاء الاصطناعي يتضمن عددا كبيرا من المصطلحات والعبارات باللغتين أكثر من ٩٠٠ مصطلح موزعة على ١٥٠ صفحة.

أمثلة عن معاني مصطلحات في المعجمين:

للتعرف على مدى توافق المعاني التي أدرجها المعجمان في المحتوى، اخترنا مجموعة من المصطلحات بشكل عشوائي، للتعرف على معانيها، وهي من المصطلحات الشائعة في الاستخدام اليومي.

جدول رقم ١: يبين معاني بعض المصطلحات في المعجمين محل الدراسة

المصطلح	معجم البيانات والذكاء الاصطناعي	المعجم العربي للذكاء الاصطناعي
ذكاء اصطناعي Artificial Intelligence (AI)	مجال من مجالات علوم الحاسب يركز على بناء أنظمة قادرة على أداء مهام تتطلب عادةً ذكاءً بشريًا، مثل: التعلُّم والاستدلال والتطوير الذاتي. ويُطلق عليه أيضًا «ذكاء الآلة». A computer science field that focuses on building systems capable of performing tasks that usually require human intelligence, such as learning, reasoning, and self-development. Also called «Machine Intelligence».	أحد مجالات علوم الحاسب يهدف إلى إنشاء أنظمة يمكنها تنفيذ المهام التي تحتاج عادةً إلى الإدراك البشري، مثل التعلّم وصنع القرار والتطوير الذاتي، ويُشار إليه غالباً باسم «ذكاء الآلة». A domain within computer science focused on creating systems capable of performing tasks typically requiring human cognition, such as learning, decision-making, and adaptation, often referred to as «Machine Intelligence».
بوت محادثة Chatbot	برنامج ذكاء اصطناعي يستخدم أساليب معالجة اللغات الطبيعية للتفاعل مع المستخدمين عن طريق المحادثات الصوتية أو النصية. An AI program that utilizes natural language processing techniques to interact with human users through audio or texts conversations.	برنامج يعتمد على الذكاء الاصطناعي يستخدم معالجة اللغات الطبيعية للتفاعل مع المستخدمين عبر المحادثات النصية أو الصوتية. An AI-driven software that harnesses natural language processing to engage in text or voice interactions with users.
مُحوِّل توليدي مسبق التدريب (جي بي تي) Generative Pre-Trained Transformer (GPT)	عائلة من النماذج اللغوية الكبيرة تعتمد على مُحوِّل. A family of large language models based on a transformer.	سلسلة من النماذج اللغوية التي تعتمد على المحولات واسعة النطاق، والمصممة لمختلف مهام معالجة اللغة الطبيعية. A series of large-scale transformer-based language models engineered for diverse natural language processing tasks.
تزييف عميق Deepfake	نوع من الوسائط المصطنعة التي يوضع فيها صورة شخص أو صوته بدلٍ من صورة شخص آخر أو صوته. A type of synthetic media in which a person in an image, video, or audio is replaced with someone else.	وسائط اصطناعية يُستبدل فيها الشخص في صورة أو فيديو أو مقطع صوتي بشخص آخر باستخدام خوارزميات متقدمة. The synthetic media in which the likeness of an individual in an image, video, or audio is substituted with that of another person utilizing sophisticated algorithms.

تعلم منقول Transfer Learning	أسلوب في تعلُّم الآلة تتعلَّم فيه الخوارزمية أداء مهمة محددة، ثم تستخدم تلك المعرفة في أداء مهام أخرى A machine learning technique in which the algorithm learns to perform a specific task and then uses that knowledge to perform other tasks.	إستراتيجية في تعلُّم الآلة، تشمل تدريب النموذج على أداء مهمة ما، ومن ثم ضبطه لأداء مهمة مختلفة، ولكنها ذات صلة بالمهمة الأولى. A machine learning approach where a model, subsequent to being trained for one task, is fine-tuned for another but related task.

من خلال الجدول نلاحظ أن معاني المصطلحات المختارة متقاربة في المعجمين، خاصة من حيث الترجمة إلى اللغة الأجنبية، فقد توافقت في المصطلحات التي تم اختيارها، لكن الاختلاف يكمن في أسلوب الكتابة باللغة العربية لم يكن متطابق، لكنه في المعنى له نفس المدلول، وعليه يمكن القول أن هناك توافق في ترجمة مصطلحات الذكاء الاصطناعي إلى اللغة العربية خاصة من حيث المعنى، رغم الاختلاف في أسلوب الكتابة.

٩. نتائج الدراسة:

استنادا إلى ما تم طرحه سابقا، يمكن تلخيص أبرز النتائج فيما يلي:

- **الاهتمام العربي بالمعاجم المتخصصة**: هناك توجه متزايد في العالم العربي نحو تطوير معاجم متخصصة في الذكاء الاصطناعي، بهدف دعم اللغة العربية ومواكبتها للتطورات التقنية، بالإضافة إلى توحيد معاني المصطلحات التقنية الجديدة لإنشاء قاعدة لغوية متينة.

- **حداثة التجربة العربية**: لا تزال صناعة المعاجم المتخصصة في الذكاء الاصطناعي في الدول العربية في مراحلها الأولية، مما يتطلب تعاونًا بين الجهات المختصة لضمان إنتاج معاجم ذات جودة علمية ولغوية عالية.

- **الدعم الحكومي والمؤسسي**: حرصت الدول العربية على تطوير هذه المعاجم من خلال مؤسسات متخصصة في الذكاء الاصطناعي، غالبًا بدعم حكومي مباشر، لضبط المصطلحات بما يتماشى مع السياسات والإيديولوجيات السائدة.

- **الاعتماد على المعاجم ثنائية اللغة**: نظرًا لأن الذكاء الاصطناعي نشأ في بيئات غير عربية، فقد اعتمدت المعاجم العربية المتخصصة على الترجمة الثنائية، حيث يتم تحديد المصطلحات الأصلية باللغة الإنجليزية قبل تعريبها وصياغة تعريفاتها باللغة العربية.

- **الإتاحة الرقمية للمعاجم**: يساهم نشر المعاجم المتخصصة في الذكاء الاصطناعي بصيغة إلكترونية على الإنترنت أو عبر منصات رقمية في تسهيل الوصول إليها، مما يوفر على المهتمين عناء البحث عن نسخ ورقية محدودة التوفر.

- **التصميم والتنظيم**: يتميز معجم البيانات والذكاء الاصطناعي (السعودية) بتنظيم واضح، حيث تم ترتيب المصطلحات بشكل أبجدي باللغتين العربية والإنجليزية، مع فهرس ومراجع تسهل عملية البحث، إذ يحتوي على حوالي ألف مصطلح. في المقابل، يتبع المعجم العربي للذكاء الاصطناعي (الإمارات) نهجًا مختلفًا، حيث يضم نحو ١٩٠ مصطلحًا معروضًا على شكل أيقونات دون ترتيب أبجدي.

- **التشابه في التعريفات**: عند مقارنة معاني بعض المصطلحات في المعجمين، تبيَّن أن الاختلاف يكمن في أسلوب الصياغة والترجمة، بينما تظل المفاهيم الأساسية متطابقة.

قائمة المراجع

- Hana Husein، و Erdinç Doğru. (٢٠٢٣). أسس توظيف المعاجم الالكترونية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. NÜSHA، ٥٧.
- الهيئة السعودية للبيانات، و (٢٠٢٢). معجم البيانات والذكاء الاصطناعي(إنجليزي-عربي) السعودية.
- آمال نزارقبايلي، أسماء عباس، و خيرة عيشون. (٢٠١٨). المعاجم الالكترونية الموجهة للمتعلم في المرحلة الابتدائية-دراسة في المحتوى. المجلة العربية مداد (٤).
- بسمة سيليني. (٢٠٢٠). تجربة المملكة العربية السعودية في تعليم العربية للناطقين بغيرها من خلال معجم «المعجم العربي بين يديك». مجلة الآداب، ٢٠ (١).
- جهاد عنقاق، و فريدة بوساحة. (٢٠٢٣). واقع استعمال المعاجم الالكترونية في الجامعة الجزائرية. مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ١٥ (٢).
- خديجة منصور علي أبوزقية. (٢٠١٨). أنظمة الخبرة في الذكاء الاصطناعي وتوظيفها في التعليم والتربية. مجلة كليات التربية (١٢).
- ر.س، الجرف. (٢٠٢٠). المعاجم العربية الرقمية أحادية اللغة. الدراسات العربية الأوراسية (٢١).
- سعيد فصيح. (٢٠٢٣). التطبيقات الرقمية للسان العربي، معجم الباحث العربي الرقمي أنموذجا. مجلة التعليمية، ١٣ (١).
- سميحة بولقرون، و عقيلة بولقرون. (٢٠١٥). الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته على القواميس الالكترونية العربية. مذكرة ماستر. الجزائر: جامعة جيجل.
- عبد الرزاق مختار محمود. (٢٠٢٠). تطبيقات الذكاء الاصطناعي مدخل لتطوير التعليم في ظل تحديات جائحة فيروس كورونا. المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية، ٣ (٤).
- فضيلة دقناتي. (٢٠٢٢). واقع المعجم العربي الالكتروني، ملاحظات حول «معجم الغني ومعجم اللغة العربية المعاصرة». مجلة البحوث التربوية والتعليمية، ١١.

رومنة المصادر والمراجع:

- Hana Husein, wa Erdinç Doğru. (2023). Usus Tawẓīf al-ma'ājim al-iliktrūnīyah fī Ta'līm al-lughah al-'Arabīyah li-ghayr al-nāṭiqīn bi-hā. NÜSHA, 57.
- alhy'tāls'wdytllbyānāt, wa. (2022). Mu'jam al-bayānāt wa-al-dhakā' alāṣṭnā'y (Injilīzī-'Arabī) al-Sa'ūdīyah.
- Āmāl nzārqbāyly, Asmā' 'Abbās, wa Khayrah 'Ayshūn. (2018). al-ma'ājim al-iliktrūnīyah al-Muwajjahah llmt'lm fī al-marḥalah alābtdā'yt-drāsh fī al-muḥtawá. al-Majallah al-'Arabīyah Midād (4).
- Basmah sylyny. (2020). tajribat al-Mamlakah al-'Arabīyah al-Sa'ūdīyah fī Ta'līm al-'Arabīyah lil-nāṭiqīn bi-ghayrihā min khilāl Mu'jam «al-Mu'jam al-'Arabī bayna yadayk». Majallat al-Ādāb, 20 (1).
- Jihād 'nqāq, wa Farīdah bwsāḥh. (2023). wāqi' istti'māl al-ma'ājim al-iliktrūnīyah fī al-Jāmi'ah al-Jazā'irīyah. Majallat 'ulūm al-lughah al-'Arabīyah wa-ādābihā, 15 (2).
- Khadījah Manṣūr 'Alī abwzqyh. (2018). anẓimat al-Khibrah fī al-dhakā' alāṣṭnā'y wa-tawẓīfuhā fī al-Ta'līm wa-al-tarbiyah. Majallat Kullīyāt al-Tarbiyah (12).
- R. S, al-Jarf. (2020). al-ma'ājim al-'Arabīyah al-raqmīyah aḥādīyat al-lughah. al-Dirāsāt al-'Arabīyah al-Ūrāsīyah (21).
- Sa'īd Faṣīḥ. (2023). al-taṭbīqāt al-raqmīyah li-Lisān al-'Arabī, Mu'jam al-bāḥith al-'Arabī al-raqmī anmūdhajan. Majallat al-ta'līmīyah, 13 (1).
- Samīḥah bwlqrwn, wa 'Aqīlah bwlqrwn. (2015). al-dhakā' alāṣṭnā'y wa-taṭbīqātuhu 'alá al-qawāmīs al-iliktrūnīyah al-'Arabīyah. Mudhakkirah māstir. al-Jazā'ir: Jāmi'at Jījil.
- 'Abd al-Razzāq Mukhtār Maḥmūd. (2020). taṭbīqāt al-dhakā' alāṣṭnā'y madkhal li-taṭwīr al-Ta'līm fī ẓill taḥaddiyāt jā'ḥh fyrws kwrwnā. al-Majallah al-Dawlīyah lil-Buḥūth fī al-'Ulūm al-Tarbawīyah, 3 (4).
- Faḍīlat dqnāty. (2022). wāqi' al-Mu'jam al-'Arabī al-iliktrūnī, mulāḥaẓāt ḥawla «Mu'jam al-Ghanī wa-mu'jam al-lughah al-'Arabīyah al-mu'āṣirah». Majallat al-Buḥūth al-Tarbawīyah wa-al-ta'līmīyah, 11.

توظيفُ الذكاء الاصطناعيّ في صناعة المعجم العربيّ

Employing Artificial Intelligence in the Making of the Arabic Lexicon

أ. د. سمر جورج الديّوب
أستاذ في قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة حمص – سوريا

Prof. Samar George Al Dayyou
Professor in the Department of Arabic Language
Faculty of Arts and Humanities, Homs University - Syria

https://doi.org/10.47798/fom.2024.i4.06

ملخص البحث

يركّز هذا البحث على استعراض التحديات، والفرص المرتبطة بإنشاء معاجم لغوية عربيّة باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ، ومعالجة اللغة الطبيعية (NLP). ويهدف إلى تقديم تصوّر شامل لبناء معجم رقميّ للغة العربيّة، يستفيد من التقنيات الحديثة؛ لتوفير معاني المفردات، وتصنيفاتها، وسياقات استخدامها المختلفة.

ويركز البحث أيضًا على الجوانب السلبية، والتحدّيات المتوقّعة، وأهمّها:

تحدّيات التعامل مع التعقيدات اللغويّة، واللهجات، إدارة البيانات الضخمة، ضمان الدقة والتنوع في تحقيق التكامل في معاني المفردات، تقديم أمثلة استخدام شاملة، البحث عن المفردات والتراكيب اللغوية النادرة، التعامل مع اللهجات العربية المتعددة، واختلاف النطق والمعاني، إدارة حجم البيانات الضخمة، تحقيق مستوى عالٍ من الدقة في تصنيف المعاني، واستخدام السياق.

وسيشمل البحث جانبًا نظريًا يبحث في المرتكزات والتحدّيات، وقسمًا عمليًا، ينهض على ما توصّلت إليه المراجع التي حصلنا عليها، والتي ستساعدنا على تقديم تصور للمعجم العربيّ المرتكز إلى الذكاء الاصطناعي، ويحاول أن يضيف إليها. وثمّة دراسات قليلة تناولت استخدام الذكاء الاصطناعي تطبيقيًّا، وتقنيات معالجة اللغة الطبيعية، ومما لا شكّ فيه أنّ بناء المعجم العربيّ باستخدام الذكاء الاصطناعي هو عمل المعجميّ، والمبرمِج معًا.

- الجوانب الإيجابية في توظيف الذكاء الاصطناعي في بناء المعجم العربيّ.

Abstract

This research focuses on reviewing the challenges and opportunities associated with creating Arabic language dictionaries using artificial intelligence (AI) and natural language processing (NLP) techniques. It aims to provide a comprehensive vision for building a digital dictionary of the Arabic language that benefits from modern technologies to provide word meanings, classifications, and various usage contexts.

The research also highlights the negative aspects and expected challenges, most notably:

- Challenges in dealing with linguistic complexities and dialects.
- Managing big data.
- Ensuring accuracy and diversity in integrating word meanings.
- Providing comprehensive usage examples.
- Searching for rare words and linguistic structures.
- Dealing with multiple Arabic dialects and variations in pronunciation and meaning.
- Managing the large volume of data.
- Achieving a high level of accuracy in meaning classification and context usage.

The research will include a theoretical aspect that examines the foundations and challenges, and a practical section based on the findings of the references we have obtained, which will help us provide a vision for an Arabic dictionary based on artificial intelligence and attempt to add to it. There are few studies that have addressed the applied use of artificial intelligence and natural language processing techniques. Undoubtedly, building an Arabic dictionary using

ونسعى في هذا البحث إلى التفصيل في الجوانب الإيجابية الآتية:

- دقّة التحليل اللغوي، وتحسينها.
- التوفير الزمني، والجهد.
- التحديث المستمرّ للمعجم.
- التفاعل مع المستخدِم.
- مسح النصوص القديمة وتحليلها.
- تحسين الترجمة، والفهم اللغوي.
- التوليد النصيّ، وإعادة الصياغة.
- إنشاء معاجم متعدّدة الوسائط.
- التعليم المعزّز.
- إدراج الكلمات الجديدة، والتعامل مع الكلمات المؤقتة.
- تحقيق التوازن بين الاستمرارية والتحديث.
- تطوير المعاجم ثنائية اللغة.
- التعامل مع التعابير المجازيّة.
- مراعاة التنوّع الثقافيّ، واللغويّ.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعيّ، المعجم العربيّ، الرقميّة، الحوسبة، التقنيات، اللغة الطبيعية.

artificial intelligence is the work of both the lexicographer and the programmer.

Positive Aspects of Employing Artificial Intelligence in Building the Arabic Dictionary.

In this research, we seek to detail the following positive aspects:

- Accuracy and improvement of linguistic analysis.
- Time and effort savings.
- Continuous dictionary updates.
- Interaction with the user.
- Scanning and analyzing old texts.
- Improving translation and linguistic understanding.
- Text generation and rephrasing.
- Creating multimedia dictionaries.
- Enhanced education.
- Including new words and dealing with temporary words.
- Achieving a balance between continuity and updating.
- Developing bilingual dictionaries.
- Dealing with figurative expressions.
- Considering cultural and linguistic diversity.

Keywords: Artificial intelligence, Arabic dictionary, digitization, computing, technologies, natural language.

مقدّمة

الذكاء الاصطناعيّ واللغة الطبيعيّة والهندسة اللغويّة: الاصطلاح والركائز

تعدّ اللغة العربيّة من أغنى اللغات العالميّة من حيث المفردات والتراكيب اللغويّة، وتحتلّ مكانةً مرموقةً في العالَمين: الأدبيّ، والعلميّ. ومع تزايد الاهتمام بتقنيات الذكاء الاصطناعيّ، ومعالجة اللغة الطبيعية (NLP)، يظهر تحدٍّ جديد في كيفية استثمار هذه التقنيات؛ لإنشاء معجم لغويّ شامل، ودقيق للغة العربيّة.

التساؤلات البحثية التي يسعى البحث إلى الإجابة عنها

ما مدى كفاءة تقنيات الذكاء الاصطناعيّ في استخراج المعاني، والعلاقات الدلالية بين الكلمات العربية؟

كيف يمكن للذكاء الاصطناعيّ تحسين عملية تصنيف المفردات العربية وفقًا للسياقات المختلفة؟

ما مدى دقّة تقنيات التعلّم العميق في تحليل الصرف والنحو في اللغة العربية لبناء معجم ذكيّ؟

كيف يمكن دمج تقنيات الشبكات العصبيّة العميقة لتحسين دقة الترجمة المعجميّة بين العربية واللغات الأخرى؟

ما التحديات التي تواجه بناء معجم عربي يعتمد على الذكاء الاصطناعي، وكيف يمكن معالجتها؟

أيّ خوارزميات التعلم الآلي أكثر فعالية في تصنيف الكلمات العربية (مثل: LSTM, BERT, Transformers)؟

كيف يمكن تدريب نماذج معالجة اللغة الطبيعية لتوليد تعريفات دقيقة وموحّدة للكلمات العربية؟

ما تأثير حجم البيانات النصيّة المستخدمة في تدريب أنظمة الذكاء الاصطناعيّ، وجودتها في دقة المعجم الناتج؟ وكيف يمكن تحسين تحليل الجذور، والصيغ الصرفية باستخدام الذكاء الاصطناعي؟ وكيف يمكن دمج المعجم الذكي في التطبيقات اللغوية مثل التدقيق الإملائيّ، والتلخيص التلقائيّ، والترجمة الآليّة؟ وما مدى فعالية استخدام الذكاء الاصطناعيّ في بناء معاجم تخصّصيّة (مثل معجم طبي، قانوني، تقني)؟ وما تأثير المعاجم الذكية في عملية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؟

لقد سعينا إلى تقديم تصوّر متكامل للمعجم العربيّ المبني على الذكاء الاصطناعي، وقد لاحظنا اعتماد المراجع التي تمت العودة إليها على الجانب النظري - في أغلبها- وهي مذكورة في البحث.

واللغة العربيّة من اللغة الطبيعية، ونقصد الصورتين الرئيستين لها: المنطوقة، والمكتوبة. وهي محكومة بعوامل التغيير، والتطوّر الذي يصيب أيّة لغة حيّة، ويعدّ الذكاء الاصطناعي وسيلة فعّالة لخدمة اللغة العربيّة بوساطة برامجه الإلكترونية.

وقد ارتبطت اللغة بالحاسوب حتى أصبحا وجهين لعملة واحدة، فتعتمد الدراسات اللغويّة المعاصرة على الحاسوب وبرامجه، ونهضت الدراسات اللسانيّة النظريّة والتطبيقية على تطوير اللغة، وتمّ إحداث فرع في اللسانيات، هو اللسانيات الحاسوبيّة؛ ذلك أنّ اللغة محور العلوم الإنسانية، والحاسوب قمّة التقنيات الحديثة، والتكنولوجيا سمة عصرنا، ومن الطبيعي أن تلتقي اللغةُ الحاسوب.

وتنمو اللغة بنموّ مصطلحاتها؛ لأنّ المصطلح وسيلة تعبّر عن المفاهيم والمدلولات في مستوياتها الصوتيّة، والصرفيّة، والنحويّة، والدلاليّة.

واللسانيات الحاسوبيّة فرع من اللسانيّات التطبيقيّة، وأُطلق عليها تسميات مختلفة: كاللغات الحاسوبيّة، واللغويات المعلوماتية، واللسانيات الآلية، والجامع بين ذلك كلّه أنّها علم يهتمّ باللغة بوصفها أداة طيّعة لمعالجتها في الحاسبات الإلكترونية.

واللسانيات الحاسوبيّة فرع بينيّ، ينتسب نصفُه إلى اللسانيات، وموضوعها اللغة، ونصفه الآخر حاسوبيّ، وموضوعه ترجمة اللغة إلى رموز رياضية يفهمها الحاسوب. فتتألف مبادئ هذا العلم من اللسانيات العامّة بمستوياتها الصوتيّة والنحويّة والدلاليّة، ومن علم الحاسبات الإلكترونية «الحاسوب» ومن علم الذكاء الاصطناعي، وعلم المنطق، وعلم الرياضيات؛ إذ تتناسق هذه العلوم لتشكّل علم اللسانيات الآلي[1].

ومجال معالجة اللغة الطبيعية هو مجال تعليم الآلة لغةَ البشر بوساطة خوارزميات، وأدوات، وتطبيقات تستطيع بها الآلة، أو النظام داخل الآلة معرفة اللغة كما يعرفها اللغويّ المتمرّس في لغته، وهي المعالجة التلقائية للنصّ المكتوب باللغة الطبيعية البشرية «العربية والإنكليزية، والفرنسية، والصينية..» وغيرها بدلاً من اللغات الاصطناعية، مثل لغات البرمجة، والغاية من تلك المعالجة محاولة فهم النصّ، ويطلق عليه بعضهم اسم اللغويات الحاسوبيّة، أو هندسة اللغة الطبيعية[2].

والعمل في ميدان المعالجة الآليّة للغة الطبيعيّة عمل ذو طبيعة هندسيّة، أدواته خوارزميات مبنيّة على رياضيات متقدّمة، وموضوعه اللغة العربيّة.

١- للتوسع في هذا الميدان ينظر: عبد الرحمن بن حسن العارف، توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية "جهود ونتائج" مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ص٥٢.

٢- ينظر: ديانا مانيارد، كالينا بونتشيفا، إيزابيل أوغنتشاين، معالجة اللغة الطبيعية للويب الدلالي، ص٢٣

وتتقاطع معالجة اللغة الطبيعية[١] «Natural Language Processing» مع فروع علميّة مثل اللسانيّات، أو اللغويّات وهندسة الحاسب، والالكترونيّات، وعلم الإحصاء.

وضع جون ماكارتي John McCarthy مصطلح الذكاء الاصطناعي[٢] أوّل مرة عام ١٩٥٦ في جامعة دارتموت Dartmouth في الولايات المتحدة الأمريكيّة. وهو ميدان يهتم بمعالجة اللغات، أو ما يُعرف بالهندسة اللغويّة، فيعالج اللغة الطبيعية بوساطة الحاسوب، ويشمل العلوم المصطلحيّة، والترجمة الآليّة، والاهتمام بمحركات البحث، وغير ذلك، ويقوم على كفاءتين: لسانيّة، وحاسوبيّة، فيعالج الباحث المعالجة الآليّة للغات عن طريق إخضاع الظواهر اللغويّة للتفسير الآليّ[٣].

إنّ اللسانيات الحاسوبيّة دراسة علميّة للغة العربيّة من منظور حاسوبيّ، فحين تدخل اللغة إلى الحاسوب تصبح لغة ذات ركيزة رياضيّة، فتنهض اللغة على رموز، وتجريد ذهنيّ، والرياضيات ذات طابع تجريديّ، رمزيّ.

والذكاء الاصطناعيّ من العلوم الجديدة ذات الخلفيات العلميّة المتعدّدة، يهدف إلى فهم ملكة الإنسان؛ لكي يستطيع استيعاب المعرفة البشرية، ويقوم بإعادة إنتاج بعض مظاهر الذكاء الإنسانيّ من إدراك العلامات اللغويّة وغير اللغويّة، واستيعابها، وتخزينها، وإعادة استخدامها في مقامات جديدة.

١- معالجة اللغة الطبيعية مجال معرفيّ يُسعى به إلى توجيه الآلة إلى فهم اللغة الطبيعية عبر مستوياتها المتعدّدة، ومعالجة وحداتها في هذه المستويات تحليلًا، وتوليدًا، وخلق بيئة تفاعلية قادرة على تحقيق التواصل بين الإنسان والآلة. محمد العطية وآخرون، العربية والذكاء الاصطناعي، ص١٤.

٢- مرّ الذكاء الاصطناعي -بمفهومه الحديث- بثلاثة أطوار رئيسة، تتمثّل في: طور النشأة، وطور التجريب، وطور النهضة التي نلمسها حاليًا.
محمد العطية، وآخرون، العربية والذكاء الاصطناعي، ص١٣.

٣- فيما يتعلق بالمعالجة الآلية للغات ينظر:
Lane Hobson, Hapke Hannes, et al, 2019, Natural Language Processing in Action; Understanding, Analyzing, and Generating Toxteth Python, U S A Marring publication.

وقد اختار مصطلح الذكاء؛ ليدلّلوا على قدرته على محاكاة العقل، وفهم التجربة الشعوريّة لدى الإنسان، وكيفية عمل الذهن في تعامله مع اللغة معرفة واكتسابًا واستعمالاً، فيحاكي اشتغال العقل الإنسانيّ بلغة صوريّة خوارزميّة شبيهة باللغة الاصطناعيّة[1].

ويعدّ الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence أهم نتائج الثورة الاصطناعيّة الرابعة[2]. وقد دخل في ميادين متعدّدة باللغة العربية، كالتطبيقات العربيّة على الهواتف المحمولة، وبرمجتها بحروف عربيّة، والميدان الطبّي، والاقتصاديّ، والتجاريّ، ووسائل التواصل الاجتماعيّ. ومن ذلك المعجم العربي بوساطة الذكاء الاصطناعيّ.

وثمّة تعريفات متعددة للذكاء الاصطناعيّ، فهو ميدان من ميادين علم الحاسوب، ويهتمّ بأتمتة السلوك الذكيّ، وهو دراسة الحاسبات التي تمكّننا من استقبال المعرفة، وتحليلها، والعمل بها، والدراسة التي تعنى بجعل الآلة تقوم بالوظائف التي يقوم بها الإنسان في زمننا الحاليّ بشكل أفضل. وذلك بتطوير الآلة، أو نظام يحاكي السلوك الذكيّ.

إنّه تصميم أنظمة حاسوبيّة بخوارزميّات معينة تحاكي قدرات البشر الفكرية، ويعني ذلك أن تمتلك الآلة قدرة على تقليد العمليات الحركيّة والذهنيّة عند الإنسان، ومحاكاتها، وطريقة عمل عقله في التعبير والاستنتاج والإفادة من

١- ينظر: بلقاسم اليوبي، اللسانيات الحاسوبية: مفهومها -وتطوراتها- ومجالات تطبيقها (استشراف آفاق جديدة لخدمة اللغة العربية وثقافتها)، مجلة مكناسة، ص٤٤.

٢- مرت الحضارة الحديثة بثلاث ثورات صناعية هي: اختراع المحرّك البخاري "١٧٦٠- ١٨٤٠م" وثورة الكهرباء في نهاية القرن التاسع عشر، وظهرت في ستينيات القرن العشرين الحوسبة الرقمية والكمبيوترات المركزية والشخصية والانترنت. ثم ظهرت ثورة الذكاء الاصطناعي.
ينظر: أحمد ماجد، الذكاء الاصطناعي في دولة الإمارات العربية، إدارة الدراسات والسياسات الاقتصادية، ص٤ وما بعدها.
وللتوسع في مصطلح الذكاء الاصطناعي ينظر:
عادل عبد النور بن عبد النور، مدخل إلى عالم الذكاء الاصطناعي، ص٧.

التجارب السابقة، وردود الفعل الذكيّة، فهو مضاهاة لعقل الإنسان، والقيام بدوره.

أما الهندسة اللغويّة[١] فهي تطويع اللغة الطبيعية في نماذج رياضيّة معينة، ثم برمجتها في حواسيب إلكترونية بالإفادة من الذكاء الاصطناعيّ، وعلوم الهندسة، وهندسة المعرفة.

لقد أضحت اللغة ظاهرة حاسوبية قابلة للمعالجة الآليّة، فاللغة ظاهرة إنسانيّة انتقلت إلى الآلة، وتعالج هندسةُ اللغة بوصفها منظومة من الخوارزميّات. أما اللسانيّات الحاسوبيّة فتنطلق من البناء اللغويّ لبناء أنساق صوريّة بهدف ملاءمة التوصيف اللغويّ مع متطلبات الهندسة؛ أي التحكم في النظم بشكل عام[٢]

يعني ما سبق أنّ النتيجة واحدة، وهي تطوير تطبيقات تسهم في انتقالنا

١- الهندسة اللغوية مجال متعدد التخصّصات، يجمع بين علوم الحاسوب، واللغويات؛ لتطوير تقنيات معالجة اللغة الطبيعية (NLP). ويشمل هذا الميدان تصميم الأنظمة والأدوات التي تعالج اللغة البشرية بشكل آلي، وتطويرها، مثل تحليل النصوص، والترجمة الآلية، والتعرف إلى الكلام، وتوليد اللغة الطبيعية.
وتهدف الهندسة اللغوية إلى تمكين الحواسيب من فهم اللغة البشرية، واستخدامها بطرق تتجاوز المستوى الأساسي، مما يساعد في تطبيقات متعددة مثل ومحركات البحث، والمساعدات الصوتية، وأنظمة التعرف إلى الصوت، وتحليل المشاعر في النصوص.
وللحصول على معلومات تتعلق بالهندسة اللغوية ينظر:
«Foundations of Statistical Natural Language Processing» by Christopher D. Manning and Hinrich Schütze,1999, M I T Press:

يقدّم الكتاب يقدم أساسيات معالجة اللغة الطبيعية باستخدام الأساليب الإحصائية، وهو مرجع مهم في هذا الميدان.
«Handbook of Natural Language Processing» edited by Nitin Indurkhya and Fred J. Damerau: 2010, C R C Press.:

يغطي مواضيع متعددة في معالجة اللغة الطبيعية، ويعتبر مصدرًا جيدًا للمعلومات المتعلقة بالهندسة اللغوية.

٢- للتوسع في هذه الفكرة ينظر: عمر مهديوي، مصطلحات الهندسة اللغوية بين الترجمة والتعريب: نحو بناء معجم موحد، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، العدد ٧٩

إلى مجتمع المعرفة بلغتنا الأم، الأمر الذي يتطلب إعادة توصيف للغة؛ لتلائم متطلبات التقانة الجديدة.

وثمّة فرق بين الوصف والتوصيف[1]، فقد أُطلِق على ما يُعْمل للإنسان «الوصف»، وما يُعْمَلُ للحاسوب «التوصيف». وبيان الفرق بينهما ماثل في أنّ وصف العربية ما وقع للعلماء العرب من قواعد مستنبطة من الأداء اللغويّ الواقعيّ، وهو مبنيّ في شطر منه على أن المُسْتقبِل يسهم إسهامًا فاعلًا في الحدث التواصليّ، يضاف إلى ذلك ما يتحصّل للإنسان من معرفة بالحدس، والسليقة، والخبرة المعرفية، والتثقُّف، والعرف اللغويّ، والمقام.

وأما التوصيف فإنّه ينظم الوصفّ اللغويّ المجرد، يضاف إليه العناصر التي يتعرّفها الإنسان بالحدس، والسليقة، والقرائن المتعددة: اللفظيّة، والمعنويّة، والموقفيّة. ولما كان الحدس أظهر ما يتكئ عليه الإنسان في تعرُّفه اللغةَ وأداءها، ولما كان الحاسوب يفتقر إلى هذا العنصر البشريّ الخالص، وجب على المُوَصِّف أن يتدارك هذا النقص، ليبلغ بالحاسوب مَبْلَغَ المعرفة الإنسانية باللغة.

فعلى سبيل المثال لا يحتاج الإنسان إلى التفريق بين السوط والصوت، لكنّ الحاسوب بحاجة إلى دليل مستقصى من الدوال لإدراك الفارق بينهما، وكذلك الفرق بين الإنسان والآلة في قولنا: قرأ الطالب الكتاب، فلا يصحّ أن يكون الكتاب فاعلًا مهما كان موقعه في الجملة، حتى لو قلنا: قرأ الكتاب الطالب، أما الحاسوب فيحتاج قائمة من البيانات المعجميّة حول كلّ كلمة، تحدّد سلوكها في الجملة.

وتقوم اللغة العربية على مكوّنين رياضيين غير موجودين في كثير من لغات العالم، هما: الجذر، والوزن. والجذر هو البنية الأساسيّة للكلمة، ويتولّى الوزن وضع هيكلها العام، يوزّع الحركات على حروف الكلمة، ويوزع المورفيمات

١- ينظر: نهاد الموسى: العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، ص٦٩- ٧٠

التي تضاف إلى الجذر، وهذا ما جعل اللغة العربية لغة انصهارية، وهي ميزة تختلف عن اللغات الأخرى التي تعدّ إلصاقية.

تجمع الهندسة اللغويّة اللسانيات وعلم الحاسوب، وترتبط التكنولوجيا بالعلم والمعرفة، وتقوم الهندسة اللغوية على ركائز. منها:

- فهم اللغة الطبيعية التي نستخدمها.
- استخدام أساليب التعلم الآلي لتحليل الكلمات، وتفسيرها، وإنشاء عبارات لفهم نيّة المستخدِم، أو مشاعره.
- استخدام تقنيات البرمجة اللغويّة العصبيّة للمهام، كفهم اللغة الطبيعية N L U وتوليد اللغة الطبيعية N L G والترجمة الآليّة، والتعرّف إلى الكلام، وتحليل المشاعر....

ويكون التحليل النحوي باستخدام خوارزميات لتحديد بنية الجمل، وتحليلها؛ لفهم كيفية تركيب الجملة، وفهم المعنى الكامن وراء الجمل والكلمات.

أما التحليل الدلالي فهو عملية فهم الكلمات والجمل في سياقها، ويمكن له فهم نياتنا بشكل أفضل، والاستجابة وفقًا لذلك.

٢- المعجم العربيّ والذكاء الاصطناعيّ:

يتمّ تصوّر المعجم العربيّ القائم على الذكاء الاصطناعيّ بأنّه معجم ناجم عن دمج معاجم متعددة، تعزى فيه الشروحات إلى أصحابها، ويكون له تحديثات مستمرّة.

ولا يكون القيام بهذه المهمّة من قبل أشخاص، بل من قبل مجموعة ذات تخصّص بالمعجمية واللسانيّات الحاسوبيّة. ولا يتقيد هذا المعجم بحجم معين

لإتقان تخزينه على وسائط كبيرة الحجم، ويكون قابلًا للتعديل والحذف والإضافة بناء على رغبة منشئه، يتميز بالدقة في البحث، وفي إيجاد المعلومة المطلوبة بسرعة، ولا يتقيد بطريقة واحدة في البحث.

واللغة العربية -شأن سائر اللغات- عماد الشخصية العربيّة، وتجسيد حيّ لمعارفنا وخبراتنا، وتعاني اضطرابًا ناجمًا عن اضطراب الناطقين بها فكريًا وثقافيًّا، واجتماعيًّا، واقتصاديًّا؛ وذلك بسبب كثرة العاميّات، وابتعادها عن الفصحى من جهة، وطغيان بعض اللغات الأخرى من جهة ثانية، وذلك بسبب تأثير البيئة الثقافية والفكرية؛ إذ تتأثّر اللغة بالسياق الثقافيّ، والفكريّ لمتحدّثيها، فكلما كان هناك استقرار فكريّ، وثقافيّ، انعكس ذلك إيجابًا على اللغة، والعكس صحيح.

ويؤدي تعدّد اللهجات العامية، وتباعدها عن الفصحى إلى ضعف الترابط اللغويّ، مما يسهم في اضطراب اللغة، وعدم ثباتها على قواعد محدّدة.

ويؤثّر طغيان اللغات الأجنبية، سواء بسبب الاستعمار التاريخي أو العولمة الحديثة، في بنية اللغة الفصحى، ويؤدي إلى تراجعها لصالح اللغات الأخرى.

ونحتاج إلى إكمال المعاجم التراثية برصد دقيق لألفاظ الحضارة، والمصطلحات العلمية في فروع المعرفة المختلفة حتى تكتمل صورة اللغة العربية عبر الزمن بهدف إعداد معجم يعالج صرفيًا واشتقاقيًا، تحليلًا وتوليدًا للجذور والبنيات المشتقة منه، ومعالجة المفردات البسيطة، والمركبة.

ويشتمل الذكاء الاصطناعي على خاصيّة الوسائط المتعددة في عرض المادة اللغويّة بحسب الحاجة إليها كالأصوات، والصور، والفيديوهات، وعرض الكلمات كتابة ونطقًا، وأصل الكلمة، واستعمالها، ومعانيها، واستعمال وسائل الشرح المشهورة كالتفسير بالمغايرة، والتفسير بالمصاحبة، والتفسير بالسياق، والتفسير بالصورة.

ويتمّ فيه تسهيل العودة، والاستعمال للمداخل المعجميّة المراد البحث عنها، وتعديل المعلومات المطلوبة في زمن قصير، ويرى الباحث الكلمات، ويسمعها، فهو معجم سمعيّ، بصريّ.

ويتّسم بالتفاعلية؛ أي أن يكون المستخدِم قادرًا على الاقتراح، والنقد، والإضافة. ويختصر الإحصاء الحاسوبيّ جهد سنوات، ويساعد علماء البلاغة في تحديد شروط الفصاحة، وتصحيح بعض الأحكام الخاطئة التي وردت في كلام العرب، وتمييز الدخيل من المعرب، وتنمية مهارات اللغة العربية بالاعتماد على إطار لسانيّ نظريّ قادر على توصيف الظاهرة اللغوية[1].

ويمكن للذكاء الاصطناعيّ إذا ما زودناه بالمعلومات الكافية أن يساعد في تحديد المعاني بدقّة، ويكتشف الاختلاف اليسير في العبارات المتشابهة. ويحفظ هذا الذكاءُ المادة اللغويّة، ويخزّنها رقميًّا بمساحات كبيرة، ويحدّث البيانات المدخلة حاسوبيًا، ويتمّ التمكين من استرجاع نصّ لغويّ محدّد من بين أعداد ضخمة من النصوص المدخلة، ويحقّق المنهجيّة، والموضوعيّة، والدقّة في البحث اللغويّ.

ويحدّد المعنى الدقيق لأيّ مصطلح، وترجمته، والمعاني المغايرة له، ويستطيع تحليل العلاقة بين جذر الكلمة وصيغها الصرفية، ويوضح المدلولات التي تبنى عليها صياغة مفردات المعجم العربيّ.

إنّه معجم دقيق لا يكتفي بوضع المقابل العربيّ للمصطلح الأجنبيّ، بل يعرّفنا بهذا المصطلح، فثمّة تزايد سريع في علم المصطلح مع توافر الحاسوبية، وعصر المعلومات، والاقتصاد المبنيّ على المعرفة.

١- ينظر: محمد مدور، اللسانيات الحاسوبية وأثرها في تطوير اللغة العربية، أعمال ملتقى وطني حول اللغة العربية والتقانات الحديثة، ص٤٤- ٤٨.

وتعدّ اللغة العربية من أكثر اللغات قابليّة للتمثيل الحاسوبيّ، وذلك بسبب:

الطبيعة الجبريّة الرياضية للغة العربية، بسبب انتظام مستوياتها الصوتيّة، والصرفيّة، والإعرابيّة، والصلة القويّة بين المعنى، والمبنى.

صغر عدد الجذور قياسًا بتعدّد المفردات.

وجود فائض لغويّ يمثّل مصدرًا للتعدّد، والتبادلات التركيبيّة التي تمثّل إحدى العقبات الأساسية لمعالجة اللغة آليًّا[1].

وبناء على ما تقدّم يجب القيام بما يأتي:

- إعادة توصيف اللغة العربية صرفيًّا، ونحويًّا، ودلاليًّا بشكل يناسب منطق الحاسوب.
- إنجاز أنموذج لساني يمكّن من تمثيل مكوّنات اللغة من فعل، واسم، وحرف.
- إنجاز أنموذج خوارزميّ بلغة الحاسوب.

ويمكن للذكاء الاصطناعيّ القيام بعمليات متعددة في وقت واحد، ويمكن له أن يعمل لوقت غير محدود، وأن يحتفظ بالقدرة نفسها على الدقة، والأداء في مدة العمل كلها.

١- للتوسع في هذه الفكرة ينظر:
نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، عالم الفكر، المجلد ١٨، العدد٣، ص١٠٣- ١٠٤

لكنّ ثمّة عقبات تواجه هذا العمل، منها:

- وقوع اللبس في النصّ العربيّ غير المشكول، وتمايز الأبنية بتمايز الأصوات، مثل «نظر، نظم»، وتمايز المفردات في اللغة بأصواتها، كالتمايز الصوتي بين «فائدة وعائدة».
- ثمّة صعوبة في ضبط تحوّلات اللغة، وعلائق الكلم، وأسرار النظم، وأصول البيان.

٣- تصوُّر عن بناء المعجم العربي على المستوى الصرفيّ باستخدام الذكاء الاصطناعيّ:

تعدّ المعالجة الآليّة للغة العربية متأخرة نسبيًا عن اللغات الأجنبية، مما أحدث فجوة رقميّة بين لغة الضاد واللغات المتقدّمة تقنيًّا، ومعرفيًّا.

وإنشاء معجم لغويّ باللغة العربية باستخدام الذكاء الاصطناعيّ مشروع مثير يمكن أن يسهم في تعزيز المعرفة اللغويّة، والبحث الأكاديميّ، والتطبيقات العمليّة.

ومن المفروض أن تتمّ المعالجة على مستويات، منها المستوى الصرفي الذي يعنى بدراسة سلوك الأفعال العربية؛ للتعرف إلى الأفعال المتصرّفة، وكشف أصولها، وتدقيقها إملائيًّا.

ويحتل علم الصرف مكانة مهمّة في المعالجة الآلية للغة العربية؛ ذلك لأنّه يربط عناصر المنظومة اللغويّة، ويوصل إلى تحليل صرفيّ ناجح، مرهون بالبدء الصحيح، فثمّة علاقة قويّة بين التحليل الصرفي وبناء المعجم العربيّ بوساطة الذكاء الاصطناعيّ.

وتبدأ عملية تصريف الأفعال العربية بالفعل الثلاثيّ الصحيح السالم، ويصرّف في الأزمة كلّها، مع المتعدّي، والمبني للمعلوم، والمبني للمجهول، وتُذكر خصائص الفعل.

ويمكن العمل على أيقونة خيارات؛ ليظهر خيار حركة بنية الفعل، والبحث في المعجم، أما خانة الأزمنة فيظهر فيها الفعل متصرّفًا في حالاته كلها، ويمكن اختيار الزمن الذي نريده.

ويكون هنالك أيقونة خاصة بالضمائر، وأيقونة خاصة بنوع الفعل من جهة اللازم والمتعدي، والرباعي، والخماسي، والسداسي منه[1].

ويعود تحليل الكلمة إلى الجذر «Root» وذلك بردّ الكلمة إلى حروفها الأصلية، والجِذع «Stem» وهو صورة الكلمة المعيّنة بعد تجريدها من السوابق واللواحق، والفرع «Lemma» وهو المقابل الصرفيّ المجرّد للوحدة المعجميّة في الكلمة، ويأتي على صورة الماضي المسند الغائب، والزائدة «Affix» وهو مورفيم لاحق يسبق جذع الكلمة في بدايته، فيكون سابقة «Prefix» أو يلتحق به في نهايته، فيكون لاحقة «Suffix»[2]

ونأخذ مثالًا على ذلك الفعل «سيغادرون»، فجذره «غ د ر»، وجِذعه «يُغادر»، وفرعه «غادر، وزائدته السابقة «سـ»واللاحقة «ون».

وتوجّه الآلة مدلولات الكلمات المجرّدة من الضبط، وترتّب احتمالات معالجة الوحدات الصرفيّة بحسب دورانها في واقع اللغة، وتُدرّب مدوّنة لغوية على المعالجة العميقة.

١- للتوسع في الحديث عن العلاج الصرفي للغة العربية ينظر:
عمر مهديوي، اللسانيات الحاسوبية واللغة العربية، إشكالات وحلول، ص٤٥.

٢- للتوسع ينظر د. محمد عطية وآخرون، العربية والذكاء الاصطناعي، ص١٠٣.

فلدينا عبارة «المؤتمر الدوليّ»على سبيل المثال، هي أقل من جملة، تشكّل وحدة تركيبية كاملة حين ترد في سياق، وجملة «المؤتمر الدولي وسيلة ناجعة لتطوير الحوار»وهي جملة كاملة الأركان، ركناها المبتدأ والخبر، وتمثّل وحدة تركيبية حين ترد في سياق لغوي مكتمل.

أما الفقرة «المؤتمر الدوليّ وسيلة ناجعة لتطوير الحوار؛ إذ يعدّ ملتقى للباحثين الجادّين»فهي كيان تركيبيّ، حيّزه أكبر من الجملة، وتمثّل مجموعة جمل مترابطة حول فكرة معيّنة.

٤– ركائز المعجم العربيّ بوساطة الذكاء الاصطناعيّ[١]:

يجب أن يتسم المعجم العربيّ المبنيّ على الذكاء الاصطناعيّ بقدرات متعدّدة، من أهمّها:

- **تحليل النصوص**: يتمّ استخدام تقنيات معالجة اللغة الطبيعية (NLP) لتحليل النصوص العربيّة، واستخراج المفردات والمعاني من مصادر متعدّدة مثل الكتب، والمقالات، والمواقع الإلكترونية. ويتمّ فصل النصوص إلى وحدات

١- لإنشاء معجم لغوي باللغة العربية باستخدام الذكاء الاصطناعي، يمكن الرجوع إلى المراجع الآتية:
- كتاب "اللغة العربية والذكاء الاصطناعي" للدكتور علاء طعيمة: يقدم مشاريع عملية متنوعة في مجالات معالجة اللغة الطبيعية للغة العربية باستخدام تقنيات التعلم الآلي والتعلم العميق.
رابط الكتاب: [كتاب اللغة العربية والذكاء الاصطناعي] (https://dlarabic.com)
- مقالة «الذكاء الاصطناعي واللغة العربية: أهم التحديات وتقنيات معالجتها» من إم آي تي تكنولوجي ريفيو: تناقش التحديات التي تواجه معالجة اللغة الطبيعية للغة العربية مثل الشح في الموارد وتعدد اللهجات.
رابط المقالة: [الذكاء الاصطناعي واللغة العربية: أهم التحديات وتقنيات معالجتها]
(https://technologyreview.ae)
- مقالة «من أفضل أدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي باللغة العربية»من إم آي تي تكنولوجي ريفيو: تستعرض مجموعة من النماذج والأدوات المتقدمة المستخدمة في معالجة اللغة الطبيعية للغة العربية، مثل نموذج «نور».
رابط المقالة: [أفضل أدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي باللغة العربية]
(https://technologyreview.ae)

لغويّة صغيرة مثل الكلمات، والجمل، والفقرات.

ويتمّ ذلك بتطبيق يمكن له تحليل النصوص الطويلة، واستخراج الكلمات المفتاحيّة، وتعريفاتها. ومن التقنيات المستخدمة في هذا الميدان:

- **تحليل البيانات الضخمة** (Big Data Analysis): تستخدم أدوات تحليل البيانات الضخمة لجمع البيانات النصية، ومعالجتها من مصادر متنوعة مثل الإنترنت، وقواعد البيانات، والكتب الإلكترونية. ويمكن للذكاء الاصطناعيّ تحليل هذه النصوص؛ لاستخراج الكلمات، والتعابير الجديدة، وكذلك لفهم تردّد الكلمات، واستخداماتها في سياقات مختلفة.
- **خوارزميّات معالجة اللغة الطبيعية** (NLP): تشمل تقنيات معالجة اللغة الطبيعية أدوات مثل تحليل المشاعر، والتعرف إلى الكيانات المذكورة (NER)، وتحليل الموضوعات. وتستخدم هذه التقنيات لفهم المعاني الضمنيّة للنصوص، والتعرف إلى الأنماط اللغويّة المعقّدة.

وتساعد هذه العملية على اكتشاف الكلمات الجديدة، ولاسيما تلك الكلمات الواردة على الشابكة، ويمكن تضمينها في المعجمات؛ لضمان تحديثها باستمرار. ويمكن تحليل استخدام الكلمات في مختلف السياقات، ويستطيع الذكاء الاصطناعي تحديد الاتجاهات اللغوية الناشئة والتغيرات في الاستخدام اللغويّ. ويمكن أن يساعد ذلك على فهم تطور اللغة عبر الزمن.

- **التعلّم العميق**: هو مجموعة فرعية من التعلم الآليّ، يركّز على دراسة الآلات التي يمكن لها التعلّم، وتطويرها. ويتيح التعلم العميق تحويل البيانات الأوليّة إلى متّجهات، وإدخالها إلى الشبكة من غير الحاجة إلى استخراج هذه الميزة يدويًا من البيانات، وتُستخرج بشكل أفضل من الخبير من خلال

مجموعة طبقات مختلفة في هيكلها بناء على البيانات التعليمية المتعلقة بالمشكلة[١].

يتمّ تدريب نماذج التعلم العميق[٢] على قواعد اللغة العربية، والأنماط اللغوية؛ لتوليد تعريفات دقيقة، ومفصّلة للكلمات. ويتمّ تحليل الكلمات باستخدام خوارزميّات التعلم العميق؛ لاستخراج معانيها، وسياقات استخدامها. ويمكن للذكاء الاصطناعيّ تعلّم الأنماط اللغويّة من النصوص، واكتشاف معانٍ جديدة للكلمات بناءً على السياق الذي ظهرت فيه.

- **التصحيح الآليّ**: يتمّ تطوير نظم تصحيح لغويّ، تعتمد على الذكاء الاصطناعيّ؛ لتحسين جودة النصوص، وتقديم اقتراحات؛ لتصحيح الأخطاء النحويّة، والإملائيّة.
- **الترجمة الآليّة**: يتمّ تعزيز تقنيات الترجمة الآليّة بين العربية واللغات الأخرى؛ لتوفير معاجم ثنائيّة اللغة، تعتمد على الذكاء الاصطناعي.

وتستخدم نماذج الترجمة الآلية مثل Google Translate وDeeply لتحويل النصوص من لغة إلى أخرى بدقة عالية.

وتساعد تقنيات الترجمة الآلية في تطوير معاجم ثنائية اللغة من خلال تحليل النصوص في لغات مختلفة، وتحديد المعاني المكافئة للكلمات. وتحسين خدمات الترجمة الفوريّة، بتحليل النصوص بدقّة، وسرعة.

١- ميلاد وزان، التعلم العميق: المبادئ، والمفاهيم، والأساليب، ص٢٧، ٢٩.

٢- ثمة دراسات تهدف إلى تحسين نماذج التعلم العميق؛ لاستخراج المعاني، وتصنيف النصوص العربية. ويمكن العثور على أوراق بحثية تناقش استخدام نماذج مثل BERT وGPT في السياقات العربية.
ومن الأمثلة على ذلك: «Arabic Text Classification Using Deep Learning Techniques» والتي تتناول كيفية تطبيق تقنيات التعلم العميق على النصوص العربية.

- **التحليل الدلاليّ متعدّد اللغات** (Multilingual Semantic Analysis): تشمل هذه التقنية تحليل العلاقات الدلالية بين الكلمات في لغات مختلفة، مما يساعد في تطوير معاجم ثنائيّة اللغة.
- **تحليل الصوت والنص** (Speech and Text Analysis): تستخدم هذه التقنية لتحليل النصوص المنطوقة، وتحويلها إلى نصوص مكتوبة، مما يسهل إدراج الكلمات، والتعابير المنطوقة في المعجم.
- **تحليل النصوص متعدّدة اللغات**: تساعد تقنيات تحليل اللغات في تحليل النصوص متعددة اللغات، وفهم العلاقات بين الكلمات في لغات مختلفة، مما يسهم في تطوير معاجم شاملة، ومتعددة اللغات.

وتحتاج أنظمة الترجمة الآلية إلى التعامل مع الفروقات الثقافيّة، واللغويّة بين النصوص المختلفة؛ لضمان دقة الترجمة. وتتطلب أنظمة الترجمة الآلية تحسينًا مستمرًا للتعامل مع التغيرات اللغوية، والتطورات الجديدة في اللغة.

- **التصنيف والفهرسة**: يتمّ استخدام الذكاء الاصطناعي لتصنيف الكلمات، وفهرستها بناءً على معانيها، واستخداماتها المختلفة في النصوص، مما يسهل عملية البحث، والوصول إلى المعلومات.
- **التفاعل الصوتي**: يتمّ تطوير واجهات صوتية تفاعلية تمكِّن المستخدمين من البحث عن معاني الكلمات من خلال الأوامر الصوتية، باستخدام تقنيات التعرّف إلى الصوت.

وذلك بالمساعدات الصوتية (Voice Assistants) إذ تستخدم هذه المساعدات مثل Siri وGoogle Assistant لتقديم المعلومات اللغوية والنصية بشكل تفاعلي.

والتطبيقات الذكية (Smart Apps) التي تشمل تطبيقات المعاجم التفاعليّة التي تعتمد على تقنيات التعلّم العميق، والتفاعل الذكيّ؛ لتوفير معلومات لغويّة دقيقة.

وتستخدم تقنيات الواقع المعزّز (Augmented Reality) لتقديم المعلومات اللغويّة بشكل تفاعليّ ومرئيّ، مما يسهِّل على المستخدمين فهم المعاني، واستخدام الكلمات في السياقات المختلفة.

وتساعد الواجهات التفاعلية في تسهيل الوصول إلى المعاجم، والمعلومات اللغوية من خلال البحث الصوتيّ، والتفاعليّ. وتوفّر الواجهات التفاعليّة تجربة مستخدم محسّنة بتقديم معلومات دقيقة، وسهلة الوصول بطريقة تفاعلية.

ويمكن استخدامها في تطبيقات التعليم؛ لتقديم دروس لغويّة، تفاعليّة تساعد في تحسين تعلم اللغة، وفهم المعاني. لكنها تحتاج إلى القدرة على التعامل مع التعقيدات اللغويّة، وفهم المعاني الضمنيّة للنصوص. ويجب أن تكون قادرة على التكامل مع الأنظمة الأخرى، وتقديم معلومات دقيقة ومتّسقة.

- **التعليم الإلكتروني**[1]: يتمّ تصميم تطبيقات تعليميّة تفاعليّة تعتمد على الذكاء الاصطناعيّ؛ لتعليم المفردات، والقواعد اللغويّة بطريقة مبتكرة، وفعّالة.

والتعلم الآليّ هو أحد فروع الذكاء الاصطناعيّ الذي يسمح للأنظمة بالتعلّم، والتحسّن من البيانات من دون أن تكون مبرمجة بشكل صريح. ويستخدم لتحليل البيانات اللغويّة، واستخراج القواعد، والأنماط اللغويّة بتلقائيّة.

١- ثمّة أبحاث تتناول كيفية إنشاء أدوات تعليمية تعتمد على الذكاء الاصطناعي؛ لتسهيل تعلم اللغة العربية. من ذلك: «Interactive AI-based Tools for Arabic Language Learning» الذي يشرح كيفية تطوير تطبيقات، وأدوات تعليميّة تساعد المتعلمين على اكتساب اللغة بشكل أكثر فعاليّة.

ويستخدم التعلم الخاضع للإشراف (Supervised Learning) في إنشائه، ويتضمن تدريب النماذج على مجموعة من البيانات المعلمة، حيث تكون البيانات متبوعة بالنتائج المرجوّة. ويمكن استخدام هذه الطريقة لتدريب النماذج على التعرف إلى الاستخدام الصحيح للكلمات، وتصحيح الأخطاء اللغويّة.

والتعلم غير الخاضع للإشراف (Unsupervised Learning) وفي هذه الحالة، تحاول النماذج العثور على الأنماط في البيانات من غير توفير نتائج مرجوة سابقًا. يستخدم هذا الأسلوب لاكتشاف الفئات اللغويّة، أو تجميع الكلمات المتشابهة دلاليًا.

- **التعلم المعزّز** (Reinforcement Learning): ويشير هذا المصطلح وصف التقنية التي تسمح بمزج واقعي متزامن لمحتوى رقمي من البرمجيّات، والكائنات الحاسوبية بشكل ثنائيّ، أو ثلاثيّ الأبعاد مع العالم الحقيقي[1].

ويمكن استخدامه لتحسين التفاعلات مع المستخدمين بتحليل ردود الفعل، وتعديل النهج بناءً على التفاعل.

ونأخذ مثالًا على ذلك: تحديد القواعد النحوية، فيمكن للنماذج المدرّبة باستخدام التعلم الآليّ تحديد القواعد النحوية، وتصحيح الأخطاء اللغويّة بتلقائيّة، مما يساعد في تحسين جودة النصوص اللغويّة.

- **تحسين التعريفات**: يمكن استخدام التعلّم الآلي لتحليل السياقات المختلفة التي تُستخدم فيها الكلمات، مما يساعد في توفير تعريفات أكثر دقّة، وشموليّة في المعاجم.

١- ثمّة دراسات متعدّدة تتحدّث عن الواقع المعزّز من أهمها:
Tobias Hollerer, Dieter Schmalstieg,: "Augmented Reality: 2015, Principles and Practice» Addison-Wesley Professional

- **التصنيف الدلاليّ**[1]: تستخدم تقنيات التعلّم الآليّ لتصنيف الكلمات بناءً على معانيها، وعلاقاتها بالكلمات الأخرى، مما يساعد في تنظيم المعجم العربيّ بشكل أفضل. ويستخدم للتصنيف الدلالي ما يأتي:
- **النماذج الدلالية** (Semantic Models): تستخدم لتمثيل المعاني اللغويّة، وتحليل العلاقات بين الكلمات. وتشمل هذه النماذج تقنيات مثل تضمين الكلمات (Word Embeddings) والشبكات الدلاليّة.
- **تحليل المكونات الأساسية** (Principal Component Analysis – PCA): ويستخدم لتحليل البيانات وتقليل الأبعاد، مما يساعد في تحديد الأنماط والعلاقات الدلاليّة بين الكلمات.
- **الشبكات العصبية الدلالية** (Semantic Neural Networks): تستخدم لفهم العلاقات المعقّدة بين الكلمات والمعاني اللغويّة.

وتؤدي هذه العملية إلى تحسين تنظيم المعجم العربيّ: فيمكن للتصنيف الدلالي تحسين تنظيم المعجم من خلال تصنيف الكلمات بشكل أكثر منطقيّة ودقة، مما يسهل على المستخدمين العثور على الكلمات ومعانيها.

ويساعد التصنيف الدلالي في تطوير معاجم ثنائية اللغة، أو متعددة اللغات بفهم العلاقات بين الكلمات في لغات مختلفة.

ويمكن استخدام التصنيف الدلالي في تحليل النصوص الأدبية؛ لتحديد المواضيع الرئيسة، والعلاقات بين الشخصيات، والأحداث.

١- «بناء المعجم الرَّقمي العربي في ضوء اللِّسانيَّات الحاسوبيَّة» (https://www.asjp.cerist.dz/en/article/147910).

- «نظرة معمقة حول معالجة اللغة العربية الطبيعية في الذكاء الاصطناعي» https://saal.ai/ar/an-insight-to-arabic-natural-language-processing-nlp-in-ai-today/).

وتشمل تقنية تحليل السياق[1] (Context Analysis) تحليل النصوص؛ لفهم كيفيّة استخدام الكلمات في سياقات مختلفة، مما يساعد في توفير تعريفات دقيقة، وشموليّة.

وتستخدم نماذج اللغة (Language Models) مثل GPT-٤ لتحليل النصوص، وفهم السياقات المختلفة، مما يساعد في تقديم أمثلة دقيقة لاستخدام الكلمات.

وتستخدم تقنية تحليل العلاقات اللغويّة (Relation Extraction) لاستخراج العلاقات بين الكلمات في النصوص، وتحليل كيفية تفاعلها بعضها مع بعض.

وثمّة صعوبات في هذا الميدان، تتمثّل في التعامل مع التعابير المجازية التي يمكن أن تكون تحديًا لأنظمة التصنيف الدلاليّ، فتحتاج الأنظمة إلى فهم المعاني الضمنيّة، والمعقّدة.

وتحتاج الأنظمة إلى التعامل مع التنوع الثقافيّ، واللغويّ الكبيرين في النصوص، مما يتطلب مرونة وفهمًا عميقًا للمعاني المختلفة.

ومن الصعوبات الحاجة إلى بيانات عالية الجودة؛ إذ تحتاج أنظمة التعلم الآليّ إلى بيانات تدريب عالية الجودة؛ لتحقيق نتائج دقيقة. وقد يكون الحصول على هذه البيانات تحديًا في اللغة، أول اللهجة.

1- Foundations of Statistical Natural Language Processing

- لمؤلّفيه: Christopher D. Manning و Hinrich Schütze

يعد هذا الكتاب مقدمة شاملة لمعالجة اللغة الطبيعية باستخدام الأساليب الإحصائية. ويغطي موضوعات مثل نماذج اللغة، وتحليل السياق، وتمثيل الكلمات. ويركز على الأسس النظرية والتطبيقات العملية، مما يجعله مرجعًا مهمًّا للباحثين في هذا الميدان.

وقد تعاني النماذج التحيّزَ إذا كانت البيانات التدريبية غير متوازنة، أو تحتوي على تحيّزات لغويّة معينة، مما قد يؤثر في دقة النتائج.

ويمكن استخدام تقنية تحليل البيانات اللغوية[١]؛ لاستخراج الأنماط اللغويّة، واستخداماتها المختلفة في النصوص العربيّة، مما يمكِّن من تحديث المعجم العربيّ، وتطويره باستمرار.

ويمكن التعرف إلى اللهجات[٢] وذلك بتدريب نماذج للتعرف إلى اللهجات العربيّة المختلفة، وإضافتها إلى المعجم، مما يساعد في توسيع نطاق استخدامه؛ ليشمل مختلف المناطق الناطقة بالعربيّة.

٥- أهداف المعجم العربي وركائزه باستخدام الذكاء الاصطناعيّ:

يهدف المعجم العربيّ المستند إلى الذكاء الاصطناعيّ إلى ما يأتي:

- تجميع قاعدة بيانات لغويّة شاملة، بجمع كمية كبيرة من النصوص العربيّة، وتحليلها.

١- ثمّة دراسات حول كيفية استخدام الذكاء الاصطناعي لتحليل التغيرات اللغوية في اللغة العربية عبر العصور، وتوثيقها.
ومن الأمثلة على ذلك: «Tracking Linguistic Evolution in Arabic Using AI and NLP Techniques» الذي يبحث في تطور اللغة العربية، وكيفية تتبع هذه التغيرات باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ.

٢- ثمّة أبحاث تركز على تحليل اللهجات العربية المختلفة، وفهمها باستخدام تقنيات معالجة اللغة الطبيعية.
ومن الأمثلة على ذلك: «Dialect Identification and Modeling in Arabic Natural Language Processing» الذي يناقش تحديات التعرف إلى اللهجات، والتعامل معها في النصوص العربيّة.
ونعثر على هذه الدراسات من خلال قواعد البيانات الأكاديميّة مثل Google Scholar، IEEE Xplore، SpringerLink، وغيرها من المصادر البحثية. وباستخدام الكلمات المفتاحية مثل «Arabic NLP، Arabic Text Analysis، Arabic Lexicon AI» نصل إلى الدراسات ذات الصلة.

- تصنيف المفردات[1]: بتحليل المفردات العربية بناءً على السياق والمعاني، وتصنيفها تبعًا لذلك.
- التعرف إلى التغيرات اللغويّة: أي اكتشاف التغيّرات، والتطورات في اللغة عبر الزمن.
- تحليل السياق: باستخدام الذكاء الاصطناعي؛ لفهم السياقات المختلفة للكلمات.
- توفير أدوات تعليمية: أي إنشاء أدوات تفاعليّة لتعليم اللغة العربية.

يتمّ أولًا جمع البيانات، كجمع نصوص من مصادر متعدّدة مثل الكتب، والمقالات، والصحف، والمواقع الإلكترونية. ويتم استخدام المعاجم الموجودة بوصفها بيانات أوليّة.

وبعد جمع البيانات تأتي خطوة معالجتها، ويتم ذلك بإزالة النصوص المكرّرة، وتصحيح الأخطاء الإملائيّة، والعناصر غير الضروريّة، وتقسيم النصوص إلى كلمات، وجمل مع الاحتفاظ بالسياق، وتحويل النصوص إلى صيغة قابلة للتحليل باستخدام نماذج الذكاء الاصطناعيّ. ويساعد ذلك في ضمان دقّة المعجم العربيّ، وجودته العالية.

ثمّ يمكن -تبعًا لما سبق- بناء أنموذج لغويّ، ويمكن استخدام نماذج جاهزة مثل BERT أو GPT، وهي من نماذج التعلم العميق، وتدريبها على البيانات العربيّة. ومن ثمَّ يتمّ تدريب النموذج على النصوص العربيّة لفهم العلاقات بين الكلمات، ومعانيها في السياقات المختلفة.

١- من الدراسات حول كيفية استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي لإنشاء معاجم رقميّة تحتوي على مفردات عربية مع تفسيراتها، وسياقاتها المختلفة.
«Building a Comprehensive Arabic Lexicon Using AI Technologies» التي تستعرض الأساليب والتقنيات المستخدمة في بناء معجم لغويّ شامل.

ثمّ تأتي مرحلة التعرّف إلى الأنماط، وذلك باستخدام خوارزميات التعلم الآليّ «Machine Learning Algorithms» للتعرف إلى الأنماط اللغويّة، وتصنيف الكلمات.

وتأتي مرحلة إنشاء قاعدة بيانات المعجم العربيّ، فتجمع الكلمات، وتعريفاتها، ومرادفاتها، وتوضع أمثلة على استخداماتها. وتصنّف الكلمات بحسب الفئات النحويّة: «اسم، فعل، صفة، ....»، فتنظّم الكلمات بحسب النوع، والجذر، والاشتقاق، وتحدّد المعاني المختلفة للكلمات بناءً على السياق الذي وردت فيه، وتوفّر أمثلة استخدام لكل كلمة؛ لتوضيح معناها في السياقات المختلفة.

وتحلّل نتائج النموذج، وتحسّن دقّته وذلك بالتغذية الراجعة[1]، وتهني استخدام ملاحظات المستخدمين؛ لتحسين المدخلات، ويحدَّث النموذج دوريًّا ببيانات جديدة؛ لتحسين أدائه.

وتصمّم واجهة المستخدِم، بشكل يسمح للمستخدمين بالبحث عن الكلمة ومعانيها بسهولة، باستخدام تطبيق ويب، أو تطبيق موبايل. وتضمن التفاعليّة التفاعل السلس مع المستخدمين، مثل الاقتراح التلقائيّ للكلمات في أثناء الكتابة.

١- التغذية الراجعة هي عملية نقل المعلومات حول نتائج أداء معين، أو تأثيراته إلى الجهة التي قامت بذلك الأداء بهدف تحسين السلوك، أو الأداء في المستقبل، أو تعديلهما. وتعدّ التغذية الراجعة جزءًا مهمًّا من عمليات التعلّم والتطوير في عدد من المجالات، مثل التعليم، والعمل، و، والإدارة. هناك نوعان رئيسان من التغذية الراجعة:

١. التغذية الراجعة الإيجابية: تعزز السلوك الجيد، أو الأداء الفعال بالتشجيع والإشادة، مما يزيد من احتمالية تكرار هذا الأداء في المستقبل.

٢. التغذية الراجعة السلبية: تهدف إلى تصحيح السلوك أو الأداء غير الفعال، أو تعديلهما بتقديم النقد البناء والنصائح، مما يساعد على تحسين الأداء في المستقبل.

ينظر في هذا الميدان:

- Hattie, J., & Timperley, H. (2007). «The Power of Feedback». Review of Educational Research, 77(1), 81-112.

ويتمّ ذلك بتطبيق يتيح للمستخدم إدخال كلمة، والحصول على تعريفها، وتصريفها، وأمثلة على استخدامها.

ويمكن تطوير واجهة تفاعليّة تمكن المستخدمين من البحث عن معاني الكلمات باستخدام الأوامر الصوتيّة. على سبيل المثال، يمكن للمستخدم أن يسأل: «ما معنى كلمة ‹ابتكار›؟» ويرد النظام الذكي بتقديم المعنى، والمرادفات الممكنة للكلمة.

ويمكن تطوير أدوات تعليميّة تفاعليّة مثل الألعاب التعليميّة، واختبارات المفردات، والمعاجم الإلكترونية.

ولتحقيق ذلك تستخدم التقنيات الآتية:

- التعلم العميق (Deep Learning) لبناء نماذج تتعلّم، وتحلّل الأنماط اللغويّة.
- معالجة اللغة الطبيعية (NLP): باستخدام مكتبات مثل NLTK وspacey، يضاف إلى ذلك مكتبات خاصة باللغة العربية مثل farasa لاستخراج النصوص، وتحليلها.
- نماذج تعلم الآلة: أي استخدام مكتبات مثل TensorFlow وPyTorch لتدريب النماذج.
- قواعد البيانات الكبيرة (Big Data): باستخدام قواعد بيانات مثل MongoDB أو PostgreSQL لتخزين البيانات والمعاني، ومعالجة كميّات ضخمة من البيانات النصيّة.
- تطوير الواجهة: استخدام HTML, CSS, JavaScript وإطارات العمل

مثل React أو Vue.js. ويمكن لتطبيقات الويب، والهاتف المحمول أن يوفرا واجهة سهلة للمستخدمين.

٦- المحاولات الجادة لبناء معجم عربيّ باستخدام الذكاء الاصطناعي:

هناك بعض المحاولات والمشاريع التي تهدف إلى استخدام التكنولوجيا، والذكاء الاصطناعيّ في هيكلة المعاجم العربية القديمة، وصياغتها. ومنها:

مشروع المعجم العربي المتكامل[١] (MIA):

هو مشروع ضخم يهدف إلى إنشاء معجم عربيّ، شامل، يشمل كلمات اللغة العربية منذ البدايات القديمة حتى العصر الحديث. يستخدم المشروع تقنيات التعلم الآليّ، والذكاء الاصطناعيّ؛ لتحليل الكلمات والتعابير العربية، وتصنيفها، ولتوليف النصوص، وإعادة صياغتها بدقّة، وموضوعيّة.

ويعدّ هذا المشروع واحدًا من أكبر المشاريع في مجال بناء المعاجم العربية باستخدام التكنولوجيا الحديثة. ومع أن النتائج المحددة لم تُنشر بعد، لكنّ الجهود المبذولة تهدف إلى توفير معجم شامل يستخدم الذكاء الاصطناعيّ؛ لتحسين دقّة المعلومات اللغويّة.

مشروع «معجم الدوحة التاريخي للغة العربية»[٢]:

هو أحد أبرز المشاريع التي تعمل على تحويل المعاجم القديمة والنصوص التاريخية إلى صيغ إلكترونية قابلة للبحث. هذا المشروع يهدف إلى تسجيل تاريخ استعمال الألفاظ العربية منذ ظهورها أول مرة، وتوثيق تحوّلاتها الدلالية والبنيوية

١- لتفاصيل أكثر عن هذا المشروع يمكن زيارة موقع مشروع المعجم العربي، والمعجم التاريخي للغة العربية.

٢- لمزيد من المعلومات حول هذا المشروع يمكن زيارة موقعه الرسمي [موقع معجم الدوحة التاريخي] (https://www.dohadictionary.org)

عبر العصور المختلفة. ويُعتبر معجم الدوحة التاريخي أحد المبادرات الرائدة في هذا الميدان، إذ يستند إلى مجموعة واسعة من المصادر العربية القديمة والحديثة، ويعتمد على تقنيات رقميّة حديثة لجعل المعاجم والنصوص أكثر فعالية وسهولة في الوصول

مشروع «نور العرب»[1] (Noor Al-Arab):

يهدف هذا المشروع إلى تطوير أدوات، وتقنيات لتحليل النصوص العربية التقليديّة، والقديمة، وفهمها بما في ذلك الشعر، والأدب، والنصوص الفلكيّة والدينيّة، باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ؛ لتحسين جودة التحليل والتصنيف.

ولم تُعلن نتائجه بعد علنًا، ولكن النهج المتبع يظهر وعدًا كبيرًا في تطبيقات البحث الأكاديميّ، والتقنيّ.

مشروعات البحث الأكاد يمية:

تقوم جامعات ومراكز بحثيّة متعدّدة بمشاريع لاستخدام الذكاء الاصطناعيّ في تحليل اللغة العربيّة القديمة، وتحديث المعاجم، مما يشمل تطبيقات متعدّدة من استخراج المصطلحات، وتصنيفها إلى تحسين الترجمة، والفهم اللغوي.

وتمثّل هذه المحاولات خطوات مهمّة نحو تحديث المعاجم العربية القديمة، وتطويرها باستخدام التكنولوجيا الحديثة، وتظهر كيفية دمج التقنيات الذكيّة في ميادين البحث اللغويّ، والثقافيّ؛ لتحقيق نتائج دقيقة، ومفيدة للمجتمع العلميّ، والعاملين في الحقل الثقافيّ، والتراثيّ.

١- للتعرف إلى المشروع يمكن العودة إلى رابطه:
https://www.tii.ae/ar/news/technology-innovation-institute-announces-launch-noor-worlds-largest-arabic-nlp-model

وتختلف نتائج المشروعات البحثيّة الأكاديميّة بحسب الهدف، والنهج المتّبع، ومعظمها لم تصل بعد إلى مرحلة الاستخدام التجاريّ، أو الانتشار الواسع. ومع ذلك، تسهم في تطوير التقنيات، والأدوات اللغويّة، والثقافيّة التي قد تؤثر بشكل إيجابي في مستقبل بناء المعاجم، وتحديثها.

وثمّة محاولات جادة[١] في سبيل المضيّ في طريق بناء هذا المعجم، ففي سابقة على مستوى المعاجم العربية أطلق مكتب الذكاء الاصطناعي[٢] في دولة الإمارات العربية «المعجم العربي للذكاء الاصطناعيّ»، مستهدفًا المهتمّين بمصطلحات الذكاء الاصطناعيّ باللغة العربية. وتسعى هذه المبادرة إلى تعزيز مكانة اللغة العربية في قطاعات الذكاء الاصطناعيّ، وتوضيح المصطلحات، وتقليل الأخطاء اللغويّة، وسدّ الفجوة بين الذكاء الاصطناعيّ واللغة العربيّة، كما تشجّع على مشاركة المجتمع باقتراح مصطلحات باللغة الإنجليزية، وسيعمل مكتب الذكاء الاصطناعي مع المتخصّصين لترجمتها، ووضع تعريفات لها، ونشرها في المعجم الرقميّ.

المعجم التاريخيّ للغة العربية في الشارقة:

ثمّة تجربة رائدة في بناء المعجم التاريخيّ للغة العربية في الشارقة[٣]، ويسهم

١- يضاف إلى هذه المشاريع بعض المشاريع البحثية مثل تلك الواردة في كتاب "اللغة العربية والذكاء الاصطناعيّ" للدكتور علاء طعيمة؛ إذ يقدّم حلولًا مبتكرة لتحديات المعالجة اللغويّة. ويتناول الكتاب تطبيقات عمليّة متعدّدة مثل تحليل المشاعر، وتوليد النصوص، وتصنيف المواضيع باستخدام تقنيات التعلم العميق، والتعلم الآلي.
وتسهم هذه الجهود في تطوير معاجم لغويّة عربيّة أكثر دقّة وشمولية، مما يفتح آفاقًا جديدة لتطبيقات الذكاء الاصطناعيّ في مجالات التعليم، والترجمة، والتفاعل البشري-الآلي. ومع استمرار التطور التكنولوجيّ، يتوقع أن يشهد هذا المجال مزيدًا من الابتكارات التي تعزّز من فهم اللغة العربية، واستخدامها في التطبيقات الحاسوبيّة المتقدمة.

2- © 2022 Artificial Intelligence, Digital Economy & Remote Work Application Office | United Arab Emirates. All Rights Reserved

٣- رابط الموقع الالكتروني للمعجم التاريخي للغة العربية بالشارقة: http://www.almojam.org/

الذكاء الاصطناعي بشكل فعّال في بنائه، ويعتمد المعجم على نظام ذكيّ يعزّز فهم اللغة العربية بشكل أعمق، ويسهم في معالجة البيانات، وتحليلها بكفاءة عالية، ويساعد الآلة على التفاعل بذكاء مع قواعد بيانات اللغة العربية.

٧– تحديات بناء معجم عربيّ شامل بالذكاء الاصطناعيّ:

يتطلب بناء معجم لغويّ شامل التعامل مع كميّات ضخمة من البيانات النصيّة، مما يستلزم بنية تحتيّة تقنية قويّة، وإدارة فعّالة للبيانات، وتحقيق مستوى عالٍ من الدقّة في تصنيف المعاني، واستخدام السياق.

وتحتاج أنظمة التعرف إلى النصوص المنطوقة إلى تحقيق دقّة عالية في التحويل؛ لضمان تحويل النصوص الصوتيّة بشكل صحيح.

وتتنوّع اللهجات العربية تنوّعًا كبيرًا، ويشكل هذا الأمر تحديًا كبيرًا في جمع النصوص، وتحليلها. وقد تكون هناك صعوبة في التمييز بين المعاني المختلفة للمفردات بناءً على اللهجة.

وقد تعتمد دقّة المعجم، وموثوقيته على جودة المصادر النصيّة المتاحة، وتنوّعها مما قد يحدّ من تغطية بعض المفردات، أو التراكيب اللغويّة النادرة.

وقد نواجه تحدّيات في تحقيق التنوّع الكامل في معاني المفردات، وتقديم أمثلة استخدام شاملة على الرغم من دقّة تقنيات الذكاء الاصطناعي

ويتطلّب معالجة كميات كبيرة من البيانات النصية التعامل مع قضايا الخصوصيّة والأمان، بخاصة إذا كانت البيانات مأخوذة من مصادر خاصّة، أو حساسة.

٨- مخرجات مشروع بناء المعجم العربيّ:

يخرج مشروع بناء معجم شامل بالاعتماد على تقنية الذكاء الاصطناعيّ بما يأتي:

- **معجم لغويّ رقميّ شامل**: يتضمن تصنيف المفردات، ومعانيها، وأمثلة استخدامها في سياقات مختلفة.
- **واجهة بحث متقدمة**: تتيح للمستخدمين البحث عن الكلمات بسهولة وفهم معانيها.

ولتحسين البحث والاستخراج عمليًا -بالاستعانة بمهندس معلوماتية- يتم اعتماد خوارزمية، وهي: نموذج BERT للبحث الدلالي، وذلك تدريب نموذج BERT على قاعدة بيانات تحتوي على نصوص عربية ومعجمية، وتطوير واجهة بحث تستخدم النموذج المدرّب لفهم استفسارات المستخدمين، وتقديم نتائج دقيقة.

- **أدوات تعليمية تفاعليّة**: لدعم تعلم اللغة العربية بطريقة مبتكرة، وفعّالة.
- **تحديثات دوريّة**[1]: لضمان مواكبة المعجم العربيّ للتطورات اللغوية الحديثة. وذلك بتقنيات مثل: التنقيب عن النصوص (Text Mining) وتشمل هذه

١- فيما يتعلق بالتنقيب عن النصوص (Text Mining) ينظر:

- Mihalis Anthopoulos, Alexandros Balkas. 2007. *Text Mining: Classification, Clustering, and Applications*. Springer. USA.

- وفيما يتعلق بالتحليل الزمني (Temporal Analysis) ينظر:

- Marion Frederick Huber. 2005. *Foundations of Time Series Analysis and Prediction Theory*. John Wiley & Sons. USA.

- وفيما يتعلّق بنظم التوصية (Recommender Systems) ينظر:

- G. Shani, A. Gunawardana. 2011. *Recommender Systems: An Introduction*. Cambridge University Press. United Kingdom.

التقنية استخراج المعلومات من النصوص الضخمة، وتحليلها؛ لاكتشاف الأنماط اللغويّة، والكلمات الجديدة.

والتحليل الزمني (Temporal Analysis) ويستخدم لتحليل التغيرات في استخدام الكلمات عبر الزمن، وتحديد الكلمات التي تصبح شائعة، أو تتراجع في الاستخدام.

نظم التوصية (Recommendation Systems) ويمكن استخدامها لتقديم اقتراحات للتحديثات اللغوية بناءً على الأنماط المكتشفة في النصوص الحديثة.

ويمكن لأنظمة الذكاء الاصطناعي تحديد الكلمات الجديدة، والشائعة بسرعة، مما يساعد في تضمينها في المعاجم؛ لتبقى محدّثة.

وباستخدام تحليل السياق يمكن تحسين الأمثلة المقدّمة لاستخدام الكلمات في المعاجم، مما يجعلها أكثر واقعيّة ودقّة.

- **تحليل الاستخدام اللغوي**: تساعد تقنيات الذكاء الاصطناعيّ في تحليل كيفية تغير استخدام الكلمات، والتعابير في مختلف المجالات، مثل الإعلام، الأدب، والعلوم.

وتواجه هذه العملية معوقات مثل: التعامل مع الكلمات المؤقتة، بعض الكلمات قد تكون شائعة لمدة قصيرة فقط. وتحتاج الأنظمة إلى القدرة على التمييز بين الكلمات التي ستكون لها ديمومة في الاستخدام، وتلك التي ستتلاشى بسرعة.

ويجب تحقيق توازن بين تحديث المعجم العربيّ باستمرار، والحفاظ على استقراره، وموثوقيّته.

- **تحليل النصوص**، باستخدام خوارزمية الشبكات العصبية المتكررة (RNN) لتحليل السياق اللغوي.

ويكون ذلك بتجميع مجموعة كبيرة من النصوص العربية الأدبيّة والعلميّة، وتدريب نموذج RNN على هذه النصوص؛ لفهم الأنماط اللغوية، واستخدام النموذج المدرّب لتحليل النصوص الجديدة، واستخراج المعلومات المعجمية مثل الجذور، والأوزان، والمعاني المختلفة للكلمات.

فلو طلبنا تحليل كلمة كتاب -مثلًا- باستخدام الذكاء الاصطناعيّ لوجدنا مرحلة البحث والاستخراج؛ إذ يبحث نموذج BERT عن «كتاب»في قاعدة بيانات المعجم العربيّ، ويعرض النتائج ذات الصلة مثل المعاني المختلفة، والاستخدامات، والأمثلة.

ثم تأتي مرحلة تحليل النصوص بنموذج RNN فيحلل نصوصًا تحتوي على كلمة «كتاب»، ويستخرج السياقات المختلفة، مثل «كتاب علمي»، «كتاب أدبي»، «كتاب تاريخي».

وتأتي مرحلة التنقيح والتحديث، بنموذج Transformer الذي يجمع البيانات الحديثة التي تحتوي على كلمة «كتاب»من الشابكة، ويقترح إضافة معانٍ جديدة، واستخدامات حديثة للمعجم.

ويمكن تحسين النماذج اللغوية بفضل قدرات الذكاء الاصطناعيّ في التعلم التلقائيّ، وتحسين الأداء التنبّؤي للتعبيرات والتراكيب اللغوية، ويسمح التعلم الآلي بالتكيف السريع مع التطورات في استخدام اللغة العربيّة، مما يضمن تحديث المعاجم، وتطويرها باستمرار لتلبية احتياجات المستخدمين الحديثة.

ويمكن استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ لتوليف النصوص القديمة،

وإعادة صياغتها بشكل يجعلها أكثر قراءة، وفهمًا للأجيال الحديثة، مع الحفاظ على الدقّة، والأصالة اللغوية.

- **تحليل المشاعر**[1] **بوساطة الذكاء الاصطناعيّ**: وهو عملية استخدام تقنيات التعلّم الآليّ، ونماذج معالجة اللغة الطبيعية (NLP) لتحديد المشاعر التي يعبر عنها النص، وفهمها. وتعتمد هذه العملية على سياق الكلام؛ لفهم ما إذا كانت المشاعر إيجابية، أو سلبية، أو محايدة.

فتُجمع النصوص التي تحتاج إلى تحليل، مثل التعليقات على وسائل التواصل الاجتماعيّ، وتقييمات العملاء، والرسائل الإلكترونية، والمقالات، وتزال العناصر غير الضروريّة مثل الرموز الخاصّة، والتكرارات، والإعلانات، لضمان جودة البيانات المستخدمة في التحليل، وتقسم كلمات النص إلى كلمات فردية (Tokenization) ويقسم النص إلى جمل لفهم السياق الكامل.

ولتحقيق ذلك يُعتمد نموذج قائم على قاموس مشاعر يحتوي على كلمات تصنّف إلى إيجابية أو سلبية، وتدريب النموذج على مجموعة من البيانات المسبقة التي تحتوي على نصوص مصنّفة، واستخدام تقنيات مثل الشبكات العصبيّة، أو شجرة القرار، أو نموذج بايز Bayes.

وتحليل النصوص في سياقها لفهم الدلالات والمعاني، فالكلمة نفسها يمكن أن تحمل مشاعر مختلفة بناءً على السياق الذي تأتي فيه. مع الأخذ بعين الاعتبار

١- هنالك فجوة بين ذكاء الإنسان وذكاء الآلة، فالآلة قادرة على القراءة، أو الكتابة، لكنها لا تستطيع محاكاة المشاعر الداخلية، كالحب والغيرة والألم والحزن، ويمكن أن تخضع الآلة إلى اكتشاف وجود بعض المشاعر من غير أن تتولد المشاعر فيها عبر قرائن لغوية، وغير لغوية قابلة للقياس.
يمكن العودة إلى الدراسة الأكاديمية لتعرّف آلية عمل تحليل المشاعر:
«From Once Upon a Time to Happily Ever After: Tracking Emotions in Novels and Fairy Tales» by Saif M. Mohammad:

- نشر في مؤتمر Association for Computational Linguistics (ACL 2011) في يونيو ٢٠١١.

العوامل الخارجية كالزمان، والمكان، والأحداث التي تؤثر في تفسير النصوص.

ويتمّ تقييم أداء النموذج، وتحسينه باستمرار من خلال مقاييس مثل الدقّة، والاسترجاع، والدقّة المتوسطة.

ومن صعوبات العمل على تحليل المشاعر فهم التعابير المجازية والساخرة، والتعامل مع اختلافات اللهجات واللغات، وحمل الكلمة الواحدة معاني مختلفة تبعًا للسياق.

وتفيد عملية تحليل المشاعر في فهم مشاعر العملاء تجاه منتجات أو خدمات معينة، ورصد مشاعر الجمهور تجاه أحداث، أو مواضيع معينة، وتحسين الردود التلقائيّة وفهم شكاوى العملاء بعمق أكبر.

٨- خاتمة وتوصيات

إن إنشاء معجم لغوي باللغة العربية باستخدام الذكاء الاصطناعي يمكن أن يحدث ثورة في طريقة فهمنا، واستخدامنا لغتنا. وسيسهم هذا المشروع في دعم الباحثين، والمتعلمين، والمستخدمين اليوميين بتوفير أداة قوية، وشاملة؛ للتفاعل مع اللغة العربية بطريقة أكثر ذكاءً، وفعالية على الرغم من التحدّيات الموجودة.

ويمثل هذا العمل خطوة نحو دمج الذكاء الاصطناعيّ في تطوير المعاجم العربية، مما يساعد على تحسين دقتها، وشموليتها باستخدام تقنيات التعلم الآليّ، ومعالجة اللغة الطبيعية، ويمكن تحقيق تقدّم كبير في هذا الميدان، مما يسهم في الحفاظ على اللغة العربية وتطويرها؛ لمواكبة العصر الرقمي.

إن دور الذكاء الاصطناعيّ، وبخاصة التعلّم العميق، في إنشاء المعاجم يمثل نقلة نوعية في كيفية تطوير هذه الأدوات اللغوية الأساسيّة. من جمع البيانات، وتحليلها، إلى تدريب النماذج، واستخراج التعريفات، وتحديث المفردات، ويسهم الذكاء الاصطناعي في تحسين دقة المعاجم، وشموليّتها، وجعلها مواكبة التطورات اللغوية.

واتضح لنا أنّ إنشاء معجم باستخدام التعلم العميق -على سبيل المثال- يتضمن الإفادة من النماذج والتقنيات من معالجة اللغة الطبيعية (NLP) لإنشاء معجم، أو توسيعه تلقائيًا. ويتمّ ذلك بتحديد نوع المعجم الذي نريد إنشاءه، هل هو معجم أضداد، أو مرادفات، أو مصطلحات في ميدان معين، أو معجم ثنائي اللغة.

ثم تجمع البيانات النصية من مصادر متنوعة، وتحضّر البيانات للتدريب، ويقسم النصّ إلى كلمات، أو عبارات، وتحوّل الكلمات إلى أحرف صغيرة، وتزال علامات الترقيم، وغيرها، وتختزل الكلمات إلى جذرها الأساس، ويتم

اختيار نماذج التعلّم العميق المناسبة، ثم تأتي مرحلة تضمين الكلمات Word-2Vec أو Glove أو Fast Text لفهم معاني الكلمات، وعلاقاتها. ومرحلة نماذج اللغة: BERT أو GPT أو T5 لإنشاء التعريفات، والأمثلة، والترجمات.

وتنشأ النماذج المدرّبة بالاستعانة بالاختصاصيين، وتستخدم النماذج المدربة لإنشاء إدخالات المعجم، فيستخدم نموذج اللغة؛ لإنشاء تعريفات لكل كلمة، كاستخدام نماذج ثنائية اللغة، أو تقنيات الترجمة الآلية.

وتأتي عملية المراجعة البشرية للمدخلات؛ لتحسينها، وبعدها تأتي مرحلة التقييم التلقائيّ، وتوفر واجهة برمجة التطبيقات للوصول والتكامل، وتطوير تطبيق ويب أو هاتف محمول للمستخدمين النهائيين، ويتمّ تحديث المعجم العربيّ ببيانات جديدة، ويعيد تدريب النماذج بشكل دوري.

إنّ ثمّة تقدّمًا في ميدان استخدام التكنولوجيا، والذكاء الاصطناعي في بناء المعاجم العربية القديمة، وتحديثها لكنّه يعدّ ميدانًا ناشئًا، ومستمر النموّ. ومن المتوقع أن تستمرّ هذه المشاريع في تطوير النتائج، والأداء بمرور الوقت، مما يعزز دور التكنولوجيا في الحفاظ على التراث اللغويّ، والثقافيّ العربيّ.

ويخرج البحث «بناء المعجم العربي بوساطة الذكاء الاصطناعي» بالتوصيات الآتية:

- جمع البيانات اللغوية من مصادر متعددة مثل الكتب، المقالات، الإنترنت، والوثائق الأخرى، وتنظيمها؛ لتوفير قاعدة بيانات شاملة، يمكن استخدامها لتدريب نماذج الذكاء الاصطناعي.
- استخدام تقنيات التعلّم العميق؛ لتطوير نماذج قادرة على فهم اللغة العربية، وتحليلها بلهجاتها ومستوياتها المختلفة، وتدريب النماذج على كميات كبيرة

من البيانات لضمان دقة النتائج، وقدرتها على التعامل مع التنوع الكبير في اللغة العربية.

- العمل على تحسين أنظمة الترجمة الآلية؛ لتكون قادرة على تقديم ترجمات دقيقة، وفعّالة بين اللغة العربية، واللغات الأخرى.
- إنشاء أدوات تساعد في تحليل النحو، والصرف وفهم تركيب الجمل العربية بشكل صحيح، ومعالجة التحديات الخاصة باللغة العربية مثل التشكيل، والإعراب، والتفريق بين الكلمات المتشابهة في الكتابة والمختلفة في المعنى.
- تطوير تطبيقات تعتمد على الذكاء الاصطناعيّ في مجالات مختلفة مثل التعليم، والأدب، الإعلام، والأعمال، وتعزيز التعاون بين الباحثين، والمؤسسات الأكاديمية، والتجارية؛ لتبادل الخبرات، والمعرفة، وتحقيق تقدم أسرع، وأفضل في هذا الميدان.
- توفير أدوات، ومنصات مفتوحة المصدر للإسهام في تسهيل البحث، والتطوير في ميدان المعاجم العربية باستخدام الذكاء الاصطناعي، وإنشاء أنظمة؛ لتقييم الأداء بشكل دوري لضمان استمرار التحسين، والتطوير المستمر للنماذج، والأدوات المعتمدة.
- إعداد جيل من الخبراء في الذكاء الاصطناعيّ يكون على مستوى من الدراية بأسس علوم اللغة العربية، واللسانيات، والتحديات التي تواجه الطرفين. وإعداد جيل من أساتذة علوم اللغة واللسانيات العربية يكونون على دراية جيدة بمبادئ علم الحاسوب، وركائز عمله، ومبادئ الذكاء الاصطناعي، وقضايا حوسبة اللغة الطبيعية، ومعالجتها آليًا.

تلك التوصيات تساعد في توجيه البحث نحو تحقيق نتائج فعّالة، ومفيدة في مجال بناء المعجم العربي باستخدام الذكاء الاصطناعيّ.

مصادر البحث ومراجعه

- العارف، عبد الرحمن بن حسن: ٢٠٠٧، توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية «جهود ونتائج» مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٧٨، عمّان، كانون الأول.
- عبد النور، عادل بن عبد النور: ٢٠٠٤، مدخل إلى عالم الذكاء الاصطناعي، مدينة عبد الملك بن عبد العزيز للعلوم التقنية، المملكة العربية السعودية.
- عطية، محمد، والسعيد، المعتز عبد الله، وراغب، أحمد، وعبد الغني، نعيم: ٢٠١٩، العربية والذكاء الاصطناعي، ط١، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- علي، نبيل: ١٩٨٧، اللغة العربية والحاسوب، عالم الفكر، المجلد ١٨، العدد٣، الكويت.
- ماجد، أحمد: د.ت، الذكاء الاصطناعي في دولة الإمارات العربية، إدارة الدراسات والسياسات الاقتصادية، الإمارات العربية المتحدة.
- مانيارد، ديانا، بونتشيفا، كالينا، أوغنتشاين، إيزابيل: ٢٠١٩، معالجة اللغة الطبيعية للويب الدلالي، ترجمة: خالد بن عبد الرحمن الميمان، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض.
- مدور، محمد، اللسانيات الحاسوبية وأثرها في تطوير اللغة العربية، أعمال ملتقى وطني حول اللغة العربية والتقانات الحديثة.
- مهديوي، عمر: ٢٠١٨، اللسانيات الحاسوبية واللغة العربية، إشكالات وحلول، ط١، دار كنوز المعرفة، عمان.
- مهديوي، عمر: ٢٠١٨، مصطلحات الهندسة اللغوية بين الترجمة والتعريب: نحو بناء معجم موحد، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، العدد ٧٩.
- موسى، نهاد: ٢٠٠٠، العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

- وزان، ميلاد: د. ت، التعلم العميق: المبادئ، والمفاهيم، والأساليب، ترجمة د. علاء طعيمة، نسخة إلكترونية مجانية.
- اليوبي، بلقاسم: ١٩٩٩، اللسانيات الحاسوبية: مفهومها- وتطوراتها- ومجالات تطبيقها (استشراف آفاق جديدة لخدمة اللغة العربية وثقافتها)، مجلة مكناسة، العدد ١٢، ص٤٤.

المراجع الأجنبية:

- Artificial Intelligence, Digital Economy & Remote Work Application Office | United Arab Emirates. All Rights Reserved.
- Lane Hobson, Hapke Hannes, et al. 2019. Natural Language Processing in Action: Understanding, Analysing, and Generating Text with Python. USA: Manning Publications.
- Tobias Hollerer, Dieter Schmalstieg. 2015. Augmented Reality: Principles and Practice. Addison-Wesley Professional.
- Nitin Indurkhya, Fred J. Damerau, eds. 2010. Handbook of Natural Language Processing. CRC Press.
- Christopher D. Manning, Hinrich Schütze. 1999.. Foundations of Statistical Natural Language Processing. MIT Press.
- Hattie, J., & Timperley, H. 2007. «The Power of Feedback». Review of Educational Research., 77(1).
- Saif M. Mohammad. 2011. «From Once Upon a Time to Happily Ever After: Tracking Emotions in Novels and Fairy Tales». Published in .ACL 2011 Conference (Association for Computational Linguistics) in June 2011.
- Mihalis Anthopoulos, Alexandros Balkas. 2007. Text Mining: Classification, Clustering, and Applications. Springer. USA.
- Marion Frederick Huber. 2005. Foundations of Time Series Analysis and Prediction Theory. John Wiley & Sons. USA.
- G. Shani, A. Gunawardana. 2011. Recommender Systems: An Introduction. Cambridge University Press. United Kingdom.

المواقع الإلكترونية:

- الذكاء الاصطناعي واللغة العربية: أهم التحديات وتقنيات معالجتها:
(https://technologyreview.ae)
- أفضل أدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي باللغة العربية:
(https://technologyreview.ae)
- د. نبيل طعيمة، كتاب اللغة العربية والذكاء الاصطناعي:
(https://dlarabic.com)
- رابط الموقع الإلكتروني للمعجم التاريخي للغة العربية بالشارقة:
(http://www.almojam.org)
- رابط الموقع الإلكتروني لمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية:
(https://www.dohadictionary.org)
- رابط مشروع نور العرب الإلكتروني:
(https://www.tii.ae/ar/news/technology-innovation-institute-announces-launch-noor-worlds-largest-arabic-nlp-model)
- مقال «بناء المعجم الرَّقمي العربي في ضوء اللِّسانيَّات الحاسوبيَّة»د. محمد يزيد سالم:
(https://www.asjp.cerist.dz/en/article/147910)
- مقال «نظرة معمقة حول معالجة اللغة العربية الطبيعية في الذكاء الاصطناعي»:
https://saal.ai/ar/an-insight-to-arabic-natural-language-processing-nlp-/in-ai-today

المراجع العربية (Romanized References):

- Al-ʿĀrif, ʿAbd al-Raḥmān ibn Ḥasan. 2007. Tawẓīf al-Lisāniyyāt al-Ḥāsūbiyyah fī Khidmat al-Dirāsāt al-Lughawiyyah al-ʿArabiyyah: «Juhūd wa-Natāʾij», Majallat Majmaʿ al-Lugha al-ʿArabiyyah al-Urdunī, ʿAdad 78, ʿAmmān, Kānūn al-Awwal.
- ʿAbd al-Nūr, ʿĀdil ibn ʿAbd al-Nūr. 2004. Madkhal ilā ʿĀlam al-Dhikāʾ al-Iṣṭināʿī, Madīnat ʿAbd al-Malik ibn ʿAbd al-ʿAzīz lil-ʿUlūm wa-l-Taqniyyah, al-Mamlakah al-ʿArabiyyah al-Suʿūdiyyah.
- ʿAṭiyyah, Muḥammad, al-Saʿīd, al-Muʿtaz ʿAbd Allāh, Rāghib, Aḥmad, wa-ʿAbd al-Ghanī, Naʿīm. 2019. Al-ʿArabiyyah wa-l-Dhikāʾ al-Iṣṭināʿī, Ṭ1, Markaz al-Malik ʿAbd Allāh ibn ʿAbd al-ʿAzīz al-Dawlī, al-Riyāḍ, al-Mamlakah al-ʿArabiyyah al-Suʿūdiyyah.
- ʿAlī, Nabīl. 1987. Al-Lugha al-ʿArabiyyah wa-l-Ḥāsūb, ʿĀlam al-Fikr, al-Mujallad 18, al-ʿAdad 3, al-Kuwayt.
- Mājid, Aḥmad. n.d. Al-Dhikāʾ al-Iṣṭināʿī fī Dawlat al-Imārāt al-ʿArabiyyah, Idārat al-Dirāsāt wa-l-Siyāsāt al-Iqtiṣādiyyah, al-Imārāt al-ʿArabiyyah al-Muttaḥidah.
- Māniyārd, Dīyānā, Būnshīfā, Kālīnā, Ūghānshāyn, Īzābīl. 2019. Muʿālajat al-Lugha al-Ṭabīʿiyyah lil-Wīb al-Dalālī, Tarjamah: Khālid ibn ʿAbd al-Raḥmān al-Mīmān, Dār Wujūh lil-Nashr wa-l-Tawzīʿ, al-Riyāḍ.
- Madūr, Muḥammad. Al-Lisāniyyāt al-Ḥāsūbiyyah wa-Atharuhā fī Taṭwīr al-Lugha al-ʿArabiyyah, Aʿmāl Multaqā Waṭanī Ḥawla al-Lugha al-ʿArabiyyah wa-l-Taqānāt al-Ḥadīthah.
- Mahdīwī, ʿUmar. 2018. Al-Lisāniyyāt al-Ḥāsūbiyyah wa-l-Lugha al-ʿArabiyyah: Ishkālāt wa-Ḥulūl, Ṭ1, Dār Kunūz al-Maʿrifah, ʿAmmān.
- Mahdīwī, ʿUmar. 2018. Muṣṭalaḥāt al-Handasah al-Lughawiyyah bayna al-Tarjamah wa-l-Taʿrīb: Nḥwa Bināʾ Maʿjam Muwaḥḥad, Majallat al-Lisān al-ʿArabī, al-Munẓamah al-ʿArabiyyah lil-Tarbiyyah wa-l-Thaqāfah wa-l-ʿUlūm, Maktab Tansīq al-Taʿrīb, al-ʿAdad 79.
- Mūsā, Nihād. 2000. Al-ʿArabiyyah: Nḥwa Twaṣīf Jadīd fī Ḍawʾ al-Lisāniyyāt al-Ḥāsūbiyyah, al-Muʾassasah al-ʿArabiyyah lil-Dirāsāt wa-l-Nashr, Bayrūt.
- Wazzān, Mīlād. n.d. Al-Taʿallum al-ʿAmīq: Al-Mabādiʾ, wa-l-Mafāhīm, wa-l-Asālīb, Tarjamah: Dr. ʿAlāʾ Ṭuʿaymah, Nuskhah Elektrūniyyah Majjāniyyah.
- al-Yūbī, Bilqāsim. 1999. Al-Lisāniyyāt al-Ḥāsūbiyyah: Mafhūmahā - wa-Taṭawwurātuhā - wa-Majālāt Taṭbīqihā (Istishrāf Āfāq Jadīdah li-Khidmat al-Lugha al-ʿArabiyyah wa-Thaqāfatihā), Majallat Maknāsah, al-ʿAdad 12, ṣ44.

المراجع الإلكترونية (Romanized Websites References)

- Al-Dhikāʾ al-Iṣṭināʿī wa-l-Lugha al-ʿArabiyyah: Aham al-Taḥaddiyāt wa-Taqnīyāt Muʿāljatihā. Available at: https://technologyreview.ae
- Afḍal Adawāt al-Dhikāʾ al-Iṣṭināʿī al-Tūljīdī bi-l-Lugha al-ʿArabiyyah. Available at: https://technologyreview.ae
- Ṭuʿaymah, Nabīl. Kitāb al-Lugha al-ʿArabiyyah wa-l-Dhikāʾ al-Iṣṭināʿī. Available at: https://dlarabic.com
- Al-Muʿjam al-Tārīkhī lil-Lugha al-ʿArabiyyah - Sharjah. Available at: http://www.almojam.org
- Al-Muʿjam al-Tārīkhī lil-Lugha al-ʿArabiyyah - Dūḥah. Available at: https://www.dohadictionary.org
- Mashrūʿ Nūr al-ʿArab al-Iliktrūnī. Available at: https://www.tii.ae/ar/news/technology-innovation-institute-announces-launch-noor-worlds-largest-arabic-nlp-model
- Sālim, Muḥammad Yazīd. Bināʾ al-Muʿjam al-Raqmī al-ʿArabī fī Ḍawʾ al-Lisāniyyāt al-Ḥāsūbiyyah. Available at: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/147910
- Naẓrah Maʿmīqah Ḥawla Muʿālajat al-Lugha al-ʿArabiyyah al-Ṭabīʿiyyah fī al-Dhikāʾ al-Iṣṭināʿī. Available at: https://saal.ai/ar/an-insight-to-arabic-natural-language-processing-nlp-in-ai-tod

نحْو أجْرُوميّةٍ للتّأثِيل السَّامي في معجم الشّارقة التاريخي

Towards A Methodology for The Semitic Etymology In The Sharjah Historical Dictionary

د. إبراهيم سعد سنجر
كلية الآداب، جامعة المنوفية، مصر

Dr. Ibrahim Saad Singer
Faculty of Arts, Menoufia University, Egypt

https://doi.org/10.47798/fom.2024.i4.07

ملخص البحث

إنَّ المعجميّة العربيّة، على ما تمتاز به من الأصالة والثراء، لتخلو مكتبتها من معجمات تأثيليّة وافية، تكونُ مددًا وظهيرًا للمعجميّة التاريخيّة العربيّة التي دنت على الشارقة ظلالها وذُللت للقاصديها قطوفها. ولئن كانت المعجمات التاريخيّة لكثير من اللغات الأوروبيّة قد نشأت في رحاب معجماتها التأثيليّة؛ فقد قُدِّر لمعجم الشارقة التاريخيّ أن يقود المسير، فيَمُدّ العربيّة بلُباب مادّة معجمها التأثيليّ، ويستطلع أواصر قرابتها بأخواتها من الدوحة السَّاميَّة، ويستظهر أواطر صلاتها باللغات الأعجميّة التي رَفَدَت العربيةَ بالمفردات، وغَذَتْها بالمصطلحات في مسيرتها الحضارية الطويلة.

وتسعى الورقة سعيها لاقتراح أجروميّةٍ للتأثيل السَّاميِّ في معجم الشارقة التاريخيِّ، وهيَ مؤمنة بإمكان الكشف عن جوانب ذات خطر في صنعة التأثيل، والإفصاح عن عطاءاتها الحاصلة والمرتقبة للمعجميّتيْن التأثيليّة والتاريخيّة؛ طامحةً أن تنتقل من القَنَع بمفردات المسائل إلى الطَّمَع بفقه الظواهر الحاكمة عَلى الصنعة التأثيلية، والتحوَلات الصوتيّة والصرفيّة بين لغات الأرومة الساميّة. وإذ تَقفُنَا الأجروميَّة المقترحة على كُنه التأثيل وحقائق مسائله، وتنبهُنا إلى مظانّه ومكنز قوانينه، وتَهدينا لخطواته وإجراءاته، وتلفتُنا إلى آلية قياس جودته ووثاقته؛ تستيقظُ النماذجُ الشارحةُ الأنظارَ إلى أهدى سبُل تطبيقها، وتنبّه إلى بعض ما خفي من قوانين حاكمة على مسارات التغير بين العربية والساميات. وتقدم الورقة إلى المشتغلين بالتأثيل عمومًا ومعجم الشارقة

Abstract

Arabic lexicography, despite its originality and richness, lacks sufficient etymological dictionaries that would support Arabic historical lexicography in general and Sharjah historical dictionary in particular. While historical dictionaries of many European languages emerged due to their etymological dictionaries, Sharjah Historical Dictionary was destined to lead the way, providing Arabic with the essence of its etymological lexical material, and exploring the relationships between it and the Semitic languages. The research seeks to propose a methodology for Semitic etymology in Sharjah Historical Dictionary, believing in the possibility of revealing important aspects of etymological lexicography, and disclosing its current and anticipated contributions to etymological and historical lexicography. Just as the proposed methodology makes us aware of the etymology and its facts, the repository of its laws, its procedural steps, and the mechanism for measuring its quality, the explanatory models draw attention to the method of applying the methodology, and alert us to some unknown laws that dominate the relationship between Arabic and Semitic languages. The paper presents to those working in etymology in general and the Sharjah Historical Dictionary in particular its proposed methodology and explanatory models according to the following plan:

1. Introduction.
2. Terminological foundation.
3. Etymology between theory and practice.

التاريخيّ خصوصًا أجروميتها المقترحة ونماذجها الشارحة وفق الخطة الآتية:

١. توطئة.

٢. مهاد مصطلحي.

٣. التأثيل بين المدارسة والممارسة.

٤. أجرومية التأثيل السامي المقترحة.

٥. نماذج التأثيل الشارحة.

٦. خاتمة وتحصيل.

الكلمات المفتاحية: (التأثيل السامي – المعجمية التأثيلية – المعجمية التاريخية – مقياس جودة التأثيل – القوانين الصوتية – القوانين الصرفية).

4. Proposed Semitic etymological methodology.

5. Explanatory etymological models.

6. Conclusion.

Keywords: (Semitic etymology - Etymological lexicography - Historical lexicography - Sound laws - Morphological laws)

١. توطئة

تعود جذور البحث الفيلولوجي واللغوي التاريخي إلى فلاسفة الحضارات القديمة الذين ناقشوا بالحدْس والتخمين موضوعات وقضايا ليس إلى حسم علمي فيها من سبيل؛ وما البحث في أصل اللغة والعلاقة بين اللفظ والمعنى في محاورة كراتيلوس من ذلك ببعيد. وظلّ البحث الفيلولوجي التاريخي السابح قُرونًا في فلك تقريرات الهنود وإطلاقات اليونان يسير على غير هدًى؛ حتى استقام المنسِم في خواتيم القرن الثامن عشر بانكشاف حقيقة الصلات الواشجة بين السنسكريتية واللغات الأوروبية، حين أعلن السير «ويليام جونز – William Jones» [ت: ١٧٩٤] أمام مؤتمر للجمعية الآسيوية سنة ١٧٨٦، أن: «اليونانية واللاتينية والقوطية والسِّلْتية، واللغات المنسلخة عنها، تربطها بالسنسكريتية من عُرَى القرابة وأواصر الرَّحِم ما ليس للصدفة فيه احتمال، وإنه لمِن أقرب الظّنّ أنّ هذه اللغات جميعا تنزع إلى أصل واحد قديم لعلّه قد دَثَرَ أثرُه وعفا رسمُه»[١]. وهكذا انفسحَت الآفاق لدرْس اللهجات المحلية «الوضيعة» إلى جانب لغاتها «الرفيعة» وأصولها «النصيعة»، وانمهدَت السُّبُل لفحص تاريخها ومضاهأتها؛ ما كان مؤذِنًا بنشأة راشدة لـ «علم اللسانيات التاريخية – Historical linguistics»، وحاديًا لاستفتاح عصر «اللسانيات المقارنة – Comparative linguistics»، وداعيًا إلى تصنيف اللغات الإنسانية إلى سُلالات وأسرات وشُعَب وفصائل، أُسوةً بالتصنيف البيولوجي لممالك الأحياء[٢].

1- Kirsten Malmkjær (ed.): The Linguistics Encyclopedia, Routledge, Taylor & Francis Group, London and N.Y., 2nd ed., 2002, Entry: «Historical linguistics», pp.218-221.

٢- نشأت علوم "اللسانيات التاريخية" و"اللسانيات المقارنة" و"مبحث التطور اللغوي" صدًى لمقولات علماء "التاريخ الطبيعي" و"البيولوجيا التطورية" في القرن الثامن عشر، ثم ذاع اعتبار "اللغة كائنا حَيًّا" في منتصف القرن التاسع عشر بذيوع نظرية "النشوء والارتقاء" للإنجليزي "تشارلز داروين – Charles Darwin» [ت: ١٨٨٢]؛ حتى نشأ مبحث مستقل يُدعى «اللسانيات التطورية – Evolutionary linguistics» أو «اللسانيات الداروينية – Darwinian linguistics». والحقّ أن اللغة ظاهرة اجتماعية تحكمها قوانين الاجتماع البشري أكثر من كونها ظاهرة بيولوجية محكومة بقوانين =

وإذا كان هذا حال اللسانيات التاريخية والمقارنة، فما بال التأثيل؟ لقد نبتت بذور التأثيل في تربة الفلسفة والفيلولوجيا الهندية واليونانية؛ إذ تحتفظ آثار بانيني [ت: ٤٦٠ق.م] وأفلاطون [ت: ٣٤٠ق.م] وزينون الرواقي [ت: ٢٦٣ق.م] بخَطَرَات فلسفية حول أصول بعض الكلمات وحقيقة معانيها. ولم يفلت التأثيل من سطوة الفلسفة وسلطانها القاهر إلا في القرن السابع الميلادي، حين أخرج الأسقف الإسباني «إيزيدور الإشبيلي - St. Isidore of Sevilla» [ت: ٦٣٦م] عمله الموسوعي الشهير - الموصوف بالأكثر تأثيرا بعد الكتاب المقدس في المجتمع العلمي الغربي المسيحي في الألفية الأولى - «التأثيلات أو عشرون كتابًا في الأصول - Etymologiarum sive originum libri XX» والمعروفة اختصارا بـ «Etymologiae»[1]. ثم ظل التأثيل يراوح مكانه قرونا عديدة، حتى جاز إبان القرون السادس والسابع والثامن عشر غمارا ومهامه، تمخض بعدها عن تأثيلية راشدة؛ فكانت هذه القرون الثلاثة منتقلا من تأثيل وُصِم منذ عهد الهنود واليونان بالانفلات وغلبة المغالطات والمجازفات[2]، إلى تأثيل وُسِم منذ القرن

= علم الأحياء؛ ولكن قد كان مسَّ القومَ طائفٌ من داروين. حول تأثر الفكر اللساني بالنظريات التطورية وشيء من نقدها، راجع:

- Karl C. Diller; Rebecca L. Cann: «Evidence Against a Genetic-Based Revolution in Language 50,000 Years Ago», in: Rudolf Botha; Chris Knight (eds.): The Cradle of Language, Oxford Series in the Evolution of Language, Oxford University Press, Oxford, 1st ed., 2009, pp.135-149.

١- يتألف هذا السِّفْر ذو المجلد الواحد من عشرين مقالة لاتينية في علوم وفنون شتّى، منها الطب والزراعة والأدب والبلاغة. وقد أخلص "الإشبيلي" المقالة العاشرة - التي عنونها بـ"المفردات - De Vocabulis»، ورتب مداخلها التي تقارب الثلاثمئة على حروف المعجم - لتأثيل طائفة من المفردات اللاتينية، كما ضمّن بقية المقالات ملاحظات جيدة وهو يؤثّل عشرات المفردات المتصلة بموضوع كل مقالة. ويقف المقلب في السفر على معرفة صاحبه بالعبرانية والآرامية والعربية. للمزيد راجع:

- The Encyclopædia Britannica: A Dictionary of Arts, Sciences, Literature and General Information, N. Y., 11th ed., 1910, Entry: «Etymology», vol. 9, p.864, etc; S. A. Barney, et al.: The Etymologies of Isidore of Seville, Cambridge University Press, 1st ed., 2006, pp.3-20.

٢- للوقوف على شيء من تاريخ المعجمية التأثيلية في ثلاثة القرون، راجع: المعتز بالله السعيد: "المعجم التأثيلي للغة العربية: المنهج والنموذج"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، حولية ٤٣، رسالة ٥، ٢٠٢٣، صـ١٩-٢١. قدّم هذا البحث الوازن مُقترحًا مُحْكمًا =

التاسع عشر بالانضباط وسطوة الاستدلالات والاستقراءات؛ إذ تفيأتِ المعجميةُ التأثيليةُ ظلالَ علمِ اللسانيات التاريخية والمقارنة[1].

وقد شهد القرنان التاسع عشر والعشرون جهدًا محمودًا من المستشرقين الذين صرفوا أكبر همهم إلى تأثيل نصوصهم المقدّسة العبرانية والآرامية والسريانية بالأساس، ولم تكن إشاراتهم إلى العربية وبعض الساميات أكثر من بهرج وحاشية على متن معظم أعمالهم. وقد أفضت الحالُ بالتأثيل السّاميّ، مُذ حَدّ المستشرقون رسومه ونبهوا إلى بعض قوانينه، إلى نفق لا يكاد يُلتمس له منه مخرجٌ؛ فالعربية التي هي أغزر أفنان الدوحة السامية ثروة لفظية لم تسعد إلى الآن بمعجم تأثيلي واف؛ وعليه فليس يعدو ما نبه إليه المستشرقون من قوانين التعاقب بين الساميات أن يكون جزءًا محدودًا مما يمكن وَسْمُه بـ«المدونة القانونية» الكاملة المفترضة للغات السامية.

وعلى نحافتها الظاهرة عددًا وحجمًا، لم تنظر غالب المصنفات العربية الحديثة التي قصدت العربيةَ بالتأثيل إلا في قليل من متنها وركاز ألفاظها، ثم إن هذا الذي نظرت فيه من ذلك القليل لم تُجاوِز به ما جاء في بعض المنجز التأثيلي الاستشراقي إلا بأقل القليل؛ فكان أكثر عملها قليلا من قليل القليل، ومعارًا أو

= لصناعة معجم تأثيلي للغة العربية، وقد أَصَّل وفصَّل ومثَّل في خطواته الإجرائية وجزئيات مسائله كأوفى ما يكون التأصيل والتفصيل والتمثيل. وراجع أيضا:

- John Considine: «Dictionaries in Early Modern Europe: Lexicography and the Making of Heritage», Cambridge University Press, Cambridge & N.Y., 1st ed., 2008, pp.1, 38-42, 65-70, 111-234; Philip Durkin (ed.): The Oxford Handbook of Lexicography, Oxford University Press, Oxford, 1st ed., 2016, entry: «Historical Dictionaries: History and Development; Current Issues», by John Considine, pp.163-174.

١- للوقوف على جانب مهم من النشاط المعجمي التأثيلي في القرنين التاسع عشر والعشرين، راجع: المعتز بالله السعيد: المعجم التأثيلي للغة العربية، مرجع سابق، صـ٢١-٢٤. وانظر أيضا:

- Sidney I. Landau: «Dictionaries: The Art and Craft of Lexicography», Cambridge University Press, Cambridge & N.Y., 2nd ed., 2001, p.37.

معادًا من قول المستشرقين مكرورًا[١].

وقد فطن إلى «أزمة التأثيل السامي» تلك صاحبُ «معجم الجذور السّاميّة – Dictionnaire des Racines Semitiques» الذي صرّح في صدر تقدمته قائلا: «على الرغم من التقدم الكبير الذي بَلَغَتْه المعجمية السامية؛ إلا أن هذا الذي نقدّم له ليس معجما تأثيليا للغات السامية ولا يطمح أن يكون، كيف ولا نملك إلى الآن دراسات تأثيلية واسعة ووافية لأهم الساميات الغربية الجنوبية؛ لا سيما العربية، التي لا يزال العمل عليها بدائيا؟! فرغم ما تحفل به المعجمات السامية القائمة من إحالات على كثير من مفرداتها، إلا أن الشطر الأعظم من العربية لم يزل مجهولا بالمعنى التأثيلي؛ وحسْبُك به من سبب ليأس هذا المعجم من ملء الفراغ التأثيلي الذي يعانيه الدرس السّاميّ»[٢].

وتسأل الورقة بعدُ: هل في حنادس هذا النفق من فرجة يفلت منها التأثيل من ضيق الحال إلى سعة المآل؛ فتتخذ عيونه الرائقة طريقها سَرَبًا في شرايين الدرس السّاميّ المعاصر، بعد الذي ناله منَّا من البعزقة والتفتيت، والوقوف عند حدود الشاهد والمثال، واجترار أقوال المستشرقين؟ وهل ما زالت الساميات تدّخر من خبيء كنوزها ومكنون ظواهرها للمتأخرين، ما لم تَبُح به وقد عَاصَ على المتقدمين؟ وهل لنا أن نطمح إلى أن ينشط التأثيل السامي في معجم الشارقة التاريخي من عقال قبْس الخالفين عن السالفين؛ ليفتح على المصاريع آفاقَ الدرس التأثيلي العربي خاصة والسامي عامة؟

١- دأبت أكثر المصنفات التأثيلية العربية الحديثة على جمع جهود المستشرقين لا غير؛ وعلى ما بُذل من جهود، لا تكاد تلمح فيها أثارةً من جهد خاصّ خالص للجامع العربي. دونك مثلا: "معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية"، و"معجم المفردات الآرامية القديمة دراسة مقارنة".

2- David Cohen: «Dictionnaire des Racines Semitiques ou attestees dans les langues semitiques», Comprenant Un Ficher Comparatif De Jean Cantineau, Mouton, Paris, 1er éd., 1970: 2012, Fascicule 1, p. VII.

٢. مهاد مصطلحي:

٢. ١ التأثيل – Etymology:

تعود الكلمة الإنجليزية «etymology» إلى الفرنسية القديمة ثم اللاتينية «ethimologie» التي أخذتها عن اليونانية «etumologia»، المشتقة فيها من «etumologos – الباحث في المعنى والمبنى الأصلي»، المنتزعة بدورها من «etumon – المعنى أو المبنى الأصلي»، المأخوذة هي الأخرى من «etumos – أَصْل، أَرُومَة، مَحْتِد»[٣]. بينما تعود الكلمة العربية «تَأْثِيل» إلى الفعل الثلاثي المضعف «أَثَّلَ»، المشتق من الجذر «أ / ث / ل»؛ الذي يُحيل أنَّى ورد في المعجمات العربية على معانٍ مِلاكُها «الأَصَالَة والثَّبَات والقِدَم»[٤].

أما المفهوم الاصطلاحي فوشيج الصلة بالمعنى اللغوي؛ حيث يُعرَّف «التأثيل – Etymology» في مفهومه الضّيِّق بأنه «العلم المعنيُّ بالبحث في أصول الكلمات»[٥]، بينما يُعرَّف في مفهومه الواسع بأنه «العلْم المعنيُّ بالبحث في أصول الكلمات، والتحقيق في تاريخ ظهورها وأطوار مبانيها ومعانيها في أرومتها وغير أرومتها؛ رَغبًا في استحياء غابر أحوالها وابتناء دابر أشكالها

3- Angus Stevenson: Oxford Dictionary of English, oxford university press, oxford N. Y., 3rd ed., 2010, entry «etymology», p.602.

٤- أحمد بن فارس القزويني الرازي: مقاييس اللغة، تح: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، ١٩٧٢، مادة (أثل): جزء١، صـ٥٨-٦٠؛ أبو الفيض مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، سلسلة التراث العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٩٦٥: ٢٠٠٤، مادة "أ/ ث/ ل": جزء٢٧، صـ٤٢٨-٤٣٤. أما ترجمة المصطلح «Etymology» بـ«التأثيل»، فمن أبكار أفكار الدبلوماسي والمثقف العراقي الأستاذ «عبدالحق فاضل» [ت: ١٩٩٢]، إذ أورده أول مرة في عنوان مقالته «لمحات من التأثيل اللغوي»، ثم قال في حواشي المقالة: «استعملنا كلمة (الأثل) أحيانا بمعنى (الأصل) كما لحظ القارئ، ونقترح استعمال (الأثل / والتأثيل / والأثلي)، وغيرها من الاشتقاقات مقابل (etymologic) أما (الأصل) فتبقى على معناها العامّ». انظر: عبدالحق فاضل: لمحات من التأثيل اللغوي، مجلة اللسان العربي، المكتب الدائم لتنسيق التعريب، جامعة الدول العربية، الرباط، ١٩٦٦، عدد٤، صـ١٥، هامش٢.

5- Philip Durkin (ed.): The Oxford Handbook of Lexicography, Op. Cit., entry: «Etymological Dictionaries», by Éva Buchi, p.344.

«Reconstruction»، مستبطنًا سُبُل الدرس التاريخي ومناهجه، ومستصحبًا أُطُر الدرس المقارن ونتائجه»[١].

٢ . ٢ اللغات السّاميّة – Semitic Languages:

ذاع مصطلح «اللغات السّاميّة» سنة ١٧٨١ على لسان المستشرق الألماني «أوجست لودفيج شلوتزر – August Ludwig Schlözer» [ت: ١٨٠٩] عَلَمًا على مجموعة لغات منها العبرانية والأكادية والعربية والآرامية، والتي نطقت بها منذ القدم الغابر ذراريّ «سام بن نوح ÷» المذكور بعضهم في الإصحاح العاشر من سِفْر التكوين. وإذ يقوم تصنيف الأمم في جدول الأنساب بالسِّفْر على أهواء سياسية ولا ينهض على أسس أعراقيّة، بَلْهَ أن تكون لسانيّة؛ فقد أدخل كاتب السِّفْر في «السّاميّين» مَن ليسوا منهم، واستبعد بعض مَن هم مِن صليبتهم. يبدو كذلك أن الكاتب كان – فوق جهالته بالصلات اللسانية – على جهالة بالصلات الأعراقية بين شعوب جنوب جزيرة العرب والحبشة وبين مَن جعلهم مِن ذرية سام[٢].

1- Ibid, p.344; Hadumod Bussmann: Routledge Dictionary of Language and Linguistics, translated and edited by G. Trauth and K. Kazzazi, Routledge, Taylor & Francis Group, London and N.Y., 1st ed., 1998, entry: «etymology»: p.385; R.R.K. Hartmann, Gregory James: Dictionary of Lexicography, Routledge, London and New York, Taylor & Francis e-Library, 2002, entry: «etymology»: p.52; Keith Brown (ed.): Encyclopedia of Language and Linguistics, Elsevier Ltd, Amsterdam, 2nd ed., 2006, entry: «etymology», by Philip Durkin: Vol.5, p.261.

٢- للمزيد حول تاريخ مصطلح «السّاميّة» ومفهومه وأبعاده وماصدقه، وكذا نقده، راجع هذه الأدبيات الوازنة: توفيق سليمان: نقد النظرية السامية: جزء١ أسطورة النظرية السامية، دار دمشق للطباعة والصحافة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨١.

- The Encyclopædia Britannica, Op. Cit., entry: «Semitic Languages» by: Theodor Nöldeke, vol.24, p.617, etc.; Martin F.J. Baasten: «A Note on the History of 'Semitic'», in Martin F.J. Baasten and W. Th. Van Peursen, eds.: «Hamlet on a Hill: Semitic and Greek Studies», Peeters En Departement Oosterse Studies, Leuven, Paris, Dudley, MA, 2003, pp.57-71.

- ورغم ما فُوِّقَ إليه من سهام النقد بسبب قلاقته واضطرابه وسوء منقلبه، ورغم ما طرح من مصطلحات بديلة لا تحيط بها في الحال حَيْطَةُ المقال؛ لم تَعْدل الورقة عن مصطلح «اللغات السامية» إلى غيره؛ وذلك لشيوعه وعموم البلوى به، وعموم البلوى مُعتبر عند الأصوليين والفقهاء.

٢ . ٣ المعجم التاريخي – Historical Dictionary:

يُعرَّف المعجم التاريخي بأنه «معجم لغوي عامّ وصفيّ لا معياريّ، من نمط معجمات الألفاظ، يتغيَّى الحصر الكامل لمفردات اللغة بمراحلها وسِجلاتها ومستويات استعمالها كافّة «Register» عبر الزمن، راصدًا تطوُّر مبانيها وتغيُّر معانيها وتعدُّد وظائفها، ومستدعيًا لها أقدم الشواهد التاريخية الأمينة، ومُؤثِّلا إيّاها من اللغات القريبة والبعيدة. المعجم التاريخي إذن يقدم لكل مفردة من مفردات اللغة – الأصيلة والمولّدة والدخيلة والمعرّبة والفصيحة والعامّيّة – سِيرة وافية وترجمة ضافية»[1].

٣. التأثيل بين «المدارسة – Theory» و«الممارسة – Practice»:

لا يمكن الوصول إلى أجرومية للصناعة التأثيلية عموما والسامية خصوصا إلا بإعمال منظومة من المقولات التي من شأنها أن تَقفَنَا من التأثيل على كُنهه ودقائق حقائقه.

٣. ١ التأثيل بين الصنعة «المقاصدِيّة – Teleology» والصنعة «الوسائلِيّة – Instrumentality»:

ليس للورقة أن تتناول التأثيل بما هو أداة ووسيلة في المعجم التاريخي كمقتضى منطوق عنوانها، دون الحديث عنه بما هو مقصد وغاية لمعجماتٍ قائمة برأسها.

٣. ١. ١ التأثيل والصنعة المقاصدية:

كما تأثّر الدرسُ التاريخي المقارن بـ «البيولوجيا – Biology» فصار يَنسِب اللغات إلى سُلالات وأسرات؛ تأثّر الدرس التأثيلي بـ «الجينيالوجيا –

1- Hartmann, James: Dictionary of Lexicography, Op. Cit, entry: «Historical Dictionary»: p.68.

Genealogy» فصار التأثيل يُعرَف بأنه «علم أنساب الكلمات»[١]؛ أي العلم الذي يكون فيه المؤثل نسَّابةً يحقق أنساب الكلمات وأمشاجها إلى آبائها الأقربين، ويدقّق صلاتها وأوشاجها بأجدادها الأبعدين، ويرُدّ كل خلف إلى سلفه، ويشُدّ كل فرع إلى أصله، ويحِقُّ حقيق أواصرها ويبطل باطل أواطرها، حتى تأخذ الكلمة حاقّ رتبتها من أصلها المعجمي، وتأخذ الأصول حاقّ طبقتها من شجرة أنساب لغتها وأرومتها إن كانت أصيلة، وغير أرومتها إن كانت دخيلة.

وإذا كان التأثيل كما وُصِف، فلنا أن نتحدث عنه بحسبانه صنعة غائيَّة مقاصديَّة، كما في صناعة المعجمات التأثيلية المختصّة؛ بما يعني إفراغ الوُسع في تعقُّبَ أصول اللغة ووحداتها المعجمية أجْمَع، حتى ترتسم خارطة علاقات الكلمات المنشعبة عن أغصانها القريبة والبعيدة، ثم تلتئم الأغصان معا حتى تنتصب شجرة أنساب اللغة بجذعها وأغصانها وأوراقها ظليلة باسقة. وإذا كان التأثيل صنعة غائيَّة مقاصديَّة، فيمكن إذن لأجرومية التأثيل المقاصدية أن تأخذ الإجراءات الآتية: [شكل ١]

منهجيَّة بناء مُعجمٍ تأثيليٍّ للُّغة العربيَّة

1- تحرير المباني [المداخل والوحدات]
2- تحرير المعاني المُعجميَّة
3- تحرير المعاني الوظيفيَّة
4- تحرير المعلومات التَّأثيليَّة
4-2- تحرير المعلومات التَّأثيليَّة الزَّمانيَّة (التَّأثيل الزَّمانيّ)
4-3- تحرير المعلومات التَّأثيليَّة المكانيَّة (التَّأثيل المكانيّ)
5- تحقيق موثوقيَّة التَّأثيل
6- تحرير معلومات الهجاء والنُّطق
6-1- المعلومات الهجائيَّة
6-2- المعلومات الصَّوتيَّة
7- تحرير الشَّواهد المُعجميَّة

الخطوات الإجرائية لبناء معجم تأثيلي[٢]

شكل (١)

1- Jules Marouzeau: «Lexique de la terminologie linguistique: Français, Allemand, Anglais, Italien», P. Geuthner , Paris, 3ème éd., 1961, p.90.

٢- المعتز بالله السعيد: المعجم التأثيلي للغة العربية، مرجع سابق، صـ٥٢-٧٦.

٣. ١. ٢ التأثيل والصنعة الوسائلية:

قد رأينا ما يمكن أن تكون عليه أجرومية التأثيل في الصنعة الغائيّة المقاصديّة، أما أجرومية التأثيل في الصنعة الأداتيّة الوسائليّة فتتغير خطتها بحسَب نوع المعجم الذي يتخذ التأثيل آلَةً وسيلةً؛ من حيث عمومه أو خصوصه، وعدد لغاته، وحجم مادته، وحقبته الزمنية، وفئات مستعمليه، إلى آخر ما تتشقّق إليه أنواع المعاجم وتتفتّق[١]. وفي كل الأحول تكتفي الصنعة الوسائلية بتأثيل الأصول المعجمية فقط؛ أي تأثيل الجذور دون جمهرة الوحدات المنسلخة عنها؛ بما يعني تأثيل كلمة واحدة حاملة لجرثومة كل دلالة محورية من دلالات الجذر، وهنا تنتصب شجرة النسب بجذعها وأغصانها عارية من أكثر أوراقها.

وإذ تتغيَّى الورقة الحديث عن التأثيل بما هو أداة ووسيلة في المعجم التاريخي؛ فيحسن بها الوقوف هُنَيْهة تتبين ما بين المعجميتين التأثيلية والتاريخية من الاتفاق والافتراق.

٣. ١. ٢. ١ بين صنعة التأثيل وصنعة التأريخ:

لا ريب أن صنعة التأثيل المقاصدية المنتجة لمعجمات تأثيلية، وصنعة التأريخ المقاصدية المفضية إلى معجمات تاريخية، تفترقان بالضرورة في بعض المناهج والأدوات [شكل (٢)]، ولكن حسبك اتفاقهما في المبادي والغايات؛ فمعلوم عند أهل الصناعة المعجمية «أن المعجميتين التأثيلية والتاريخية قُدَّتَا من أديم اللسانيات المقارنة والتاريخية، وشُقَّتا من نبعة «المعجمية التعاقُبية – Diachronic Lexicography»؛ تلك التي تُعنى بتقصّي أطوار كلمات اللغة مبنًى ومعنًى، والتنقيب عن أصولها عبر تاريخها الطويل»[٢]. وعليه يمكن القول في غير قلاقة

١- في أنواع المعاجم، راجع: أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩، صـ٣٥-٦٢.

2- Sidney I. Landau: Dictionaries, Op. Cit, p.27; Hartmann, James: Dictionary of Lexicography, Op. Cit, entry: «Historical Dictionary»: p.68.

«إن العلاقة بين صنعة التأثيل وصنعة التأريخ علاقة تكافُل وتكامُل؛ بحيث لا نُدحة للصناعة التأثيلية أن تولي ظهرها للصناعة التاريخية، ولا فسحة للصناعة التاريخية أن تطوي كشحها عن الصناعة التأثيلية»[١].

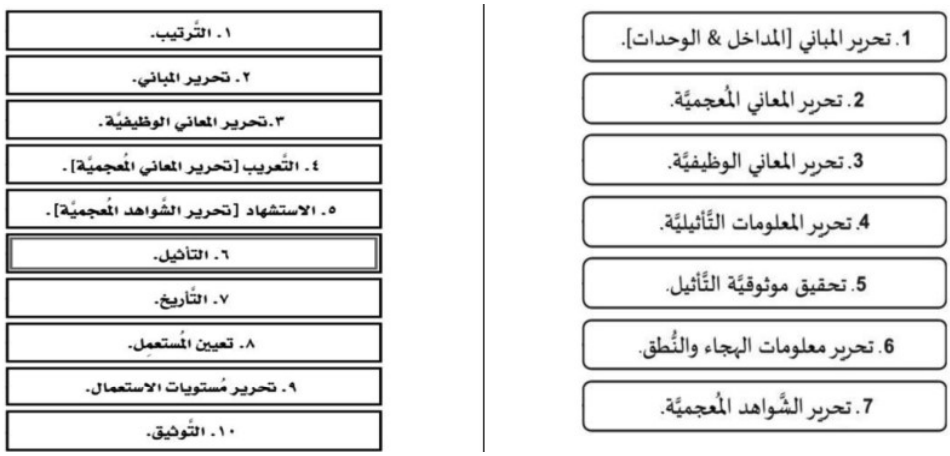

مخطط لمنهجية مقترحة لصناعة معجم تأثيلي[٢]
مخطط لمنهجية مقترحة لصناعة معجم تاريخي[٣]

شكل (٢)

٣. ١. ٢. ٢ التأثيل وسيلةً لصنعة التأريخ:

إن نظرة عجلى في تاريخ المعجمية التاريخية تُجزِئُ الناظر ليعلم أنها نشأت في أكناف المعجمية التأثيلية ونهضت على أكتافها؛ وعَسِيٌّ به أن يعلم أنه يصح في كثير من المعجمات التأثيلية القديمة أن تُحتَسب تجارب أولية للمعجمات التاريخية؛ بل إن عددا من المعاجم الأوروبية كانت تجمع في عنواناتها بين الوصفيْن «التاريخي»

1- Philip Durkin: «Etymology and the OED: The uses of etymology in a historical dictionary», in: Hans Sauer, Gaby Waxenberger (ed.): «English Historical Linguistics 2008», John Benjamins Publishing, Philadelphia, 2012, p.3.

٢- المعتز بالله السعيد: المعجم التأثيلي للغة العربية، مرجع سابق، صـ٥٣.

٣- ----------: الأسس المنهجية لتحرير المعجم التاريخي للغة العربية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، حولية ٤٢، رسالة ٥٩٠، ٢٠٢٢، صـ٣٢.

و«التأثيلي»؛ منها ذاك الصادر سنة ١٩٦٤ بعنوان «معجم تأثيلي وتاريخي جديد Nouveau Dictionnaire Étymologique Et Historique -»، والذي تطور سنة ٢٠٠٥ إلى «معجم تأثيلي وتاريخي للفرنسية - Dictionnaire Étymologique Et Historique Du Français»[١]. ولم يُفلت «المعجمُ اللغوي التاريخي العربي» الذي وضعه المستشرق الألماني «أوجست فيشر - August Fischer» [ت: ١٩٤٩] والصادر عن مجمع القاهرة سنة ١٩٦٧، من سطوة الجمع بين «التاريخي» و«التأثيلي» في عنوانه الإنجليزي الذي جاء كالتالي: «Etymological Historical Arabic Lexicon»[٢].

وهكذا يمكن القول إن التأثيل اللغوي من المعجم التاريخي ضربة لازب؛ إذ لا يسع معجما تاريخيا حقيقا بهذه الصفة أن يضرب عن التأثيل صفحا[٣]؛ بيد أن من لزوم ما لا يلزم إفراغ المعجم التأثيلي في المعجم التاريخي؛ بحيث يُجعَل المعجم التاريخي شاملا كل المعلومات المفترضة في معجم تأثيلي مختص؛ بما يعني طمس الحدود الفاصلة بين المعجميْن التأثيلي والتاريخي، فعَسِيٌّ بالوسيلة إذن أن تؤدي في حرص حريص دورها المنوط بها في غير إسهاب مملّ ولا اقتضاب مخلّ.

١- للوقوف على تداخل التأثيل بالتأريخ في التجربة المعجمية الفرنسية، راجع: عبدالعلي الودغيري: «القاموسية العربية الحديثة بين تنمية الفصحى وتحديث القاموس والتأريخ للمعجم»، سلسلة دراسات معجمية ولسانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة / بيروت، ط١، ٢٠١٩، صـ٤٧٥-٤٩٦.

٢- أ. فيشر: "المعجم اللغوي التاريخي: من أول حرف الهمزة إلى أبد"، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٧، صفحة العنوان الخلفية.

٣- من الأدبيات التي استقْرَت التجارب المعجمية التاريخية العالمية، وخلصت إلى حتمية الأداة التأثيلية في المعجم التاريخي، وكونها جزءًا من منهجيته الشاملة: محمد حسن عبدالعزيز: «المعجم التاريخي للغة العربية: وثائق ونماذج»، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨، صـ١٢٠، ١٤٥، ١٤٦، ١٧٨، ٢١٣، ٢٣٩؛ عبدالعلي الودغيري: نحو خطة لإنجاز القاموس العربي التاريخي في ضوء التجربة الفرنسية، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، عدد٧٤، ٢٠١٤، صـ٢٥-٣٢؛ المعتز بالله السعيد: الأسس المنهجية لتحرير المعجم التاريخي للغة العربية، مرجع سابق، صـ٣٢، ٥٩، ٦٠.

- Sidney I. Landau: Dictionaries, Op. Cit., p.130; Philip Durkin: Etymology and the OED, Op. Cit., pp.3, 4.

٣. ٢ التأثيل بين «الصنعة التعاقُبية – Diachrony» و«الصنعة التحاقُبية – Synchrony»:

طرح رائد اللسانيات الحديثة السويسري «فرديناند دي سوسور – Ferdinand de Saussure» [ت: ١٩١٣] عددا من الثنائيات والأزواج الشهيرة التي كانت نافذته إلى معالجة الظاهرة اللغوية والتواصلية، كان أوسعها ذكرًا وأوقعها أثرًا في اللسانيات والنقد الأدبي جميعا ثنائية المنهج «التّعاقُبي – Diachronic» الذي يدرس الظاهرة اللغوية في أحقابها المتعاقبة درسًا رأسيًّا تطوريًّا ديناميكيًّا، والمنهج «التّحاقُبي – Synchronic»، الذي يُعطّل التعاقُب ليدرس الظاهرة في حقبة زمنية بعينها درسًا أفقيًّا سكونيًّا استاتيكيًّا[١].

وقد رأينا فيما رأينا قَبْلُ أن التأثيل يعني «تحديد أصول الكلمات» في مفهومه الضيق، بينما يعني «تحقيق أصول الكلمات وأنسابها، وفحص تاريخها، واستحياء غابر أحوالها وابتناء دابر أشكالها» في مفهومه الواسع ؛ فهل يكون التأثيل إذن فعلا «تعاقُبيا – Diachronic» أم «تحاقُبيا – Synchronic»؟

إذا رُمنا لهذا السؤال جوابا متعجّلا، يمكن أن نستدعي ما مر بنا من أنّ المعجمية التأثيلية فرع من «المعجمية التعاقُبية – Diachronic Lexicography»؛ ويمكن

١- تلقى اللسانيون والنقاد العرب ثنائية (Diachronic X Synchronic) بعدد كبير من الترجمات التي يكشف كل واحد منها جانبا مهما من معناها؛ ولذلك لم يُكتب لأيها الغلبة المطلقة. من أشهر تلك الترجمات (Diachronic: دياكروني، تاريخي، زماني، متعاقب، تعاقبي، رأسي، طولي، تطوري، متحرك)، و(Synchronic: سينكروني، وصفي، آني، متزامن، تزامني، أفقي، عرضي، ساكن). وقد اقترحَت الورقة لـ «Synchronic» مقابلا جديدا هو «تحاقُبي»، لدلالته على مفهومه ابتداءً، ثم لما فيه من المَشاكلة الصوتية [التي هي من وسائل التسيير اللازمة لأزواج المصطلحات] مع قسيمه «تعاقُبي – Diachronic» المقترح من قبل؛ بما يؤهل هذا الثنائي (Diachronic تعاقُبي X Synchronic تحاقُبي) للذيوع والانتشار. وإني لأدعو القارئ الكريم إلى استبطان جميع المقابلات الترجمية السابقة للمصطلحين الأجنبيين. للوقوف على ثنائيات «دي سوسور» ومفاهيمها، راجع : فرديناند دي سوسور: علم اللغة العام، ترجـ: يوئيل يوسف عزيز، آفاق عربية، بغداد، ط١، ١٩٨٥؛ مختار زواوي: «مسائل في اللسانيات وعلم العلامات: قراءة في نصوص فرديناند دو سوسور»، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة / بيروت، ط١، ٢٠٢٢، صـ٧٠-٧٦.

آنئذ أن نقول إن «التأثيل عمل تعاقبي بطبيعته، يتغيَّى تتبع الكلمة في أحقابها المتعاقبة»[1].

ولكن ألا يجوز للتأثيل أن يكون عملا تحاقبيا؟ ولو جاز، فمتى تُراه يمكن؟ ولو أمكن، فكيف عساه يكون؟ ولو كان، فمتى وكيف يكون التأثيل تعاقبيا؟

إذا طلبنا لهذه الأسئلة الملتبكة جوابا متمهّلا، نقول إنها مرهونة بأمرين متداخلين؛ هما وظيفة التأثيل في المعجم، وطبيعة الأسرة اللغوية التي يجري التأثيل فيها.

تقصد الورقة بوظيفة التأثيل في المعجم تعيين ما إذا كان التأثيل غائيا مقاصديا أم أداتيا وسائليا؛ بما من شأنه توجيه مسار العمل التأثيلي في المعجم. فإذا كان المعجم تأثيليًّا مختصًّا كان التأثيل مقاصديًّا؛ ووجب آنئذ استصحاب التعريف الواسع للتأثيل ببعده التاريخي، واستبطان جزئياته بحسب خطة المعجم وحجمه، ولزم أن يكون التأثيل تعاقبيا. أما إذا كان المعجم غير تأثيلي كان التأثيل وسائليًّا؛ ووجب حينئذ التخفف من تبعات التعريف الواسع وأبعاده التاريخية شيئا فشيئا، إلى حدّ اطّراحه جُملةً وتبني التعريف الضيّق، كُلٌّ بحسَب نوع المعجم وخطته، وساغ آنئذ للتأثيل أن يكون تحاقبيا[2].

أما طبيعة الأسرة اللغوية التي يجري فيها التأثيل، فأعني بها مدى طواعية الأسرة اللغوية التي تنتمي إليها اللغة مشغلة التأثيل واستجابتها للعمل التعاقبي أو التحاقبي؛ فلو أخذنا أسرة اللغات الهندوأوروبية مثلا لوجدناها تتفرع إلى

1- Claire Bowern, Bethwyn Evans (ed.): The Routledge Handbook of Historical Linguistics, Routledge Handbooks in Linguistics series, Routledge Taylor & Francis Group, London and New York, 1st ed., 2015, entry: «Etymology» by: Robert Mailhammer, pp.423, 424.

٢- ربط كل من «Mailhammer» و«Buchi» بين التعريف الواسع للتأثيل وطبيعته التعاقبية التاريخية، وكذا بين التعريف الضيق للتأثيل وطبيعته التحاقبية الآنية، انظر:

- Robert Mailhammer: «Etymology», pp.424, 425. Éva Buchi: «Etymological Dictionaries», Op. Cit., pp.344, 345.

عشرات الفصائل والشعب التي تفرعت عنها مئات اللغات واللهجات التي أَنْسَلَ بعضُها بعضًا، بحيث «يربو عدد لغاتها الحية فقط على ٤٠٠، وعن لغاتها البائدة لا تسل؛ فهي أربى من هذا بكثير!»[١]. ومن ثم فإن التشعب الهائل بين هذه اللغات حيّها وميّتها، وتباعد فروعها من أصولها؛ يتيح التأثيل التعاقبي بكفاءة بالغة. أما أسرة اللغات السامية فلا تكاد تبلغ لغاتها الكبرى عشرًا، تفرعت عنها نحو ثلاثين لهجة مائزة، أغلبها بائد منقرض. الأهم من ذلك أن هذه اللغات الكبرى هي من بعضها بمنزلة الأخوات رأسا برأس؛ بمعنى أنها نشأت على التعاصُر تقريبا، وما من سند علمي يجعل إحداها متوالدة عن الأخرى. كما أنه من غير النَّصَفَة تحديد أعمار الساميات، أو القول بقدم مادة لغوية في إحداها وحداثتها في أخرى، اعتمادًا على تاريخ نصوصها ونقوشها كدليل أوحد؛ «ذلك أن لغةً كالعربية المقطوع بقدَمها، لم تسعد - لظروف تاريخية وجغرافية واجتماعية وسياسية - بنظام كتابي مُبَكِّر تسجّل به وقائع أيامها في برديات ونقوش ونصوص، كما سعدت الأكادية والأوجاريتية والآرامية والعبرانية وغيرها»[٢]. وهنا منشأ فكرة «المشترك السامي - Common-Semitic Words» التي طرحها المستشرق الألماني الشهير «جوتهلف برجشتريسر - Gotthelf Bergsträßer» [ت: ١٩٣٣]، قاصدًا بها الجذور والكلمات المشتركة بين الساميات كُلِّها أو جُلِّها، والتي لا يمكن عزوها إلى لغة دون غيرها. وقد مثّل «برجشتريسر» لفكرته بعدد من الكلمات المشتركة بين لغات خمس، هي الأكادية والعبرانية والآرامية والجعزية والعربية، قائلا إنها - لتباعدها الجغرافي، وتوزعها على امتداد أراضي الساميين، وتبعية كل منها لشعبة مستقلة من شعب الساميات - تمثل اللغات السامية تمثيلا حقًّا[٣].

1- Mate Kapović: The Indo-European Languages, Routledge, Taylor & Francis Group, London and N. Y., 2nd ed., 2017, p.1.

2- Kees Versteegh (ed.): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics, Koninklijke Brill NV, Leiden, The Netherlands, 1st ed., 2006, entry: «Semitic Languages» by: Rainer Voigt, Vol. 4, p.170.

3- Gotthelf Bergsträßer: «Introduction to the Semitic languages: text specimens and grammatical sketches», Trans. Into English: Peter T. Daniels, Eisenbrauns, Winona Lake, Indiana, 1st ed., 1983, p.209.

وقد فطن البحّاثةُ العراقي «أنستاس الكِرْمِلي» [ت: ١٩٤٧] إلى ما نوّه به «برجشتريسر» حين قال: «إن اللغات السامية كلها تتشابه بعضها مع بعض، ولا تكون الكلمة العربيَّة من العبرية أو من الإرمية إلا إذا كانت تلك الكلمة خاصة بشئون بني إرم أو بني إسرائيل، أما الألفاظ العامَّة المشتركة بين الساميين جميعًا فليس ثَمَّ فضل لغةٍ على لغةٍ، ولا أسبقية وضْعٍ لهذا القوم دون القوم الآخر»[١].

وهذا بعيْنِه هو ما تنبّه إليه العلامة اللبناني «عبد الله العلايلي» [ت: ١٩٩٦]؛ إذ قال: «وفي هذا المسعى التأريخي للجذر اللغوي، جنّبتُ نفسي الوقوع فيما يقع فيه بعض الباحثين، ويعتدُّونه اعتدادًا صارمًا، وهو اتّخاذ (هوس المقارنة) بين اللغات السّاميّة سبيلا إلى معرفة الكلمة في أيٍّ منها جاءت أصلًا... لأنني بعد التفحّص وجدته سبيلًا واهنة، ثم لا يؤدّي إلا إلى نتائج مضحكة مثل نتائج من يبحث عن الأصل بين الإخوة بمقارنتهم، على الثقة بأن الأصل قدر شائع فيهم. نعم أنا أقرّ بأن لهذه المقارنة فائدة في نطاق معرفة: أية هذه اللغات هي الأقرب ملامح من (السّاميّة الأمّ)، أما في نطاق أن الكلمة في ساميّة هي أصل للكلمة في ساميّة أخرى، فجهد ضائع، وإلا فما أدرانا أنْ لا تكون هذه الكلمة المقارنة وتلك، من بقايا الساميّة الأمّ. على أن لهذه المقارنة عندي عملا آخر، وهو إثبات أن الكلمة أصيلة السّاميّة، كما أنها ترينا ارتسامات تطورها الفكري والعرفي، والمجرى الذي اتخذته الكلمة لسيرها عند هذا الفريق السّاميّ أو ذاك، تبعًا لاختلاف أسلوب الإدارك»[٢].

- للوقوف على أشهر تصنيفات السّاميّات وموقع العربية منها، راجع: رمزي منير بعلبكي: التأثيل المعجمي وموقع العربية بين الساميات، مجلة المعجمية، جمعية المعجمية العربية، تونس، عدد٢٣، ٢٠٠٧، صـ١٩-٤٠.

١- أنستاس ماري الكرملي: نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، المطبعة العصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٣٨، صـ٦٧.

٢- عبدالله العلايلي: "المعجم: موسوعة لغوية علمية فنية"، دار المعجم العربي، بيروت، ط٢، القسم الأول، المجلد الأول، ١٩٥٤، صـ٩.

من هنا نخلص إلى أن أغلب اللغات السامية تستجيب بالدرجة الأولى للتأثيل التحاقبي الذي يعالج الساميات معالجة الشقيقات، فيفحصها في قطاع عرضي أفقي لا طولي رأسي. وهذا ما نهجته وصرّحت به بعض المعجمات التأثيلية السامية؛ إذ جاء في خاتمة «بنديكت هرمان - Benedikt Hartmann» أحد محرري «المعجم العبراني الآرامي للعهد القديم - Hebräisches und Aramäisches Lexikon Zum Alten Testament (HAL)» ما نَصُّهُ: «يشتمل كل مدخل في هذا المعجم على أربعة أصناف رئيسة من المعلومات المعجمية، تتقدمها معلومات التأثيل السامية المتاحة إلى الآن بين (اللغات الشقيقات - Verwandten Sprachen - Cognate Languages)، والتي أمكن جمعها من الجهود القيمة السالفة»[1]. بل إن بعض المعجمات الهندوأوروبية قد لجأت إلى التأثيل التحاقُبي متى انقطعت بها السبل إلى التأثيل التعاقُبي؛ فقد جاء في مقدمة «معجم اللغة الإنجليزية - Dictionary of the English Language» ما ترجمته: «يمكن ردّ معظم كلمات اللغة الإنجليزية بسهولة إلى اللغات التيوتونية أو القوطية، وخاصة الأنجلوسكسونية؛ أو إلى اللغات اليونانية واللاتينية... وبخلاف ما يمكن عدُّها أصولًا لاتينية مؤكدة للكلمات الإنجليزية، قمت - متى تعذّر الوقوف على الأصل - بإدراج عدد من (النظائر - Parallel Words) من (اللغات الأخوات - Sister Languages) ذات الأصل اللاتيني»[2].

ومع ذلك فإن اللغات السامية تستجيب بقدر ما إلى التأثيل التعاقبي فيما كان من بابة الكلمات التي اختصت بها لغة دون الأخريات؛ لخُصُوصَات لغوية أو دينية

1- Ludwig Koehler, Walter Baumgartner: Hebräisches Und Aramäisches Lexikon Zum Alten Testament (HAL), 3. Aufl., neu bearbeitet von Walter Baumgartner, Johann Jakob Stamm und Benedikt Hartmann, 3. Aufl., 1967: 1996, Supplementband, 1996, Vorwort, p. VII.

2- Joseph E. Worcester: Dictionary of the English Language, Salzwasser-Verlag, Paderborn, 1st ed., 2022, Reprint of the original, first published in 1860, Part I, p. IV.

أو بيئية أو حضارية أو جغرافية أو غيرها. كما تستجيب للتأثيل التعاقبي، باستثمار مخرجات التأثيل التحاقبي في ترجيح أصالة صورة أو دلالة ما، وتوظيف حاصل هذه المخرجات في استحياء مبانٍ ومَعَانٍ بائدة من السامية الأمّ المنقَرِضة المفتَرَضة وإعادة بنائها «Reconstruction»، مما هو من منشود التأثيل التعاقبي وأخص خصائصه. ومن نافل القول إن الكلمات الدخيلة في الساميات من غيرها تسمح، بل تفرض، أن يكون التأثيل تعاقبيًّا.

نخبة القول إذن إنه إذا كان التأثيل غائيا مقاصديًّا، وكانت لغات الأسرة اللغوية التي تنتمي إليها اللغة مشغلة التأثيل قد تناسل بعضها من بعض على التتابع والتوالي؛ كان التأثيل حينئذ تعاقبيا «Diachronic Etymology». أما إذا كان التأثيل أداتيًا وسائليًا، وكانت لغات الأسرة اللغوية التي تنتمي إليها اللغة مشغلة التأثيل بمنزلة الشقيقات التي انحدرت كلها أو جلها من أمّها المفترضة على التعاصر والتوازي، كان التأثيل آنئذ تحاقبيًا «Synchronic Etymology».

٣. ٣ التأثيل بين الصنعة الداخلية «Internality» والصنعة الخارجية «Externality»[1]:

٣. ٣. ١ «التأثيل الداخلي – Internal Etymology»:

ويُقصَد به تتبع مسارات الوحدات المعجمية من داخل اللغة نفسها؛ فلو طبقنا ذلك على اللغة العربية لقلنا إن تأثيلها داخليا يعني تتبع مسارات كلماتها (الأصيلة والمولّدة والدخيلة والمعربة) داخل مستوياتها الفصيحة ولهجاتها المأثورة وعامياتها

١- تتناول الورقة التأثيل الداخلي والخارجي من منظور أوسع مما سبق إليه كل من:

- Robert Mailhammer: Etymology, Op. Cit., pp.423-434.

- وعبدالعلي الودغيري: علاقة التأثيل بالتأريخ المعجمي، ضمن: حسن حمزة (محرر): «المعاجم التاريخية: مقارنات ومقاربات»، سلسلة دراسات معجمية ولسانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة / بيروت، ط١، ٢٠٢٣، صـ١٩١-٢٠٠.

المعاصرة، بتحرير مباني ومعاني الأصول (Roots) والفروع (Derivations) والوقوف على أوجه تطورها، ورسم شبكة علاقاتها بإخوانها وأخدانها في بابي الاشتقاق الكبير والأكبر (Cognates)، ودعم ذلك كله بأقدم الأدلة والشواهد وأوثقها.

٣. ٣. ٢ «التأثيل الخارجي – External Etymology»:

وهو «التأثيل بالمعنى الدقيق – Proper Etymology»؛ بحيث ينصرف إليه الذهن عند الإطلاق، ويُقصَد به تتبع مسارات الوحدات المعجمية ورصد تاريخها من خارج اللغة مشغلة التأثيل. ولو مثّلنا التأثيل الخارجي على لغتنا العربية فسينقسم إلى مستويات ثلاثة – يُراعى تطبيقها جميعا في إطار الصنعة الغائية المقاصدية، وتطبيق بعضها في سياق الصنعة الآلية الوسائلية – كالتالي:

٣. ٣. ٢. ١ التأثيل الخارجي الأقرب (التأثيل النُّقُوشِيّ):

ويُقصد به تأثيل الوحدات المعجمية العربية من النقوش العربية العتيقة والقديمة، بحسبانها أقرب رُحْمًا إليها من غيرها، وبما هي مصدرٌ جليلُ القدرِ من مصادرها، وشاهدٌ صادقُ القول على قِدَمِها وعراقة أطنابها. ويُراد من النقوش العربية أن تَمُدّ المعجمَ بمادّة فاذّة تُوثِّق لكثير من أصولها ووحداتها المعجميّة لغويًّا وتاريخيًّا وجغرافيًّا، بما لا تُسعفها به شقيقاتها السامية في بعض الأحايين.

٣. ٣. ٢. ٢ التأثيل الخارجي القريب (التأثيل السّاميّ):

ويُقصد به تأثيل الوحدات المعجمية العربية ذات الأصل السَّاميّ (الأصيلة والمولدة، والدخيلة والمعرّبة) من لغات الأرومة السّاميّة، وهو صلب موضوع هذه الورقة، وستبلغ فيه مبلغها بعد قليل.

٣. ٣. ٢. ٣ التأثيل الخارجي البعيد:

ويُقصد به تأثيل الوحدات المعجمية العربية (الدخيلة والمعربة) المشهور نسبتها إلى اللغات الأعجمية، ويعمل على مسارين يفترقان إلى مسار للغات الأعجمية، وآخر للغات السامية، ثم يلتقيان لحسم نسبة الدخيل والمعرب إلى واحدة أو أكثر من اللغات الأعجمية أو السامية، وتحديد التاريخ التقريبي لدخول الوحدات المعجمية الأعجمية إلى العربية بدلالة دخولها في أخواتها الساميات، وتحرّي طرائق استيعاب الوحدات الأعجمية في الساميات بين التغريب والتوطين.

٣. ٤ التأثيل وحصاد المدارسة:

بعد أن ناقشت الورقة التأثيل بين الصنعتين المقاصدية والوسائلية، والصنعتين التعاقبية والتحاقبية، والصنعتين الداخلية والخارجية؛ آن لها أن تحصد ثمار مدارستها، فتُلمح إلى أجروميّتَها العامّة المقاصدية الهادفة لصناعة معجم تأثيلي للغة العربية [شكل ٣]، تاركة أمر اختبارها وتطبيقها إلى بحث آخر.

ومن شأن تلك الأجرومية العامّة المقاصدية المقترحة أن تتشعب إلى مستويات رئيسية وفرعية، يُفضي سابقها إلى لاحقها. فإذا كان المعجم المنشود «معجما تأثيليًا شاملًا – Comprehensive Etymological Dictionary» فعليه أن يعضّ على المستويات كلها بالنواجذ، أما إذا كان «معجما تأثيليًا – Etymological Dictionary» فحسب، أو «معجمًا تأثيليًا موجزًا – Concise Etymological Dictionary» فله، بل عليه، أن يتخفف من بعض الإجراءات ببعض المستويات، أو يتخفف من بعض المستويات جُملةً، كلٌّ بحسب خطته وأهدافه.

أجرومية التأثيل المقاصدي
(أجرومية مقترحة لمعجم تأثيلي للغة العربية)

1. "التأثيل الداخلي – Internal Etymology":
ا. موارد التأثيل الداخلي.
ب. تحرير مبنى الأصل المعجمي.
ج. تحرير الدلالة/ الدلالات المحورية والمائزة للأصل المعجمي.
د. تحرير شبكة علاقات الأصل المعجمي بإخوانه وأخدانه في الاشتقاق الكبير والأكبر (Cognates).
هـ. تحرير مباني الوحدات المعجمية المنسلخة عن الأصل المعجمي (المشتقات – Derivations).
و. تحرير المعلومات الوظيفية (الصوتية والصرفية والتركيبية) للوحدات المعجمية.
ز. تحرير المعاني المعجمية للوحدات المعجمية، مع عزوها إلى دلالاتها المحورية.
ح. تحرير معلومات الهجاء والنطق.
ط. تحرير الشواهد المعجمية وتأريخها وتوثيقها.
ي. مقياس جودة التأثيل الداخلي.

2. "التأثيل الخارجي – External Etymology":
2. 1 التأثيل الخارجي الأقرب [التأثيل النُّقُوشي]:
ا. موارد التأثيل النُّقُوشي.
ب. تحرير مباني الأصول المعجمية المناظرة من اللغات النُّقُوشية.
ج. تحرير الدلالة/ الدلالات المحورية والمائزة لكل أصل معجمي نُقُوشي.
د. تحرير شبكة علاقات كل أصل معجمي نُقُوشي بـ (إخوانه وأخدانه – Cognates) من لغته.
هـ. تحرير شبكة علاقات الـ (Cognates) النُّقُوشية بالـ (Cognates) العربية.
و. تعيين الوحدات المعجمية النُّقُوشيّة المنسلخة عن الدلالات المحورية والمائزة المناظرة للعربية (Derivations).
ز. تحرير المعلومات الوظيفية للوحدات المعجمية النُّقُوشيّة المختارة.
ح. تحرير المعاني المعجمية للوحدات المعجمية النُّقُوشيّة المختارة، مع عزوها إلى دلالاتها المحورية والمائزة.
ط. تحرير الشواهد المعجمية وتأريخها وتوثيقها تاريخيا وجغرافيا.
ي. تحرير معلومات الهجاء والنطق للوحدات والشواهد المعجمية النُّقُوشيّة.
ك. مقياس جودة التأثيل النُّقُوشي.

- 1 -

2. 2 التأثيل الخارجي القريب [التأثيل السّاميّ]:
ا. موارد التأثيل السّاميّ.
ب. تحرير مباني الأصول المعجمية المناظرة من اللغات السامية.
ج. تحرير الدلالة/ الدلالات المحورية والمائزة لكل أصل معجمي سامي.
د. تحرير شبكة علاقات كل أصل معجمي سامي بـ (إخوانه وأخدانه – Cognates) من لغته.
هـ. تحرير شبكة علاقات الـ (Cognates) السّاميّة بالـ (Cognates) العربية.
و. تعيين الوحدات المعجمية السامية المنسلخة عن الدلالات المحورية والمائزة المناظرة للعربية (Derivations).
ز. تحرير المعلومات الوظيفية للوحدات المعجمية السامية المختارة.
ح. تحرير المعاني المعجمية للوحدات المعجمية السامية المختارة، مع عزوها إلى دلالتها المحورية والمائزة.
ط. تحرير معلومات الهجاء والنطق للوحدات المعجمية السامية المختارة.
ي. تحرير الشواهد المعجمية للوحدات المعجمية السامية المختارة، وترجمتها وتوثيقها وتأريخها.
ك. مقياس جودة التأثيل السامي.

2. 3 التأثيل الخارجي البعيد:
2. 3. 1 مسار اللغات الأعجمية:
ا. موارد التأثيل الأعجمي.
ب. تحرير الوحدة/ الوحدات المعجمية الأعجمية المفترض انسلاخ الوحدة الدخيل والمعرب عنها.
ج. تحرير المعلومات الوظيفية والمعاني المعجمية للوحدة المعجمية الأعجمية وتوثيقها.
د. تحرير شبكة علاقات الوحدة المعجمية الأعجمية بـ(مشتقاتها–Derivations) و(خدينانها–Cognates)
هـ. تحرير المعلومات التاريخية للوحدة المعجمية الأعجمية وتوثيقها وتأريخها.
2. 3. 2 مسار اللغات الساميّة:
ا. تحرير النظائر السامية للوحدة المعجمية العربية الدخيلة والمعربة.
ب. تحرير المعلومات الوظيفية والمعاني المعجمية للنظائر السامية، وتوثيقها.
ج. تحرير شبكة علاقات النظائر السامية بـ(مشتقاتها – Derivation) و(خدينانها – Cognates).
د. تحرير الشواهد المعجمية السامية، وترجمتها وتوثيقها وتأريخها.
2. 3. 3 الجمع بين المسارين:
ا. معارضة المعلومات اللغوية بين الوحدات المعجمية الأعجمية والسامية.
ب. إعمال الأدلة والقرائن النقلية والعقلية [لغوية، دينية، حضارية، تاريخية، جغرافية،...].
ج. الحكم القطعي أو الظّنّي بنسبة الدخيل والمعرب إلى الأعجميات أو الساميات.
د. مقياس جودة التأثيل الخارجي البعيد.

- 2 -

أجرومية مقترحة لصناعة معجم تأثيلي للغة العربية
شكل (٣)

٤. أجرومية التأثيل السامي المقترحة:

تتكون أجرومية التأثيل السامي الوسائلية الخادمة للمعجمية التاريخية عموما ومعجم الشارقة التاريخي خصوصا من حبل ذي جدائل ثلاثة متضافرة، ويتكون هذا الحبل المتين من:

٤. ١ موارد التأثيل السامي: وتنقسم إلى:

٤. ١. ١ المعجمات والبحوث التأثيلية السامية:

ليس لقائم بتأثيل العربية أن يُولِّي الأدبار للمنجز التأثيلي الذي حظيت به الألسنة السَّامية وكان للعربية منه نصيب، مما هو من المؤثِّل في عصرنا على طرَف الثُّمام أو حبل الذراع؛ وإلا كان عمله في هذا الباب أشبه بعمل الحالبة الخرقاء:

«شخْب في الفنَاء وشخْب في الإنَاء». ولست أنوي في هذه العجالة أن أحيط بمعجمات التأثيلَ السامي وبحوثه وأحصيها عدًّا، فلا المقام يتسع ولا هي تقع تحت الحصر؛ ولكن حسبي أن أستيقظ الأنظار إلى بداية التأثيل السامي وشيء من مسيرته، وأنبه إلى نزر قليل مما هو دُولة بين جل الساميات من الموارد، وما تنطوي عليه من جسيم الفوائد وعظيم العوائد. وعلى أعضاء فريق التأثيل السامي بمعجم الشارقة التاريخي أن يترادَؤوا، كل في لغة اختصاصه، على إعداد ببليوجرافية شاملة للمعجمات والبحوث التأثيلية وشبه التأثيلية الأجنبية والسامية والعربية، وجمعها في قاعدة بيانات موحّدة؛ تكون موئلا يفزعون إليه ويستشيرونه للوصول إلى جزئيات التأثيل ودقائقه، ويستقرئونه للوقوف على كليات التأثيل وحقائقه.

يرجع تاريخ التأثيل السامي إلى ما تُدعى «الحقبة القُروسْطيّة – Medieval period – הַתְּקוּפָה הַבֵּינַיִמִית»، التي واطأت الحقبة الإسلامية العبّاسية، والتي يعُدّها اليهود أزهى أحقابهم في التأليف والتصنيف والترجمة، وأحفلها بالنجوم الزاهرة في سمٰوات المعارف اليهودية عامّة واللغوية منها خاصّة، حتى أطلقوا عليها «العصر الذهبي – Golden Era – תּוֹר הַזָּהָב»[1]. وقد اجتمع لعلماء يهود في تلك الحقبة من العلم بالسّاميّات ما لم يجتمع لغيرهم من السّاميّين؛ ذلك أنهم توافروا آنذاك على العلم بالعبرانية بما هي لسان دينهم وغالب كتابهم، والآرامية بما هي لسان التَّرجوم [التراجم الآرامية للمقرا] وشطر من التلمود وطرف من أُمّات كتب الديانة، والعربية بما هي لسان العلم والعالم آنئذ «Global Lingua Franca»، ولسانهم الذي صاروا به ينطقون وفيه يصنّفون ومنه وإليه يترجمون. فما إن اجتمع لهم العلم بهذه الألسنة الثلاثة حتى ملأوا مصنفاتهم

١- ר': משה הלל: «תור הזהב בספרד: תולדותיהם של ענקי הרוח שחיו ופעלו במשך ٥٠٠ שנה בספרד», הספריה הספרדית, מכון בני יששכר, י-ם, מהד'١، ١٩٩٢. سليم شعشوع: «العصر الذهبي: صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأندلس»، دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر، شفاعمرو، ط٢، ١٩٩٠.
- Bernard Lewis: The Jews of Islam, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1987, pp.62-77.

النحوية والمعجمية بالمقارنات اللغوية، ووضعوا من المسارد والمعاجم المقارنة ما يصحّ به أن تُعدّ البذرة الأولى للتأثيل السّاميّ، أخصّ بالذكر منها الثلاثية المشهورة: «كتاب تفسير السبعين لفظة المفردة - פתרון שבעים מילים בודדות» وهو مُعَيْجِم ثنائيّ عبراني عربي وضعه «سعيد بن يوسف الفيومي» [ت: ٩٤٢] في شرح أفراد ألفاظ المقرا وغريبها من العربية والآرامية. أما الثاني فهو «الرسالة - האגרת» لـ «يهودا بن قريش» [ت: أواسط القرن العاشر الميلادي]، والتي كتبها إلى يهود فاس يحضّهم فيها على تعلُّم التَّرجوم، ويقرّب لهم طائفة من ألفاظه ويقارنها بنظائرها في العبرانية والعربية. أما الثالث فهو معجم «الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية - ההשוואה בין העברית והערבית» لـ«إسحق بن بارون» [ت: ١١٢٨]، الذي قارن فيه مئات الكلمات العبرانية بنظائرها العربية.

ومع ما في هذه التصانيف وغيرها من الفوائد؛ إلا أنها اشتملت على ما هو من قبيل «التأثيلات الشعبية - Folk Etymologies»، فاختلط خاثرُها بزُبادها والتبس قمحُها بزُؤانها، وعلى المؤثِّل البصير أن يقلّبها ذات اليمين وذات الشمال يتنخّلها؛ فيستصفي صالحها ويُميّز دَرَجَاته، ويستنفي طالحها ويُميّز دَرَكَاته.

بعد انتهاء الحقبة القروسطية، آل نشاط التأثيل السامي إلى برزخ الخمول قرونا طويلة، حتى بعثه من مرقده المستشرقون في القرن السابع عشر، فأخرج التأثيلُ شطأه في القرن الثامن عشر، واستغلظ عوده في القرنين التاسع عشر والعشرين، ثم هو ينتظر أن يستوي على سوقه ويستحصد في قرننا الحادي والعشرين بتأثيل اللغة العربية.

وقد بدأ التأثيل السامي في العصر الحديث بجهود الإنجليزي «إدموند كاستل - Edmund Castell» [ت: ١٦٨٦]، الذي نشر سنة ١٦٦٩ عمله المؤسِّس: «المعجم السباعي العبراني، الكلداني، السرياني، السامري، الإثيوبي، العربي،

الفارسي - Lexicon Heptaglotton، Hebraicum، Chaldaicum، Syriacum، Samaritanum، Aethiopicum، Arabicum، et Persicum»، الذي يؤثل لعبرانية المقرا وآراميتها في أربع ساميات هي السريانية والسامرية والجعزية والعربية؛ أما الفارسية فلم تكن سوى مسرد ثنائي مترجم إلى اللاتينية ملحق على المعجم. وبين عامي ١٨٥٧ / ١٨٦١ نشر الألماني «يوليوس فيرست - Julius Fürst» [ت: ١٨٧٣] «المعجم العبراني والكلداني للعهد القديم - Hebräisches und chaldäisches Handwörterbuch über das Alte Testament»، وقدم فيه معلومات تأثيلية عالية الجودة لعبرانية المقرا وآراميتها في الساميات الكُبرى. وفي العام ١٩٠٦ طور الثلاثي «براون-درايفر-بريجز | Brown-Driver-Briggs» معجم «جزينيوس - Gesenius» [ت: ١٨٤٢] الشهير ونشروه بعنوان «معجم عبراني إنجليزي للعهد القديم - A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament» والمشهور بمعجم «BDB» اختصارًا لأسمائهم. ويعد هذا العمل في نشراته الأخيرة أحد أشهر معاجم التأثيل السامي وأوسعها؛ حيث يؤثل لعبرانية المقرا وآراميتها في أغلب الساميات المعروفة ولهجاتها. ومنذ صدوره، يحظى المعجم بتطوير لا ينقطع، حتى إن آخر نشراته المحدَّثة صدر عام ٢٠٢٤ تحت عنوان «The Brown-Driver-Briggs Hebrew and English Lexicon (BDB)»، هذا عدا عن إصداراته الحاسوبية المتطورة. وبين عامي ١٩٧٠ / ٢٠١٢ شرع الفرنسي «دافيد كوهين - David Cohen» [ت: ٢٠١٣] ومعاونوه في إصدار عملهم الجادّ «معجم الجذور السّاميّة - Dictionnaire des Racines Semitiques»، والذي يعمل على فكرة «المشترك السامي»، فيرصد الجذور المشتركة بين جُلّ الساميات المتاحة، وصدر منه إلى الآن [١٠] أجزاء فقط، تغطي أحد عشر حرفا [الألف: الكاف].

وبعدُ، فينبغي للناظر في ذلكم المنجز التأثيلي السّامي، الذي عرضت له الورقة والذي لم تعرض، أن يفطن إلى أن الألسنة السامية كلها أو جلها لم تحظ بتأثيل نصوصها جمعاء؛ وإنما وقع التأثيل لها «اصطفائيًّا»؛ أي أن المؤثِّل لم يمدّ بصره إلى العبرانية والآرامية - مثلا - بجميع نصوصهما، وإنما اصطفى بالتأثيل ما جاء في كتبهما المقدّسة وطرفًا من أُمّات كتب الديانة، لم يتعدَّهُ إلى سواه. فإذا ما استصحبنا إلى ذلك أن الألسنة السامية التي قُصِد بعض متنها بالتأثيل لا تُطاول العربية في رِكاز معجمها، ولا تُصاولها في ثروة ألفاظها؛ عَلِمنا حينئذ أن ما نُبِّهَ إليه من «قوانين الإبدال الصوتي» بين الساميّات ليس البتة حصيلة استقراء تامّ؛ بل هو ناجم عن استقراء ناقص نقصا ظاهرا، طالما لم تُنجِز العربية معجمها التأثيلي. وإذ قد نعلم الآن بُعْدَ الشُّقَّة وعُمْقَ الهُوَّة بين ما نَجَزَ فعلا من تأثيل «المشترك السامي»، وما نطمح إلى إنجازه من تأثيل جذور معجمنا العربي؛ فحُقَّ لنا وحَقَّ علينا أن نُرسّمَ آفاق جَسْر الهُوَّة وتجاوُز الشُّقَّة، مما قد يرمي فيه المورد التالي بسهم وافر.

٤ . ١ . ٢ مصنفات الإبدال اللغوي ولهجات العرب:

ينطوي تراث العربية الثّرُّ على جمهرة من المصنفات البديعة التي عُنيتْ بظاهرة الإبدال اللغوي ورصدها في عربية قريش والمأثور من لهجات العرب. ومن مصنفات الأقدمين التي استقلت بالإبدال؛ «القلب والإبدال» لابن السكيت [ت: ٢٤٤هـ]، و«الإبدال والمعاقبة والنظائر» لأبي القاسم الزّجّاجي [ت: ٣٣٧هـ]، و«الإبدال» لأبي الطيب اللغوي [ت: ٣٥١هـ]، هذا عدا عن عشرات المصنفات التي تناولت الإبدال مع غيره من مباحث اللغة. ومن مصنّفات المحْدَثين التي اعتنت بالإبدال ولهجات العرب؛ «سِرّ الليال في القلب والإبدال» لأحمد فارس الشدياق [ت: ١٨٨٧]، و«لهجات العرب» لأحمد تيمور باشا [ت: ١٩٣٠]، و«في اللهجات العربية» لإبراهيم أنيس [ت: ١٩٧٧]، و«إبدال الحروف في اللهجات

العربية» لسلمان السحيمي [صادر: ١٩٩٥]، و«تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني» لعبد الكريم جبل [صادر: ط٢ / ٢٠٢٣].

وقد اعتنت هذه المصنفات وغيرها - مما ينبغي للمؤثِّل جمعه واستقراؤه واستخلاص فوائده - بدراسة الإبدال اللغوي ورصده في العربية على اختلاف درجات التقارب والتباعد في المخارج والصفات بين الأصوات، وإنها لمورد للتأثيل لو تعلمون عظيم؛ إذ تحفل من شوارد الشواهد وفرائد الفوائد وندود الأوابد بما يتجاوز جداه حدود الشاهد والمثال إلى ما يبلغ أن يكون فتحا تأثيليًّا بين الساميات جميعا.

وإذا كان الإبدال على تباعد المخارج والصفات يقع في اللغة الواحدة (العربية ولهجاتها)؛ فبالحَرَى وقوعه بين لغات باعدتْ بينها الأدهار والأعصار وفرقتْ بين أهليها الأقطار الأمصار. يقول الأستاذ «عزالدين التنوخي»[ت: ١٩٦٦] في مقدمة تحقيقه إبدالَ «أبي الطيب»[ت: ٣٥١هـ]: «ويشبه هذا التعاقب بين الفصحى والعامية ذلك التعاقب بينها وبين اللغات السامية... وعلى كَرّ العصور والدهور تحوّل كثير من حروف هذه اللغات... وهكذا نرى أن سنّة التحول الصوتي مستمرة في عملها البطيء ما بين اللغات السامية»[١].

ومما حفظته لنا كتب الإبدال، ولم يفطن له أكثر اليهود والمستشرقين في غالب معجماتهم وبحوثهم التأثيلية، تعاقُب العين واللام - المتباعدتين مخرجا وفي أكثر الصفات - في مثل قولهم «البعقوط والبلقوط؛ أي: القصير، وقولهم: العفيتة واللفيتة؛ أي العصيدة»[٢]؛ والذي بهدايته نستطيع أن نستدرك على المستشرقين فنجانس بغير تعمُّل بين (ع.ظ.و / ي: العَظَاءَة؛ دُوَيبَّة مِنَ الزَّوَاحِفِ ذَوَاتِ

١- أبو الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي: كتاب الإبدال، تح: عزالدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، د.ط، ١٩٦٠، مجلد١، المقدمة: صـ٣٠.

٢- المرجع السابق نفسه: مجلد٢، صـ٣١٤، ٣١٥.

الأَرْبَع ، طَوِيلَة الجِسْم وَالذَّيْل)، وبين نظيراتها بالمعنى نفسه في العبرانية (ל.ט.א: לְטָאָה/ləṭā'ā)، ومنها دخلت الآرامية (הַלְטָאָה/halṭā'ā) مع إثباتها هاء التعريف العبرانية أصلا. وكذا نستطيع أن نجانس بين (ك.ر.س.ع: الكُرْسُوع: طَرَف زَنْد اليَد الَّذي يَلي الخِنْصرَ عِنْدَ الرُّسْغ) ونظيراتها بالمعنى نفسه من القدم، في العبرانية (ק.ר.ס.ל: קַרְסֹל/qarsol)، والآرامية (קַרְסֵ-צֻלָּא/qars-ṣullā)، والسريانية (קוּרְצָלָא/qūrṣəlā)، ولكنها تجانس في الأكادية (q-kursinnu)، «بتعاقب العين النون – المتباعدتين مخرجا وفي أكثر الصفات أيضا – الذي تهدينا إليه كتب الإبدال أيضا في مثل (الدِّعْفِصُ والدِّنْفِصُ؛ أي القميء المنظَر)»[1].

ومما تهدينا إليه كتب الإبدال «جواز وقوعه في حرفين، فيكون مزدوجًا، كقولهم (البَذَع والفَزَع)»[2]؛ وعلى هذا يمكن أن نستدرك على السالفين ونجانس على القلب والإبدال بين الاسمين العربيين الرباعيين: (البُرْثُن: المِخْلَبُ والظُّفْرُ) و(الفِرْسِن: خُفُّ البَعِيرِ أو طَرفُه، وهو كالحافِرِ للدَّابَّة، وَيُسْتَعَارُ للشَاةِ فَيُقَالُ: فِرْسِنُ شَاةٍ)، والأسماء الرباعية السامية الآتية: في الأكادية (ṣuppāren)، والعبرانية (צִפֹּרֶן/ṣipporen)، والآرامية (טוּפְרָנָא/ṭūəfrānā)، والسامرية (ṣēferniyya)، وتعني جميعًا: (الأظفار من الإنسان أو المخالب من الطير والحيوان)، وذلك اعتمادًا على ما تذكره كتب الإبدال أيضا من «تعاقب الباء والفاء في مثل: (القَنيب والقَنيف: الجماعة من النَّاس)»[3]، و«تعاقب الثاء والسين والصاد في مثل: (الحُثَالَة والحُسَالة والحُصَالة: نُخالَة الحِنْطَةِ ونحوهَا، والرديء

١- المرجع السابق نفسه: مجلد٢، صـ٣١٨، ٣١٩.
٢- المرجع السابق نفسه: مجلد١، صـ٢٧، الهامش.
٣- أبو الطيب اللغوي: المرجع السابق نفسه: مجلد١، صـ٢٠.

من كُلِّ شيءٍ)»[١]، وتعاقب الثاء والطاء في مثل (ثَبَتَ وشَبَطَ، وثَوْر وطُور)[٢].

وبعدُ، فقد حاولت الورقة في هذه العجالة؛ إذ تُجيب على ما أسلفتْ طرحَه من سؤالات، أن تستدبر مقولة القطيعة المعرفية، لتستقبل مقولة التكامل المنتج بين الماضي والحاضر؛ فتجعل الساميات كاللغة الواحدة وعلومها كالكتاب الواحد، وتجعل من الجمع المستبصر بين العلم الوافد من لدن اليهود والمستشرقين، والعلم الموروث من لدن أسلافنا الأولين، عمادًا لموارد التأثيل السامي، ومزدلفا إلى أفق تأثيلي سامي رحب فسيح، لا يُحاور المنجز التأثيلي الوافد فحسب؛ بل يجاوزه ليحُلّ ما ألغز وتعاصى عليه. وحسبي أن أشير إلى شهادة أحد المستشرقين العالِمين العامِلين بالساميات في عوائد التراث المعجمي العربي على الدرس السامي، إذ يقول: «من مُسلّمات الدرس الساميّ المقارن ما للتراث المعجمي العربي من أهمية بالغة في فحص الألسُن السامية ومضاهأتها، إذ حَفِظ لنا المعجميون العرب من لسانهم أكثر مما حُفظ لبقية الساميات؛ فلا عجب إذن أن يرى دُرَّاس الساميات وشُدَاتُها في الخافقيْن التراثَ المعجمي العربي بحرا من الحلول لا تكدره الدلاء»[٣].

٤. ٢ إجراءات التأثيل السامي:

في أجرومية التأثيل السامي الوسائلية بمعجم الشارقة التاريخي يتولى خبراء لجان التحرير والتدقيق والمراجعة المختصة باللغة العربية توفير معلومات «التأثيل

١- المرجع السابق نفسه: مجلد١، صـ١٧٤، ١٧٨. هذا ولا تليق مجانسة الرباعي «צִפֹּרֶן» ونظائره، بالثلاثي «الظُّفُرُ: مَا يُغَطِّي أَعْلَى طَرَف الإِصْبَع مِنَ اليَد وَالرِّجْل»؛ إذ له ما يُجانسه من الثلاثي، كما في الأكادية «supru»، والجعزية «sefr»، والآرامية «טֻפְרָא/tufrā»، ومنها إلى العبرانية «טִפְרָה/tifrā».

٢- محمد محمد الحسيني العشري: الصورة الصوتية بين اللهجات العامية الدارجة واللثغة، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مجلد٢١، عدد٣، مارس / مايو ٢٠١٩، صـ٩٨.

٣- لوتر كوفف: المِلون العربي كאמצעי עזר לבלשנות העברית، כ«ע: לשוננו، האקדמיה ללשון העברית، תשי»ד ١٩٥٣، כרך י»ט، עמ' ٧٢. وقد نبّه إلى مثل هذا أيضا: אליעזר בן-יהודה: מקורות למלא החסר בלשוננו, זכרונות ועד הלשון, ועד הלשון העברית, ירושלים، ١٩١٤، מחברת ד', עמ' ٨، ٩.

الداخلي» لخبراء لجان النُّقوشيَّات والسَّاميَّات والأعجميَّات المسؤولة عن مهام «التأثيل الخارجي»؛ ومن ثم تتلخص إجراءات أجرومية التأثيل السامي فيما يلي:

أ. تحرير مباني الأصول المعجمية السامية المناظرة للمبنى العربي:

تدعو الأجرومية «لجنة النظائر السامية» بمعجم الشارقة لاستدراك ما فاتها من بيان جميع أصول الوحدات المعجمية السامية المستعملة في التأثيل؛ فرارا من الوقوع في الشبه والأوهام [كما سنرى في أول النماذج الشارحة]، مع الإشارة إلى ما قد يقع من الإبدال الصوتي والقلب المكاني والصرفي، وتفسير غريبهما من منجز المستشرقين، أو تراث أسلافنا الأولين، أو نصْب الأدلة والقرائن على صحّته ووثاقته.

ب. تحرير الدلالة/الدلالات المحورية والمائزة لكل أصل معجمي سامي:

يُقصد بـ«الدلالة / الدلالات المحورية» للأصل المعجمي تلك الدلالة / الدلالات الممثَّلة في زُمرة / زُمَر الكلمات المنسلخة عن الأصل بحيث تكون لها كالخيط الناظم[١]. وإذ يلتزم معجم الشارقة في منهجه المعلن[٢] بإيراد الدلالات المحورية السارية جراثيمها في شرايين أغلب الكلمات العربية تحت عنوان «المعاني الكلية»؛ تدعو الأجرومية إلى مراعاة الحيلة والتلطف في استنباط الدلالات المحورية الكامنة في الأصول والوحدات المعجمية السامية وذكرها؛ للتحقق من اشتراكها كليا أو جزئيا مع الدلالات المحورية العربية. كما تدعو الورقة إلى

١- للمزيد حول فكرة «الدلالة المحورية» وتاريخها، راجع: عبدالكريم محمد جبل: «الدلالة المحورية في معجم مقاييس اللغة لابن فارس اللغوي: دراسة تحليلية نقدية»، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، عدد٢٦، جزء٢، يناير٢٠٠٠، صـ١٩١-٣١٩؛ حسين السوداني: المعنى النووي وتاريخية التعريف المعجمي، ضمن: حسن حمزة (محرر): «المعاجم التاريخية: مقارنات ومقاربات»، مرجع سابق، صـ٢٣٩-٢٧٧.

٢- للمنهج المعلن لمعجم الشارقة التاريخي، راجع الصفحة الرسمية للمعجم على الشابكة:
- https: //www.almojam.org/about/curriculum Access on: Aug.20/2024 | 22: 00

الانتباه إلى ما يَنِدُّ عن الدلالات المحورية من كلمات قليلة ذات دلالات مائزة متطرفة.

ج. اختيار وحدة معجمية ممثلة لكل دلالة محورية ومائزة مناظرة للعربية من كل لغة سامية:

تدعو الأجرومية إلى تأثيل جميع الدلالات المحورية والمائزة العربية قدر المستطاع من الساميات، كما تدعو إلى اختيار أوثق الوحدات المعجمية السامية صلة بجراثيم دلالاتها المناظرة للدلالات المحورية والمائزة العربية ووحداتها المعجمية، والتنسيق بين المؤثلين في ذلك.

د. تحرير المعلومات الوظيفية والمعاني المعجمية للوحدات المعجمية السامية المختارة المناظرة للوحدات المعجمية العربية:

تدعو الأجرومية إلى استدراك ما فات معجم الشارقة من تحرير المعلومات الوظيفية [الصرفية والتركيبية] للوحدات المعجمية السامية، إضافة إلى المعاني المعجمية.

هـ. تحرير معلومات الهجاء والنطق للأصول والوحدات المعجمية العربية والسامية:

ينص منهج العمل في معجم الشارقة على كتابة الوحدات المعجمية السامية برموز وحركات أنظمتها الكتابية، ثم برموز عربية معبرة عن نطقها التقريبي، ثم بالكتابة الصوتية الدولية وفق جدول الرموز الخاص بالمعجم. وإذ تُقرّ الأجرومية هذا المنهج، تدعو إلى تطبيق ذلك على الأصول والوحدات المعجمية العربية والسّاميّة على السّويّة.

و. تحرير الشواهد المعجمية للوحدات المعجمية السامية المختارة، وترجمتها وتوثيقها وتعيين انتماءاتها المعرفية وتأريخها:

يُراعى في الشاهد أن يكون منتزعًا قدر الطاقة من نصوص عصور الاحتجاج اللغوي المعوَّل عليها في المعجمات الكبرى، وأن يكون الأقدم تاريخيا قدر المستطاع، وأن يكون موجزًا، وأن تكون ترجمته للعربية أدنى إلى الحَرْفية المُفْهِمة، وأن يُستعمل أنسب مشتقات الجذر العربي المقصود بالتأثيل في ترجمة الوحدة المعجمية السامية نواة الشاهد ما أمكن؛ بحيث يَقفُنا سياق الترجمة على حقيقة معنى الوحدة المعجمية السامية ومدى قربها من نظيرتها العربية مبنى ومعنى. كما يُراعى توثيق الشاهد توثيقا بالغ الاختصار، مع ذكر انتمائه المعرفي، وتاريخ تدوينه أو ترجمته أو نشره أيها أقدم. وفي حال غياب الشاهد، يحدد التاريخ بالفترة الزمنية التقريبية لحياة اللغة. ومع أن وجود الشواهد السامية أو غيابها لا يؤثر في جودة التأثيل؛ إلا أن معجم الشارقة ألزم خبراءه ومؤثليه في منهجه المعلن بإيراد الشواهد وترجمتها؛ حسمًا لوثاقة مبنى الوحدة المعجمية السامية ووضاحة معناها، وإثباتًا لعراقتها بهداية تاريخ النص الذي تنتمي إليه.

٤. ٣ مقياس جودة التأثيل السامي (مجتس) – Semitic Etymology Quality Scale (SEQS):

إن فرق ما بين التأثيل العلمي الذي يعمد إلى المشاكلة بأسانيد المماثلة، والتأثيل الشعبي الذي يعمد إلى المجانسة لأدنى ملابسة؛ هو الفرق بين مزاج يُحرّر منظومته المصطلحية المحكمة، ويُعمل تقنياته البحثية المنضبطة، ويعتدّ بالاستقراء والاستدلال والاستنباط؛ ومزاج آخر تنزعه نوازع الحرية، والانفلات من كُبُول المهنية، والتمرد على حدود المنهج، والاعتداد بالحدس والتخمين لا غير. ولا ريب أن بين المزاجين من وجوه المغايرة والمنافرة ما لا يغفل عنه ذو بصيرة!

وإذ تدعو الورقة القائمين على أمر التأثيل أن يفتكّوه من أصفاد الثنائية الضدّية التي رسف فيها طويلا، وراوحت في الحكم عليه بين وَسْم بصَواب قُحَاح ووَصْم بخطإٍ صُراح؛ تقترحُ على غير مثال سابق منظومةً من المقوّلات تخرج بالتّأثيل منَ عُسْرٍ الذاتِ إلى يُسْر الموضوع؛ فتجعل الحكم على جودته منوطا بمقياس واضح المدارج يُراتب بين مراقيه ودرجاته دقةً وموثوقيةً:

٤. ٣. ١ دليل المقياس:

٥	٤	٣	٢	١	٠
ممتاز Excellent	جيد جدا Very good	جيد Good	مقبول Acceptable	ضعيف Weak	مرفوض Rejected

٤ . ٣ . ٢ المقياس:

الحالة	مثال	الجودة
التطابق أو الطباق التّامّ في المعنى، مع الاتفاق في المبنى.	في العربية: (ك/ت/ب) يجانس في جميع الساميات (k-t-b) بمعنى النقش والتدوين. («כתב»: BDB ١٩٠٦, ٥٠٧) في العربية (أ/ب/ي: أَبَى: رَفَضَ، امتنَعَ) يجانس الأصل (ʾ-b-y) في الأكادية والعبرانية بمعنى (رَغِبَ، وَافَقَ). («אבה» ,BDB: ٢)	ممتاز Excellent
تطابق المعنى، مع تبادلات صوتية قريبة في المبنى. (تبادل الأصوات ا لشفو ية ، أصوات الصفير، أصوات الحلق، حروف العلة... إلخ)	الأصل العربي (ش/م/س: شَمْس): في جميع الساميات بمعنى «النَّجْمُ الذي تدور حوله الأرض»، وهو في الأكادية والعبرانية والسامرية والفينيقية والآرامية والمندائية والسريانية من الأصل (š-m-š)، وفي الأوجاريتية (š-p-š)، وفي الإبلاوية (s-p-š)، وفي الأمورية (s-m-s)، وفي العربيات الجنوبية (š-m-s). («שמש»: HAL, ١٤٦٨-٤, ١٤٦٩) («Cyrus: špš», ٤٩٣, ٤٩٤) الأصل العربي (ح/ت/ت/ي): هو في معظم الساميات (حَرْفُ مَعْنًى يدلُّ على انتهاء الغاية (حَتَّى))، ولكنه في الأكادية من الأصل (ʾ-d-i)، وفي الأوجاريتية والعبرانية والآرامية والسريانية والعربيات الجنوبية (ʿ-d)؛ أي بإبدال صوتي الحاء والتاء في العربية همزة ودالا في الأكادية، وعينا ودالا في بقية الساميات. («עד»: HAL, ٣-٧٤٢, ٧٤٣) («Cyrus: ʿd», ٤٥٣)	
تطابق المعنى والمبنى، مع القلب المكاني.	الأصل العربي (ح/ن/ش)، ومنه (الحَنَشُ: ضَرْبٌ مِنَ الحيَّاتِ)، وهو كذلك في الأوجاريتية والعبرانية، ولكن باختلاف مواضع الأصول؛ حيث هو فيهما (š-ḥ-n). («נחש»: HAL, ٣-٦٥٢) («Cyrus: nḥš», ٤٤٣) وكذا (ح/ف/ي)، ومنه (الحافي: العاري القدمين)، وهو كذلك في العبرانية والآرامية، ولكن باختلاف موضع المعتل؛ إذ هو فيهما (f-ḥ-y). («יחף» ,٣٩٠, ٢-٣٨٩: HAL)	

تطابق المعنى، والإبدال الصوتي القريب، والقلب المكاني والصرفي للمبنى. (من أشهر حالات القلب الصرفي: تحول السالم المضاعف إلى معتل أو العكس) (١)	الأصل العربي (ق/و/س)، ومنه (القَوْس: عُودٌ مُنْحَنٍ مَوْتُورٌ لِرَمْيِ السِّهَامِ)، وهو بالمعنى نفسه في كل من الأكادية (ḳ-qaštu)، والأوجاريتية (qšt / qṣ‘t)، والعبرانية (קֶשֶׁת-qešet)، والحبشية (ቀስት: -qasŝt)، والآرامية (קֻשְׁטָא-קוּשְׁטָא-qūšṭā-qaštā)، والسريانية (ܩܫܛܐ-qēštā)؛ لكن بتحول الأصل العربي المعتل الأجوف إلى سالم في غيرها، مع القلب المكاني، والإبدال الصوتي القريب. («קשת»BDB: ٩٠٥, ٩٠٦) («qšt»: Cyrus, ٤٨١) الأصل العربي (ر/د/ي)، ومنه (الرِّدَاءُ: كِسَاءٌ يُلْبَسُ فَوْقَ الثِّيَابِ كَالعَبَاءَةِ وَنَحْوِهَا)، وهو في العبرانية (רְדִיד-rədīd) والآرامية والسريانية (רְדִידָא-ܪܕܝܕܐ-rədīdā-rəḏīdā) بالمعنى نفسه، ولكن بتحول الأصل العربي المعتل الناقص إلى سالم مضاعف فيها (r-d-d). («רדיד»: BDB ٩٢١) وكذا (ح/ث/ث)، ومنه (حَثَّ السَّيْرَ وأَحَثَّهُ: أَسْرَعَ)، وهو بالمعنى نفسه في الأكادية والأوجاريتية من الجذر (ḥ-w-š)، والعبرانية (ḥ-w-š) والحبشية (ḥ-w-s)؛ فتطابق المعنى، ولكن بتحول السالم المضاعف إلى معتل أجوف، والإبدال الصوتي القريب. («חוש»HAL: ١-٢٨٨)	جيد جدا Very good
تطابق المعنى، وإبدالات بعيدة في المبنى نصّتْ عليها موارد التأثيل. (الإبدال البعيد مخرجًا أو صفةً أو كليهما)	الأصل العربي (ح/ر/ب)، ومنه (الحَرْب: المَعْرَكَة والقِتَال)، وهو في الأكادية (qarābu) والعبرانية (קְרָב-qərāḇ)، وفي الآرامية والسريانية (קְרָבָא-ܩܪܒܐ-qərāḇā)؛ فتتطابق المعنى مع إبدال صوت الحاء في العربية قافا في غيرها. وهذا الإبدال البعيد ذكرته كتب الإبدال في مثل (التَّصْفِيح هو التَّصْفِيق «إبدال أبي الطيب ١/ ٣٠٥»)، وذكره المستشرقون أيضا في مثل (ب/ح/ث =Gesenius» b-q-š, ١٨٣٥: ١-٤٣٦»).	
تطابق المعنى، وإبدالات بعيدة في المبنى ذَكَرَتْهَا موارد التأثيل، مع القلب المكاني والصرفي أحدهما أو كليهما.	الأصل العربي (ق/د/د)، ومنه (القُدُّ: السَّمَكُ)، وهو في الأوجاريتية (dg) والعبرانية (דָּג-Cyrus: dg») (dāg, ٣٨٤)؛ فتتطابق المعنى مع إبدال صوت القاف في العربية جيما في غيرها وهما بعيدتان مخرجا وفي أكثر الصفات، كما وقع في المبنى قلب مكاني، وصرفي بتحول السالم في العربية إلى معتل في غيرها. وهذا الإبدال البعيد بين الجيم والقاف ذكرته كتب الإبدال في مثل (البَائِجَة والبَائِقَة: الضائقة الشديدة «إبدال أبي الطيب ١/ ٢٤١»)، وذكره المستشرقون أيضا في مثل (ق/ب/ع=Gesenius» ʿ-g-b: ١-٢٥٢»).	
تطور المعنى، وتطابق المبنى.	الأصل العربي (ل/ح/م) يجانس الأصل (L-ḥ-m) في أغلب الساميات، ولكن بمعانٍ تتراوح بين «النسيج البروتيني الذي يكسو العظام»، و«الخُبز»، و«السَّمَك»؛ فهي تدور جميعا حول «الطَّعام». («לחם»BDB: ٥٣٥, ٥٣٦) الأصل العربي (ج/ن/ب)، ومنه (جَنَبَ وجَنَّبَ أَجْنَبَ: أَبْعَدَ، نَحَّى)، وهو بالمبنى نفسه في العبرانية (גָּנַב-gānaḇ)، والمندائية والآرامية والسريانية (ܓܢܒ-gənaḇ)؛ ولكن بمعنى «سَرَقَ، اخْتَلَسَ، أَخْفَى». («גנב»HAL: ١-١٩٠)	

١- لتفصيل القول في القلب الصرفي، راجع: عمر صابر عبدالجليل: القوانين الصوتية في اللغات السامية، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، مجلد٢١، عدد١ / ٢، ٢٠٠٨، صـ١٧٨؛ يحيى عبابنة: «بنية الفعل الثلاثي في العربية والمجموعة السامية الجنوبية: دراسة مقارنة في الأصول الفعلية»، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط١، ٢٠١٠، صـ٦٥، ٩٦، ١٢٣-١٣٠، ٢٢٥-٢٣٠.

تقارب المعنى، وإبدال قريب أو قلب مكاني في المبنى أحدهما أو كليهما.	الأصل العربي (ق/ت/ت)، ومنه (اقْتَتَّ الشَّيْءَ: اسْتَأْصَلَهُ)، وهو بمبنى قريب في العبرانية (כָּתַת-kātat)، والآرامية (כְּתַת-kətat)؛ ولكن بمعنى «سَحَقَ الشيءَ ودَقَّهُ». فوقع إبدال مشهور بين القاف والكاف، مع تقارب وتطور في المعنى. الأصل العربي (س/ق/ف)، ومنه (السَّقْف: غِطَاء البَيْتِ، والسَّمَاء، وكُلُّ مَا عَلا وارْتَفَع)، وهو بمبنى قريب في العبرانية (שָׁקַף-šāqaf: نَظَرَ مِنْ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ)، والآرامية والسريانية (שְׁקִיפָא-ʿəṣpīqā šə-ʿəṣpīqā)؛ ولكن بمعنى «القِمَّةُ المُرتفعة المُشرفة على ما حولها». فوقع إبدال مشهور بين الثاء والشين، مع تقارب وتطور في المعنى. («שקף»BDB: ١٠٥٤)	جيد Good
تقارب في المعنى، وقلب صرفي في المبنى.	الأصل العربي (ج/ب/ب)، ومنه (الجُبّ: بِئْر غَيْر بَعِيدَةِ القَعْر)، وهو بمبنى قريب في العبرانية (גֵּב-gēḇ) والآرامية (גֻּבְּא-gūḇā-gōḇ) بمعنى: (الوَقْبة في الصخر يجتمع فيها الماء)، وفي السريانية (ܓܘܒܐ-gūḇā) بمعنى «الوَقْبة في الصخر يجتمع فيها الماء، والصهريج». فوقع قلب صرفي بين المضاعف والمعتل، مع تقارب وتطور في المعنى. («גב»HAL: ١-١٦٣)	
تطابق المعنى أو تقاربه، وإبدال قريب أو بعيد في المبنى، مع وجود بدائل أخرى مناسبة.	الأصل العربي (ج/ه/ز) ومنه (جَهَّزَ الشيءَ: هَيَّأَهُ وَأَعَدَّهُ)، يمكن مجانسته بالفعل العبراني (גִּהֵץ-gihhēṣ) الذي يعني (جَهَّزَ الثَّوْبَ بأن صَقَلَهُ، أَعَدَّ الثِّيابَ وصَقَلَها لِيَسْتَقْبِلَ زائرًا)؛ وهي مجانسة مقبولة معنًى، ومبنًى؛ فالصاد والزاي يشتهران بالتبادل. (معجم الشارقة). ويحتمل أيضا للفعل العربي (م/هـ/ص: مَهَّصَ) الذي يختص بمصاحبة الثوب؛ فيقال: (مَهَّصَ: ثَوْبَه تَمْهِيصًا، أَي نَظَّفَهُ وبَيَّضَهُ)، أن يجانس الفعل العبراني (גִּהֵץ-gihhēṣ) ونظيره الآرامي (גְּהַט-gəhaṭ)، وتبادل الميم والجيم تبادلٌ بعيد مذكور في كتب الإبدال في مثل (السَّجَاجُ والسَّمَاجُ: اللبن الممزوج بالماء الكثير). (إبدال أبي الطيب ١/ ٢٥٤). الأصل العربي (ص/ح/ن) ومنه (الصَّحْن: الإنَاء الكَبِير العَرِيض)، يمكن مجانسته بالاسم العبراني (צַלַּחַת-ṣallaḥat) والجعزي (ጸሐል-s'āḥl) بمعنى (الطَّبَق، الإنَاء)؛ وهي مجانسة مقبولة معنًى، ومبنًى؛ فالنون واللام يشتهران بالتبادل. (معجم الشارقة). ويحتمل أيضا للاسم العربي (ز/ل/ح: الزُّلُح: القِصَاع الكبيرة الواسِعَة)، أن يجانس الاسمين السابقين في العبرانية والجعزية؛ فالصاد والزاي يشتهران بالتبادل.	مقبول Acceptable
تطابق المعنى، واختلاف عدد أصول المبنى؛ مع عدم وجود بديل مناسب.	الأصل العربي الرباعي (ب/أ/ب/أ)، ومنه (البُؤْبُؤ: إنْسَانُ العَيْنِ الَّذِي تُبْصِرُ بِهِ)، لا يمكن إلى الآن مجانسته بغير الأسماء الثلاثية الآتية [التي رُبّما سُهِّلت همزتاها]، في الآرامية والسريانة (בַּבְתָא דְעַיְנָא-bāḇtā dʿaynā) والعبرانية (בָּבַת עַיִן-bāḇat ʿayin) بالمعنى نفسه. («בבה»BDB: ٩٣)	

تطابق المعنى، واختلاف عدد أصول المبنى؛ مع وجود بديل مناسب.	الأصل العربي الثلاثي (ج/ل/ج)، ومنه (الجَلَجَة: الجُمْجُمَة أو الرأس)، يجانسه بعضهم بالأسماء الرباعية الآتية، في الأكادية (gulgullatu-gulgullu) والعبرانية (גֻּלְגֹּלֶת-gulgulet) والآرامية (גּוּלְגּוֹלְתָּא-gūlgūltā) بالمعنى نفسه. («Gesenius ١-٢٨٩»)؛ وذلك اعتمادا على أن الثلاثي أصل الرباعي. والأكثر صوابًا أن الاسم العربي الرباعي (الجُلْجُلَة: الرَّأس) هو الذي يجانس الأسماء الرباعية السامية السابقة، بينما الثلاثي (الجَلَجَة) يجانس الثلاثي (gōgaltā-גּוֹגַלְתָּא) في الآرامية و(gāgōltā-ܓܰܓܳܠ̈ܬܳܐ) في السريانية بالقلب المكاني.	ضعيف Weak
اشتباه تقارب المعنى، وتقارب المبنى، مع وجود البديل المناسب.	الأصل العربي الثلاثي (و/ع/ر)، ومنه (الوَعْرُ: المَكَانُ الحَزْنُ الغَلِيظُ الَّذِي يَصْعُبُ السَّيْرُ فِيهِ)، يُجانسه البعض بالأوجاريتية (y-ʿ-r) والآرامية والسريانية (יַעְרָא-ʾaʿrā) والعبرانية (יַעַר-yaʿar) بمعنى: (الأشجار المتكاثفة، الدَّغَل، الحَرْش) فيها جميعا. («יער»BDB: ٤٢٠) («y,ʿr: Cyrus», ٤١٢) والصواب أن هذه النظائر السامية لا تجانس الاسم العربي (الوَعْرُ)؛ وإنما هي مجانسة للاسم العربي (ي/ر/ع: اليَرَاعَةُ: الأَجَمَةُ المُتَكَاثِفَةُ الأَشْجَارِ).	
تطابق المعنى مع إبدالات نادرة أو غير معروفة في موارد التأثيل، مع وجود البديل الأنسب.	الأصل العربي الثلاثي (أ/س/س)، ومنه (أَسَاسُ البِنَاءِ: مَا يُنَضَّدُ فَوْقَ قَوَاعِدِهِ مِنْ حِجَارَةٍ تُدَبَّرُ بِالجِصِّ وَنَحْوِهِ، وَتُرْفَعُ فَوْقَهُ الجُدْرَانُ)، لا يمكن مجانسته بالعبرانية (b-s-s) ومنه (בָּסַיס) لمجرد تطابق المعنى؛ لأنه التعاقب بين الهمزة والباء إبدال شاذ لم تذكره موارد التأثيل. والصواب أن الاسم العربي (أسس: أساس) يجانس (אשש: אֹשׁ) بالمعنى نفسه. («אשש»BDB: ٨٤) وعموما ليس مستبعدا البتة الوقوف على إبدالات صوتية جديدة بين الساميات لم تذكرها موارد التأثيل، ولكن يشترط لقبولها أن تتمتع بقدر معقول من الشيوع والدوران، ولا تقتصر على أمثلة نادرة لا يُطْمأنّ إليها.	

اتحاد المبنى دون أدنى علاقة في المعنى.	الأصل العربي (ش/ر/ب: الشَّرَاب: المَاءُ، وَكُلُّ مَا يُشْرَبُ)، لا تجوز مجانسته بمثل مبناه في نحو: (Šarrabu) في الأكادية، أو (שָׁרָבָא-Šərāḇā) في الآرامية، أو (שָׁרָב-Šārāḇ) في العبرانية رغم اتحاد مبانيها جميعا؛ إذ لا علاقة بينها مطلقا في المعنى؛ فهي تعني في هذه اللغات: (الحَرَّ الشديد، الصيهود؛ ما يتراءى على مد البصر في القيظ). والصواب أن هذه الكلمات السامية تجانس في العربية (س/ر/ب: السَّرَاب: مَا يَتَرَاءَى فِي شِدَّةِ الحَرِّ بِالأَرْضِ كَأَنَّهُ مَاءٌ جَارٍ). والصواب أيضا أن (شَرِبَ) في العربية يناظر (שָׂרַף-sāraf: شَرِبَ، جَرَعَ، ابْتَلَعَ) في العبرانية، ولا يمتنع هذا النظير العبراني أيضا من مجانسة (ر/ش/ف: رَشَفَ المَاءَ: اسْتَقْصَى شُرْبَهُ حَتَّى لَمْ يَدَعْ فِيهِ شَيْئًا). الأصل العربي (ر/ق/ب: رَاقَبَ شيئًا: عَايَنَهُ وتَفَقَّدَهُ، حَافَظَ عَلَيْهِ)، لا تجوز مجانسته بمثل مبناه في نحو: (raqābu) في الأكادية، أو (רְקֵב-rəqēḇ) في الآرامية، أو (רָקַב-rāqāḇ) في العبرانية رغم اتحاد مبانيها جميعا؛ إذ لا علاقة بينها مطلقا في المعنى؛ فهي تعني في هذه اللغات: (الفَسَاد والعَطَبُ). والصواب أن الكلمات السامية السابقة التي تدور على الجذر (rqb) تجانس في العربية (ب/ق/ر: أَبْقَرَ بينهم: أَفْسَدَ وخَرَّبَ. تَبَقَّرَ فِي مَالِهِ: أَفْسَدَ فِيهِ). والصواب أيضا أن (رَاقَبَ) في العربية يناظر (בִּקֵּר-biqqēr) في العبرانية، و(bqr) في الأوجاريتية، والآرامية والسريانية (בָּקַר-ḥṣḥ-bəqar) كلها بمعنى (تَرَدَّدَ على شَخْصٍ أو شَيْءٍ وتَفَقَّدَهُ، فَحَصَهُ وعَايَنَهُ). ويُلاحظ أن التناظُر بين (ب/ق/ر) العربية و(rqb) في الساميات، و(ر/ق/ب) العربية و(bqr) في الساميات يجري على سُنَّة ما لا يستحيل بالانعكاس(١).	مرفوض Rejected

١- يُسمّى أيضًا «ما يستوي بالانعكاس» و«القلب المستوي»، وهو أحد أبواب البلاغة والبديع، ويُقصد به ما يُقرأ في العَوْد والإياب كقراءته في البدء والذهاب، ويقع في المفردات والجمل والأبيات وكامل المقالات. انظر: مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، جزء٣، صـ٣٠٦، ٣٠٧. ومما ضربوه مثلا لما يكون في الكلمة الواحدة: «آراء / توت / خوْخ / شَوَّشَ»، وليس هذا مقصود الورقة منه مطلقا؛ إنما تعني الورقة ما لا يستحيل بالانعكاس من مادتين مختلفتين بمعنى واحدٍ، وهو نادر الوقوع جدا في اللغة الواحدة، ومن أمثلته في العربية: (العنْك والكنْعُ: السُّدْفَة منَ اللَّيْل). انظر: أنستاس الكرملي: نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، مرجع سابق، صـ١٧، ١٨. وتُمثِّل له الورقة أيضا بـ(الزَّنَخ والخَنَز: تَغَيُّر الرَّائحَة، يُقال: خَنِزَ اللَّحْمُ وزَنِخَ: فَسَدَ وتَغَيَّرَتْ رَائحَتُهُ)، ومن أمثلته العزيزة في العبرانية: (שחס: שָׁחִיס [إشعيا ٣٧: ٣٠] = סחש: סָחִישׁ [ملوك ٢: ١٩: ٢٩]: ما ينمو من غير زَرْع من سَقْط غَلّة حصاد سابق). ولا تعلم الورقة أحدا سبق إلى التنبه إلى هذا النوع من التجانس بين العَربية والساميات، وهو مبحث طويل الذيل متشعب الأغصان، عسى أن يفرده الباحث ببحث مستقل.

وبعد؛ فتدعو الورقة، إذ اقترحت مقياسا سداسي المراتب، إلى إهدار ما كان من بابة الرُّتبة الدنيّة فقط [رُتبة المرفوض]، وإقرار المراتب الخمس الأولى جميعا وقبولها والعمل بها على جهة التنزُّل من علياها إلى دنياها؛ فلا يُلجأ إلى تأثيل من المرتبة الثانية [جيد جدا] إلا فيما تعذّر أن يكون من المرتبة الأولى [ممتاز]، ولا يُصَار إلى تأثيل من الرتبة الثالثة [جيد] إلا فيما تعسّر أن يكون من الرتبتين الأولى والثانية [ممتاز / جيد جدًا]... إلخ.

وإذ إن التأثيل فعل تراكمي ينمو بالتجربة والخطأ، ويزكو بالاستبصار والاستقراء والاستنباط، وَيَشْتَدُّ بالكَسْب ويَسْتَدُّ بالوَهْب؛ تقرر الورقة أن تأثيلات المرتبة الخامسة [مرتبة الضعيف]، التي لا يُصارُ إلى مثلها إلا بافتقاد الدوال الهاديات إلى ما فوقها، لا تخلو من فوائد؛ إذ تحفز على مزيد من التفكُّر والتدبُّر، متى رازتها فهوم المتأملين وتعقّلتها قرائح النّابهين. فمن شأن تلك التأثيلات الواهيات، بمزيد من النصوص والنقوش المكتشفات، والتنقيب في المصادر المُعينات، وبالحدس والتخمين واختبار الفرضيات؛ أن تفضي إلى تأثيلات وازنات[1].

٥. نماذج التأثيل الشارحة:

قبل عرض نماذجها الشارحة، تُنبّه الورقةُ إلى ما تظنه من أخطر ما يتهدد مسيرة التأثيل بعامة ومسيرته في المعجم التاريخي بخاصة؛ وهو أن يُصيب ملكاتِ القائمين عليه الخمولُ، وأن يستبدّ بنفوسهم شعورٌ مُحبط بأنهم تَبَعٌ مسبوقون في كل ما من شأنه أن يُقال، وأن يطأطئوا الرؤوس خُشَّعًا لقول القائل: (ما ترك الأولُ شيئًا للآخر)، ويا لتلك المقولة الكاذبة الخاطئة التي ليس أضر على العلم وأهله منها! فليُعْلَم أن الشيءَ إنما يُستحسَن لجودته لا لقدمته، ويُستهجَن لرداءته

١- نوّه بفوائد التأثيل الشعبي وإمكان استثماره وتطويره إلى تأثيلات أجود، كل من:

- Keith Brown (ed.): Encyclopedia of Language and Linguistics, Op. Cit., entry: «etymology», by Philip Durkin: Vol. 5, pp.260, 261. Robert Mailhammer: Etymology, Op. Cit., p.425.

لا لحداثته، و(أن ذاك القديم كان حديثا × وسيُمسي هذا الحديث قديما)، وأن العربية والساميات تدّخر من خبيء كنوزها ومكنون ظواهرها للمتأخرين، ما لم تَبُح به وقد عَاصَ على المتقدمين، وليُعْلَم أن السداد والرشاد في قول «أبي تمام»: (كَمْ تَرَك الأوَّلُ لِلآخِرِ).

وفيما يلي تستقي الورقة نماذجها الشّارحة لأجروميّتها المقترحة من بعض ما استدركته على ما نُشر من أبواب معجم الشارقة التاريخي حتى وقت كتابة البحث [أغسطس آب ٢٠٢٤ / من الهمزة إلى الضاد]؛ مراعيةً أن تغطي جميع الأبواب الخمسة عشر المنشورة، وتمثل حالات متباينة من الصنعة التأثيلية السامية، وراجيةً أن تستيقظ الأنظار إلى ما بعض ما خفي من قوانين حاكمة على مسارات التغير الصوتية والصرفية بين العربية والساميات. وتضع الورقة نماذجها الشارحة في جدول تدعوه «بطاقة التأثيل»، وهو جدول واضح البنود والمعايير؛ تجيب كل خلية فيه عن أحد جوانب الصنعة التأثيلية في الساميات؛ بما يصون التأثيل عن الإفراط والتفريط، ويقيمه على جادّة المنهج العلمي.

٥. ١ النموذج الأول (أ/م/ت)[1]:

الجذر العربي	أ/م/ت ʾ /t/m			
الدلالة المحورية	الحَزْرُ والتَّخْمِينُ			
الوحدة المعجمية العربية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	أَمَتَ ʾamata			
	فعلٌ متعدٍّ			
	أَمَتَ الشَّيْءَ يَأْمِتُهُ أَمْتًا: قَدَّرَهُ وحَزَرَهُ.			
الجذر السامي	الآرامية	السريانية	الجزعية	العبرانية
	אמם ʾmm	ʾmm ܐ-ܡ-ܡ	ʾmm 𐡀𐡌𐡌	אמד ʾmd
الدلالة المحورية	الذِّرَاع (وحْدَةٌ لقياسِ المَسافَةِ)			الحَزْرُ والتخمين
الوحدة المعجمية السامية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	ʾammətā אַמְּתָא أَمَّتَا	ʾamṯā ܐܡܬܐ أَمتَا	ʾəmat 𐡀𐡌𐡕 أَمَت	ʾāmad אָמַד آمَد
	اسم مفرد مؤنث	اسم مفرد مؤنث	اسم مفرد مؤنث	فعل متعدٍّ
	الذِراعِ: وحْدَةٌ لقياسِ المَسافَةِ			قَدَّرَ، حَزَرَ
تغييرات البنية (الإبدال والقلب...)	١. إبدال التاء والميم (إبدال بعيد)، (أبو الطيب ١/ ١٤٦)، ولكن المفارقة الدلالية بين العربية وهذه اللغات لا تشفع له.			١. إبدال التاء والدال (إبدال قريب).
الشاهد والترجمة والتوثيق والانتماء والتأريخ	(וְאַמָּתָא וּפַלְגָּא פּוּתְיֵהּ: وعَرْضُهُ ذِراعٌ ونِصْفٌ) (ת«א: שמ׳ ٢٥,١٠)	(ܘܐܡܬܐ ܘܦܠܓܐ ܦܬܝܗ: ܐܡܬܐ ܫܕܬ: فاقْتَرَبَتْ مِنْهُ ذِراعًا واحِدَةً) (ܡܬ, ٢٥: ٦٩)	(אומדים אותה כמה לקח היא: يَأمِتُونَها «الحنطة» كم حزمة تكون) (משנה: פאה, ה, א)	(זרעמס በእመት: طوله خمسة أذرع) (ዘፀአት ٢٧: ١)
	تراجم العهد القديم	تراجم العهد الجديد	المشنا	تراجم العهد القديم
	الثاني الميلادي	الخامس الميلادي	الثالث الميلادي	السادس الميلادي
جودة التأثيل	مرفوض	مرفوض	ممتاز	مرفوض
الصواب	אמד ʾmd	-----		-----

١- تختبر الأجرومية في هذا النموذج الصنعة التأثيلية في الجذر (أ/ م/ ت) الذي حرره خبراء التأثيل بمعجم الشارقة، ويتبين هشاشة المخرج التأثيلي في الآرامية والسريانية والجعزية، وقوته في العبرانية. هذا وتقترح الأجرومية النظير (ʾemēdu) في الأكادية، والنظير (עמד/md/ʿ) أيضا في العبرانية مقابل (أ/ م/ ت) في العربية. وتنوه الأجرومية أنّ النظائر المشتقة من الجذر (ʾmm) التي قدمها معجم الشارقة في كل من الآرامية والسريانية والجعزية، تناظر الجذر العبراني (א/מ/מ) ومنه: (אַמָּה: الذراع، مقياس الطول)، وهي جميعا تناظر الجذر العربي (أ/ م/ م) ومنه: (الإِمَّةُ: اليَدُ) و(الأَمَّة: القامة).

٥. ٢ النموذج الثاني (ب/ل/ح)[١]:

الجذر العربي	ب/ل/ح ḥ/l/b		
الدلالات المحورية	١. الإعْياءُ الشَّديدُ.	٢. ثَمَرُ النَّخْلِ.	
الوحدة المعجمية العربية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	بَلَحَ balaḥa	بَلَح balaḥ	
	فعلٌ لازِمٌ	اسمُ جِنْسٍ	
	بَلَحَ فُلانٌ: تَعِبَ تَعَبًا شَديدًا.	البَلَحُ: ثَمَرُ النَّخْلِ ما دامَ أَخْضَرَ قَبْلَ الاسْتِدارَةِ.	
الجذر السامي	العبرانية	العبرانية	السريانية
	בחל bḥl (٢)	בחל bḥl	ܒ-ܚ-ܠ / bkl ܒ-ܟ-ܠ b'l
الدلالات المحورية	ضِيقُ النَّفْسِ، الضَّجَرُ والملالة.	التِّينُ لم يكتمل نضجه.	العِنَبُ وغيرُه لَمْ يَنْضُج.
الوحدة المعجمية السامية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	בָּחַל bāḥal بَاحَل	בֹּחַל boḥal بْحَل	١. bāḥlawāṯā ܒܵܚܠܘܵܬܵܐ بَاخلَوَاثًا. ٢. ba'ūlāṯā ܒܥܘܼܠܵܬܵܐ بَعُولَاثًا.
	فعلٌ لازِمٌ	اسمُ جِنْسٍ	
	ضَاقَ ذرعًا، سَئِمَ، بَرِمَ.	التِّينُ بَعْدَ أَنْ كَانَ فِجًّا وقَبْلَ أَنْ تكتمل استدارته ونضجه.	كلّ ما لم ينضج من العنب وغيره من الأثمار.
تغييرات البنية	١. قلب مكاني.	١. قلب مكاني.	١. إبدال الحاء والكاف (إبدال قريب)، مع القلب المكاني. ٢. إبدال الحاء والعين (إبدال قريب)، مع القلب المكاني.
الشاهد والترجمة والتوثيق	(וַתִּקְצַר נַפְשִׁי בָּהֶם וְגַם נַפְשָׁם בָּחֲלָה בִי: ضَاقَتْ نَفْسِي بِهِم، كَمَا بَلَحَتْ نُفُوسُهُم بِي). (زك' ١١: ٨)	(מָשָׁל מָשְׁלוּ חֲכָמִים בָּאִשָּׁה: פֶּגֶה, בֹּחַל, וְצָמָל: مَثَّلَ الحاخامات لمراحل نُضوج المرأةِ بالتينة الفجَّةِ والتينة قُبَيْل الاستدارة والتينة المستديرة). (משנה: נידה, ה', ז')	----------
والانتماء والتأريخ	العهد القديم	المشنا	----------
	قبل ٢٥٠ق.م	الثالث الميلادي	بين القرن الأول والسابع للميلاد
جودة التأثيل	جيد	جيد	جيد

١- لم يُقدّم معجم الشارقة أي نظير سامي لهذا الجذر.
٢- يمكن أيضا طرح النظير العبراني (ב.ל.ח: הִבְלִיחַ): ارتعَدَ لَهَبُ الشمعةِ ونحوِها وضَعُفَ قُبَيْلَ أن يَخْبُوَ ويَنْطفِئ).

٥. ٣ النموذج الثالث (ت/ل/س)[١]:

الجذر العربي	ت/ل/س s/l/t	
الدلالة المحورية	ضَرْبٌ من البُسُطِ والأردية	
الوحدة المعجمية العربية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	تِلِّيس tillīs	
	اسم مفرد مذكر	
	التِّلِّيسُ: بِساطٌ غَليظٌ مُتَعَدِّدُ الألْوانِ، يُفْتَرَشُ وقَدْ يُلْبَس، والجمعُ تَلَالِيسٌ.	
الجذر السامي	الآرامية	العبرانية
	טלל טלי טלת tll tly tlt ṭll ṭly ṭlt	
الدلالة المحورية	ضَرْبٌ من البُسُط والأردية	
الوحدة المعجمية السامية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	טָלִית ṭālēṯ طَالِـث טַלִּיתָא ṭallīṯa طَلِّيثَا	טַלִּית ṭallīt طَلِّيت / טַלֵּת ṭallēt طَلِّـت يُجمع على (טַלִּיוֹת, טַלִּיתוֹת, טַלִּיתִים) وثبوت التاء في حالتي الجمع (טַלִּיתוֹת, טַלִּיתִים) يُرجِّح أصالتها.
	اسم مفرد مؤنث	اسم مفرد مؤنث، وبأصالة التاء يحتمل التذكير.
	١. شَالُ الصَّلَاةِ والطقوسِ الدينية، ويَكُونُ في الغَالِبِ مُلَوَّنًا وَذَا شَرَارِيب. ٢. عَبَاءَةٌ فَضَفَاضَةٌ تُرتَدَى، وتُفْتَرَشُ.	١. عَبَاءَةٌ فَضَفَاضَةٌ تُرتَدَى، وتُفْتَرَشُ. ٢. شَالُ الصَّلَاةِ والطقوس الدينية، ويَكُونُ في الغَالِبِ مُلَوَّنًا وَذَا شَرَارِيب.
تغييرات البنية	١. إبدال التاء والطاء (إبدال قريب). ٢. إبدال السين والتاء لو كانت أصلية (إبدال قريب). ٣. القلب الصرفي في حال كانت التاء الآرامية والعبرانية غير أصيلة.	
شاهد المعنى الأول والترجمة والتوثيق والانتماء والتأريخ	١. (הֲווֹן מְהַלְכִין קוֹמֵי עַרְסֵיהּ דְּרַבִּי שִׁמְעוֹן... הֲוָה טַלִּיתֵיהּ דְּרַבִּי יוֹנָתָן מְהַלְכָא עַל אֲרוֹנֵיהּ: كانوا يمشون في جِنَازَة رابي شمعون... وكانَتْ «شَرَارِيبُ» تِلِّيس رابي يوناتان تُلَامِسُ النَّعْشَ). (קה«ר: טז, ה, א)	١. (אִם אֵינוֹ מַאֲמִינוֹ, מַנִּיחַ טַלִּיתוֹ אֲצָלוֹ וְעוֹשֶׂה עִמּוֹ חֶשְׁבּוֹן לְאַחַר הַשַּׁבָּת: إذا لم يكن يأتمنه، فليرْ هَنْ تِلِّيسَهُ عِنْدَهُ، ثم يحاسبه بعد السبت). (משׁ': שבת, כ«ג, א')
	المدراشيم	المشنا
	قبل القرن السادس الميلادي	القرن الثالث الميلادي

١- لم يُقدّم معجم الشارقة أي نظير سامي لهذا الجذر.

شاهد المعنى الثاني والترجمة	٢. (אֲרוּם הִיא טָלִית דְּמִתְכַּסֵּי בָהּ בְּלְחוֹדָהּ: لأنه قَدْ يَكُونُ تِلِّيسُهُ الوَحِيدُ الذِّي يَتَغَطَّى بِهِ). (ת«י: שמ' ٢٢: ٢٦)	١. (אֵין אָדָם רַשַּׁאי לְמִכֹּר טָלִית מְצֻיֶּצֶת לְגוֹי עַד שֶׁיַּתִּיר צִיצִיּוֹתֶיהָ: لا يَحِلُّ لِيهوديٍّ بَيْعُ تِلِّيسٍ ذِي شَرَارِيبٍ لأحدِ الأغيار، حَتَّى يُزِيلَ شَرَارِيبَهُ). (תלמ«ב, מנחות, מ«ג, א')
والتوثيق والانتماء والتأريخ	تراجم العهد القديم	التلمود البابلي
	من ٧٠٠م إلى ١٢٠٠م	من ٤٠٠م إلى ٦٠٠م
جودة التأثيل	جيد جدًّا	جيد جدًّا
التأثيل التعاقُبي	اختُلِفَ في أصالةِ كلمة «تِلِّيس»؛ فبينما لم تطعن المعاجم العربية التراثية فيها، قالت بعض الدراسات الحديثة فيها بآراء متنوعة؛ إذ قال الهولندي «رينهارت دوزي» [ت: ١٨٨٣] إنها معربة أصلها من اللاتينية (trilicium) المشتقة من (trilix) بمعنى (نسيج ذي ثلاثة خيوط)، وهي في بنات اللاتينية أيضا؛ حيث هي بالإيطالية (traliccio)، وبالإسبانية (terliz)، وبالفرنسية (treillis)، كما أنها موجودة في القبطية (θαλις/طاليس): وهو في هذه اللغات جميعا ضرب من نسيج القنب أو الكتان الغليظ تصنع منه الأكياس والجوالق، وكذلك ملابس الفلاحين والعمال وغيرهم... ويتخذ أيضًا ثوبا للحداد، ويلبسه النُّسّاك. [Supplément Aux Dictionnaires Arabes, vol.١, p.١٥٠] وقال العراقي «أدي شير» [ت: ١٩١٥]: «قيل إنها فارسية الأصل؛ فلعلها معربة عن (تَلُوسَة: الغُلاف)، أو عن (تُلِي)، ويقول فرنكل إنها تعريب الرومي (trilicium)، ولكن الأصح أنها معربه عن اليوناني (θαλλις)، وهي في التركية (تَلِيسه) والكردية (تَلِيس)». [الألفاظ الفارسية المعربة، صـ٣٦] أما (טַלִּיתָא) الآرامية فهي دخيلة من العبرانية «טַלִּית» المختلف في أصالتها؛ فبينما تذهب معظم الآراء إلى أصالتها واشتقاقها من الجذر (טלל: ظَلَّلَ، غَطَّى) أو (טלה: طَلَى، دَهَنَ) [אבן שושן: טלית, ٨٩٤/٢]، قال الإيطالي «بر بيحيئل»[ت: ١١٠٦] إنها معبرنة دخيلة من الفارسية (تالش) ولذلك فالتاء في (טַלִּית) ليست زائدة، وإنما مبدلة من الشين الفارسية. [ערוך: טלת: טלית, ٣٧/٣]. وعليه فوجود «تِلِّيس» و«טַלִּית» في لغات عديدة غير العربية والعبرانية [الفارسية واليونانية، واللاتينية وفسائلها، والقبطية، والتركية والكردية] يُرجّح أنها دخيلة على هذه الساميات، وأقرب الظنّ أنّها دخيلة من إحدى الهندوأوروبيات، ويُحتمل أنها الفارسية؛ لأن الكلمتين قريبتا المعنى والمبنى من الكلمتين الدخيلتين فيهما: «طَيْلَسَان = תּוֹלְסִין» المرجح أنهما من الفارسية «تالسان أو تالشان». [Trachten der Juden, vol.١, p.٥٢] [ערוך: טלת: טלית, ٣٧/٣].	

- هذا نموذج للجمع بين التأثيل التحاقبي والتعاقبي الذي سبق أن نوهت الورقة إلى إمكان حدوثه؛ إذ بدأ التأثيل تحاقبيًّا بين العربية والآرامية والعبرانية بحسبانهما لغات ساميّات شقيقات، فكشف عن اقتراض الآرامية من العبرانية، ثم صار تعاقبيًّا خالصا يتعقَّب أصل الكلمتين العربية والعبرانية في الهندوأوروبيات.

٥. ٤ النموذج الرابع (ث/ف/د)[١]:

الجذر العربي	ث/ف/د t̲/f/d		
الدلالات المحورية	التَبْطِينُ للثوبِ والفراشِ ونحوِهِمَا		
الوحدة المعجمية العربية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	ثَفَّدَ taffada t̲		
	فعلٌ متعدٍّ		
	ثَفَّدَ الرَّجُلُ الثَّوْبَ ونَحْوَهُ: بَطَّنَهُ.		
الجذر السامي	الجعزية	العربيات الجنوبية	العبرانية
	Rfd	rfd	רפד rfd
الدلالة المحورية	الرحل يوضع على ظهر الدابة ليسْهُل ركوبها، والفراش الوثير يوضع على الأرض يُجلَس عليه.		
الوحدة المعجمية السامية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	rafada رَفَدَ / ʾarfada أَرْفَدَ	rfdt رفدت / rfd ʾ أرفد	רִפֵּד rippēd ריפד
	فعل متعدٍّ	اسم	فعل متعدٍّ
	دَعمَ الثوب ونحوه ببطانة. (المعنى غير مؤكد)	الفراشُ يُتَّقى به خشونة ما تحته.	فَرَشَ السَّرِيرَ ببطانة وثيرة.
تغييرات البنية	إبدال الثاء والراء. (إبدال بعيد مخرجًا وصفة) (أبو الطيب ج١/ ١٦٧)		
الشاهد والترجمة والتوثيق	----------	----------	(בַּחֹשֶׁךְ רִפַּדְתִּי יְצוּעָי: في الظُّلْمَةِ ثَفَّدْتُ فِرَاشِي). (איוב ١٧: ١٣)
والانتماء والتأريخ	----------	----------	العهد القديم
	بين ٧٥٠ق.م و١٠٠٠م	بين ١٠٠٠ق.م و٦٠٠م	قبل ٢٥٠ق.م
جودة التأثيل	ضعيف	ضعيف	ضعيف
التعليق	يمثل هذا النموذج حالة (تطابق المعنى، مع إبدال بعيد نادر في المبنى، مع وجود البديل الأنسب)، والبديل الذي يطابقه في المعنى وأكثر مناسبة له في المبنى، هو في العربية (ر/ف/د: أَرْفَدَ الدّابَّةَ: جَعَلَ لَها رِفادَةً. والرِّفَادَةُ: دِعَامةُ السَّرْجِ والرَّحْلِ ونَحْوِهما، تَكونُ مِنْ لِبَدٍ أَو أَدَمٍ)، وبه قال معجم الشارقة.		

١- لم يُقدّم معجم الشارقة أي نظير سامي لهذا الجذر.

٥. ٥ النموذج الخامس (ج/ر/ز)[١]:

الجذر العربي	ج/ر/ز j-g/r/z	
الدلالات المحورية	١. القَطْعُ والإزالةُ.	٢. الجدب والقحْط واليَبَاسُ.
الوحدة المعجمية العربية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	جَرَزَ j-garaza	جُرُز j-guruz
	فعل متعدٍّ	صفةٌ مُشَبَّهةٌ
	جَرَّزَ الشَّيْءَ: قَطَّعَهُ.	الجُرُزُ مِنَ الأرضِ: الَّتِي لا نَبَاتَ بِهَا.
الجذر السامي	العبرانية	العبرانية
	גרז grz	גזר gzr
الدلالات المحورية	١. القَطْعُ والإزالة.	٢. الجدب والقحْط واليَبَاسُ.
الوحدة المعجمية السامية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	נִגְרַז nigraz	גְּזֵרָה gəzērā
	فعل مبنيٌّ للمجهول	صفةٌ مُشَبَّهةٌ
	قُطِعَ وأُزِيلَ.	الأَرْضُ القاحلةُ النائية.
تغييرات البنية	----------	قلب مكاني
الشاهد والترجمة والتوثيق والانتماء والتأريخ	(נִגְרַזְתִּי מִנֶּגֶד עֵינֶיךָ: جُرِّزْتُ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيْكَ [سَقَطْتُ مِنْ نَظَرِكَ]). (تهـ، ٣١: ٢٣)	(וְנָשָׂא הַשָּׂעִיר... אֶל אֶרֶץ גְּזֵרָה וְשִׁלַּח אֶת הַשָּׂעִיר בַּמִּדְבָּר: وَيَحْمِلُ التَّيْسَ... إلى أَرْضٍ جُرُزٍ ويُطْلِقُهُ في الصَّحَرَاء). (ויق، ١٦: ٢٢)
	العهد القديم	العهد القديم
	قبل ٢٥٠ق.م	قبل ٢٥٠ق.م
جودة التأثيل	ممتاز	ممتاز

١- هذا الجذر غير موجود على صفحة معجم الشارقة.

٥. ٦ النموذج السادس (ح/د/س)[١]:

الجذر العربي	ح/د/س s/d/ḥ	
الدلالة المحورية	التَّوَهُّمُ والشَّكُّ والتخمين	
الوحدة المعجمية العربية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	حَدَسَ ḥadasa	
	فعلٌ متعدٍّ	
	حَدَسَ فِي الأَمْرِ ونَحْوِهِ: قَالَ فِيهِ بِالتَّخْمِينِ وَالظَّنّ.	
الجذر السامي	الآرامية	العبرانية
	ḥšd חשׁד	
الدلالة المحورية	التَّوَهُّمُ والشَّكُّ والتخمين	
الوحدة المعجمية السامية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	חָשַׁד ḥəšad حَشَد	חָשַׁד ḥāšad حَاشَد
	فعلٌ متعدٍّ	
	شَكَّ في فلان، تكلم فيه بغير بيّنة، ظَنَّ فيه السوءَ.	
تغييرات البنية	١. إبدال السين والشين (إبدال قريب). ٢. قلب مكاني.	
الشاهد والترجمة والتوثيق والانتماء والتأريخ	(הֲוֹ דְּכִירִין מַה דְּעָבַד יְיָ אֱלָהָכוֹן לְמִרְיָם דְּחָשְׁדַת לְמשֶׁה: اذكُرُوا ما فَعَلَ الرَّبُّ إلهُكُمْ بمريَمَ لما حَدَسَتْ في مُوسَى). (ت«י: דב' ٢٤: ٩)	(מִכָּאן לַחוֹשֵׁד אֶת חֲבֵרוֹ בְּדָבָר שֶׁאֵין בּוֹ, שֶׁצָּרִיךְ לְפַיְיסוֹ: وعلى مَنْ يَحدِسُ في صَاحِبِه شَيْئًا لَيْسَ به أَنْ يسترضيَهُ). (תלמ«ב: ברכות, ל«א, ב')
	تراجم العهد القديم	التلمود البابلي
	بين ٧٠٠م و١٢٠٠م	بين ٤٠٠م و٦٠٠م
جودة التأثيل	ممتاز	ممتاز

١- لم يُقدّم معجم الشارقة أي نظير سامي لهذا الجذر، كما يتبيّن من هذا النموذج ضعف قول من قال بمجانسة الأصل العبراني (חשׁד/ḥšd) بالأصل العربي (ح / س / د)، كما فعل (אבן שושן: שם, כרך ٢, עמ' ٦١٨) مثلا.

٥. ٧ النموذج السابع (خ/ل/ع)[1]:

<table>
<tr><td>الجذر العربي</td><td colspan="2">خ/ل/ع ḫ/l/ʿ</td></tr>
<tr><td>الدلالة المحورية</td><td colspan="2">النَّزْعُ والقَلْعُ</td></tr>
<tr><td rowspan="3">الوحدة المعجمية العربية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية</td><td colspan="2">خَلَعَ ḫalaʿa</td></tr>
<tr><td colspan="2">فعل متعدٍّ</td></tr>
<tr><td colspan="2">خَلَعَ فُلانٌ نَعْلَهُ أو ثَوْبَهُ: نَزَعَهُمَا.</td></tr>
<tr><td rowspan="2">الجذر السامي</td><td>الآرامية</td><td>العبرانية</td></tr>
<tr><td colspan="2">חלץ ḥlṣ</td></tr>
<tr><td>الدلالة المحورية</td><td colspan="2">النَّزْعُ والقَلْعُ</td></tr>
<tr><td rowspan="3">الوحدة المعجمية السامية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية</td><td>חֲלַץ ḥəlaṣ حلَصْ</td><td>חָלַץ ḥālaṣ حَالَص</td></tr>
<tr><td colspan="2">فعل متعدٍّ</td></tr>
<tr><td colspan="2">نَزَعَ نَعْلَهُ ونَحْوَهُ.</td></tr>
<tr><td>تغييرات البنية</td><td colspan="2">١- إبدال الخاء والحاء (إبدال قريب).
٢- إبدال العين والصاد (إبدال بعيد مخرجًا وصفةً). (أبو الطيب ٢/ ٢٥٦: ٢٥٩)، (Gesenius, ١٨٣٥: ٣-١٢٥٨ (רבע= רבץ)»).</td></tr>
<tr><td rowspan="3">الشاهد والترجمة والتوثيق

والانتماء والتأريخ</td><td>(וּפְסַקוּ יַת רֵישֵׁיהּ וְחַלִיצוּ זֵינֵיהּ וּשְׁלַחוּ בְּאַרְעָא דִפְלִשְׁתָּאֵי: وَاحْتَزُّوا رَأْسَهُ وخَلَعُوا عَنْهُ سِلَاحَهُ وأَرْسَلُوا جُثَّتَهُ إلى أَرْضِ الفِلِسطِيِّين).
(ת«י: שמ«א ٣١: ٩)</td><td>(וְחָלְצָה נַעֲלוֹ מֵעַל רַגְלוֹ וְיָרְקָה בְּפָנָיו: وَخَلعَتْ نَعْلَهُ عَنْ رِجْلِهِ وبَصَقَتْ في وَجْهِهِ).
(דב‘ ٢٥: ٩)</td></tr>
<tr><td>تراجم العهد القديم</td><td>العهد القديم</td></tr>
<tr><td>بين ٧٠٠م و١٢٠٠م</td><td>قبل ٢٥٠ق.م</td></tr>
<tr><td>جودة التأثيل</td><td>جيد جدا</td><td>جيد جدا</td></tr>
</table>

١- لم يُقدّم معجم الشارقة أي نظير سامي لهذا الجذر.

٥. ٨ النموذج الثامن (د/أ/د/أ = د/هـ/د/أ = د/هـ/د/هـ = د/هـ/د/ي)[1]:

الجذر العربي	د/أ/د/أ = د/هـ/د/أ = د/هـ/د/هـ = د/هـ/د/ي d/h/d/y = d/h/d/h = d/h/d/’ = d/’/d/’	
الدلالة المحورية	السُّقُوطُ والانْحِدَارُ والتَّدَحْرُجُ، والتهادي والسَّيْرُ الوَئِيدُ.	
الوحدة المعجمية العربية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	تَدَأْدَأَ = تَدَهْدَأَ = تَدَهْدَهَ = تَدَهْدَى tadhdā = tadhdaha = tadhda’a = tad’da’a	
	فعلٌ لَازِمٌ	
	تَدَأْدَأَ، وتَدَهْدَأَ، وتَدَهْدَهَ، وتَدَهْدَى فِي مَشْيِهِ: خَرَّ وَتَهَادَى وانْحَدَرَ في مِشْيَتِهِ.	
الجذر السامي	الآرامية	العبرانية
	ddy דדי	
الدلالة المحورية	السُّقُوطُ والانْحِدَارُ والتَّدَحْرُجُ، والتهادي والسَّيْرُ الوَئِيدُ.	
الوحدة المعجمية السامية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	אִיתַּדַּי ’īddaddē إِيدَّدِّي	הִדַּדָּה hiddaddā هِدَّدًا
	فعلٌ لازِمٌ	
	خَرَّ وانْحَدَرَ وَتَهَادَى في مِشْيَتِهِ.	
تغييرات البنية	تحول البنية الرباعية في العربية إلى بنية ثلاثية في الآرامية والعبرانية	
الشاهد والترجمة والتوثيق والانتماء والتأريخ	(בֵּינִי אוֹרְחָא דְזִבוּנָה מְדַדְיָה: תֵּלְכִ طَبِيعَةُ التَّاجِرِ إِذْ يَتَدَأْدَأُ/ يَتَدَهْدَأُ/ يَتَدَهْدَهُ/ يَتَدَهْدَى في مِشْيَتِهِ). (תלמ«י: קידושין, ג’, ה’ | ס»ד, א’)	(אֲדַדֶּה כָל שְׁנוֹתַי עַל מַר נַפְשִׁי: أَتَدَأْدَأُ/ أَتَدَهْدَأُ/ أَتَدَهْدَهُ/ أَتَدَهْدَى كلَّ سِنِيِّ حياتي بِنَفْسٍ مِلْؤُهَا المَرارَةُ). (יש’ ٣٨: ١٥)
	التلمود الأورشليمي	العهد القديم
	بين ٤٠٠م و٤٥٠م	قبل ٢٥٠ق.م
التعليق	يمثل هذا النموذج حالة (تطابق المعنى، واختلاف عدد أصول المبنى؛ مع عدم وجود بديل مناسب)، ويكون هذا التأثيل مقبولا حتى يُكتشف نظير مطابق أو مقارب في المبنى.	
جودة التأثيل	مقبول	مقبول

١- قدّم معجم الشارقة نظيرا جعزيا مقابل الجذر (د / أ / د / أ)، وآخر عبرانيا مقابل (د / ه / د / ي).

٥. ٩ النموذج التاسع (ذ/خ/ر)[١]:

الجذر العربي	ذ/خ/ر r/ẖ/ḏ	
الدلالة المائزة	طِيبُ الرَّائِحَة	
الوحدة المعجمية العربية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	إِذْخِر iḏẖir’ (مزيد بالهمزة في أوله)	
	اسْمُ جِنْس	
	الإِذْخِرُ: نَبْتٌ مِنَ الحَشائِشِ، طَيِّبُ الرّائِحَةِ، واحِدَتُهُ: إِذْخِرَةٌ.	
الجذر السامي	الآرامية	العبرانية
	דכר dkr	זכר zkr
الدلالة المائزة	طِيبُ الرَّائِحَة	طِيبُ الرَّائِحَة
الوحدة المعجمية السامية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	אַדְכַּרְתָּא dkartā’ أَدكَرْتَا	אַזְכָּרָה zkārā’ أَزكَارَا
	اسْمُ جِنْس	
	ضَرْبٌ مِنَ العطر، يُتبَخَّرُ بِهِ.	
تغييرات البنية	١. إبدال الذال والدال (إبدال بعيد مخرجا قريب صفةً). (أبو الطيب ٣٥٣/١) (Gesenius, ١٨٣٥: ٣٠٩/١»). ٢. إبدال الخاء والكاف (إبدال بعيد مخرجا قريب صفةً). (أبو الطيب ١/ ٣٤٣) (Gesenius, ١٨٣٥: ٦٤٧/٢»).	١. إبدال الذال والزاي (إبدال بعيد مخرجا قريب صفةً). (أبو الطيب ٤/٢) (Gesenius, ١٨٣٥: ٣٠٩/١»). ٢. إبدال الخاء والكاف (إبدال بعيد مخرجا قريب صفةً). (أبو الطيب ٣٤٣/١) (Gesenius, ١٨٣٥: ٦٤٧/٢»).
الشاهد والترجمة والتوثيق	(וַיִּסַּק כַּהֲנָא יָת אַדְכָּרְתָּהּ לְמַדְבְּחָא: וַיַּקְרֵב הַכֹּהֵן אֶת אַזְכָּרָתָהּ הַמִּזְבֵּחָה אִשֵּׁה רֵיחַ נִיחֹחַ לַיהוָה: וַיַּקְטֵר הַכֹּהֵן אֶת אַזְכָּרָתָהּ עַל הַמִּזְבֵּחַ וַיַּקְרֵב הַכֹּהֵן אֶת אַזְכָּרָתָהּ עַל הַמִּזְבֵּחַ: וַיַּקְטֵר הַכֹּהֵן אֶת אַזְכָּרָתָהּ עַל הַמִּזְבֵּחַ) (ת«א: ויק ٢: ٢)	
والانتماء والتأريخ	تراجم العهد القديم	العهد القديم
	الثاني الميلادي	قبل ٢٥٠ ق.م
جودة التأثيل	جيد جدا	جيد جدا

١- قدّم معجم الشارقة لهذا الجذر نظيرا جعزيا غير مناسب.

٥. ١٠ النموذج العاشر (ر/د/ن)[١]:

الجذر العربي	ر/د/ن n/d/r		
الدلالات المحورية	١. النَّوْمُ الثَّقِيل. [دلالة مائزة]		٢. الغَزْل. [دلالة محورية]
الوحدة المعجمية العربية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	أُرْدُنّ ʾurdunn		رَدَنَ radana
	صفة		فعلٌ لازمٌ ومتعدٍّ
	الأُرْدُنُّ مِنَ النُّعاسِ وغَيْرِهِ: الغالِبُ الشَّديدُ.		رَدَنَتِ المَرْأَةُ: نَسَجَتِ الغَزْلَ. ورَدَنَ فُلانٌ الثَّوْبَ وغَيْرَهُ: نَسَجَهُ
الجذر السامي	الآرامية	العبرانية	السريانية
	rdm רדם	rdm רדם	rdn ܪܕܢ
الدلالة المحورية	النَّوْمُ الثَّقِيل. [دلالة محورية]	النَّوْمُ الثَّقِيل. [دلالة محورية]	الغَزْل. [دلالة محورية]
الوحدة المعجمية السامية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	רָדִים rādīm رَادِيم	תַּרְדֵּמָה tardēmā ترْدِمَا	ʾēṯrəḏēn ܐܶܬ̰ܪ̰ܕ̰ܹܝܢ إِتْرْذِن
	صفة	اسم مفرد مؤنث	فعلٌ مبني للمجهول
	نَائِمٌ، مُستغرقٌ في نَوْمٍ عَمِيقٍ	النَّوْمُ الثَّقِيل.	غُزِلَ الصُّوفُ خُيوطًا، أُلِفَّ على المِرْدَن.
تغييرات البنية	إبدال النون والميم (إبدال قريب)		----------
الشاهد والترجمة والتوثيق والانتماء والتأريخ	(וּבְלֵילְיָא אִתְכְּבִישׁ כְּרֵכָא דְּמוֹאָב וְאִינוּוֹ רְדִימִין: وفي الليل استُبيحَتْ مدينةُ موآب وهم نائمون نَوْمًا أُرْدُنًّا). (ת«י: ישׁ', ١٥: ١)	(וַיַּפֵּל יְהוָה אֱלֹהִים תַּרְדֵּמָה עַל הָאָדָם: فَغشَّى الربُّ الإلهُ آدَمَ نُعَاسًا أُرْدُنًّا). (בר' ٢: ٢١)	(ܪ̈ܕ̰ܹܝܢ ,ܐ̰ܬ̰ܪ̰ܕ̰ܹܝܢ ܥ̈ܠ̰ ܡ̈ܕ̰ܝ̈ܢ̰ܬ̰ܐ ܕ̰ܐ̰ܬ̰ܪ̰ܕ̰ܹܝܢ ܒ̰ܗ̰ ܐ̰ܢ̰ܫ̰ܐ: سواءٌ مُشْتَطَ «الصُّوفُ» أو لَزِمَ أنْ يُرْدَنَ). (ZM١ ٨٣: ١٨)
	تراجم العهد القديم	العهد القديم	التاريخ الكنسي
	القرن السابع للميلاد	قبل ٢٥٠ق.م	بعد القرن الخامس للميلاد
جودة التأثيل	ممتاز	ممتاز	ممتاز

١- لم يُقدّم معجم الشارقة أي نظير سامي لهذا الجذر.

٥. ١١ النموذج الحادي عشر (ز/ع/ن/ف)[١]:

الجذر العربي	ز/ع/ن/ف z/ʿ/n/f
الدلالة المائزة	جناحُ السَّمَكة
الوحدة المعجمية العربية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	زَعْنَفَة / زِعْنِفَة zaʿnafah / ziʿnifah
	اسم مفرد مؤنث
	الزَّعْنَفَةُ والزِّعْنِفَةُ: جَنَاحُ السَّمَكةِ وَجِهَازُ الحَرَكَةِ لَدَيْهَا، والجمعُ زَعَانِفُ، وزَعانِفَةٌ، وزَعانيفُ.
الجذر السامي	العبرانية
	סנפר snpr
الدلالات المحورية	جناحُ السَّمَكة
الوحدة المعجمية السامية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	סְנַפִּיר sənappīr سْنَپِير
	اسم مفرد مذكَّر
	جَنَاحُ السَّمَكةِ وَجِهَازُ الحَرَكَةِ لَدَيْهَا
تغييرات البنية	١. إبدال الزاي والسّين. (إبدال قريب). ٢. إبدال العين والرّاء (إبدال بعيد مخرجًا، قريب صفةً) (أبو الطيب ١/ ٤٥: ٤٧)، (Fürst, ١٨٨٥: ١٢٧٧ (רבל=עבל)). ٣. القلب المكاني.
الشاهد والترجمة والتوثيق والانتماء والتأريخ	(כֹּל אֲשֶׁר לוֹ סְנַפִּיר וְקַשְׂקֶשֶׂת בַּמַּיִם בַּיַּמִּים וּבַנְּחָלִים אֹתָם תֹּאכֵלוּ: كُلُّ ما لَهُ زَعْنَفَةٌ وحَرْشَفَةٌ في المياه والبحار والأنهار يحلُّ لكم أَكْلُهُ). (ויק׳ ١١: ٩)
	العهد القديم
	قبل ٢٥٠ق.م
التعليق	جانس جزينيوس (Gesenius, ١٨٣٥: ٩٦٢/٢) بين (סְנַפִּיר) و(ز/ن/ف/ل: الزَّنْفَلَةُ: السُّرْعَةُ، جاءَ يُزَنْفِلُ زَنْفَلَةً، إذا جاءَ مُسْرِعًا) بحدوث إبدالين قريبين مع عدم تطابق المعنى. أما فيرست (Fürst, ١٨٨٥: ٩٨٨) فجانسها بـ(ش/ن/ف/ر: نَاقَةٌ ذَاتُ شِنِفَّارَةٍ: ذَاتُ نَشَاطٍ وحِدَّةٍ في السَّيْرِ) بإبدال واحد قريب مع عدم تطابق المعنى أيضا. ولقولهما وجه من الصواب؛ غير أن ما ذهبت إليه الورقة أكثر صوابًا؛ نظرا لتطابق المعنى بين العربية والعبرانية، وإثبات الإبدالات الصوتية البعيدة من موارد التأثيل.
جودة التأثيل	جيد جدا

١- لم يُقدّم معجم الشارقة أي نظير سامي لهذا الجذر.

٥. ١٢ النموذج الثاني عشر (س/خ/ل)[١]:

الجذر العربي	س/خ/ل s/ẖ/l		
الدلالة المحورية	الضَّعْفُ والصِّغَرُ		
الوحدة المعجمية العربية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	سَخْل saẖl		
	اسم مفرد مذكر		
	السَّخْلُ مِنْ وَلَدِ الضَّأْنِ وغَيْرِهِ: الصَّغِيرُ تَضَعُهُ أُمُّهُ، والجَنِينُ يَسْقُطُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ قَبْلَ مَوْعِدِهِ.		
الجذر السامي	الأوجاريتية	الآرامية	العبرانية
	šgr	šgr שגר	šgr שגר
الدلالة المحورية	صِغَار البهائم وضَعَفَتُهَا		
الوحدة المعجمية السامية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	šgr שגר شجر	šəgar שְׁגַר شْجَر	šeger שֶׁגֶר شْجِر
	اسمُ جَمْعٍ.(collective noun)	اسم مفرد مذكر	اسم مفرد مذكر
	صِغَارُ الأنعام.	صغير الأنعام وجَنِينُها.	صغير الأنعام وجَنِينُها.
تغييرات البنية	١. إبدال السين والشين (إبدال قريب). ٢. إبدال الخاء والجيم (إبدال بعيد) (أبو الطيب١/ ٢١٣-٢١٥). ٣. إبدال اللام والراء (إبدال قريب).		
الشاهد والترجمة والتوثيق	-------	(מתקיף מר בר רב אשי... דאמר מר פטר שגר בהמה שגר בבהמה: يُعارضُ «مار بر راف أشاي»... فيقول: أَوَّلُ سَخْلِ بَهِيمَةٍ يكونُ للرَّبِّ، لأنه قال «سَخْلُ البَهِيمَةِ»). (תלמ«ב: בכורות, ג', א')	(וּבֵרַךְ פְּרִי בִטְנְךָ... שְׁגַר אֲלָפֶיךָ: وَبَارَكَ ثَمَرَةَ بَطْنَكَ وسَخْلَةَ مَاشِيَتِكَ). (דב' ٧: ١٣)
والانتماء والتأريخ	--------	التلمود البابلي	العهد القديم
	بين ١٥٠٠ق.م و١٢٥٠ق.م	بين ٤٠٠م و٦٠٠م	قبل ٢٥٠ق.م
جودة التأثيل	جيد جدا	جيد جدا	جيد جدا

- يُلاحظ في هذا النموذج وقوع الإبدال في الأحرف الثلاثة بين العربية والساميات[٢].

١- لم يُقدّم معجم الشارقة أي نظير سامي لهذا الجذر.

٢- صَرَّح بجواز وقوع هذا الإبدال الثلاثي أبو القاسم الزجاجي: الإبدال والمعاقبة والنظائر، تح: عزالدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، د.ط، ١٩٦٢، صـ٢، ومثّل له المحقق في هامش٣ بـ(دَرَأَ=طَلَعَ)، وتُمثّل له الورقة بـ(خَتَلَ=غَدَرَ).

٥. ١٣ النموذج الثالث عشر (ش/ب/ر)[١]:

الجذر العربي	ش/ب/ر š/b/r		
الدلالة المائزة	أداة يُنفَخُ فيها تُعظِّمُ الصَّوْتَ		
الوحدة المعجمية العربية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	شَبُّور šabbūr		
	اسم مفرد مذكر		
	الشَّبُّورُ: البُوقُ أَوِ القَرْنُ يُنْفَخُ فِيهِ.		
الجذر السامي	الآرامية	العبرانية	السريانية
	špr שפר	špr שפר	špr ܫܦܪ
الدلالة المحورية	أداة يُنفَخُ فيها تُعظِّمُ الصَّوْتَ		
الوحدة المعجمية السامية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	šōfārā שׁוֹפָרָא شْوْفَارَا	šōfār שׁוֹפָר شْوْفَار	šīfōrā ܫܝܦܘܪܐ شِيفْورَا
	اسم مفرد مذكر		
	البُوقُ المُتَّخَذُ من قَرْنِ الكَبْشِ يُنْفَخُ فِيهِ		
تغييرات البنية	الإبدال بين الباء المجهورة والباء المهموسة (إبدال قريب)		
الشاهد والترجمة والتوثيق والانتماء والتأريخ	(תַּעֲבִרוּן שׁוֹפָר בְּכָל אַרְעֲכוֹן: تَنْفُخُونَ الشَّبُّورَ في كُلِّ أَرْضِكُم). (יי، ٢٥: ٩)	(תַּעֲבִירוּ שׁוֹפָר בְּכָל אַרְצְכֶם: تَنْفُخُونَ الشَّبُّورَ في كُلِّ أَرْضِكُم). (יי، ٢٥: ٩)	(ܗܘ ܫܦܪ ܒܟܠ ܐܪܥܟܘܢ: تَنْفُخُونَ الشَّبُّورَ في كُلِّ أَرْضِكُم). (ܦܫ ٢٥: ٩)
	تراجم العهد القديم	العهد القديم	تراجم العهد القديم
	الثاني الميلادي	قبل ٢٥٠ق.م	الخامس الميلادي

١- يعد النظير الجعزي (𐎍𐎗𐎓) الذي قدمه معجم الشارقة لهذا الجذر غير صحيح، والصواب أنه مجانس لـ(س / ف / ر). أما النظير العبراني فهو نموذج مثالي للانحراف المفهومي للتأثيل؛ ذلك أن المؤثل بدلا من أن يؤثل الجذر العربي وكلمة من مادته من العبرانية، قلب الآية فأثَّل للعبرانية بأن ذكر الأصل العربي الدارج «شبريَّة» - التي لم يذكرها معجم الشارقة في مادة (ش / ب / ر) - لكلمة «שַׁבְּרִיָּה» العبرية الحديثة الدَخيلة إليها من العربية.

التعليق (التأثيل التعاقبي)	تعد كلمة (שׁוֹפָר/šōfār/شُوْفَار) من الكلمات الخاصة باليهود؛ بما هي من وسائل شعائرهم الدينية. ويُستأنس لذلك، بخلاف قِدَم الكلمة في العبرانية عن غيرها، باقتران أول ظهور لها في العربية باليهود، في سياق رواية حديث تشريع الأذان، وفيه (شَبُّورُ الْيَهُودِ) [سنن أبي داود: ح/رقم ٤٩٨]. وعليه فأقرب الظّنّ أنّ كلمة (שַׁפָּרוּ: القرن المتخذ بوقًا) عبرانية الأصل انتقلت إلى أخواتها بالمعنى نفسه؛ وإن كان أصل الكلمة يرجع إلى الأكادية (šappārū: كبش الجبال الصخرية العظيم القرون).		
جودة التأثيل	ممتاز	ممتاز	ممتاز

٥. ١٤ النموذج الرابع عشر (ص/ل/ت)[١]:

الجذر العربي	ص/ل/ت ṣ/l/t		
الدلالة المحورية	الصَّقْلُ والشَّحْذُ		
الوحدة المعجمية العربية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	مُصلَت muṣlat		
	اسم مفعول/صفة		
	السَّيْفُ المُصْلَتُ والمُنْصَلِتُ والإصْلِيتُ: الصَّقِيلُ المَجْلُوُّ البَرَّاقُ المَاضِي فِي الضَّرِيبَةِ.		
الجذر السامي	الآرامية	العبرانية	السريانية
	lṭš לטש	lṭš לטש	lṭš ܠܛܫ
الدلالة المحورية	الصَّقْلُ والشَّحْذُ		
الوحدة المعجمية السامية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	lāṭīš לָטִישׁ لَاطِيش	məluṭṭāš מְלֻטָּשׁ مْلُطَّاش	ləṭīšā ܠܛܺܝܫܳܐ لْطِيشَا
	اسم مفعول/صفة		
	المَجْلُوُّ الصَّقِيلُ المشحوذُ من السيوفِ ونحوِهَا		
تغييرات البنية	١. إبدال الصاد والشين. (إبدال بعيد مخرجًا قريب صفةً) (أبو الطيب ٢/ ٢٢٠: ٢٢٢)، (Fürst, ١٨٨٥: ١١٦٨) وطبقه معجم الشارقة في مثل (صقع=שקע). ٢. إبدال التاء والطاء. (إبدال قريب) ٣. القلب المكاني.		
الشاهد والترجمة والتوثيق والانتماء والتأريخ	(פַּרְזְלָא בְּפַרְזְלָא לָטִישׁ: الحَدِيدُ بالحَدِيدِ مُصْلَتٌ). (תר': מש' ٢٧: ١٧)	(לְשׁוֹנָךְ כְּתַעַר מְלֻטָּשׁ: لِسَانُكَ جَارِحٌ كَموسًى مُصْلَتٍ). (תה' ٥٢: ٤)	(ܒܛܪ ܠܛܝܫ ܐܢܘܢ ܠܛܝܫ ܠܛܝܫ ܐܢܘܢ: فَرُّوا مِن أمامِ السَّيْفِ المُصْلَتِ). (ܝܪ ٢١: ١٥)
	تراجم العهد القديم	العهد القديم	تراجم العهد القديم
	قبل القرن السادس الميلادي	قبل ٢٥٠ق.م	الخامس الميلادي
جودة التأثيل	ممتاز	ممتاز	ممتاز

١- قدّم معجم الشارقة نظيرا سريانيا لدلالة أخرى من دلالات الجذر (ص / ل / ت).

٥. ١٥ النموذج الخامس عشر (ض/ر/و–ي)[1]:

الجذر العربي	ض/ر/و-ي w-y/r/ḍ		
الدلالة المحورية	التَحْرِيضُ والتَّهْيِيج		
الوحدة المعجمية العربية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	أَضْرَى/ضَرَّى ʼḍrā/ḍarrā		
	فعلٌ مُتَعدٍّ		
	أَضْرَى الكَلْبَ وغَيْرَهُ بِالشَّيْءِ، وعَلَيْهِ: أَغْراهُ بِهِ. ويُقال أيضًا (ضَرَّى).		
الجذر السامي	الأكادية	الآرامية	العبرانية
	grw	גרי gry	גרי gry
الدلالة المحورية	التَحْرِيضُ والتَّهْيِيج		
الوحدة المعجمية السامية ومعلوماتها الوظيفية والمعجمية	جَرُو garū	גְּרֵי gārē جَارِـى	גֵּרָה gērā جِـرِـى
	فعلٌ متعدٍّ		
	حَرَّضَ على شخْصٍ عَدُوًّا، وهَيَّجَهُ عَلَيْهِ، وَأَغْرَاهُ بِهِ.		
تغييرات البنية	١. إبدال الضاد جيمًا (إبدال بعيد) (أبو الطيب ١/ ٢٣٢)، («ضحك»=«צחק»=«ܓܚܟ»: «Gesenius, ١٨٣٥: ١١٦٣-٣»).		
الشاهد والترجمة والتوثيق والانتماء والتأريخ	-------------	(וְגָרֵי יְיָ בְּעַמָּא יָת חִיוָן קָלָן וּנְכִיתוּ יָת עַמָּא וּמִית עַם סַגִּי מִיִּשְׂרָאֵל: وَضَرَّى الرَّبُّ بالشَّعْبِ الحَيَّاتِ الآكِلَةَ؛ فَلَدَغَتِ الشَّعْبَ، ومَاتَ مِنْ بَنِي إسرائيلَ خَلْقٌ كثيرٌ).(ת«א: במ׳, ٢١: ٦)	(אִישׁ חֵמָה יְגָרֶה מָדוֹן וְאֶרֶךְ אַפַּיִם יַשְׁקִיט רִיב: الرَّجُلُ الغَضُوبُ يُضَرِّي النِّزَاعَ، والحَلِيمُ يُسْكِتُ الشِّجَارَ).(משלי ١٥: ١٨)
	-------------	تراجم العهد القديم	العهد القديم
	٢٥٠٠ق.م: ٦٠٠ق.م	الثاني الميلادي	قبل ٢٥٠ق.م
جودة التأثيل	جيد جدا	جيد جدا	جيد جدا

١- قدّم معجم الشارقة نظيرا جعزيا غير مناسب لهذا الجذر. هذا ولا تمتنع النظائر السامية التي جانست (ض / ر / و–ي) في هذا النموذج أن تجانس أيضا (غ / ر / و–ي: أَغْرَاهُ بالشَّخْص: حَرَّضَهُ عَلَيْه، وَأَلَّبَهُ / أَغْرَى الكَلْبَ بالصَّيْد: أَرْسَلَهُ عَلَيْه)؛ ذلك أن الجيم والغين يتعاقبان كما قال أبو الطيب (ج / ١ / ٢٣٨)، وكما قال المستشرقون وعلى رأسهم "جزنيوس" في التجانس بين (غرو–ي = גָּרָה) (Gesenius، ١٨٣٥: ١–٢٥٢). وقد أشار إلى نظائر سامية أخرى تجانس دلالات أخرى للجذر (ض / ر / و–ي) عمر صابر عبدالجليل: «المعجم التأصيلي للفعل الناقص في اللغات السامية: دراسة إيتمولوجية في ضوء علم اللغات السامية المقارن»، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٣، صـ١١٣، ١١٤.

٦. خاتمة وتحصيل

للمعجم التاريخي طبيعة ذات خُصُوصَةٍ فاذّة؛ إذ تتقاطع في مجراه الدافق روافد لغوية وحضارية هادرة، كما أن موارده وعوائده تتشاجن ويتشقق بعضها من بعض. ومن المعلوم ضرورةً أن منزلة التأثيل اللغوي من المعجم التاريخي كمنزلة الوُضوء من الصلاة. وتقرر الورقة أن قيام التأثيل السّاميّ على غير منهاج العلوم اللسانية المنضبطة، والمعرفة الوافية بالساميات، وهضم الجهود التأثيلية السابقة؛ يُدخِل الضيم على رصانة التأثيل ورزانته، ويُحِيل ما يُرجى من طيب ثماره حِصرمًا وفجًّا وأُكُلا خمطًا. وإن أخذَ التأثيل بضوابط العلوم اللسانية، وقبضَ رجالاته على أَزِمَّة الألسنة السّاميّة، وتوافرَهم على فقه دقاق خصائصها، وتعقُّلَهم النظر في جهود السالفين، وإحاطتَهم بموجبات فَقَاهَتها، وسياحتَهُم الصابرة في مظانّها، ووقوفَهم على شوارد شواهدها وفرائد فوائدها وندود أوابدها؛ يصونُ التأثيلَ عن الإفراط الذي مردّه إلى التجنيس بالشُّبَه والأوهام، ويحوطُهُ عن التفريط الذي مرجعه إلى هشاشة التكوين وضعف الملكات ونقص الأدوات؛ ليُقِيمَهُ على محجّة العلم الصحيح الذي لا محالة مفضاه إلى الانعتاق من القَنَع بمفردات المسائل إلى الطَّمَع بفقه الظواهر الحاكمة على التغيرات اللغوية لهذه الدوحة السّاميّة، الضاربة بجذورها في أطباق الزمن، والوارفة بظلالها في حاضر المعرفة الإنسانية.

وإذ قد تناولت الورقة الصنعة التأثيلية بالمدراسة والممارسة، وقدمت للمعنيين بالتأثيل السامي عموما ومعجم الشارقة التاريخي خصوصا أجروميتها المقترحة ونماذجها الشارحة؛ آن لها أن تخلُص إلى عدد من النتائج والتوصيات:

٦. ١ النتائج:

أ- لم يكن ممكنا الخلوص إلى أجرومية تأثيلية واضحة إلا باختبار الصنعة

التأثيلية بمنظار الثنائيات الضابطة لحدود التأثيل وآفاقه؛ وهي على التعيين: ثنائية المقاصدي والوسائلي، والتعاقُبي والتحاقُبي، والداخلي والخارجي.

ب- اللغة العربية خصوصا والساميات عموما تستجيب بطبيعتها للتأثيل التحاقُبي أكثر من التأثيل التعاقُبي.

ج- قدمت الورقة أجرومية مقترحة لصناعة معجم تأثيلي مقاصدي كامل للغة العربية، تجعلها قيد المدارسة والممارسة في بحث قادم.

د- قدمت الورقة أجروميتها المقترحة للتأثيل السامي الوسائلي في ثالوث من المقولات لا انفصام لها، هي على التخصيص: موارد التأثيل، وإجراءاته، ومقياس جودته.

هـ- معاجم وبحوث التأثيل اليهودية والاستشراقية وكتب الإبدال اللغوي ولهجات العرب، هي معا مورد متكامل لا يحِلّ للصنعة التأثيلية السامية أن تستغني عنه.

و- تنطوي كتب الإبدال اللغوي ولهجات العرب على ذخر من الفوائد الصوتية التي تَحُلّ كثيرا مما ألغز وتعاصى من مشكلات التأثيل السامي.

ز- قدمت الورقة إجراءات واضحة شفافة يسهل على المؤثل اتباعها وتطبيقها، وإفراغها في «بطاقة التأثيل».

ح- حاولت الورقة تقديم مقياس واضح لجودة الصنعة التأثيلية، بعد أن كان أسير ثنائية الصواب والخطأ.

ط- من عوائد التكامل بين موارد التأثيل السامي العربية واليهودية والاستشراقية أن التعاقب بين الساميات يسمح من بين ما يسمح بـ:

- جواز أن يكون أحاديا (ردن / rdm) وثنائيا (خلع / ḫlṣ) وثلاثيا (سخل / šgr).
- جواز اجتماع الإبدال الصوتي والقلب المكاني في الكلمة الواحدة (برثن / ṣippōren / ṣuppāren).
- جواز اجتماع الإبدال الصوتي والقلب الصرفي والمكاني في الكلمة الواحدة (قوس qšṭ/ kšṭ/ qṧt/ qṣt/ qšṭ).
- جواز وقوع القلب المكاني غير مستوٍ (حنش / nḫš & حفي / yḫf)، أو مستويا وقد غاب المستشرقين في مثل (بقر / rqb & رقب / bqr).
- جواز وقوع إبدالات صوتية غابت عن المستشرقين كليا (العين واللام: عظاءة / לְטָאָה/ləṭā'ā) أو جزئيا (حرب / קְרָב/qərāḇ).

٦. ٢ التوصيات:

توصي الورقة المشتغلين بالتأثيل السامي عمومًا وفي معجم الشارقة خصوصًا بـ:

أ- إعداد ببليوجرافية وقاعدة بيانات للمنجز التأثيلي السامي القديم والحديث والمعاصر، وفحصه واستقرائه واستنطاقه واستنباط قوانينه وأحكامه، وتصنيفه إلى مختلف درجاته من القوة والضعف.

ب- إعداد ببليوجرافية وقاعدة بيانات لكتب وأبواب الإبدال اللغوي ولهجات العرب في التراث العربي، وفحصها واستقرائها واستنطاقها واستنباط قوانينها، والمراتبة بين أحكامها شُيوعًا وشُهرةً أو شذوذًا ونُدرةً.

ج- معارضة ما يُستنبط من قوانين وأحكام الإبدال اللغوي العربي مع ما يُستنبط من قوانين وأحكام التعاقب الصوتي السامي؛ للخروج بأوجه الاتفاق والافتراق.

د- المراجعة الشاملة للصنعة التأثيلية بمعجم الشارقة التاريخي، وجعل ما يصلح من هذه الورقة مُعينًا على الاستدراك والمراجعة والتصويب.

هـ- تعميم نظام «بطاقة التأثيل» المجدولة والمطبقة في النماذج الشارحة على الصنعة التأثيلية بمعجم الشارقة التاريخي؛ إذ من شأنها صيانة التأثيل عن الزلل والأوهام، فضلا عن تنظيم عرض المعلومات التأثيلية في متوالية موحّدة بين جميع الساميات، بما يُيسّر أمر مقارنتها والإحاطة بموجبات فقاهتها.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- أ. فيشر: «المعجم اللغوي التاريخي: من أول حرف الهمزة إلى أبد»، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٧.
- أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي: كتاب الإبدال، تح: عزالدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، د.ط، ١٩٦٠.
- أبو الفيض مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، سلسلة التراث العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٩٦٥: ٢٠٠٤.
- أحمد بن فارس القزويني الرازي: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، ١٩٧٢.
- أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩.
- أنستاس ماري الكرملي: نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، المطبعة العصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٣٨.
- توفيق سليمان: نقد النظرية السامية: جزء١ أسطورة النظرية السامية، دار دمشق للطباعة والصحافة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨١.
- حسن حمزة (محرر): «المعاجم التاريخية: مقارنات ومقاربات»، سلسلة دراسات معجمية ولسانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة / بيروت، ط١، ٢٠٢٣.
- رمزي منير بعلبكي: التأثيل المعجمي وموقع العربية بين الساميات، مجلة المعجمية، جمعية المعجمية العربية، تونس، عدد٢٣، ٢٠٠٧.
- سليم شعشوع: «العصر الذهبي: صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأندلس»، دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر، شفا عمرو، ط٢، ١٩٩٠.
- السيد أدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب للبستاني، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧ / ١٩٨٨.

- عبد الحق فاضل: لمحات من التأثيل اللغوي، مجلة اللسان العربي، المكتب الدائم لتنسيق التعريب، جامعة الدول العربية، الرباط، ١٩٦٦، عدد٤.
- عبدالعلي الودغيري: «القاموسية العربية الحديثة بين تنمية الفصحى وتحديث القاموس والتأريخ للمعجم»، سلسلة دراسات معجمية ولسانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة / بيروت، ط١، ٢٠١٩.
- ----------: نحو خطة لإنجاز القاموس العربي التاريخي في ضوء التجربة الفرنسية، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، عدد٧٤، ٢٠١٤.
- عبد الكريم محمد جبل: «الدلالة المحورية في معجم مقاييس اللغة لابن فارس اللغوي: دراسة تحليلية نقدية»، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، عدد٢٦، جزء٢، يناير٢٠٠٠.
- عبد الله العلايلي: «المعجم: موسوعة لغوية علمية فنية»، دار المعجم العربي، بيروت، ط٢، القسم الأول، المجلد الأول، ١٩٥٤.
- عمر صابر عبد الجليل: القوانين الصوتية في اللغات السامية، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، مجلد٢١، عدد١ / ٢، ٢٠٠٨.
- ------: «المعجم التأصيلي للفعل الناقص في اللغات السامية: دراسة إيتمولوجية في ضوء علم اللغات السامية المقارن»، سلسلة الدراسات اللغوية والأدبية، عدد١٠، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة ٢٠٠٣.
- فردينان دي سوسور: علم اللغة العام، ترجـ: يوئيل يوسف عزيز، آفاق عربية، بغداد، ط١، ١٩٨٥.
- محمد حسن عبد العزيز: «المعجم التاريخي للغة العربية: وثائق ونماذج»، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨.
- محمد محمد الحسيني العشري: الصورة الصوتية بين اللهجات العامية الدارجة واللثغة، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مجلد٢١، عدد٣، مارس / مايو ٢٠١٩.

- مختار زواوي: «مسائل في اللسانيات وعلم العلامات: قراءة في نصوص فردينان دو سوسور»، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة / بيروت، ط١، ٢٠٢٢.
- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.
- المعتز بالله السعيد: الأسس المنهجية لتحرير المعجم التاريخي للغة العربية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، حولية ٤٢، رسالة ٥٩٠، ٢٠٢٢.
- ----------: «المعجم التأثيلي للغة العربية: المنهج والنموذج»، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، حولية ٤٣، رسالة ٥، ٢٠٢٣.
- يحيى عبابنة: «بنية الفعل الثلاثي في العربية والمجموعة السامية الجنوبية: دراسة مقارنة في الأصول الفعلية»، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط١، ٢٠١٠.

المراجع الأجنبية:

- Adolf Brüll: Trachten der Juden im nachbiblischen Alterthume. Ein Beitrag zur allgemeinen Kostümkunde, Frankfurt A/M., Isaac St. Goar, 1873.
- Angus Stevenson: Oxford Dictionary of English, oxford university press, oxford N. Y., 3rd ed., 2010.
- Bernard Lewis: The Jews of Islam, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1987.
- Claire Bowern, Bethwyn Evans (ed.): The Routledge Handbook of Historical Linguistics, Routledge Handbooks in Linguistics series, Routledge Taylor & Francis Group, London and New York, 1st ed., 2015.
- Cyrus Herzl Gordon: «Ugaritic Textbook: Grammar, Texts in Transliteration, Cuneiform Selections, Glossary, Indices», Analecta Orientalia Series, 38, Pontifical Biblical Institute, Rome, 1965.
- David Cohen: «Dictionnaire des Racines Semitiques ou attestees dans les langues semitiques», Comprenant Un Ficher Comparatif De Jean Cantineau, Mouton, Paris, 1er éd., 1970: 2012.
- The Encyclopædia Britannica: A Dictionary of Arts, Sciences, Literature and General Information, The Encyclopædia Britannica Company, N. Y., USA, 11th ed., 1910.
- Francis Brown, Samuel Rolles Driver and Charles Augustus Briggs: A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament with an appendix containing the Biblical Aramaic, based on the Hebrew lexicon of Wilhelm Gesenius as translated by Edward Robinson, 1st ed., 1906.
- Gotthelf Bergsträßer: «Introduction to the Semitic languages: text specimens and grammatical sketches», Trans. Into English: Peter T. Daniels, Eisenbrauns, Winona Lake, Indiana, 1st ed., 1983.
- Hadumod Bussmann: Routledge Dictionary of Language and Linguistics, translated and edited by Gregory Trauth and Kerstin Kazzazi, Routledge, Taylor & Francis Group, London and N.Y., 1st ed., 1998.
- Hans Sauer, Gaby Waxenberger (ed.): «English Historical Linguistics 2008: Selected papers from the fifteenth International Conference on English Historical Linguistics (ICEHL 15), Munich, 24-30 August 2008. Vol.II: Words, Texts and Genres», Current Issues in Linguistic Theory 324, John Benjamins Publishing, Philadelphia, 2012.

- John Considine: «Dictionaries in Early Modern Europe: Lexicography and the Making of Heritage», Cambridge University Press, Cambridge & N.Y., 1st ed., 2008.
- Joseph E. Worcester: Dictionary of the English Language, Salzwasser-Verlag, Paderborn, 1st ed., 2022, Reprint of the original, first published in 1860.
- Jules Marouzeau: «Lexique de la terminologie linguistique: Français, Allemand, Anglais, Italien», P. Geuthner, Paris, 3ème éd., 1961.
- Julius Fürst: A Hebrew and Chaldee lexicon to the Old Testament, Tr. from the German by Samuel Davidson, Williams & Norgate, London, 5th ed., 1885.
- Karl C. Diller; Rebecca L. Cann: «Evidence Against a Genetic-Based Revolution in Language 50,000 Years Ago», in: Rudolf Botha; Chris Knight (eds.): The Cradle of Language, Oxford Series in the Evolution of Language, Oxford University Press, Oxford, 1st ed., 2009.
- Kees Versteegh (ed.): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics, Koninklijke Brill NV, Leiden, The Netherlands, 1st ed., 2006.
- Keith Brown (ed.): Encyclopedia of Language and Linguistics, Elsevier Ltd, Amsterdam, 2nd ed., 2006.
- Kirsten Malmkjær (ed.): The Linguistics Encyclopedia, Routledge, Taylor & Francis Group, London and N.Y., 2nd ed., 2002.
- Ludwig Koehler, Walter Baumgartner: Hebräisches Und Aramäisches Lexikon Zum Alten Testament (HAL), 3. Aufl., neu bearbeitet von Walter Baumgartner, Johann Jakob Stamm und Benedikt Hartmann, unter mitarbeit von Ze'ev Ben-Hayyim, Eduard Yechezkel Kutscher und Philippe Reymond, E.J. Brill, Leiden, 3. Aufl., 1967: 1996.
- Martin F.J. Baasten: «A Note on the History of 'Semitic'», in Martin F.J. Baasten and W. Th. Van Peursen, eds.: «Hamlet on a Hill: Semitic and Greek Studies Presented to Professor T. Muraoka on the Occasion of his Sixty - Fifth Birthday», Peeters En Departement Oosterse Studies, Leuven, Paris, Dudley, MA, 2003.
- Mate Kapović: The Indo-European Languages, Routledge, Taylor & Francis Group, London and N. Y., 2nd ed., 2017.
- Philip Durkin (ed.): The Oxford Handbook of Lexicography, Oxford University Press, Oxford, 1st ed., 2016.
- Reinhart Pieter Anne Dozy: Supplément aux dictionnaires Arabes, Leiden E.J. Brill, 1877-1881.

- R.R.K. Hartmann, Gregory James: Dictionary of Lexicography, Routledge, London and New York, Taylor & Francis e-Library, 2002.
- Sidney I. Landau: «Dictionaries: The Art and Craft of Lexicography», Cambridge University Press, Cambridge & N.Y., 2nd ed., 2001.
- Stephen A. Barney, et al.: The Etymologies of Isidore of Seville, Cambridge University Press, 1st ed., 2006.
- Wilhelm Gesenius: Thesaurus Philologicus Criticus Linguae Hebraeae et Chaldaeae Veteris Testamenti, Sumtibus typisque F.C.G. Vogelii, Lipsiae, 2nd ed., 1835.

المراجع العبرانية:

- אברהם אבן שושן: מילון אבן שושן, מחודש ומעודכן לשנות האלפיים, המילון החדש, עורך ראשי: פרופ' משה אזר, הוצ' עם עובד, כנרת זמורה-ביתן דביר, ידיעות אחרונות ספרים, ת»א, מהד' 1, 2003.
- אליעזר בן-יהודה: מקורות למלא החסר בלשוננו, זכרונות ועד הלשון, ועד הלשון העברית, ירושלים', 1914, מחברת ד.
- לותר קופף: המילון הערבי כאמצעי עזר לבלשנות העברית, כ»ע: לשוננו, האקדמיה ללשון העברית, תשי«ד 1953, כרך י»ט.
- משה הלל: «תור הזהב בספרד: תולדותיהם של ענקי הרוח שחיו ופעלו במשך 500 שנה בספרד«, הספריה הספרדית, מכון בני יששכר, י-ם, מהד'1, 1992.
- נתן בן רבנו יחיאל: ספר ערוך השלם, בעריכת וחקירת חנוך יהודה ישראל קאהוט, דפוס געארג בראג, ווין, 1878/1892.

الصفحات الإلكترونية:

- الصفحة الرسمية لمعجم الشارقة التاريخي للغة العربية: https://www.almojam.org/home

رومنة المراجع العربية:

- A. Fischer: «Al-Mu'jam al-Lughawī al-Tārīkhī: Min Awwal Ḥarf al-Hamza ilā Abad», Majma' al-Lughah al-'arabiyyah, al-Qāhirah, 1st ed., 1967.
- 'Abd al-'Alī al-Wadghīrī: al-Qāmūsiyyah al-'arabiyyah al-Ḥadīthah, al-Markaz al-'arabī lil-Abḥāth wa-Dirāsat al-Siyāsāt, al-Dawḥah/Bayrūt, 1st ed., 2019.
- ----------: Naḥw Khoṭṭah li-Injāz al-Qāmūs al-'arabī al-Tārīkhī fī Ḍaw' al-Tajribah al-Faransiyyah, Majallat al-Lisān al-'arabī, al-Munazzamah al-'arabiyyah li-l-Tarbiyah wa-l-Thaqāfah wa-l-'ulūm, Maktab Tansīq al-Ta'rīb, al-Ribāṭ, no. 74, 2014.
- 'Abd al-Ḥaqq Fāḍil: Lamaḥāt min al-Ta'thīl al-Lughawī, Majallat al-Lisān al-'arabī, al-Maktab al-Dā'im li-Tansīq al-Ta'rīb, Jāmi'at al-Duwal al-'arabiyyah, al-Ribāṭ, no. 4, 1966.
- 'Abd al-Karīm Muḥammad Jabal: al-Dalālah al-Miḥwariyyah fī Mu'jam Maqāyīs al-Lughah, Majallat Kulliyat al-Aādāb, Jāmi'at al-Manṣūrah, no. 26, II, 2000.
- 'Abd Allāh al-'Alāyilī: «al-Mu'jam: Mawsū'ah Lughawiyyah 'ilmiyyah Fanniyyah», Dār al-Mu'jam al-'arabī, Bayrūt, 2nd ed., 1954.
- Abū al-Fayḍ Murtaḍā al-Zabīdī: Tāj al-'arūs min Jawāhir al-Qāmūs, taḥqīq: majmū'ah min al-muḥaqqiqīn, Silsilat al-Turāth al-'arabī, al-Majlis al-Waṭanī lil-Thaqāfah wa-l-Funūn wa-l-Aādāb, al-Kuwayt, 1st ed., 1965-2004.
- Abū al-Ṭayyib 'Abd al-Wāḥid ibn 'Alī al-Lughawī: Kitāb al-Ibdāl, taḥqīq: 'izz al-Dīn al-Tanūkhī, Maṭbū'āt al-Majma' al-'ilmī al-'arabī, Dimashq, n.ed., 1960.
- Aḥmad ibn Fāris al-Qazwīnī al-Rāzī: Maqāyīs al-Lughah, taḥqīq: 'abd al-Salām Muḥammad Hārūn, Dār al-Jīl, Bayrūt, n.ed., 1972.
- Aḥmad Mukhtār 'Umar: Ṣinā'at al-Mu'jam al-Ḥadīth, 'ālam al-Kutub, al-Qāhirah, 2nd ed., 2009.
- al-Mu'taẓ bi-Llāh al-Sa'īd: «al-Mu'jam al-Ta'thīlī li-l-Lughah al-'arabiyyah: al-Manhaj wa-l-Namūdhaj», Ḥawliyyāt al-Aādāb wa-al-'ulūm al-Ijtimā'iyyah, Majlis al-Nashr al-'ilmī, Jāmi'at al-Kuwayt, Ḥawliyyah 43, Risāla 5, 2023.
- ----------: al-Usus al-Manhajiyyah li-Taḥrīr al-Mu'jam al-Tārīkhī, li-l-Lughah al-'arabiyyah, Ḥawliyyāt al-aādāb wa-l-'ulūm al-Ijtimā'iyyah, Majlis al-Nashr al-'ilmī, Jāmi'at al-Kuwayt, Ḥawliyyah 42, Risālah 590, 2022.
- al-Sayyid Adī Shīr: al-Alfāẓ al-Fārisiyyah al-Mu'arrabah, Dār al-'arab lil-Bustānī, al-Qāhirah, 2nd ed., 1987/1988.

- Anaſtas Mārī al-Karmalī: Nushū' al-Lughah al-'arabiyyah wa-Numūhā wa-Iktilāluhā, al-Maṭba'a al-'aṣriyya, al-Qāhirah, n.ed., 1938.
- Ferdinand de Saussure: 'ilm al-Lughah al-'āmm, tarjamat: Yu'īl Yūsuf 'azīz, Aāfāq 'arabiyya, Baghdād, 1ſt ed., 1985.
- Ḥasan Ḥamza (ed.): «al-Ma'ājim al-Tārīkhiyyah: Muqāranāt wa-Muqārabāt», Silsilat Dirāsāt Ma'jamiyyah wa-Lisāniyyah, al-Markaz al-'arabī lil-Abḥāth wa-Dirāsat al-Siyāsāt, al-Dawḥah/Bayrūt, 1ſt ed., 2023.
- Muḥammad Ḥasan 'Abd al-'Azīz: «al-Mu'jam al-Tārīkhī li-l-Lughah al-'arabiyyah: Wathā'iq wa-Namādhij», Dār al-Salām li-l-Ṭibā'ah wa-l-Nashr wa-l-Tawzī', al-Qāhirah, 1ſt ed., 2008.
- Muḥammad Muḥammad al-Ḥusaynī al-'Ashrī: al-Ṣūrah al-Ṣawtiyyah bayna al-Lahajāt al-'āmmiyyah al-Dārijah wa-l-Luthghah, Majallat al-Dirāsāt al-Lughawiyyah, Markaz al-Malik Fayṣal li-l-Buḥūth wa-l-Dirāsāt al-Islāmiyyah, vol. 21, no. 3, 2019.
- Mukhtār Zwāwī: «Masā'il fī al-Lisāniyyāt wa-'ilm al-'alāmāt: Qirā'a fī Nuṣūṣ Ferdinand de Saussure», al-Markaz al-'arabī lil-Abḥāth wa-Dirāsat al-Siyāsāt, al-Dawḥah/Bayrūt, 1ſt ed., 2022.
- Muṣṭafā Ṣādiq al-Rāfi'ī: Tārīkh Aādāb al-'arab, Dār al-Kutub al-'ilmiyya, Bayrūt, 1ſt ed., 2000.
- Ramzī Munīr Ba'albakkī: al-Ta'thīl al-Mu'jamī wa-Mawqi' al-'arabiyyah bayna al-Sāmiyyāt, Majallat al-Mu'jamiyyah, Jam'iyyat al-Mu'jamiyyah al-'Arabiyyah, Tūnus, no. 23, 2007.
- Salīm Sha'shū': «al-'aṣr al-Dhahabī: Ṣafḥāt min al-Ta'āwun al-Yahūdī al-'arabī fī al-Andalus», Dār al-Mashriq li-l-Tarjamah wa-l-Ṭibā'ah wa-l-Nashr, Shafā 'Amr, 2nd ed., 1990.
- Tawfīq Sulaymān: «Naqd al-Naẓariyyah al-Sāmiyyah: Juz' 1, Uſtūrat al-Naẓariyyah al-Sāmiyyah», Dār Dimashq li-l-Ṭibā'ah wa-l-Ṣeḥāfah wa-l-Nashr, Dimashq, 1ſt ed., 1981.
- 'Umar Ṣābir 'Abd al-Jalīl: «al-Mu'jam al-Ta'ṣīlī li-l-Fi'l al-Nāqiṣ fī al-Lughāt al-Sāmiyyah: Dirāsah Ittimūlūjiyyah fī Ḍaw' 'ilm al-Lughāt al-Sāmiyyah al-Muqāran», Silsilat al-Dirāsāt al-Lughawiyyah wa-l-Adabiyyah, no. 10, Markaz al-Dirāsāt al-Sharqiyyah, Jāmi'at al-Qāhirah, al-Qāhirah, 2003.
- ----------: al-Qawānīn al-Ṣawtiyyah fī al-Lughāt al-Sāmiyyah, Majallat Risālat al-Mashriq, vol. 21, no. 1/2, 2008.
- Yaḥyā 'Abābnah: «Binyat al-Fi'l al-Thulāthī fī al-'arabiyyah wa-l-Majmū'a al-

Sāmiyyah al-Janūbiyyah: Dirāsa Muqārana fī al-Uṣūl al-Fi'liyyah», Hay'at Abū Ẓabī lil-Thaqāfah wa-l-Turāth, Dār al-Kutub al-Waṭaniyyah, Abū Ẓabī, 1st ed., 2010.

رومنة المراجع العبرية:

- Avrāhām Even-Shūshān: «Millōn Even-Shūshān, meḥudāsh u-me'udkān le-shnōt hā-alpayim», ha-Millōn he-Ḥādāsh, 'ōrēkh rāshī: Prof. Moshe Aāzār, Hotzàat 'ām 'ovēd, Kineret Zmorā-Bītān Dvīr, Yedī'ōt Aḥarōnōt Sefarīm, Tēl Avīv, 1st ed., 2003.
- Eli'ezer Ben-Yehūdā: Mekōrōt le-mallē he-ḥāsēr bi-leshōnēnu, Zikhrōnōt Va'ad ha-Lāshōn, Va'ad ha-Lāshōn ha-'ivrīt, Yerūshālayim, no. 4, 1914.
- Luther Koff: ha-Millōn hā-'aravī ke-emtze'ī 'ezr la-Balshānūt hā-'ivrīt, Leshōnēnu, hā-Akādemyah la-Lāshōn hā-'ivrīt, vol 19, 1953/54.
- Mōshē Hillel: «Tōr ha-zāhāv be-Sefārād: tōldōtēhem shel 'anākei hā-ruaḥ she-ḥāyū u-fā'lū be-mēshekh 500 shānāh be-Sefārād», ha-Sifriyyā ha-Sefārādīt, Mākhōn Bnei Yissākhar, Yerūshālayim, 1st ed., 1992.
- Nātān ben Rabbenu Yeḥi'el: Sefer 'arūkh ha-Shālēm, ba-'arīkhat va-ḥakīrat Ḥānūkh Yehūdāh Yisrāʾel Kohut, Defus Georg Brag, Viyen, 1878/1892.

نحو معجم دلاليّ للمصطلحات الأساسيّة في الخطاب القرآنيّ:

قراءة في أربعة ألفاظ من سورة البقرة وفق وجهة نظر أوزتسو في كتابه: (الله والإنسان في القرآن)

Towards a Semantic Dictionary of Basic Terms in Quranic Discourse

A Reading of Four Words from Surat Al-Baqarah According to Oztso›s Perspective in His Book: (God and Man in the Quran)

أ.د. سيد عبد الخالق سيد إسماعيل
أستاذ النحو والصرف والعروض، جامعة الوصل - دبي
د. أحمد محمد بشارات
أستاذ مشارك في اللغة والنحو واللسانيات

Prof. Dr. Sayed Abdelkhalek Sayed Ismael
Professor of Grammar, Morphology, and Prosody, Al Wasl University - Dubai
Dr. Ahmad Mohmmad Bsharat
Associate. Prof in Arabic Language «Discourse Analysis»

https://doi.org/10.47798/fom.2024.i4.08

ملخص البحث

يجري البحث تحليلا دلاليًّا لأربعة ألفاظ من سورة البقرة هي: (جنف، حنيف، غلف، رفث)، في محاولة لفهم وظائفها الدلالية، بوصفها مصطلحات أساسيّة، ويهدف التحليل إلى اختبار تصوّر بناء معجم دلاليّ للمصطلحات الأساسيّة (الألفاظ المفتاحية) في الخطاب القرآني. وفق تصوّر توشيهيكو أوزتسو في علم الدلالة من خلال كتابه: (الله والإنسان في القرآن). ويفترض البحث أنّ تطوّر مفهوم المصطلحات الأساسية يرجع إلى تطوّر إبستمولوجيًا تلقي الخطاب، وأنّ منهج التفكير حول المصطلح نفسه يخضع لتطوّر يؤدي إلى عزل المصطلح عن دلالته الموروثة، ليحمّله دلالات جديدة كليًّا، وقد اختبر البحث هذه الافتراضات من خلال تحليل «مجموعة» المصطلحات السابقة (الألفاظ المفتاحية) وفق منهج تحليلي يدرس حركة تطوّر دلالة تلك المصطلحات وفقًا لاستعمالها التاريخي. ومن نتائج البحث على سبيل المثال أنّ اللفظ (حنيفًا) استُعمِل في تصورات إبستمولجية متعددة وفقًا للأطر المعرفية التي نشأ فيها، إذ كان قبل الإسلام يثير التصوّر حول توحيد الأصنام، غير أنّ الخطاب القرآني أعاد المصطلح نفسه وفق إطار مرجعي جديد يتمثّل في عبودية الله وتوحيده.

كلمات مفتاحية: الدلالة، المصطلحات المفاتيح، المعجم، الخطاب القرآني، توشيهيكو أوزتسو.

Abstract

This study conducts a semantic analysis of four terms from Sūrat al-Baqarah that are: (Janaf, Ḥanīf, ghlf, rfth), in an attempt to understand their semantic functions as key concepts. The analysis aims to explore the feasibility of constructing a semantic lexicon of fundamental (key terms) in Qur'anic discourse, following the semantic theory proposed by Toshihiko Izutsu in his work (Allāh wa-al-insān fī al-Qur'ān). The study posits that the development of key conceptual terms is closely tied to the epistemological evolution of receiving the discourse, and that the way a term is conceptualized undergoes a transformation that may detach it from its inherited meaning and assign it entirely new connotations. This hypothesis is examined through an analytical study of the semantic shifts of the selected terms in relation to their historical usage. One of the findings, for instance, shows that the term (Ḥanīf) was historically used in varying epistemological contexts depending on the prevailing knowledge frameworks. Prior to Islam, it evoked a concept related to monotheism among idolaters, whereas the Qur'anic discourse redefined it within a new referential framework grounded in servitude to and the oneness of God.

Keywords: Semantics, Key Terms, Lexicon, Qur'anic discourse, Toshihiko Izutsu.

مقدمة

يمثّل كتاب «الله والإنسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، للبروفسور توشيهيكو ايزوتسو Toshihiko Izutsu منهجًا مميّزًا في قراءة التسلسل المعرفيّ لتطوّر المفهوم المصطلحي بين سياقين إيديولوجيين للبيئة الأنثروبولوجية العربيّة نفسها في أول أمرها؛ والبيئة العربية العالمية بعد أن نقرّ باتساع السياق المعرفيّ عند العرب؛ يمكن -الآن على الأقل- أن نقول بأنّ هناك مصطلحات كانت عربيّة خالصة، بالرغم من أنّ العرب ليسوا هم من أنتجها، لكنها تمثّلت معرفة عربية خالصة في التعامل معها كمصطلح (الآلهة = الأصنام)، إنّ مصطلح (الآلهة) ليس حكرًا على العرب، إلا أنّ ورودها في الخطاب القرآني جعلها تحت المجهر الإيديولوجي باعتباره مصطلحًا عربيًّا.

لقد بحث توشيهيكو ايزوتسو من وجهة نظر لسانيّة دلالية إجراءات المنهج الدلاليّ في فهم المصطلحات في سياقها (ما قبل الإسلام) وسياقها (الإسلاميّ)؛ إنّ الإشارة إلى ما قبل الإسلام تستلزم قراءة تاريخية منظمة لجذور المصطلحات ودلالاتها عند العرب وغيرهم من الأمم الأخرى، غير أنّ مصطلح (ما بعد الإسلام) يستلزم قراءة المصطلحات باعتبارها عربية خالصة في أول تسلسلها التاريخي على الأقل؛ لأنّ مصطلحات الخطاب القرآني - في مرحلة تالية - لن تكون متعلقة دلاليّا ولغويًّا وسياقيًّا - بالعرب وحدهم. إلا أنّ توشيهيكو ايزوتسو قدم دراسته هذه باعتبار أنّ تلك المصطلحات سيتم تحليلها دلاليًا وفقا للناس الذين يستخدمون تلك اللغة بعينها، يقول في مقدمة كتابه: إنّ دراسة علم الدلالة هو: «دراسة تحليلية للمصطلحات المفتاحية الخاصة بلغة ما، تتطلع للوصول في النهاية إلى إدراك مفهومين لـ(الرؤية للعالم) الخاصة بالناس الذين يستخدمون تلك اللغة كأداة ليس للكلام والتفكير فحسب، بل الأهم كأداة لمفهمة العالم

الذي يحيط بهم وتفسيره، إنّ علم الدلالة بهذا الفهم نوع من علم الرؤية للعالم Weltanschauungslehre أو دراسة لطبيعة رؤية العالم وبنيتها لأمة ما، في هذه المرحلة المهمة أو تلك من تاريخها، وهذه الدراسة تستهدي بوسائل التحليل المنهجي للمفاهيم الثقافية التي أنتجتها الأمة لنفسها وتبلورت في المفاهيم المفتاحية للغتها»[1]؛ من هذه الفكرة نلحظ أنّ منهج ايزوتسو في قراءة التسلسل المعرفيّ لمصطلحات الخطاب القرآني كانت مرتبطة بصورة أساسيّة بالتفكير الدلالي عند العرب، باعتبارهم هم أول أمة تلقت الخطاب القرآني ووقع على عاتقها إجراء العلاقة بين المصطلح والسياق.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في سعيه إلى فهم منهج توشيهيكو أوزتسو في قراءته لعلم دلالة المصطلحات الممتدة من سياق الموروث المعرفيّ العربي إلى سياق الخطاب القرآني، وهذان سياقان كان لهما أثرٌ كبير في تطوير المفهوم المعرفيّ للمصطلحات التي ورثها العربيّ في سياقها القديم واستمرت أيضًا ليجدها في سياق ديني جديد؛ مثل مصطلح (الأصنام) التي كانت إشارة على الله، لتصبح في الخطاب القرآني إشارة إلى الجهل وعدم المعرفة والإنكار لعبودية الله. إنّ منهج أوزتسو في كتابه «الله والإنسان في القرآن» يقوم على تطوير فهمنا لعلم الدلالة وإجراءاته، وللعلاقة بين المصطلح والسياق، بما يمكن من إعادة تنظيم المفاهيم القديمة والمستحدثة وإدخالها في أنساق وعلاقات ذات دلالات معقدة ومتداخلة تشكل نظامًا جديدا ذا طبيعة مختلفة كليا عن النظام الذي كانت المفاهيم تتخذه سابقًا[2].

١- إيزوتسو: توشيهيكو، الله والإنسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، ٣٢، ترجمة وتقديم، هلال محمد الجهاد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، ٢٠٠٧م.

٢- إيزوتسو: توشيهيكو، الله والإنسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، ٣٢، ترجمة وتقديم، هلال محمد الجهاد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، ٢٠٠٧م.

دراسات سابقة:

يمكن القول بأنّ منهج توشيهيكو ايزوتسو في بحثه لبنية المصطلحات وتطوّر مفهومها لم يلق رواجًا عند المتلقي العربي، لذا فإنّه لا يوجد دراسات سابقة حاولت أن تقرأ منهج توشيهيكو ايزوتسو أو تصوّره المعرفي عن بينة المصطلحات في الخطاب القرآني، قد يكون ذلك راجعًا إلى إجراءات البحث الدلالي التي اعتمدها توشيهيكو ايزوتسو، حيث تمثّلت في تتبع بنية المصطلح ومفهومه في البيئة العربية ما قبل الإسلام إلى ما بعد الإسلام، بالوقوف على مجالات استعمالها ووظائفها المعرفية؛ ويمثل هذا البحث دراسة جديدة تحاول أن تقرأ بعضًا من المصطلحات وفق رؤية دلالية تسعى إلى فهم تطور المفهوم للمصطلح نفسه في البيئة العربية.

منهج البحث:

يقوم البحث على منهج تحليلي، من خلال الوقوف على أربعة مصطلحات من سورة البقرة، هي: (غلف)، (حنيفًا)، (الجنف)، و(الرفث)، ويقدم البحث تمهيدًا نظريًا في «المعنى والدلالة»، وفي «النظرية السياقية في التحليل الدلالي»، باعتبار هذين الموضوعين مقاربة نظرية تمكن من الوصول إلى تحليلات جديدة للمصطلحات الأربعة من سورة البقرة.

١. في المعنى والدلالة:

يهتم علم الدلالة بدراسة بنية الكلمات والتغيرات التي تطرأ عليها شكلًا ومعنىً، غير أنّ تغير بنية الكلمات شكليًّا بطيءٌ جدًا في العربية، ويرجع ذلك لأسباب ذات علاقة بفنيّة التشكّل الاشتقاقيّ للكلمات بما يتناسب مع وظائفها الدلاليّةً في المنجز اللغويّ، فالعربية لغة تعبّر عن تغيرات كثيرة في المعنى في

مستوى صرفيّ واحد، فتغيّر المعنى لا يعيق إمكانية حمله في وحدات صرفية ثابتة في سياقات مختلفة، «وهو أمرٌ يستدعي استقصاء مختلف السياقات التي تقبل ذلك العنصر المعجمي»[١] للكشف عن تغيرات المعنى فيه»، هذا من جهة، ويصحّ التعبير عن البنية الأساسية للمعنى (معنى الجذر) بقوالب اشتقاقية عديدة،[٢]، سواء أكان التغير الاشتقاقيّ في البنية الصرفية للكلمة من مثل (= ذهب / ذاهب / ذهابا...)، أو على مستوى التبدل الصوتيّ (= بَرْهَمَ الشجر وبَرْعَمَ)[٣]، أو على مستوى الإلصاق الاشتقاقيّ (= الحق+ انيّ = الحقانيّ)[٤].

«فالألفاظ بمفهومها تتوارد على ذهن المتلقي وهي تُجْرجرُ معها دلالتها، وبوسع المرء أنْ يدرك بالاشتقاق دلالة الألفاظ هنا، حتى في الفئة التي بعدت عنّا زمنيًا، ولم تعد اليوم موجودة في الاستعمال»[٥] هذا من جهة ثانية، وهناك استعماليّة واسعة الدلالة بسبب إقامة علاقات بين الكلمات في مستوى السياق على نحوٍ مجازيّ؛ حيث يكون المعنى بنية مشاعًا للكلمات، هذا من جهة ثالثة.

لكنّ الاهتمام المثير لعلم الدلالة يكمن في المعنى، فعلم الدلالة يهتم - بالتحديد - بدراسة المعنى في الكلمات بأوسع صوره، «إلى درجة أنّ كلّ شيء - تقريبًا - ممّا يمكن اعتباره ذا معنىً -أيّ معنىً- سيكون مؤهلًا لأن يصبح موضوعًا

١- الزناد: الأزهر، مراتب الاتساع في الدلالة المعجمية، المشترك في العربية مادة «عين» نموذجا، ١٧١، مجلة المعجمية، العدد، ٩ / ١٠، ١٩٩٣م.

٢- انظر الأقطش، عبدالحميد، مساهمات علمائنا الأوائل في حقل الدراسات السامية، استطلاع وتحليل في ضوء المنهج التاريخي المقارن، ١١١، مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد ١٠، العدد ٤، ١٩٩٥م. وانظر الأقطش: عبدالحميد، ألفاظ اللباس في عربية فترة الاستشهاد، دراسة من منظور لغوي اجتماعي، ١٦٥، الدراسات الإسلامية، العدد ٢، المجلد ٣٣، ١٩٩٧م.

٣- نعجه: سهى فتحي أسعد، بنية الكلمة العربية بين الثبات الدلالي والتغير الصوتي، ١٣، مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ١٦، العدد ٢، ٢٠٠١م.

٤- انظر النصراوي: الحبيب، قاموس العربية، من مقاييس الفصاحة إلى ضغوط الحداثة، ٢٠٠ وما قبلها، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ٢٠١١م

٥- الأقطش: عبد الحميد، ألفاظ اللباس في عربية فترة الاستشهاد، ١٦٥.

لعلم الدلالة»[١]، فالمستوى التواصليّ اللسانيّ ليس هو فقط مدار البحث في علم الدلالة؛ إنّ الدلالة موضوع ذو علاقة فكريّة بالنسبة للإنسان، أي أنّه غير محدود الاستعمال[٢].

غير أنّ مسألة العلاقة بين المعنى والدلالة ما زالت غير واضحة، فهناك جانب مُشكل في توضيح هوية كلّ من المعنى والدلالة، فالكثيرون[٣] يعدّون علم الدلالة تاليًا لعلم المعنى، باعتبار أنّ المعنى غاية التواصل[٤]، وأنّ الدلالة فوق تواصلية، وأنّها تبحث في بنية أوسع بكثير من بنية المعنى، «فالدلالة، عبارة عن شيء زيادة على كونه حاملاً للمعنى، يثير بذاته للفكر أشياء أخرى»[٥]؛ «فهي أقرب ما تكون قضية نفسية، بينما يحتفظ المعنى بقيمة سكونيّة»[٦]، لكن قد تكون الدلالة هي مدار التشكّل الألسنيّ، وغاية التواصل؛ فكثير من المنجزات اللغويّة تقدّم في بنيتها تصوّرًا دلاليًا قبلًا لكونها مسوقة لمعنى، أي أنّ مؤدّاها ينصرف إلى مستوى أوسع من مجموع علاقات الألفاظ فيها؛ فقديمًا قالت إحداهن: «أشكو قلة الجرذان في بيتي»، كناية،[٧] عن الفقر والجوع، وهذا ليس معنى الشكوى، إنّما دلالة مترتبة على بنية السياق من كون الجرذان لا تقيم حيث يكون الجوع، فالمعنى إنّما يفهم

١- ايزوتسو: توشيهيكو، الله والإنسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، ٣١، ترجمة وتقديم، هلال محمد الجهاد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، ٢٠٠٧م.

٢- انظر جدامي: عبد المنعم السيد أحمد، دلالة السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلاميّ في عملية التواصل، ٣٢١، علوم اللغة، المجلد، ٩، العدد ٢، ٢٠٠٦م.

٣- أغلب الباحثين الذين وقفت عليهم في عمل الدلالة يبحثون مسائل الدلالة باعتبارها فوق المعاني، أو أنّها مسألة تالية لفكرة المعنى، انظر مثلا مختار عمر، علم الدلالة، وبيار غيرو، علم الدلالة، وإيزوتسو، الله والإنسان في القرآن، وغيرهم.

٤- انظر، الأقطش: عبد الحميد، ألفاظ اللباس في عربية فترة الاستشهاد، ١٧٥. والسعران: محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ٢٦١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.

٥- ازوولد وتزيفان، المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، ٢٣، ترجمة عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء.

٦- بيار غيرو، علم الدلالة، ترجمة انطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط١، ١٩٨٦م.

٧- الثعالبي: أبو منصور، عبد الملك بن محمد، رسائل الثعالبي، ١ / ٧٣، دار صعب، بيروت، ١٩٧٢م.

من المضمون الدلاليّ والشكل اللفظيّ مجتمعين[١]، ومعنى الجملة-أي جملة- لا يعتمد إلا جزئيًا على معنى الكلمات التي تتكون منها[٢].

فهناك إشكال في تحديد هويّة كلّ من المعنى والدلالة، غير أنّ الفكر اللسانيّ يدرس الدلالة على أنّها مصطلحات مفتاحيّة لعلم المعنى[٣]، أو أنّها مقارنات سلوك المعنى زمنيًا تبعًا للتأثير الاجتماعيّ أو الاقتصاديّ أو الدينيّ[٤]...، فالدلالة تساوي منهجًا علميًا يدرس به المعنى[٥]، أو هي «القوانين التي تسود التغيّر في المعنى»[٦]، فالمعنى موضوع والدلالة منهج، فكثير من الباحثين اللسانيّين طرحوا موضوعات الدلالة وفق منهج تجاوز النظر إلى بنية المعنى، غير مفرقين بين كون المعنى بنية دلالية أو بنية في ذاته، فكانت جلّ موضوعات علم الدلالة تمثل فكرة أوسع من بنية المعنى، كفكرة الحقول، أو المجال الدلالي أو التطور[٧]، وقد استعمل (بريل M.Breal) مصطلح الدلالة إشارة إلى تطوّر المعنى[٨]، ولعلّه واضح أنّ التطور لا يهتم ببنية المعنى، بل يهتم بالتغيّرات التي يتحملها المعنى تبعًا لمسببات التغير

١- اللغة ليس عقلا، ٢٧٦

٢- لاينز: جون، اللغة والمعنى والسياق، ١٨ وما بعده، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.

٣- ايزتسو، توشيهيكو، الله والإنسان في القرآن، ٣٢

٤- الأقطش، عبد الحميد، ألفاظ اللباس في عربية الاستشهاد، ملخص البحث، وص ١١٤،

٥- بيار غيرو، علم الدلالة، ١٢

٦- ميشال بريل، القوانين الفكرية للكلام، مقاطع من علم الدلالة، حولية جمعية تشجيع الدراسات اليونانية في فرنسا، المجلد السابع عشر، ١٨٨٣م نقلا عن بيار غيرو، علم الدلالة، ٩.

٧- انظر: عمر، أحمد مختار، المعجم والدلالة، نظرة في طرق شرح المعنى، ١٤٧ وما بعدها، مجلة المعجمية، العدد، ١٢ / ١٣، ١٩٩٦م. وأنيس: إبراهيم، دلالة الألفاظ، ١٢٣، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م. ومبارك: محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، ٢٢١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨١م. الشذر: ظبية صالح، أثر التغير الدلالي في ظهور الترادف، ١٠٤ وما بعدها، علوم اللغة، المجلد ٢، العدد، ١، ١٩٩٩م.

٨- بالمر، ف. ر، علم الدلالة، إطار جديد، ترجمة، صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م.

سلبًا أو إيجابًا[1]، غير أنّ إشكالية العلاقة بين المعنى والدلالة ذات علاقة بفكرة المعنى عينها، فالمعنى في العربية مبنيّ في الجذر، لذا فإنّ استعمالات المعنى فوق الجذريّ ستكون موضوعًا دلاليًا، من كون الدلالة مرحلة تالية لاستعمال المعنى الأوليّ، وبهذه الفكرة تكون الدلالة موضوعًا والمعنى منهج، غير أنّ كيفية التعرف على المعنى أو الدلالة موضوع خلاف بالنسبة للباحثين المحدثين على الأقل[2]؛ فالعلاقة بين اللفظ والمعنى غير معللة منطقيًا، فهي علاقة اعتباطية[3]، والاعتباطية هذه تثير إشكالات من نوع مفتوح في المنجزات اللغويّة، فإذا كانت العلاقة بين اللفظ والمعنى غير معللة، فإنّ التوسع الاستعماليّ للمعنى بمنهجية دلالية -حقيقة ومجازًا- سيكون أكثر غرابة وبعدًا عن منطقية التحليل البنيويّ للألفاظ في السياقات والتداولات الكلاميّة؛ فالدلالة غير منفصلة عن المعنى، بل هي علاقة معقدة من نحو يصعب معه الفصل بينهما، ومن الغريب جدًا أن تكون علاقات الدلالة في السياقات اللغويّة اعتباطية التعليل، تبعًا لكون المعنى اعتباطيّ التعليل؛ غير أنّ فكرة الاعتباط في المنحى الدلاليّ أقل إشكالاً من اعتباطيتها في المعنى، علة ذلك أنّ البنية الدلاليّة تقوم على ربطٍ بين مجموع علاقات المعنى في السياق، في حين يقوم المعنى على علاقة بين اللفظ ومدلوله بطريقة مباشرة.

٢. النظرية السياقية في التحليل الدلالي:

تمثّل نظرية السياق واقعًا تطبيقيًا لاستعمال الألفاظ في اللغة، فالكلمات خارج السياق ليست ذات بنية لغويّة، أي أنّها لا تشكل تركيبات ولا معاني، في حين أنّ بنية العلاقة بين الألفاظ في السياق تمنح الكلمات دلالات واستعمالات متعددة،

١- أولمان: ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ١٩٧-٢١٠، ترجمة كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٧م، وظبية صالح الشذر، أثر التغير الدلالي في الترادف، ١٠٥.

٢- إيزوتسو، توشيهيكو، الله والإنسان في القران، ٣٠-٣١.

٣- بيار غيرو، علم الدلالة، ٣١.

فبنية المعنى المعجميّ هي بنية سياقية في حقيقة أمرها، لذا فإنّ الفكرة القائلة بـ«المعنى الأساسيّ مقابلًا للمعنى السياقيّ فكرة غير دقيقة[١]؛ من جهة أنّها تمنح الكلمات بنية دلالية مقطوعة عن الغائية التواصليّة، إنّ الكلمات خارج السياق غير تواصلية، ومن غير المنطقيّ إذن أن تُحمّل دلالاتٍ فوق بنيتها الصوتيّة، فالمعنى لا يكون-البتة-إلا في منحىً تواصليّ، يقول الفيلسوف (Wittgenstetin): «معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة»[٢].

غير أنّ فكرة السياق تمثّل منهجية واسعة في التحليل الدلاليّ، فالسياق ليس هو فقط استعمال الكلمة في المستوى اللسانيّ، بل يمتد إلى كلّ ما يمكن أن يكون ذا أثر في إقامة المعنى، أي كلّ العلاقات اللغويّة وغير اللغويّة، وبحسب (فيرث) فإنّ دراسة معاني الكلمات والألفاظ تتطلب تحليلًا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، سواء أكانت سياقات لغوية أو ثقافية أو عاطفية»[٣]، أي أنّ فكرة السياق تقوم على إرجاع الكلمات أو الاستعمالات إلى السياقات الاجتماعيّة والفكريّة التي قيلت فيها، وهي فكرة تنبّهَ لها علماء البلاغة ضمن مقولة مفادها: «لكلّ مقام مقال»، و«لكلّ كلمة مع رصيفتها مقام»[٤]. حيث تتشكّل الدلالات تبعًا للموقف الاجتماعيّ التي تستعمل فيه، بتكوينات علائقيّة بين بنيات اللفظ في السياق.

بناء المفهوم في السياق:

يمثّل المفهوم البنيةَ الشارحة للمصطلح اللغويّ، غير أنّ المفهوم ذاته يتشكّل بسببٍ من وظائف الكلمات في السياق اللغويّ، أي أنّ المفهوم هو بنية دلالية

١- انظر، بيار غيرو، علم الدلالة، ٤٢ وما بعدها، إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن، ٤٣.

٢- نقلا عن: عمر: أحمد مختار، علم الدلالة، ٧١ وما بعدها، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨ م.

٣- J. R. Firth، Papers in Linguistics p .١٩٥٧ ،London: Oxford University Press ١٩.، نقلا عن، عمران: أحمد بخيت، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، ٩١، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠٠٧ م.

٤- انظر حسان: تمام، العربية معناها ومبناها، ٢٠، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٣ م.

واسعة في السياق يتمثّلها لفظٌ معين، وبغير ذلك تكون آلية بناء المفهوم غير واضحة؛ لأنّ الكلمات المصطلحية تكتسب صفتها المفهوميّة من كونها تشكّل فكرة دلالية في سياق معين، فاللفظة التي تكتسب معنى مفهوميًا مدينةٌ في واقع التطبيق لمجموع الألفاظ في سياقها؛ فمصطلح «الزكاة» - مثلا - يكتسب مفهومًا شرعيًا من علاقته بمجموع الوظائف الدلالية في سياقات الخطاب الديني، فالزكاة -أصلًا- ذات دلالة غير حسية، وكلمة كتاب -أيضًا- تكتسب في سياقات القرآن «أهمية غير اعتيادية، كعلامة على مفهوم دينيّ خاص جدًا، تحيط به هالة من القدسية، حيث ترتبط هذه الكلمة بعلاقة قوية جدًا بعدة مفاهيم مثل «الله» «وحي» «تنزيل» «أهل»، وهذا يعنى أنّ الكلمة تؤدي وظائف دلالية جديدة نتيجة علاقتها المتنوعة مع العديد من المفاهيم الأخرى[1].

إنّ هذه الطريقة التي تستعمل فيها الكلمة هي التي تصنف دلالتها ضمن علائقية الدلالة أو القيم الوظائفية للكلمات في الإنجاز اللغويّ، لأنّ السياق يحمل حقائق إضافية تفرض على معنى الكلمة توجهًا دلاليًا ما.

بنائية المفهوم في الخطاب الديني:

تمثّل بعضُ المصطلحات في سياق الخطاب القرآني بنية دلاليّة منفتحة، على نحو يجعلها ذات مفاهيم تأسيسية لفهم الخطاب الدينيّ، وقد أطلق عليها توشيهيكو أوزتسو «المصطلحات المفاتيح»؛ ويرجع كون اللفظ في الخطاب الديني ذا بنية مفهومية، أو أنّه غير ذي بنية مفهومية إلى ما تقدّمه الألفاظ من وظيفة إيديولوجية دلالية في بنية السياق، بحيث يصحّ أن تكون بعض اللفظ مرجعًا مركزيًا لمجموع ألفاظ الخطاب أو السياق المنجزة فيه، إلى جانب كون تلك الألفاظ مرجعًا إبستمولوجيًا كاللفظ (الله)؛ الذي تغيّر تغيرًا جذريًّا من مفهومه ما قبل الإسلام

١- إيزوتسو، توشيهيكو، الله والإنسان في القرآن، ٤٤، بتصرف.

إلى مفهومه الإسلاميّ الجديد. لذا فإنّه ليست كلّ الألفاظ مؤهلة لتقديم بنيات مفهومية في سياق الخطاب القرآني؛ غير أنّ التوصل إلى مفهوم للفظ ما في سياق ما، لا يتوقف على عناصر الاستعمال السياقي الداخلي في بنيّة الخطاب، بل إنّ فكرة بناء مفهوم للفظ ما، يستدعي أن يكون اللفظ حاملًا لانفتاح دلاليّ واسع إلى حدّ مراعاة ألفاظ نقيضة أحيانًا، فمفهوم (العلم) -مثلًا- قائم على كونه نقيضًا لـ(الجهل)، أي أنّه في تركيب سياق معين قد لا يكون الجهل مستعملًا قبالة لمفهوم العلم، غير أنّ بنية المفهوم في لفظ «العلم» ترجع إلى ما يشكّله من علاقات نقيضة لمفهوم الجهل.

(١)- جنفًا

﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة [١٨٢][1].

إنّ العلاقة الاستعماليّة بين معنى «الخوف» و«جنفًا» توحي بفكرة دلالية يستلزم بها وضع «جنف» في تحليل دلاليّ لا يخرجها عن مفهوم يتعلق بمعنى الظلم، لأنّ الوظيفة التي يقدمها «الخوف» في السياق ذات علاقة بفكرة الظلم والحق، فيترتب على ذلك «جنفٌ أو إثمٌ» وأنّ ردّ هذا «الجنف أو الإثم» يكون باتباع منهج حقوقيّ، فيترتب عليه «الرحمة والغفران» معنى ذلك أنّ فكرة التحليل الدلالي للوظيفة التي يقدمها «جنف» في سياق الآية ذات علاقة بمفهوميّ «الظلم» «والرحمة».

أمّا البنية السياقية التي تجعل «جنفًا» ترجع إلى مفهوم دلاليّ واسع (=الظلم) فهي مرتبطة بمفهوم الوصيةّ، أي أنّ الوصية -أيضًا- ترقى إلى مستوى دلاليّ ذي علاقة بمفهوم حقوقيّ، حيث تصير الوصية إلى درجة شرعية فرائضيّة، فيترتب

١- انظر: ملحق الآيات.

على ذلك «جنفٌ وإثم» في حال عدم إقامة فرائضيّة الوصية، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (النساء-١٢)، «وفي كون هذه الوصية من الله سبحانه دليل على أنّه قد وصّى عباده بهذه التفاصيل المذكورة في الفرائض، وأنّ كل وصيّة من عباده تخالفها فهي مسبوقة بوصية الله، وذلك كالوصايا المتضمنة لتفضيل بعض الورثة على بعض، أو المشتملة على الضرار بوجه من الوجوه. إذن فإنّ «جنفًا» ذات علاقة بمفاهيم الحق والإثم والرحمة والفرائضية، وهي تقدم مفهومًا ذا علاقة بفكرة الوصية، غير أنّها لفظة غير مركزية، أي لا تقوم بمعنى الظلم عامة، بل هي فرع على الظلم ونوع منه، وبحسب استعمالها في السياق تكون راجعة إلى بنية مفهومية واسعة كالآتي:

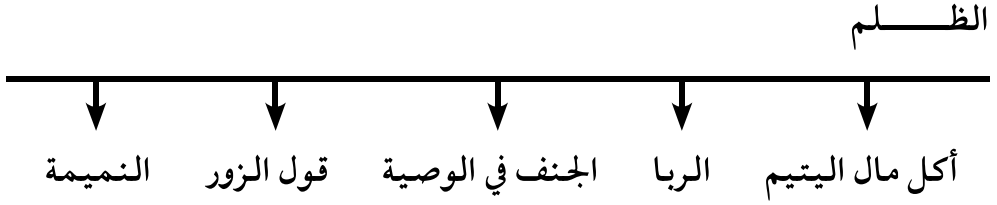

فـ«جنف» تدل على مفهوم خاص في بنية سياقية ذات علاقة بالوصية، حيث لا تستعمل «جنفًا» مثلًا مع الربا، من جهة أنّ الربا، ظلم بواح، وأنّ «الجنف» ظلم إرثيّ، أي أنّ المال في أصله حقٌ لصاحب الوصية.

(٢)- حنيفًا

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ البقرة [١٣٥]»[1].

١- انظر ملحق الآيات

تمثّل لفظة «حنيفًا» بنية دلاليّة في تكوين المفهوم الدينيّ في السياق القرآني، حيث استعملت مقابلًا لمصطلح «الشرك» في عشرة مواضع من القرآن[١]، وعلى الرغم من استعمالها في دلالة واسعة، أي مقابلًا لمصطلح الشرك، إلا أنّها تنطوي - أيضًا - على دلالات من نوع خاص، لذا فإنّ مفهوم «حنيفًا» في السياق الدينيّ يوضح علاقة الإنسان بالله من جهة عامة، وعلاقة الإنسان بالدين من جهة خاصة؛ ففي قوله تعالى:

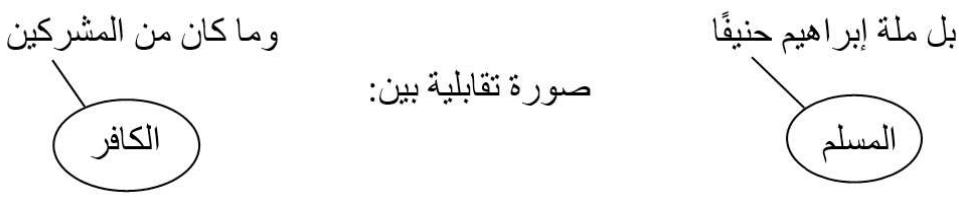

يتكون المفهوم الدينيّ في «حنيفًا» مقابلًا للمفهوم الدينيّ في «الشرك»، غير أنّ سيدنا إبراهيم -عليه السلام- ومحمد الرسول-صلى الله عليه وسلم- ومَنْ بينهَم ومَنْ تبعهم ليسوا حنفاء مسلمين فحسب؛ إنّهم حنفاء مؤمنون، قال تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢] (الحجرات- ١٤)، أي أنّ مفهوم الإيمان يدلّ على علاقة من نوع آخر بين الله والإنسان، فتكون في مجال أضيق منه بالنسبة لكون الإنسان مسلمًا حنيفًا، أي إنّ «مسلمًا» لا تكون مقابلًا إيجابيًا لـ«حنيفًا» في حين أنّ «مسلمًا» تُستعمل مقابلًا إيجابيًا للفظ «المشرك»، وهو عين استعمال «حنيفًا» مقابلًا لـ«الشرك»؛ فالمفهوم الدينيّ للفظ «حنيفًا» يتمعنى بوجه إيجابيّ بالنسبة لغير المشركين، سواء أكانوا مسلمين أم مؤمنين، غير أنّه في الوقت نفسه يتمعنى سلبًا بالنسبة لمفهوم «المسلم» مقابلًا لمفهوم «المؤمن»؛ علة ذلك أنّ علائقيّة

١- انظر: ملحق الآيات.

٢- انظر: ملحق الآيات.

الدلالة بين مفهوم «حنيفًا» والإنسان ترجع إلى مفاهيم ودلالات ذات علاقة بمنهج دينيّ في إطارين: أحدهما عام يصنف المسلمين قبالة المشركين، والآخر خاص يوضّح علائقيّةً بين الله والمؤمن، والرسم التالي يوضح العلاقة المفهوميّة.

أ- أركان الإسلام (= مفاهيم عامة عيانيّة / غير قلبية)

ب- أركان الإيمان (= مفاهيم ذات دلالات قلبيّة)

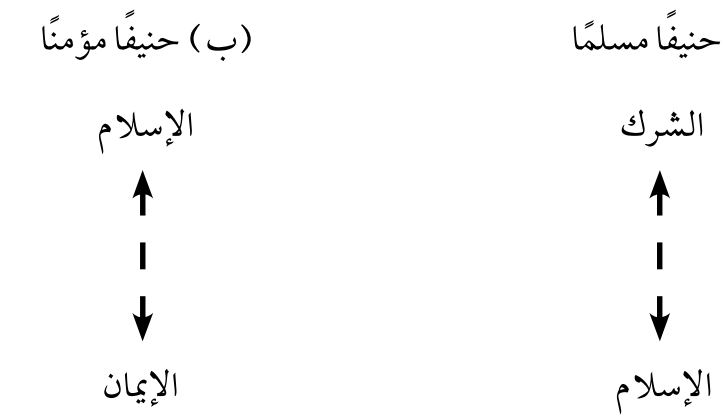

فالنقط في (أ) مفاهيم ودلالات عيانيّة (= أركان الإسلام)، وهي تمثل «حنيفًا مسلمًا»، غير أنّها تمنهج علاقة الله بالإنسان في أطر واسعة، لذا فإنّ مفهوم «حنيفًا» وفق هذا المستوى يتشكل من علاقات ومفاهيم عامة، كالشهادة والإقرار بوجود الله، وإقام الصلاة عيانًا، وكذلك الزكاة، وحجّ البيت، والصيام - أيضًا - من جهة أنّ الشهر معلوم عيانًا للجميع، لا من جهة أنّ الإنسان يُدرى به صائم هو أم غير ذلك.

أمّا النقط في (ب) فذات علاقة بمفاهيم خاصة تكشف عن تواصليةّ بين الله والإنسان خفاءً، إذ تمثّل تشكلًا عَقَديًا وفق منهج ضيق، وبسببٍ من ذلك فإنّه يصحّ التقابل بين ألـ«حنيفًا» وألـ«مسلمًا»؛ من جهة أنّ أحدهما لا يكون في الآخر، وأنّ المفاهيم الدلالية، والمجالات المستعملة يصير إليها أحد المفهومين دون الآخر،

فالكافر لا يوصف بالنفاق، ويصحّ ذلك في المسلم.

(٣)– رفثٌ

قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [١٨٧][1].

يدل «الرفث» على علاقة حسية بين الرجل والمرأة، وهو بهذا الحد لا ينفصل عن مصطلحات ذات دلالات مساوية في مجال العلاقة الماديّة بين الذكر والأنثى، حيث تستعمل العربية –مثلًا– «الجماع» و«الزنى» للفكرة نفسها؛ غير أنّ استعمال السياق لواحد من المصطلحات الواصفة لعلاقة الرجل بالمرأة قد يشكل مفهومًا ذا علاقة بعناصر مؤسسة لمفهوم أوسع (الحلال والحرام)، فيكون المصطلح «الرفث» مفهومًا شرائعيًا ممنهجًا؛ ولكنّ تظل إشكالية المفهوم في مصطلح «الرفث» ذات دلالة على تعاملية خاصّة بين الذكر والأنثى؛ ولا ترقى إلى مستوى مفهوميّ واسع، فالنصّ القرآني ينوي الكشف عن منهج تعامليّ خاصّ في ليلة الصيام مثلًا، أو في الأيام الحرم، أي أنّ «الرفث» يمثل جُزيئة حسية في زمان ضيق ومكان أضيق بين الرجل وزوجه؛ وبهذا الفهم فإنّ مصطلحًا من نحو «الحرث» يقوم بالوظائف عينها للفظة «الرفث» في سياق مماثل، وأنّ أحدًا ليزعم بأنّ الوظيفة نفسها مقدمة من لفظة «الزنى» في سياق مماثل نقيض لـ«أحل لكم» أي حُرم عليكم»، فالمصطلحات (الرفث والزنى والجماع وغيرها) تعطي وظيفة سياقية واحدة على المستوى الحسيّ، غير أنّها ذات علاقة بمفاهيم دلالية مختلفة تبعًا للسياق المنجزة فيه، وبسبب من تعالقيّة اللفظ بغيره من المفاهيم تتشكل خصوصية مفهومية تكشف جوانب دلالية للاستعمال، بحيث يصحّ التفريق بين جَمْع من المصطلحات ذات الدلالة عينها.

إذن، هناك توافق معقد بين مصطلحات مشابهة حسيًا لوظيفة «الرفث» في السياق، غير أنّ الكشف عن مفهومية بعينها لـ«الرفث» –مثلا– أو «الزّنى» أو

١- انظر ملحق الآيات

النكاح» توجب البحث في علاقات الدلالة بين مجالات مفهومية أوسع، لنأخذ فكرة «العبادة والخلق»؛ فإذا كانت فكرة «العبادة» قائمة على إمكانية الخلق، فإنّ آلية الخلق -منطقيًا- لا تنحكم بمفهوم «الرفث»(=الحلال)، أو بمفهوم «الزنى» (=الحرام)، إنّ فكرة الخلق ترجع إلى آلية حسية فحسب، وعند هذا المستوى من التحليل الدلالي لا يصحّ استبعاد مرادفاتٍ لمفهوم «الرفث» من الناحية الحسية.

لكنّ دلالة المفهوم المتشكل من مصطلح «الرفث» مبنية على علاقات دلالية في أطر أكثر خصوصية من فكرة العبادة، حيث تنبني علاقات التحليل على فكرة ذات علاقة بمفهوميّ «الحلال والحرام»، «أحلّ لكم الرفث» مقابلًا لـ «حرّم عليكم الزنى»، وبسبب من علاقة الرفث بمفهوم الحلال فإنّه يستبعد «الزنى» كمفهوم رديف الآن، لأنّ أحدهما حلال، والآخر حرام؛ لكنّ إشكالية تعترض التكون المفهوميّ لـ«الرفث» تبعًا لعلاقة الحلة والحرمة، فعلى الرغم من أنّ «الرفث» مساوٍ دلاليًا لمفهوم «الزنى» من الناحية الحسية، وضدٌ له من علائقيتهما بالحلة والحرمة، إلا أنّ «الرفث والزنى» ينجمعان لحكم شرعيّ واحد؛ بسببٍ من كونهما حرامًا، أحدهما محرم نهارًا، والآخر مطلقًا، فـ«الرفث» مساوٍ على مستوى معين لمفهوم «الزنى»، ولهذه العلة فإنّ إشكالية تعترض السياق ضمن التوجه الذي أرساه (هاريس) في عملية الاستبدال والتوزيع، تأمل تاليًا:

١- حرم عليكم الزنى.

٢- حرم عليكم الرفث وأنتم صائمون.

على الرغم من أنّ المصطلحين يشكلان مفهومًا واحدًا على المستوى الحسيّ، فإنّهما لا يصحان في سياق واحد، أي لا يصحّ استعمال «حُرم» مع «الرفث» وإن كان محرمًا نهارًا.

إذن فإنّ التحليل الدلالي للتكوّن المفهوميّ لمصطلح «الرفث» ينتمي إلى علائقية أضيق من فكرة الحلة والحرمة، فالرفث لا يكون إلا مفهومًا حقوقيًا ضمن الخطاب الدينيّ، أي أنّه من لوازم عقدة النكاح، وعند هذا المستوى يتم التفريق بين «الرفث» ومرادفاته» على أسس غير حسية، فالرفث مفهوم تال لمفهوم النكاح، ويبنى مفهومه على أساس حسيّ، لأنّه لا يشكل مفهومًا عامًا يحكم علاقة الرجل بالمرأة، أي أنّ مفهوم النكاح يمثل فكرة حقوقية تطال الجانب الحسيّ والمعنوي للرجل والمرأة، في حين يشكل «الرفث» مفهومًا ماديًا لعلاقة الرجل بزوجه.

(٤)– «غلف»:

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ البقرة [٨٨][١].

قلوبنا «غُلف» أي في غطاء[٢] والمراد -بحسب المفسرين- إعراض الكافرين عن دعوة النبي- صلى الله عليه وسلم- بسب علمهم بما أُنزل على موسى -عليه السلام-، وهذه فكرة تمثّل حال من عنده علم بشيءٍ يصيرّه كافرًا بغيره؛ فلو كانوا قاصرين عن العلم بما أنزل على الرسول -صلى الله عليه وسلم- قاصرين عن العلم بغيره لم يكونوا كافرين؛ وسيصفهم القرآن تبعًا لذلك بمفهوم ذي دلالة لا تكون في «غلف»، تمامًا كما وصف العربُ من غير اليهود بأنّهم أميّون، لا يعلمون كتابًا قبل القرآن، في حين أنّ الكفار من اليهود يؤمنون بغير ما أنزل على محمد، ويكفرون بما أنزل عليه، فهم كفار ومؤمنون في آن؛ قال تعالى: «فقليلًا ما يؤمنون» وفي موضع آخر: ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء-١٥٥)، وقد ذكر المفسرون[٣] أنّ القلة هذه تدل على أنّ إيمانهم بالله مع إنكار دعوة الرسول لا

١- انظر ملحق الآيات

٢- ابن أبي طلحة، علي، صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير القران الكريم، ٨٤، تحقيق راشد عبد المنعم الرجال، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

٣- انظر ابن عاشور، محمد الظاهر، تفسير التحرير والتنوير، ١ / ٥٩٩، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤. والطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، ٢ / ٣٢٥، تحقيق محمد وأحمد محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م. ورضا: محمد رشيد، تفسير المنار، ١ / ٣١٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

تنفعهم شيئًا، وتفسير الآية على هذه الصورة يوحي بمنهجية استعمال «غلف» لدى الكافرين، فهم يدلون بها على كفرهم بالشيء لا لجهلهم به، إنّما لعلمهم به، إلا أنّه علم يوصل إلى إنكار وجحد؛ وهذا مفهوم معقد، لأنّ المصطلح «غلف» في الخطاب الديني ينتهي بمفهوم لا يصور حال أول استعماله؛ فالعرب تستعمل «غلفًا» للدلالة على الغطاء والستر، «غلاف السيف غطاؤه[1]»، فهي ذات معنى سلبي في استعمالها مع القلب(= العقل في الآيات)، لأنّها ذات دلالة على الجهل، قلوبنا غلف، أي في غطاء من الجهل، إلا أنّها في الخطاب الديني تمثل منهجية تعاملية بين الكفار وخالقهم؛ فهي تنتهي باستعمال نقيض، من كونها ذات دلالة على تصور عقليّ للإنكار، فهم يعون إنكارهم؛ ولهذا لعنهم الله، قال تعالى: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ﴾ الآية.

إذن فإنّ دلالة «غلف» تشكل مفهومًا دينيًا يصف منهج العلاقة بين الكافرين والنبي(ﷺ)، وبالتالي فهو مفهوم يوضح علاقة الكافرين بالله وبالقرآن؛ وبهذا الفهم فإنّ بنية المفهوم ذات علاقة بمفاهيم ودلالات متقابلة، أي أنّ مفهوم «غلف» سيكون مبنيًا على مفهوم «العلم» بالنسبة للكافرين، لأنّ بنية الدلالة في «غلف» بحسب السياق لا تدل على حالة غير واعية، إنّها تشير إلى العارفين المنكرين؛ فقد قالوا في موضع آخر: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ (فصلت-٥). فيلحظ أنّهم غير قاصرين عن العلم، فهم وصفوا أنفسهم بالجحد والتكذيب مع علمهم بصدق ما يدعون إليه.

ولأنّهم يعلمون ما جاء به النبي (ﷺ) فإنّ مفهوم «غلف» في السياقات القرآنية لا يكون نقيضًا لمفهوم العلم، بل رديفًا له؛ غير أنّ أحدهما سلب والآخر إيجاب، وقد اسُتعمل «غلف» صفةً دالة على العلم، لكنّ مفهوم العلم في

١- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، مادة (غلف)، تحقيق عامر أحمد حيدر وعبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

الخطاب الديني -أيضًا- يتمنهج وفق رؤية دينية خاصة، فـ«العلم بالله» يقوم على جانب روحيّ، وآخر ماديّ؛ أمّا الماديّ فيتمثل في مستويات إعجازيّة فوق إنسانية، فالعلم بالله والتعرف على ذاته وأنبيائه خارج عن مستوى إدراك العقل من جهة الجانب الماديّ، أي أنّ الناس -دائمًا- يدعون الأنبياء إلى الإتيان بتجارب محسوسة لا يقوم بها بشر، أما الجانب الروحيّ، فماثل في صفة فطرية تشكك في غير الله أن يكون هو الله، فعبّاد الأصنام يعبدونها ليس لذاتها، بل لأنّها تقربهم إلى الله، فهي ليست الله، إنها حجارة، وهم يدركون عجزها، غير أنّ الكفار أنكروا على النبيّ دعوته من طريقين للعلم، أحدهما ماديّ، والآخر روحيّ؛ فصاروا «غلفًا» بدلالة مفهومية نقيضة لاستعمال «غلف» في السياق؛ فـ«غلف» تستعمل في السياق للدلالة على حالة عدمية للعلم، في حين تدل في سياق المفهوم الدينيّ على منهج علميّ يقوم على الإنكار، وهو مفهوم يمثّل مرحلة تالية للعلم بوجود الله وصدق نبيّه، كالتالي:

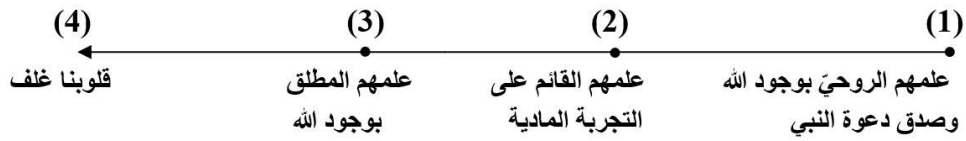

فالأرقام (١-٣) تمثّل مرحلة معرفيّة سابقة بوجود الله، ويمثّل الرقم (٤) نتيجة معرفيّة، وبذلك فإنّ «غلفا» تدلّ على مفهوم يمنهج علاقة الكافرين بالله والقرآن والرسول.

خاتمة

إنّ البحث في بنية المصطلحات المفاتيح (مصطلحات أساسية) في الخطاب القرآني من وجهة نظر لسانيّة دلالية يكشف عن التعالي النصي في الخطاب القرآني، ويؤسس لفهم أعمق لاستراتيجيات الخطاب القرآني في إجراء تغييرات دلالية في المفاهيم.

نتائج البحث:

١- يسهم الخطاب القرآني بشكل كبير في تغيير مفاهيم المصطلحات ومنحها وظائف دلالية جديدة كليا، وإنّ قراءة المصطلحات من وجهة نظر سياقية دلالية تاريخية يكشف عن التسلسل المعرفي في بنائها، ويكشف عن منهج الخطاب القرآني في تغيير مفاهيم تلك المصطلحات ومنحها وظائف جديدة.

٢- من خلال التحليل الدلاليّ لأربعة في ألفاظ من سورة البقرة، اتضّح أنّ فكرة بناء معجم دلاليّ للمصطلحات المفاتيح في الخطاب القرآني أمرٌ ممكن، ويمكن أن يقود إلى تعميق قراءة الخطاب القرآني وفهمه من وجهات نظر متعددة.

قائمة المصادر والمراجع

- أنيس: إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م
- أولمان: ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٧م
- إيزوتسو: توشيهيكو، الله والإنسان في القران، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، ترجمة وتقديم، هلال محمد الجهاد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، ٢٠٠٧م.
- بالمر: ف.ر، علم الدلالة، إطار جديد، ترجمة، صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م.
- بيار: غيرو، علم الدلالة، ترجمة انطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط١، ١٩٨٦م.
- تودوروف: ازوولد تزيفان، المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، ترجمة عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٨٨م.
- الثعالبي: أبو منصور، عبد الملك بن محمد، رسائل الثعالبي، دار صعب، بيروت، ١٩٧٢م.
- حسان: تمام، العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٣م.
- رضا: محمد رشيد، تفسير المنار، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م
- السعران: محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.
- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية، دار المعرفة، ٢٠٠٤م
- الطبري: محمد بن جرير، تفسير الطبري، تحقيق محمد وأحمد محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.
- بن أبي طلحة: علي، صحيفة علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في تفسير القران الكريم، تحقيق راشد عبد المنعم الرجال، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.
- ابن عاشور: محمد الظاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤.

- عمر: أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- عمران: أحمد بخيت، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- لاينز: جون، اللغة والمعنى والسياق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.
- مبارك: محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨١م.
- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر وعبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- انظر النصراوي: الحبيب، قاموس العربية، من مقاييس الفصاحة إلى ضغوط الحداثة، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ٢٠١١م.

البحوث والرسائل الجامعية:

- الأقطش: عبد الحميد، ألفاظ اللباس في عربية فترة الاستشهاد، دراسة من منظور لغوي اجتماعي، الدراسات الإسلامية، العدد الثاني، المجلد الثالث والثلاثون، ١٩٩٧م.
- الأقطش: عبد الحميد، مساهمات علمائنا الأوائل في حقل الدراسات السامية، استطلاع وتحليل في ضوء المنهج التاريخي المقارن، مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الرابع، ١٩٩٥م.
- بريل: ميشال، القوانين الفكرية للكلام، مقاطع من علم الدلالة، حولية جمعية تشجيع الدراسات اليونانية في فرنسا، المجلد السابع عشر، ١٨٨٣م.
- جدامى: عبد المنعم السيد أحمد، دلالة السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلاميّ في عملية التواصل
- الزناد: الأزهر، مراتب الاتساع في الدلالة المعجمية، المشترك في العربية مادة «عين» نموذجًا، مجلة المعجمية، العدد، ٩ / ١٠، ١٩٩٣م.
- الشذر: ظبية صالح، أثر التغير الدلالي في ظهور الترادف، علوم اللغة، المجلد، ٢، العدد، ١، ١٩٩٩م.
- عمر: أحمد مختار، المعجم والدلالة، نظرة في طرق شرح المعنى، مجلة المعجمية، العدد، ١٢ / ١٣، ١٩٩٦م.
- نعجة: سهى فتحي أسعد، بنية الكلمة العربية بين الثبات الدلالي والتغير الصوتي، مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، ٢٠٠١م.

ترجمة المصادر والمراجع:

- Anīs: Ibrāhīm, Dalālat al-alfāẓ, Maktabat al-Anjlū al-Miṣrīyah, al-Qāhirah, 1979m
- Awlmān: Stephen, Dawr al-Kalimah fī al-lughah, tarjamat Kamāl Bishr, Dār Gharīb, al-Qāhirah,, 1997m
- Iyzwtsw: twshyhykw, Allāh wa-al-insān fī al-Qur'ān, 'ilm Dalālat al-ru'yah al-Qur'ānīyah lil-'ālam, tarjamat wa-taqdīm, Hilāl Muḥammad al-jihād, al-Munaẓẓamah al-'Arabīyah lil-Tarjamah, Bayrūt-Lubnān, 2007m.
- Bālmr: F. R, 'ilm al-dalālah, iṭār jadīd, tarjamat, Ṣabrī Ibrāhīm al-Sayyid, Dār al-Ma'rifah al-Jāmi'īyah, al-Iskandarīyah, 1995m.
- Bayār: ghyrw, 'ilm al-dalālah, tarjamat Anṭwān Abū Zayd, Manshūrāt 'Uwaydāt, byrwt-bārys, Ṭ1, 1986m.
- Twdwrwf: azwwld tzyfān, al-Marji' wa-al-dalālah fī al-Fikr al-lisānī al-ḥadīth, tarjamat 'Abd-al-Qādir qnyny, Afrīqiyā al-Sharq, al-Dār al-Bayḍā', 1988m.
- al-Tha'ālibī: Abū Manṣūr, 'bdālmlk ibn Muḥammad, Rasā'il al-Tha'ālibī, Dār Ṣa'b, Bayrūt, 1972m.
- Ḥassān: Tammām, al-'Arabīyah ma'nāhā wmbnāhā, al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah, al-Qāhirah, 1973m.
- Riḍā: Muḥammad Rashīd, tafsīr al-Manār, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, 2005m
- al-Sa'rān: Maḥmūd, 'ilm al-lughah muqaddimah llqār' al-'Arabī, Dār al-Ma'ārif, Miṣr, 1962M.
- al-Shawkānī: Muḥammad ibn 'Alī ibn Muḥammad, Fatḥ al-qadīr al-Jāmi' bayna fnī al-riwāyah wa-al-dirāyah, Dār al-Ma'rifah, 2004m
- al-Ṭabarī: Muḥammad ibn Jarīr, tafsīr al-Ṭabarī, taḥqīq Muḥammad wa-Aḥmad Maḥmūd Shākir, Dār al-Ma'ārif, al-Qāhirah, 1972m.
- Ibn Abī Ṭalḥah: 'Alī, Ṣaḥīfat 'Alī ibn Abī Ṭalḥah 'an Ibn 'Abbās fī tafsīr al-Qur'ān al-Karīm, taḥqīq Rāshid 'bdālmn'm al-rijāl, Dār al-Jīl, Bayrūt, ṭ2, 1994m.
- Ibn 'Āshūr: Muḥammad al-Ẓāhir, tafsīr al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, al-Dār al-Tūnisīyah, Tūnis, 1984.
- 'Umar: Aḥmad Mukhtār, 'ilm al-dalālah, 'Ālam al-Kutub, al-Qāhirah, 1998M.

- ‘Umrān: Aḥmad Bakhīt, ‘ilm al-dalālah bayna al-naẓarīyah wa-al-taṭbīq, al-Akādīmīyah al-ḥadīthah lil-Kitāb al-Jāmi‘ī, al-Qāhirah, 2007m.
- Lāynz: Jūn, al-lughah wa-al-ma‘ná wa-al-siyāq, Dār al-Shu’ūn al-Thaqāfīyah al-‘Āmmah, Baghdād, 1987m.
- Mubārak: Muḥammad, fiqh al-lughah wa-khaṣā’iṣ al-‘Arabīyah, Dār al-Fikr, Dimashq, 1981M.
- Ibn manẓūr: Jamāl al-Dīn Muḥammad ibn Mukarram al-Anṣārī, Lisān al-‘Arab, taḥqīq ‘Āmir Aḥmad Ḥaydar w‘bdālmn‘m Khalīl Ibrāhīm, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt-Lubnān, Ṭ1, 2003m.
- al-Naṣrāwī: al-Ḥabīb, Qāmūs al-‘Arabīyah, min Maqāyīs al-faṣāḥah ilá ḍghwṭ al-ḥadāthah, ‘Ālam al-Kutub al-ḥadīth, irbd-āl’rdn, 2011M.
- al-Aqṭash: ‘Abd-al-Ḥamīd, alfāẓ al-libās fī ‘Arabīyah fatrat al-istishhād, dirāsah min manẓūr lughawī ijtimā‘ī, al-Dirāsāt al-Islāmīyah, al-‘adad al-Thānī, al-mujallad al-thālith wa-al-thalāthūn, 1997m.
- al-Aqṭash: ‘Abd-al-Ḥamīd, musāhamāt ‘ulamā’inā al-Awā’il fī ḥaql al-Dirāsāt al-Sāmīyah, Istiṭlā‘ wa-taḥlīl fī ḍaw’ al-manhaj al-tārīkhī al-muqāran, Mu’tah lil-Buḥūth wa-al-Dirāsāt, al-mujallad al-‘āshir, al-‘adad al-rābi‘, 1995m.
- Brīl: Mīshāl, al-qawānīn al-fikrīyah lil-kalām, maqāṭi‘ min ‘ilm al-dalālah, Ḥawlīyat Jam‘īyat Tashjī‘ al-Dirāsāt al-Yūnānīyah fī Faransā, al-mujallad al-sābi‘ ‘ashar, 1883m.
- Jdāmá: ‘bdālmn‘m al-Sayyid Aḥmad, Dalālat al-simāt Shibh al-lughawīyah al-muṣāḥibah lil-adā’ alklāmī fī ‘amalīyat al-tawāṣul
- al-Zannād: al-Azhar, Marātib alātsā‘ fī al-dalālah al-mu‘jamīyah, al-mush-tarak fī al-‘Arabīyah māddat «‘Ayn» namūdhajan, Majallat al-mu‘jamīyah, al-‘adad, 9/10, 1993M.
- al-Shadhr: Ẓabyah Ṣāliḥ, Athar al-taghayyur al-dalālī fī ẓuhūr al-tarāduf, ‘ulūm al-lughah, al-mujallad, 2, al-‘adad, 1, 1999M.
- ‘Umar: Aḥmad Mukhtār, al-Mu‘jam wa-al-dalālah, naẓrah fī Ṭuruq sharḥ al-ma‘ná, Majallat al-mu‘jamīyah, al-‘adad, 12/13, 1996m.
- N‘jh: Suhá Fatḥī As‘ad, Binyat al-Kalimah al-‘Arabīyah bayna al-thabāt al-dalālī wa-al-taghayyur al-ṣawtī, Mu’tah lil-Buḥūth wa-al-Dirāsāt, Silsilat al-‘Ulūm al-Insānīyah wa-al-Ijtimā‘īyah, al-mujallad al-sādis ‘ashar, al-‘adad al-Thānī, 2001M.

المعجميّة العربيّة بين النشأة والمسار والتحوّل:
معجم العين ولسان العرب والمعجم التاريخي للغة العربيّة أنموذجًا

Arabic Lexicography: Origins, Path, and Transformation:
«Kitāb al-ʻAyn» and «Lisān al-ʻArab» and the Historical Dictionary of the Arabic Language as a Model

إيمان عبد المالك أبو حرب
طالبة دكتوراه – جامعة الشارقة

Iman Abdul Malek Abou Harb
PhD Student, University of Sharjah

https://doi.org/10.47798/fom.2024.i4.09

ملخص البحث

يناقش هذا البحث تطوّرَ المعجميّة العربيّة عبر العصور، بدءًا من نشأتها في العصر الإسلاميّ المبكر وصولًا إلى تحوّلاتها الحديثة. ويسلّط الضوء على بدايات المعجميّة العربيّة التي قامت على جمع المفردات وتفسيرها سعيًا لفهم النصوص الدينيّة من قرآن كريم وحديث نبويّ شريف. في الحقبة الأولى لتدوين اللغة، برزت محاولات فرديّة لجمع الكلمات وتفسيرها، أمثال عمل الخليل بن أحمد الفراهيديّ في معجم العين، ثم تطوّر التأليف المعجميّ ليشمل تصنيف الكلمات وتبويبها في معاجم متخصّصة.

استمر التصنيف المعجميّ بالتطوّر حتى بلغت المعجميّة العربيّة ذروتها مع ظهور علماء بارزين أمثال ابن دريد في جمهرة اللغة ثمّ ابن منظور في لسان العرب. وكانت هذه الفترة تتميّز بجهود منهجيّة في جمع وتصنيف المفردات، الأمر الذي ساهم في إثراء التراث اللغويّ العربيّ.

كما يناقش البحث التحوّلات التي شهدتها المعجميّة العربيّة في العصر الحديث، مع دخول التقنيّات الحديثة وأساليب التحليل اللغويّ المتقدّمة. ويسلّط الضوء على أهمّيّة استخدام الحوسبة في تطوير المعاجم الإلكترونيّة، للوصول إلى المعلومات اللغويّة بسهولة ويسر، ما يعزّز البحث العلميّ والتعليم. ثمّ عرّج البحث على التحوّلات الحديثة في المعجميّة، مثل قواعد البيانات اللغويّة؛ والمنصات الرقميّة التي تخدم اللغويّين والباحثين، متخذًا من المعجم التاريخيّ للغة العربيّة في الشارقة أنموذجًا.

Abstract

This research discusses the evolution of Arabic lexicography over the ages, starting from its inception in the early Islamic era to its modern transformations. It highlights the beginnings of Arabic lexicography, which were based on collecting and interpreting vocabulary to understand religious texts such as the Holy Quran and Hadith. In the initial period of language documentation, individual attempts emerged to collect and interpret words, such as the work of Al-Khalīl ibn Aḥmad Al-Farāhīdī in the Kitāb al-ʻAyn Lexicographical authorship then evolved to include the classification and categorization of words into specialized dictionaries.

Lexicographical classification continued to develop until Arabic lexicography reached its peak with the emergence of prominent scholars such as Ibn Durayd in Jamharat Al-lughah and later Ibn Manẓūr in Lisān Al-ʻArab This period was characterized by systematic efforts to collect and classify vocabulary, contributing to the enrichment of Arabic linguistic heritage.

The research also discusses the transformations that Arabic lexicography has undergone in the modern era, with the introduction of modern technologies and advanced linguistic analysis methods. It highlights the importance of using computing in the development of electronic dictionaries to facilitate easy and accessible linguistic information, thereby enhancing scientific research and education. The research further explores modern transformations in lexicography, such as linguistic databases and digital platforms that serve linguists and researchers, taking the Historical Dictionary of the Arabic Language in Sharjah as a model.

ختامًا يشدّد البحث على ضرورة مواكبة التطورات التقنيّة لتحقيق مزيد من التقدّم في هذا المجال الهامِّ في اللغة العربيّة، ويؤكد على أهمية التعاون بين الباحثين والمؤسسات لتطوير معاجم حديثة تلبي احتياجات العصر الحديث وتساهم في الحفاظ على التراث اللغويّ العربيّ.

الكلمات المفتاحيّة: المعجميّة، التصنيف المعجميّ، المعاجم الإلكترونيّة، قواعد البيانات اللغويّة.

In conclusion, the research emphasizes the need to keep pace with technological advancements to achieve further progress in this important field of the Arabic language. It underscores the importance of collaboration between researchers and institutions to develop modern dictionaries that meet the needs of the modern era and contribute to preserving Arabic linguistic heritage.

Keywords: lexicography, lexicographical classification, electronic dictionaries, linguistic databases.

المقدّمة

زخر التراث العربيّ منذ بداية التأليف بمصنّفات جمّة في اللغة وعلومها، ونال علم المعاجم العربيّة حظًا وافرًا في التصنيف، إذ عكف العلماء على جمع اللغة من أفواه العرب، ثم دوّنوا ما جمعوه في معاجمَ اختلفت فيما بينها من حيث الموضوع والترتيب والتبويب والتصنيف، وكان هذا العمل هو نشأة التصنيف المعجميّ للغة العربيّة. وصار العلماء اللاحقون يتفنّنون عصرًا بعد عصر في هذا الفن، ويسعون جاهدين في تصنيفاتهم إلى غايات جعلوها منهجهم في التصنيف، فاعتمدوا المادة المعجميّة التي وضعها الأوّلون، وأضافوا عليها ما تجاوزه أو أسقطه السابقون، أو جمعوا وشرحوا وبسّطوا المادة العلميّة في مصنّفات جامعة، وذلك للتسهيل على طالب العلم الوصول إلى المعنى بسهولة ويسر. وكان عملهم هذا تطوّرًا لمرحلة النشأة الأولى. وامتدت هذه الفترة مدّة طويلة من الزمن، أنتجت معاجم عديدة بمناهج مختلفة، هدف أغلبها التيسير والتسهيل على طلّاب العلم. أمّا في العصر الحديث، وبعد انتشار استخدام الحاسوب في شتّى المجالات، أصبح من الضرورة بمكان أن يواكب التصنيف المعجميّ هذا التطوّر، فكان عصر التحوّل في المعجميّة العربيّة.

تكمن أهميّة هذا البحث في أنّه سيبرز النشأة والتطور الذي مرّ به التصنيف المعجميّ منذ بداية التأليف، متخذًا من معجم العين ولسان العرب أنموذجًا لتلك الفترتين، ثمّ وصولًا إلى التحوّل الكبير الذي طرأ على هذا العلم في العصر الحديث، مقدّمًا المعجم التاريخيّ للغة العربيّة في الشارقة أنموذجًا لتلك الفترة، ومتّبعًا المنهج الوصفيّ في الدراسة. ولعلّ معجمي العين ولسان العرب قد نالا قسطًا وافرًا من الدراسة، كما نشرت أبحاث عديدة عنهما، لكن العمل المنشود من هذه الدراسة هي وضع هذين المعجمين -وما لهما من قيمة تاريخيّة، وعمل

إبداعي في زمن كلّ واحد منهما- جنبًا إلى جنب مع المعجم التاريخي للغة العربيّة، لتوضيح الدقّة التي وصل إليها التأليف المعجميّ. وسيحاول البحث الإجابة على عدّة تساؤلات، هي: ما الهدف من التصنيف المعجميّ؟ وهل كانت المعاجم سابقًا على نسق واحد؟ وهل تنتمي جميع المعاجم لطريقة واحدة في التأليف؟ وما هو منهج كل معجم، وبمَ تميّز عن غيره من المعاجم؟ وهل يمكن أن يلغي اللاحق السابق، أو أنه يستمد قيمته من اعتماده على التراث المعجميّ الذي تركه الأوائل؟ وغيرها من الأسئلة.

الترتيب في المعاجم:

ارتبط ظهور علوم اللغة العربيّة بالقرآن الكريم، ولعلّ حاجة العرب إلى تفسير ما استغلق عليهم فهمه من ألفاظه، كان باعثًا لهم على جمع اللغة وتصنيف المعاجم. ويدلّ على ذلك أمور ثلاثة: أحدها سؤالهم عن معاني بعض ألفاظه؛ وثانيها وفرة الكتب التي صُنّفت في غريب القرآن في بداية التدوين؛ وثالثها اتحاد نشأة الدراسات اللغويّة بالدراسات الدينيّة وخدمة النصّ القرآني وتفسيره[١]. وقد ذكر السيوطيّ عن ابن عبّاس قوله: «إذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإنّ الشعر ديوان العرب»[٢]. وهذا يدلّ على أنَّ العرب قد أشكل عليهم الكثير من ألفاظ القرآن والحديث، فلجأوا إلى التماس المعاني في الشعر، وفي ذلك بذور التأسيس لعلم المعاجم الذي دعت له هذه الحاجة.

لقد سار العلماء في تصنيف المعاجم على قسمين، الأوّل: المعاجم المبوّبة وهي ما انطلق فيها المعجميّ من المعنى إلى اللفظ، كالرسائل التي اشتملت موضوعات مستقلّة والكتب الموسوعيّة لموضوعات شتى. والثاني: المعاجم المجنّسة وهي ما

١- نصّار، حسين، المعجم العربيّ: نشأته تطوّره، مكتبة دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٣١-٣٢.

٢- السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصريّة، صيدا وبيروت، ١٩٨٦م، ٢ / ٣٠٢.

تبدأ من اللفظ، وصولًا إلى المعنى، وقد نزع أصحابها إلى استغراق جذور اللغة جميعًا[١].

وقد جاء التصنيف في المعاجم المجنّسة كعلم مستقلّ لاحقًا لكثير من التصنيفات اللغويّة بعد بلوغها مرحلة النضج. وأمّا التصنيف في المعاجم المبوّبة، فقد ظهر بعد سعي اللغويّين إلى البوادي ليدوّنوا كلام الأعراب الثقات، الذين جعلوهم نموذجًا للفصاحة ومعيارًا في الحكم على المقبول والمردود من الكلام، وكذا الجيد والسقيم منه. وبالرغم من أنَّ المبوّبَ سبق المجنّسَ في التصنيف، إلّا أنّهما تعاصرا عدّة قرون، وقد عزا محمد عبد الجواد السبب في هذا السبق لأن المبوّبَ «أبسط أنواع الجمع.. بحيث لا يحتاج إلّا إلى الحفظ والإلمام بأطراف الموضوع للوقوف على أجزائه ومسمياته..»[٢]. وقد رُتّبت موادّ بعض المعاجم المبوّبة ترتيبًا لفظيًّا، في حين رتّبت معاجم أخرى ترتيبًا موضوعيًّا[٣].

إنّ الخطّ الزمنيّ للتصنيف المعجميّ بدأ بنشأة علم المعاجم على يد الخليل بن أحمد الفراهيديّ، الذي خطّ لنفسه منهجًا خاصًّا في التأليف والترتيب، بهدف استيعاب ألفاظ العرب جميعها دون استثناء. وسيكون كتاب العين أنموذجَ هذه الدراسة في حقبة نشأة علم المعاجم، ثمّ استمر التصنيف المعجميّ بالتطوّر حتى بلغت المعجميّة العربيّة ذروتها مع ظهور علماء بارزين أمثال ابن دريد في معجمه جمهرة اللغة، وتميّزت هذه الفترة بجهود منهجيّة في جمع وتصنيف المفردات، مع اختلاف مناهج العلماء في الترتيب والتبويب، وصولًا إلى ابن منظور في لسان العرب، والذي ستتّخذ هذه الدراسة من معجمه الأنموذجَ الثاني لحقبة

١- بعلبكي، رمزي، التراث المعجميّ العربيّ من القرن الثاني حتّى القرن الثاني عشر للهجرة، المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠٢٠، ص ١٤، ١٠٣، ٣٧٣.

٢- اللغوي، أبي الطيب، شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ص ١٥.

٣- بعلبكي، التراث المعجميّ العربيّ، ص ١٠٣.

مسار التصنيف المعجميّ.

اهتمّ العلماء بدراسة التراث المعجميّ، وقسّموا المعاجم إلى مدارسَ على اعتبار النظام المتّبع في ترتيب ألفاظ موادّها في كلِّ معجم، فكانت كالتالي:

- مدرسة التقليبات الصوتيّة: هي من أقدم المدارس المعجميّة، ارتبطت بالخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٠هـ)، الذي ابتكر في كتابه «العين» أسلوب تقاليب الأبنية للإحاطة بألفاظ العرب، ورتّب مادّته وفق نظام مخارج الحروف[١].

- مدرسة التقليبات الهجائيّة: ومنهم من سمّاها مدرسة نظام الأبنية والتدوير الألفبائيّة[٢]، وتنسب لابن دريد (ت٣٢١هـ) في كتابه «الجمهرة» الذي التزم فيه نظام الخليل في تقليبات الأبنية إلّا أنَّه تجنّب النظام الصوتيّ، فرتّب كتابه ترتيبًا ألفبائيًّا باعتبار الحرف الأوّل للأصل[٣].

- مدرسة نظام الألفبائيّة الأصوليّة: وزيادة هذه المدرسة هي من تقسيمات عبد القادر عبد الجليل في كتابه المدارس المعجميّة، وجعل أهمّ معاجم تلك المدرسة معجم الجيم لأبي عمرو الشيبانيّ، ومعجم أساس البلاغة للزمخشريّ، ومعجم المصباح المنير للفيّوميّ[٤].

- مدرسة التقفية: -نسبة للقافية- وتنسب هذه المدرسة للجوهريّ (حوالي٤٠٠هـ) في كتابه «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة» الذي طرح

١- أبو سكين، عبد الحميد محمّد، المعاجم العربيّة: مناهجها ومدارسها، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١م، ص٢٦. و نصّار، المعجم العربيّ: نشأته تطوّره، ١ / ٢١٨-٣٩٢.

٢- عبد الجليل، عبد القادر، المدارس المعجميّة: دراسة في البنية التركيبيّة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمّان، ط٢، ٢٠١٤م، ص ١٩٦.

٣- نصّار، المعجم العربيّ: نشأته تطوّره، ٢ / ٤٠٤.

٤- عبد الجليل، المدارس المعجميّة: دراسة في البنية التركيبيّة، ص ٢٣٥.

نظم المعاجم السابقة، فأهمل نظام التقاليب والترتيب الصوتيّ، واعتمد نظامًا استقاه من الفارابيّ (ت٣٥٠هـ) -صاحب كتاب (ديوان الأدب)- هو الاعتداد بأواخر الألفاظ في الترتيب[١]. لكن وبالعودة إلى الكتب المتقدّمة على الجوهريّ، وجد الباحثون أنَّ البندنيجيّ (ت٢٨٤هـ) قد سبقه إلى هذا الترتيب في كتابه الذي سمّاه بـ (التقفية) نسبة إلى القافية[٢]. إلّا أنَّ بعلبكي أشار إلى نصّ استُخدم فيه نظام التقفية، أسبق من كتاب البندنيجيّ، لم ينتبه إليه الدارسون، وهو جزء من كتاب إصلاح المنطق لابن السكّيّت (ت٢٤٤هـ) رتّبت فيه الألفاظ على أواخر حروفها[٣]. وإلى هذه المدرسة ينسب معجم لسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ)[٤].

- المدرسة المعاصرة: وهي مدرسة تضمّ المعاجم الحديثة، مثال ذلك: معجم محيط المحيط للبستاني، والمعجم الوسيط للزيّات، وغيرها من المعاجم التي صدرت في القرن الماضي، إلّا أنّني أميل إلى تسميتها بالمدرسة الحديثة التقليديّة بالنظر إلى أمرين: الأوّل اتباع أصحابها النظام الألفبائيّ التقليديّ في ترتيب موادها في المعجم؛ والثاني كونها مطبوعة ورقيًّا كما أغلب المعاجم السابقة.

- المدرسة الرقميّة المتخصّصة المعاصرة: وهي التي جمعت بين الصورة الورقيّة التقليديّة، وبين الصورة الرقميّة، التي تعتمد على البحث الآليّ للألفاظ والجذور، أو التي كانت مخصوصة بقيد معيّن من القيود، كأن تكون خاصّة

١- نصّار، المعجم العربيّ: نشأته تطوّره، ص ٢ / ٤٨٦.

٢- الباتلي، أحمد بن عبد الله، المعاجم اللغويّة وطرق ترتيبها، الرياض: دار الراية للتوزيع والنشر، ١٩٩٢، ص ٥٤. و The Arabic Lexicographical Tradition From the 2nd/8th to the 12th/18th Century. Ramzi Baalbaki. p 370.

٣- بعلبكي، التراث المعجميّ العربيّ، ص ٤٧٥-٤٨٠. وللتوسّع في مسألة النقاش حول نظام التقفية انظر Haywood (١٩٦٥)، ص ٧١-٧٤.

٤- نصّار، المعجم العربيّ: نشأته تطوّره، ٢ / ٤٨٣-٦٧٩.

للألفاظ العلميّة؛ أو الهندسيّة؛ أو التاريخيّة؛ أو اللغويّة التاريخيّة، ومثالها المعجم التاريخيّ للغة العربية والذي أصدره مجمع اللغة العربيّة في الشارقة والذي لا زالت أجزاء منه تصدر تباعًا. وتتوفّر مادته إمّا بصورة مجلدات مطبوعة، أو بصورة رقميّة على الشبكة العنكبوتيّة، الأمر الذي يسهّل على الباحثين الوصول إلى المعنى المراد بوقت قياسيّ ودقّة متناهية.

إنّ المعاجم التراثيّة التي ستتناولها هذه الدراسة هي ثلاثة، ينتمي اثنان منها إلى مدرستين من المدارس التراثيّة، والثالث هو ما كان من النوع الأخير من تقسيمات المدارس التي أضافها البحث، وهي:

أوّلًا: في نشأة المعجميّة العربيّة معجم العين للخليل، وينتمي إلى مدرسة التقليبات الصوتيّة.

ثانيًا: في مسار المعجميّة العربيّة معجم لسان العرب لابن منظور، وينتمي إلى مدرسة التقفية.

ثالثًا: في فترة التحوّل في التأليف المعجميّ أي العصر الرقميّ الحديث، هو المعجم التاريخي للغة العربيّة، إذ اكتملت مناهج التأليف، وانتظمت بحيث أصبحت أكثر دقّة وترتيبًا لموادّها، وهو من أضخم المعاجم الحديثة، وستكون الدراسة فيه هي الأوفر حظًّا، والأكثر تركيزًا ودقةً نظرًا للمنهجيّة الدقيقة المتبعة فيه.

أوّلًا النشأة المعجميّة: معجم العين من مدرسة التقليبات الصوتيّة

للخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٠هـ) رائد أقدم مدرسة معجميّة ومبتكر نظام التقاليب.

منهج معجم العين:

نشأ علم المعاجم مع الخليل، الذي خطّ لنفسه منهجًا خاصًّا في تقليب حروف الجذور، بغية استيعاب ألفاظ العرب جميعها دون استثناء، مع الإشارة إلى المستعمل منها والمهمل، وأضاف إلى هذا المنهج طريقة الترتيب الصوتيّ للحروف، عوضًا عن الترتيب الشكليّ للحروف، واعتمد فيها على مخارج الحروف بدءًا من أبعدها مخرجًا وهو الحلق، وصولًا إلى الشفتين، لكنّه ترك الهمزة والهاء فلم يبدأ بهما، إذ قال: «الهَمْزَةُ صَوْتٌ مَهْتُوتٌ فِي أقصى الحَلْق»[1]، واختار البدء بحرف العين، وعلّل ذلك فيما أورده السيوطيّ نقلًا عن الخليل، أنّه قال: «لم أبدأ بالهمزة لأنّها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنّها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلّا زائدة أو مبدلة، أو الهاء لأنّها مهموسة خفيفة لا صوت لها، فنزلت إلى الحيّز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف... وأولاها بالتقديم أكثرها تصرّفًا»[2]. وجعل كل حرف كتابًا، وسُمي كتابه بكتاب العين نسبةً لحرف العين الذي استهلّ به معجمه، من باب تسمية الكلّ باسم الجزء.

إنّ منهج التقاليب الذي ابتكره الخليل يسير على أساس تقليب حروف الجذر الواحد بغية الوصول إلى جميع الألفاظ التي يمكن تشكيلها من تلك الحروف مجتمعة، وهدف من ذلك استغراق الألفاظ العربيّة جميعها.[3] ووجد أنّ الثنائي يشكّل صورتين، والثلاثي يشكّل ست صور، والرباعي أربع وعشرين صورة، والخماسيّ مائة وعشرين صورة وهكذا[4]، وهذا النظام جعل كتب الحروف في

١- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ٢ / ١٠٣.

٢- السيوطيّ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ١ / ٩٠.

٣- العرود، زهير محمّد، بين معجم العين ولسان العرب، مجلّة الجامعة الإسلاميّة للبحوث الإنسانيّة، غزّة، مج٢١، ع٢، ص ٢٩ - ٥٠.

٤- عبد الجليل، عبد القادر، المدارس المعجميّة: دراسة في البنية التركيبيّة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمّان، ط٢، ٢٠١٤م، ص ١١٨ - ١١٩. وانظر أيضًا المصدر السابق.

أوائل المعجم أكثرَ مادةً وأضخم حجمًا من تلك التي في آخره، وذلك أنّ الخليل كان يلحق بالجذر تقاليبه والشرح المناسب لكل لفظ من الألفاظ المستعملة، ويشير إلى المهمل منها، ولا يعيد اللفظَ أو الشرحَ في موضع آخر من الكتاب، لأنّ تلك الألفاظ قد شرحت سابقًا في تقاليب الجذر الأسبق لترتيبه. كما أنّ الخليل اعتمد في الترتيب الداخليّ للجذر ذكر الثنائيّ المكوّن من حرفين أوّلًا، ثم الثلاثيّ المضعّف، فالرباعيّ المضعّف، كل ذلك في باب الثنائيّ. ثمّ ينتقل إلى الثلاثيّ الصحيح، ثمّ المعتلّ بحرف، ثم اللفيف المقرون والمفروق، يليه الرباعيّ ثم الخماسيّ، ثمّ يُفرد بابًا خاصًّا للمعتل[١].

وقد أورد السيوطيّ نقلَ الأصبهانيّ في الموازنة عن الخليل في العين قوله: «أن مبلغ عدد أبنية كلام العرب المُسْتَعمَل والمهمل على مراتبها الأربع من الثنائيّ والثلاثيّ والرباعيّ والخماسيّ من غير تكرار اثنا عشر ألف ألف وثلاثمائة ألف وخمسة آلاف وأربعمائة واثنا عشر»[٢].

مميزات كتاب العين:

يتميّز معجم العين بأنّه فريد من نوعه وفي زمانه من حيث المناهج المميّزة التي اتّبعها الخليل فيه. فهو أوّل معجم لغويّ في ذلك الوقت، إضافة إلى انتظام مؤلّفه بعدة مناهج أثناء وضعه، تسير جنبًا إلى جنب مع النظام الذي ابتكره بنفسه -وهو التقاليب- في محاولة منه للإحاطة بألفاظ العربيّة سواء المستعمل منها أو المهمل، ويعتبر هذا النظام قائمًا على الإحصاء في المفهوم الحديث[٣].

١- عبد الله، يسرى عبد الغنيّ، معجم المعاجم العربيّة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص ٩٣.

٢- السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصريّة، صيدا وبيروت، ١٩٨٦، ص ٥٩-٦٠.

٣- العرود، بين معجم العين ولسان العرب، ص ٢٩-٥٠.

كما تميّز معجم العين بنسبة الأقوال إلى أصحابها؛ واستخدام الشواهد الشعريّة والآيات القرآنيّة والأمثال وأقوال العرب للاستدلال على معاني الألفاظ؛ وكذلك استخدامه للقياس في الاشتقاق[1]. وعلى الرغم من اشتراك هذا المعجم مع غيره من المعاجم في بعض السمات والخصائص، لكنّه تميّز بنظام فريد مبتكر، الأمر الذي أدّى إلى صعوبة الوصول إلى اللفظ المطلوب فيه، بسبب التعقيد الذي نتج عن الجمع بين نظام الترتيب وفق المخارج الصوتيّة ونظام الأبنية مع نظام التقاليب، ولعلّ هذا ما دفع العلماء بعده للتخلص من هذا النظام طلبًا للتيسير والتسهيل.

ثانيًا المسار المعجميّ: معجم لسان العرب من مدرسة التقفية لابن منظور الإفريقيّ (ت٧١١هـ)

استمر العمل المعجميّ بعد الخليل، وتنوّعت مذاهب العلماء في ترتيبهم وتصنيفهم لكتبهم، حتى غدت المعاجم ثروة لغويّة حوت جلّ الألفاظ العربيّة، وصار علماء اللغة يحاولون تذليل صعاب معاجم من سبقهم بعد الاطلاع عليها ودراستها بشكل وافي، وهذا يمكن ملاحظته من وصف ابن منظور في مقدّمة اللسان للمعاجم التي اعتمدها مصادر مادّته اللغويّة في معرض تعليله عن سبب اقتصاره على تلك الكتب الخمسة التي اختارها، إذ قال: «ورأيت علماءها بين رجلين: أمّا من أحسن جمعه فإنّه لم يحسن وضعه، » وأضاف: «ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور».. «ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن عليّ بن إسماعيل بن سيده، » وأشار إلى سبب حكمه هذا: «أنّ كلًّا منهما مطلب عسر المهلك، ومنهل وعر المسلك، ورغم وفرة جمع المادّة فيهما إلا أن الناس قد انصرفت عنهما لصعوبة البحث بهما.» ثم قال: «وأمّا من أجاد وضعه

١- بحر الدين، أوريل، آفاق المعاجم العربيّة، مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢٠م، ص ١٠٠-١٠١.

فإنّه لم يُجد جمعه» قاصدًا بذلك الجوهري، وأضاف: «فلم يُفد حسنُ الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادةُ الوضع مع رداءة الجمع»[١]. وهذا يضعنا أمام أسلوب جديد في طرق تأليف العلوم فتحه علماء ذاك العصر، ويمكن تسميته النقد الموضوعي للكتب، وكان باعثهم على ذلك خدمةَ طلّاب العلم؛ وتذليلَ ما صعب؛ وتسهيلَ ما أعسر في كتب علوم السابقين، وهذا ما عناه ابن منظور بقوله: «أن الناس قد انصرفت عنهما لصعوبة البحث بهما».

يُعدُّ لسان العرب من أشمل المعاجم اللغويّة وأطولها في زمانه، إذ عمد مؤلِّفه إلى جمع مادّته من خمسة معاجم سابقة له في التأليف، هي: تهذيب اللغة للأزهريّ (ت٣٧٠هـ)، وتاج اللغة وصحاح العربيّة للجوهريّ (حوالي٤٠٠هـ)، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة (ت٤٥٨هـ)، وحاشية الصحاح لابن بَرّيّ (ت٥٨٢هـ)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لعز الدّين ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)[٢]. وقد جاء هذا المعجم بعد اكتمال جمع اللغة، وقد اكتفى ابن منظور بمصادره قاصدًا في مؤلَّفه حسن الجمع مع حسن الوضع[٣]، إذ لم يسعَ لاستيعاب الألفاظ العربيّة كلّها من مختلف مظانّها المعجميّة، بل اقتصر في اختيار مادّة معجمه على مصادره الخمسة لتفضيله لها على ما سواها، باعتبار أنها قد أحاطت بلسان العرب[٤].

وبهذا العمل، أنجز ابن منظور ما يمكن تسميته موسوعة معجميّة لمصادر اللغة الخمسة التي اختارها، إذ جمعها ورتّبها ونظّمها وفق منهج محدّد ومنظّم، وبأسلوب واحد اتبعه في جلّ كتابه، ذاكرًا وصف منهجه وطريقة ترتيبه للمعجم في المقدّمة، متخذًا من معجم ابن سيده مثالًا له في الترتيب الداخليّ لمداخل

١- ابن منظور، لسان العرب، ٨-٧/ ١.
٢- ابن منظور، لسان العرب، ١ / ٧.
٣- ابن منظور، لسان العرب، ١ / ٧.
٤- بن مراد، إبراهيم، دراسات في المعجم العربيّ، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٥٨.

الجذر[1]. وقد حاول ابن منظور تجنّب الأخطاء والزلّات والتصحيفات في تلك المعاجم، ليكون معجمه كما قال في المقدّمة: «... بمنزلة الأصل وأولئك بمنزلة الفروع، فجاء بحمد الله وفق البغية وفوق المنية، بديع الاتقان، صحيح الأركان، سليمًا من لفظة لو كان...» (٢٤).

سبب اختيار ابن منظور لمصادره:

لم يكن اختيار ابن منظور لمصادره الخمسة اعتباطيًّا، بل منهجيًّا، إذ اعتمد على أمور ثلاثة:

أوّلًا: التنوّع الزمنيّ: إذ اختار مصادره من عصور مختلفة فيما بين النصف الأوّل من القرن الرابع ونهاية القرن السادس للهجرة.

ثانيًا: التنوّع الجغرافيّ: إذ تعدّدت الأمصار التي ينتمي إليها مؤلفو مصادره، فالأزهريّ فارسيّ من خراسان، والجوهريّ تركيّ من فاراب، وابن سيدة مغربي من الأندلس، وابن بَرّيّ مصريّ، وابن الأثير شاميّ.

ثالثًا: التنوّع الاختصاصيّ: إذ أضاف علم الحديث بما يمثّله كتاب ابن الأثير إلى المادّة المعجميّة لكتابه[2].

١- وقد تبيّن بالدليل لبعلبكي في دراسة أعدّها اعتمادُ ابن منظور اعتمادًا شبه تامّ على تنظيم ابن سيده للزمر الدلاليّة في ترتيبه الداخليّ للجذر الواحد. انظر بعلبكي، التراث المعجميّ العربيّ من القرن الثاني حتّى القرن الثاني عشر للهجرة، ص ٤٢٧. وقد قمت بدراسة حول هذه الفكرة في لسان العرب بنيت عليها رسالتي في الماجستير، والتي كانت بعنوان: الزُّمر الدلاليّة في التراث المعجميّ العربيّ: دراسة مقارنة في التقسيمات الدلاليّة في المعاجم العربيّة، وثبت لي -بعد دراسة جذور مختلفة من لسان العرب- أنّ ابن منظور اعتمد في ترتيبه الداخلي للمداخل على الزمر الدلاليّة التي سار عليها ابن سيده في محكمه، وهي رسالة تمّت مناقشتها في الجامعة الأمريكيّة في بيروت عام ٢٠٢٠م.

٢- بن مراد، دراسات في المعجم العربيّ، ص ١٥٨-١٥٩.

منهج ابن منظور:

وضع ابن منظور خطّة منهجه في مقدّمة كتابه، الذي خالف فيه نهجه في الاختصار، إذ كان مشغوفًا باختصار الكتب الطوال[١]. ويتلخّص منهجه في اللسان بالمسائل التالية:

أوّلًا: جمع المادّة اللغويّة من الأصول الخمسة التي ذكرها، ولم يزد عليها شيئًا إلّا فيما ندر.

ثانيًا: جرّد الألفاظ من الزوائد واعتمد الأصول في تصنيفها.

ثالثًا: صنّف الموادّ على أبواب وفصول معتمدًا ترتيب الجوهريّ في الصحاح، أي أنّه اعتمد الترتيب الهجائيّ وبنى الأبواب على الحرف الأخير للجذر ثم الحرف الأوّل فالثاني[٢].

رابعًا: أتْبَع مقدّمته بابين: أحدهما لتفسير الحروف المقطّعة في أوائل بعض السور، اقتبسها من الأزهريّ الذي أوردها في نهاية كتاب التهذيب، وثانيهما في ألقاب الحروف وطبائعها وخواصّها، أخذها من أبي الحسن عليّ الحرّاليّ[٣].

خامسًا: استهلّ بعض أبوابه بذكر خصائص الحروف الصوتيّة والصرفيّة[٤]، وذكر خلاف النحويّين فيها[٥].

سادسًا: خالف الجوهريّ في ترتيب فصلي الواو والهاء فحسب، مقدّمًا فصل

١- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامن، تحقيق محمّد عبد المعيد ضان، حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، ١٣٩٢ / ١٩٧٢م، ٦ / ١٥.

٢- أبو سكين، المعاجم العربيّة: مناهجها ومدارسها، ص ١٠٣.

٣- ابن منظور، لسان العرب، ١ / ١٣-١٦. وأبو سكين، المعاجم العربيّة: مناهجها ومدارسها، ص ١٠٢. و Baalbaki. p 388. ونصّار، المعجم العربيّ: نشأته تطوّره، ٢ / ٥٤٦.

4- Baalbaki. P388.

٥- أبو سكين، المعاجم العربيّة: مناهجها ومدارسها، ص ١٠٣.

الهاء على الواو[١].

سابعًا: اهتمّ بأشعار العرب والقراءات والنوادر والمسائل الصرفيّة والنحويّة[٢].

ثامنًا: اعتنى بضبط الكلمات، ورجّح بين الروايات المتعارضة.

تاسعًا: ذكر ما اشتُقّ من اللفظ من أسماء الأشخاص والأماكن[٣].

مميّزات لسان العرب:

لقد تميّز لسان العرب بخصائص عديدة، منها: ضخامة الحجم؛ واتساع المادّة اللغويّة؛ كثرة أسماء من نُقل عنهم؛ كثرة الشواهد على معاني الألفاظ من آيات وأحاديث وأشعار وأمثال وخطب؛ كثرة النوادر والمترادفات؛ مجانبة التصحيفات التي وردت في صحاح الجوهريّ؛ الاهتمام بالأحكام النحويّة والصرفيّة؛ وسهولة الترتيب داخل الموادّ وانتظامه في أغلب كتابه[٤]. ومع أنّ اللسان من أشمل المعاجم للألفاظ والمعاني إلّا أنّه لم يسلم من النقد جمعًا ووضعًا.

ثالثًا: التّحوّل المعجميّ:

ما بين ظهور معجم لسان العرب في القرن الثامن الهجريّ - الرابع عشر الميلاديّ- وبين القرن الحاليّ زمنٌ ليس بالقليل، إلّا أنّ أغلب المعاجم التي ظهرت كانت بصورة واحدة، مخطوطة في بداية الأمر ثم محقّقة ومطبوعة، تفنّن أصحابها في مناهجهم بها، وتميّزت بعضها بما ليس في غيرها، لكنّها استوت

١- أبو سكين، المعاجم العربيّة: مناهجها ومدارسها، ص ١٠٣.

٢- يعقوب، إميل، المعاجم اللغويّة العربيّة: بدايتها وتطوّرها، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١١٤.

٣- الباتلي، المعاجم اللغويّة وطرق ترتيبها، ص ٥٨.

٤- أبو سكين، المعاجم العربيّة مناهجها ومدارسها، ص ١٠٣-١٠٤. وBaalbaki. P387.

في اعتماد أصحابها على نظريّة الاحتجاج، واقتصارهم على الألفاظ والعبارات المستعملة في عصر الاحتجاج، ورفض تضمين ما انتشر في العصور اللاحقة، لعدم مطابقته معايير تلك النظريّة، والفصاحة وأصالة الألفاظ لفظًا ومعنى. وأدّى هذا الأمر إلى ظهور فريقين من المعجميّين رفض أحدهم كل دخيل ومحدث؛ للمحافظة على الثروة اللغويّة الأصليّة، ونادى الآخر بالتجديد وقبول الألفاظ المحدثة، سواء أكانت من وضع مجامع اللغة، أم من الأعجميّ المعرّب، أو ممّا شاع في الاستعمال المعاصر[١].

لقد أثّرت النظريّات اللسانيّة في حركة التجديد في الصناعة المعجميّة، وتمسّك المعجميّون بالتجديد، وذلك بالتخلّي عن المنهج المعياريّ، ونظريّة الاحتجاج، وتحديث المعجم العربيّ بما يتناسب من متطلّبات العصر الحديث. وكان لمنهجهم أثر بظهور معاجم حديثة متطوّرة تحاكي لغة العصر، وتستثمر مختلف النظريّات ومبادئ اللسانيّة الحديثة[٢].

وفي القرن التاسع عشر، نجد أنّ المستشرق الهولندي دوزي Dozy قد أشار في كتابه معجم أسماء الألبسة عند العرب، إلى فكرة المعجم التاريخي للغة العربية، بأنّه معجم يوضّح بدقّة المعنى الدقيق لكل لفظ في أصل استعماله، ويذكر شتّى أشكال الدلالات التي مرّ بها اللفظ بدءًا من الهند شرقًا وصولًا إلى فرنسا غربًا -أي في الأقاليم التي امتدت فيها الإمبراطورية العربيّة الشاسعة- بالاعتماد على النصوص والشواهد، وذلك بذكر تاريخ كل لفظ أو عبارة، وما يميّز معاني كل بقعة جغرافيّة عربيّة أصيلة فيها أو دخيلة عليها من مكان عربيّ آخر، وشرح مدلولات كلّ لفظ عند الشعراء والكتّاب، ويشتمل جميع مصطلحات الفنون

١- برباق، ربيعة، (٢٠١٧)، أثر اللسانيّات الحديثة في صناعة المعجم الوسيط، مجلّة الذاكرة، مخبر التراث اللغويّ في الجنوب الشرقيّ الجزائريّ ع٨، ١٥٧-١٧٥.

٢- برباق، ربيعة، (٢٠١٧)، أثر اللسانيّات الحديثة في صناعة المعجم الوسيط.

والعلوم، مفسّرة بشكل منهجيّ دقيق[١].

وقد تلقّف أوجست فيشر August Fischer فكرة المعجم التاريخيّ للغة العربيّة، وبدأ العمل زمنًا على جمع اللغة من النصوص؛ ليستخلص دلالات الألفاظ عبر العصور والبيئات، حتى قيام الحرب العالميّة الثانية. وقد وضع عمله في جزازات ورقيّة، لكنها تشتّتت، ولم يُنشر منها سوى مقدمة، فيها أنموذج أعدّه بنفسه من حرف الهمزة. وضمّن في هذه المقدّمة آراءه اللغويّة، وملاحظاته المنهجيّة لهذا العمل[٢]. وقد استفاد منها مجمع اللغة العربيّة في القاهرة، الذي باشر العمل على المعجم، لكنّه توقّف أيضًا، إلى أن تمّ إكماله في مجمع اللغة العربيّة في الشارقة بمشاركات عربيّة.

المدرسة الرقميّة المتخصّصة المعاصرة: المعجم التاريخيّ للغة العربيّة

إنّ مصطلح المعجم التاريخيّ هو مفهوم لسانيّ معجميّ دقيق، يؤرّخ ألفاظ اللغة ومعانيها، والمصطلحات ومفاهيمها، ويكشف عمّا طرأ على اللفظ أو المصطلح من تحوّلات وتطوّرات في الشكل -أي البنية الصرفيّة- وفي الدلالة، وذلك عبر العصور في شتّى الأمصار التي استعمل فيها هذا اللفظ أو المصطلح، بالاستناد إلى الشواهد من النصوص المكتوبة. ويحدّد تاريخ زمن ظهور اللفظ أو الوحدة المعجميّة، وكل ما يعتورها من تغييرات وتطوّر في المعنى. فاللفظ عادة ما يولد أحاديّ المعنى، يستعمل في بيئته بمعناه الحقيقيّ، ثم يُسند إليه عبر الزمن معانٍ جديدة مجازيّة، لكنّها ترتبط بالمعنى الأصليّ للفظ بصلة أو قرينة ما. وهذه المعاني المجازيّة لا تظهر دفعة واحدة، وإنّما في مرحلة ما من مراحل حياة اللغة. وأحيانًا لا

١- R.P.A.Dozy، Dictionnaire detaillé Des noms de vêtements chez les Arabes، Amesterdam، 1843، 1845، pp، v-vi. انظر خليفة، عبد الكريم، (٢٠٠٣)، نحو المعجم التاريخيّ للغة العربيّة، مجلّة مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، القاهرة، ج٩٩، ٢٣-٣.

٢- خليفة، عبد الكريم (٢٠٠٣)، نحو المعجم التاريخيّ للغة العربيّة، مجلّة مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، القاهرة، ج٩٩، ٢٣-٣.

يمكن رصد زمن ولادة اللفظ، ثمّ ما يلبث أن ينتشر استعماله حتّى يدوّن في أحد النصوص، ويعدّ النصّ الأوّل الذي ورد فيه هو الشاهد على ظهوره تاريخيًا، وقد لا يكون الأوّل، لكنّه أقدم ما وصل إلينا، فيعدّ هو الشاهد الأوّل. ولعلّ أهم ما يبنى عليه المعجم التاريخيّ هو تبيان هذا التطوّر الدلاليّ، الذي لا يظهر معناه آخرًا إلّا بمعرفة معناه الأوّل الذي وضع له[١].

وقد شهدت المعجميّة العربيّة في العصر الحديث تحوّلات جذريّة، خاصّة مع دخول التقنيات الحديثة، وأساليب التحليل اللغويّ المتقدّمة باستخدام الحاسوب، وانتشار المعاجم الإلكترونيّة، التي تسهّل الوصول إلى المعاني بسرعة فائقة، الأمر الذي عزّز البحث العلميّ والتعلّم والتعليم. وانتشرت أيضًا قواعد البيانات اللغويّة العربيّة، والمنصّات الرقميّة خدمة للباحثين واللغويّين، ولعلّ هذا التحوّل الرقميّ الحديث في شتى أصناف العلوم، يمكن رصده في أبواب اللغة نفسها، من خلال النظر في المعجم التاريخيّ للغة العربيّة الذي حظي مجمع اللغة العربيّة في الشارقة العمل على إنتاجه بالتعاون مع مجامع أخرى.

بذل العلماءُ جهودًا حثيثة سعيًا لخدمة هذه اللغة الشريفة بشتّى الوسائل، فأُنشئت المجامع اللغويّة في بعض الدول العربيّة، آخذة على عاتقها مسؤوليات لغويّة كثيرة. وقد قام (اتحاد المجامع اللغوية العلميّة العربيّة) بمهمّة إعداد دراسة تأريخيّة لغويّة للغة العربيّة، تراعي الأصول المعجميّة والمبادئ المنهجيّة لإنجاز عمل علميّ متكامل. وقد نال هذا العمل رعاية علميّة وعمليّة وماليّة شاملة من محب العلم حاكم إمارة الشارقة الشيخ الدكتور سلطان القاسمي -حفظه الله- فاكتملت بنية الاتحاد الفنيّة والإداريّة.

١- العرود، زهير محمّد، (٢٠١٣). بين معجم العين ولسان العرب. غزّة: مجلّة الجامعة الإسلاميّة للبحوث الإنسانيّة، مج٢١، ع٢، ٢٩-٥٠.

وكان من هذا الاتحاد أن جنّد إمكاناته وآليّاته وأدواته العلميّة والعمليّة واللوجستيّة لوضع منهج علميّ شامل حديث لمعجم تاريخيّ للغة العربيّة، يجمع جذورها الثريّة، وصيغها الاشتقاقيّة، ودلالاتها الأصليَّة والمجازيّة، وسيرة ومسيرة ألفاظها التاريخيّة، ليحفظ لهذه اللغة بناءها الفكريّ واللغويّ.

أنجز العمل بهذا المعجم تباعًا بصورتين: الأولى منهما علميّة تقليديّة على شكل مجلدات مطبوعة ومنشورة، وقد تمّ إصداره كاملًا في مائة وسبعة وعشرين مجلّدًا، والصورة الثانية: علميّة إلكترونيّة متوفّرة على الشابكة العالميّة، تواكب الإصدارات اللغويّة الأجنبيّة الحديثة، الأمر الذي يسهّل الوصول إلى المادّة اللغويّة بسلاسة ويسر زمانًا ومكانًا[1].

مصادر المعجم:

إنّ المصادر التي اعتمد عليها المعجم كثيرة ومتعدّدة، إذ تضمّن هذا المعجم جميع ما ورد في مدوّنة الكلم العربي في كلّ العصور مما عزّ استعماله أو كثر، واعتمادًا على المدوّنة المحوسبة التي خُصّصت له، وهي بدورها تستمدّ معاني الألفاظ من مصدرين: الأوّل المصادر الأساسيّة الأوّليّة وهي النقوش، والشعر، والقرآن الكريم، والحديث النبويّ الشريف، والتاريخ، والفقه، والتراجم، وغيرها من كتب العلوم؛ والثاني المصادر الثانويّة وهي المعاجم القديمة والحديثة على اختلاف أنواعها[2]. وقد تنوّعت معاني الألفاظ في المعجم، وتشعّبت لأسباب عديدة، يمكن عزوها إلى أمور كثيرة منها:

١- وجيه، مأمون، المعجم التاريخي للغة العربيّة: المنهجيّة وأصول التحرير، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، التصدير، ٢٠٢٣م / ١٤٤٥هـ. واعتمدت أيضًا في معلومات المعجم على مقابلة مسجّلة أجريتها في مجمع اللغة العربيّة مع الدكتور مصطفى رابح بن عاشور شرح فيها بالتفصيل المنهج العمليّ في المعجم، أجريت هذه المقابلة في تاريخ ٨ يوليو ٢٠٢٤ في تمام الساعة الواحدة ظهرًا، وكانت مدّتها ٣٦ دقيقة.

٢- المصدر نفسه، ص ٤١.

١- سعي المعجم لتحرّي جميع المعاني التي يشير إليها اللفظ الواحد منذ بداية استعماله، وتحديد هذه البداية، وذكر التطوّرات التي مرّت بها الألفاظ أو تغيراتها، مع تحديد ذلك بنسبته إلى الزمن الذي رُصد به هذا اللفظ متطوّرًا أو متغيّرًا.

٢- تعدّد الجهات التي شاركت في العمل من هيئات ومجامع ومراكز لغويّة، باختلاف توجهاتها وسياساتها.

٣- التنوّع الجغرافي من العالم العربيّ للفِرق المشاركة في هذا المشروع اللغويّ الضخم، مما يعطي المعجم سعة في آفاقه، وغنًى في محتواه، لجمع مادّته من مدارس متعدّدة من المشرق والمغرب العربيّ على السواء.

٤- كثرة المهتمين من المعنيّين وغيرهم بتاريخ اللغة العربيّة في جميع الآفاق.

وقد سبقت اللغةَ العربيّة اللغاتُ الدوليّة بوضع معاجم تاريخيّة للغاتها لحفظها، وفيها «ترصد تاريخ ميلاد الألفاظ وكمونها وانقراضها»[١]، وتحديد تطّورات دلالاتها التاريخيّة، وتعدّدها وما يعتور الألفاظ والصيغ من تحوّل وتبدّل وتصريف، والمراحل الثقافيّة التي مرّت بها تلك اللغة، وذلك بتدوين المستجدّات من الألفاظ والأساليب، وصور استعمالها، وغير ذلك من التغييرات التي تطرأ على أبنية اللغة في مسيرتها عبر التاريخ[٢]، وحصر رقعتها المكانيّة والزمانيّة، وجمع ثروتها اللفظيّة والبيانيّة والدلاليّة والأسلوبيّة. وقد صدر المعجم التاريخي للغة الفرنسيّة عام ١٦٩٤م بعد ستين عامًا من العمل عليه، ثم صدر بعده بأكثر من قرنين في عام ١٩٢٨م المعجم التاريخي للغة الإنجليزيّة، الذي استغرق إعداده سبعين عامًا.

١- مأمون، المعجم التاريخي للغة العربيّة: المنهجيّة وأصول التحرير، ص ١٦.
٢- المصدر نفسه، ص ١٦.

البداية ومنهج العمل في المعجم:

استغرق إعداد التخطيط لهذا المعجم أكثر من عامين بشكل علميّ وفق أصول بناء المعاجم التاريخيّة، على غرار المعجم التاريخيّ للغة الإنجليزيّة، مع إضافة المستنبَط من مناهج المعجميّين الأوائل، فضلًا عن الكتابات المعاصرة حول بناء المعاجم. وتمّ تدريب المحررين على كيفيّة رصد المواد اللغويّة من مصادرها، ثمّ انطلق العمل في بداية يناير في عام ٢٠٢٠م[١].

ترتيب المعجم:

يتمّ ترتيب الوحدات المعجميّة في المعجم وفق مداخل، وهي أقسام:

- منها ما هو مدخل معجميّ رئيس ويسبق برمز (×) للدلالة عليه.
- ومنها ما هو مدخل فرعيّ تحت الاسم الرئيس ويرمز له (٠) للدلالة على فرعيّته[٢].

تكون البداية مع الجذر وهو أكبر وحدة لغويّة في تحرير المعجم، وتتصل به ثلاث عمليّات:

- تحرير نقوش العربيّة القديمة للجذر جنوبيّة كانت أو شماليّة وكذا النظائر الساميّة، ولها لجان مختصّة لتهيئتها قبل إدراجها في مدخل الجذر في المعجم، ويكتب الجذر بخطّ النقش الذي ورد به[٣].
- استنباط المعاني الكليّة وتكتب في البداية، ويؤخّر التفصيل عنها لموضع ورودها.

١- المصدر نفسه، ص ١٨-١٩.
٢- مأمون، المعجم التاريخي للغة العربيّة: المنهجيّة وأصول التحرير، ص ٢٤. والمقابلة المسجّلة.
٣- انظر الملحقات في آخر البحث.

- ترتيب المداخل الفرعيّة وفق منهج محدد[١]، وهو كالتالي:

أوّلًا: المداخل الفعليّة

ثانيًا: المداخل الإسميّة

ثالثًا: المداخل الوظيفيّة

والوحدات المعجميّة التي ترد تحت هذه المداخل الفرعيّة متنوّعة، فهي إمّا أن تكون: كلمات ذات معنى؛ أو كلمات لها وظيفة؛ أو كلمات منحوتة أو مركّبة؛ أو أمثال أو عبارات اصطلاحيّة؛ أو رموز ومختصرات. وهذه الوحدات المعجميّة الفرعيّة ترِد تحت الأصل المعجميّ الرئيس وهو الجذر، وترتب وفق طبيعتها في مدخل الجَذر الذي تنحدر منه، حسب رسمها الهجائي باعتبار الحرف الأوّل فالثاني وهكذا[٢].

إنّ المعالجة المعجميّة للمداخل الفرعيّة تخضع هي أيضًا لمنهج دقيق، وذلك:

أوّلًا: ترصد دلالة اللفظ، وذلك بتتبّع سياقاته الاستعماليّة عبر العصور، والاستئناس بمختلف المعاجم مع مراعاة ضوابط التعريف.

ثانيًا: يضبط اللفظ ضبطًا تامًا للدلالة والشاهد، مع مراعاة علامات الترقيم واستعمال الاختصارات الكتابيّة.

ثالثًا: الاستشهاد بإيراد شاهد اللفظ الأقدم تاريخيًّا من كل عصر، وضبط الشواهد والتأريخ لإثبات تسلسل ورودها وفق منهج محدّد.

رابعًا: توثيق بيانات مصدر الشاهد، ومراعاة المنهج المتّبَع للشواهد مجهولة القائل[٣].

١- مأمون، المعجم التاريخي للغة العربيّة: المنهجيّة وأصول التحرير، ص ٢٥-٢٦. والمقابلة المسجّلة.

٢- المصدر نفسه، ص ٢٣. والمقابلة المسجّلة.

٣- مأمون، المعجم التاريخي للغة العربيّة: المنهجيّة وأصول التحرير، ص ٥٥. والمقابلة المسجّلة.

العصور المعتمدة لشواهد المعجم:

إن العصور التي اتُفق على الاستشهاد منها خمسة، ويرمز لكل واحد منها برمز، وهي كالتالي:

١- (ق س) عصر ما قبل الإسلام، أي إلى (١ ق هـ/ ٦٢١م).

٢- (س) العصر الإسلاميّ، من (١هـ/ ٦٢٢م) إلى نهاية الخلافة الأمويّة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م).

٣- (ع) العصر العباسي، من (١٣٣هـ/ ٧٥٠م) إلى نهاية الخلافة العباسيّة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٧م).

٤- (د م) عصر الدول والإمارات، من (٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م) إلى (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م).

٥- (ح) العصر الحديث، من (١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م) إلى (١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م).[1]

ترتيب المداخل الفرعيّة داخل المعجم:

اعتُمد الترتيب الصرفيّ في ترتيب مداخل المعجم، فقدّمت الأفعال على الأسماء، وكذلك الأمر في ترتيب صيغ الأفعال. وقد رتّبت مداخل الأفعال على النحو التالي:

- قُدّم الثلاثيّ على الرباعيّ، والمجرّد على المزيد، واللازم على المتعدّي.
- رتّب الفعل الثلاثيّ وفق حركة عين ماضيه ومضارعه، مثاله: فعَل يفعُل؛ ثمّ فعَل يفعِل؛ ثمّ فعَل يفعَل؛ ثمّ فعِل يفعَل؛ ثمّ فعُل يفعُل؛ ثمّ فعِل يفعِل، وهذا المنهج انسحب على جميع المداخل دون تغيير أو تبديل.

١- المصدر نفسه، ص ٢٣. والمقابلة المسجّلة.

- أدرج الفعل المزيد بحرف على وزن أفعل ثمّ فاعل ثمّ فعَّل على هذا الترتيب، ثم المزيد بحرفين على وزن افتعل ثمّ انفعل ثمّ تفاعل ثمّ تفعَّل ثمّ افعلَّ، وهكذا في كلّ المداخل وكلّ قسم من أقسام الأفعال.

- يُذكر الفعل المبني للمجهول بعد المبني للمعلوم المتّفق معه في الصيغة، بشرط أن يرد في المعاجم.

- ينصّ على ذكر المهمل والممات وغير المستعمل في حال ورود أحد مشتقاته، وذلك حرصًا على تسجيل حالة اللفظ التاريخيّة بشكل دقيق، ويتبع بعبارة: «ولم يستعمل هذا الفعل من قبل، واستعملت بعض مشتقّاته أو مصادره»[١].

- ذُكرت المصادر مباشرة بعد الأفعال بتقديم المصدر القياسيّ على غيره.

- تمّ طرح المشتقّات القياسيّة ونُصّ على السماعيّ منها، إلّا إن تشاركا اللفظ كيلا يتوهّم عدم جواز القياسيّ[٢].

- تُذكر الأسماء بعد الأفعال مباشرة مع التأريخ للجوامد، والمتمحّض للاسميّة من المشتقّات، وكذا دلالة المصادر المجرّدة عن الحدث، وترتّب ترتيبًا هجائيًّا، مع مراعاة أنواع الأسماء وما دخل عليها من تغييرات وفق منهج محدّد يطبّق في سائر المعجم على حدٍّ سواء[٣].

- تأتي المصطلحات التي وردت في المدوّنة بعد الأسماء، وهي الأدوات سواء منها الأدوات الإسميّة أو الفعليّة أو الحرفيّة، وتذكر وفق ترتيبها في المعجم[٤].

١- مأمون، المعجم التاريخي للغة العربيّة: المنهجيّة وأصول التحرير، ص ٢٩.
٢- المصدر نفسه، ص ٣٤. والمقابلة المسجّلة.
٣- المصدر نفسه، ص ٣٥-٣٨.
٤- المصدر نفسه، ص ٥٠.

تُرتب جميع المداخل بشكل متطابق، بأن يذكر المدخل أوّلًا فالمعنى، ثمّ رمز عصر الشاهد، ثمّ زمن العصر، ثمّ اسم القائل وتاريخ الشاهد، ثمّ تذكر عبارة تمهّد للشاهد أو السبب الذي استعمل لأجله.[1] أمّا فيما يتعلّق بالمعنى، فيذكر المعنى الأقدم وصولًا إلى الأحدث زمنيًّا، وكذا المعنى الحقيقيّ ثمّ المجازيّ، والأكثر شيوعًا ثمّ الأقلّ، والمعنى الحسّيّ قبل العقليّ، وهذا الترتيب ينسحب على جميع مداخل المعجم سواء الأفعال منها أو الأسماء[2].

تُشرح معاني الألفاظ في المعجم بما يتناسب معها من طرق، فإمّا أن تُشرح بالتعريف اللغويّ أو المنطقيّ أو العلميّ؛ وإمّا بتحديد المكوّنات الدلاليّة؛ وإمّا بذكر المرادفات أو الأضداد؛ وإمّا بالأمثلة المفسّرة؛ وإمّا بالصور والرسوم إن لزم ذلك. ويتتبّع المعجم تطوّرَ وتغيّرَ وتحوّلَ دلالات الألفاظ عبر العصور، وتتمّ الإشارة إلى ذلك بتحديد الزمن الذي حصل فيه هذا التغيّر في المدخل عينه[3]. أمّا فيما يخصّ الشواهد فيُكتفى بشاهد واحد من كل عصر لكلّ معنى، وتكون الأولويّة للشاهد الأقدم تاريخيًّا، ما خلا العصر الإسلاميّ الذي يُستشهد منه بثلاثة شواهد لكل دلالة عند توفرها، نظرًا لما لهذا العصر من خصوصيّة، اكتسبت فيه ألفاظٌ كثيرة معانٍ جديدة، على أن يكون أحد هذه الشواهد من القرآن الكريم والثاني من السنّة المطهّرة والثالث من كلام العرب[4].

وقد جاءت مداخل المعجم جميعها بصورة واحدة منتظمة، نظرًا للمنهج الدقيق الذي وضعه القيّمون على هذا المعجم، علاوة على كلّ ما ورد حول ترتيب المداخل والمعاني في الجذور، إلّا أنّ هناك معايير وضوابط وتفاصيل كثيرة

١- المصدر نفسه، ص ٣٨-٣٩.
٢- المصدر نفسه، ص ٣٩-٤٠.
٣- المص مأمون، المعجم التاريخي للغة العربيّة: المنهجيّة وأصول التحرير، ص ٤٠-٤١.
٤- المصدر نفسه، ص ٤١-٤٢.

يصعب الإلمام بها جميعا[١] في هذه الورقة البحثيّة نظرًا لضيق المقام وضخامة العمل المعجميّ هذا، لا سيّما وأنّ اللغة العربيّة غنيّة بالمفردات لا يضاهي غناها لغة من لغات العالم.

وقد أشار حسن الشافعي عندما نقل عبارة «أن العلم: منهج ضابط، وأستاذ راسخ، وكتاب محرّر، وطالب مقبل» إلى أن المنهج يضبط الأداء فلا عمل ناجح دون منهج؛ والأستاذ الراسخ إنّما هم المدرّبون العاملون الأكفاء الواعون لمنهج العمل، وكيفيّة تطبيقه، وطريق سير العمل فيه.[٢]

مميزات المعجم:

بالنظر إلى معالجة الألفاظ في هذا المعجم، يمكن إجمال بعض مميّزات المعجم التاريخيّ بما يلي:

- طبّق المعجم منهج علميّ دقيق ينسحب على جميع مداخل اللغة، بحيث يسهل على الباحثين الوصول إلى اللفظ المشتقّ بالترتيب عينه في كلّ الجذور.
- فتح إمكانيّة تتبّع ولادة وتطوّر الألفاظ من خلال دراسة الجذر في المعجم.
- نوّع طرق الوصول إلى المفردة المرادة، سواء من خلال المعجم الورقيّ أو عن طريق الموقع الإلكترونيّ للمعجم.
- جمع مادّة لغويّة ضخمة من سائر المعاجم التراثيّة التي سبقته، وأشار إلى المستعمل والمهمل من الألفاظ، كما فعل الخليل في معجم العين.
- استوعب المعجم الألفاظ الحديثة التي ظهرت بعد الثوّرة العلميّة وتوسّع العلوم والمعارف، وهي ما يعرف بالمولّد والدخيل والمعرب والمحدث،

١- لمزيد من التفصيل انظر المعجم التاريخي للغة العربيّة: المنهجيّة وأصول التحرير، حيث جمعت هذه الضوابط والمعايير فيه بشكل مفصّل.

٢- المصدر نفسه، التصدير.

وضمّ تلك الألفاظ لمادّته إلى جانب الألفاظ والمفردات التي ذُكرت في المعاجم التراثيّة، وكلّ ذلك في معجم واحد.

- فتح المعجم أبوابًا لعلم المصطلح للاستفادة من الألفاظ المهملة أو المشتقّ منها، مع إمكانيّة ضبطها صرفيًّا للتعبير عن المصطلحات المحدثة والمعرّبة والدخيلة ممّا هو موجود أصلًا في اللغة، لكنّه كان مهملًا في فترة ما، وأعطى احتماليّة إحياء ذلك اللفظ من جديد.
- ضمّ نقوش الألفاظ العربيّة التي تثبت تاريخ استخدام اللفظ وطريقة كتابته في أصله الأول.
- ذكر النظائر الساميّة للألفاظ، تسهيلًا على الباحثين في مجال الدراسات اللغويّة والدراسة المقارنة.
- تميّز هذا المعجم بذكر العبارات السياقيّة والاصطلاحيّة والأمثال والتعابير المسكوكة.
- اتسم المعجم بالترتيب الخارجيّ ترتيبًا ألفبائيًّا لسهولة البحث عن الكلمات، إضافة إلى الترتيب الداخليّ، وهو ترتيب المداخل تحت الجذور وترتيب الدلالات تحت المدخل وفق نسق منهجيّ واحد[1].
- اعتمد المعجم على الإحالة التي تضفي نوعًا من التماسك النصيّ في المعجم، حيث تتمّ الإحالة في شرح بعض المداخل والتعريفات إلى مظانّ جذر اللفظ الأصليّ[2].

وغير ذلك من المميّزات، ما جعل من هذا المعجم موسوعة علميّة لغويّة تاريخيّة، تعين الباحثين اللغويّين على إيجاد موادّ بحثيّة متنوّعة في مصدر واحد.

١- مأمون، المعجم التاريخي للغة العربيّة المنهجيّة وأصول التحرير، ص ١٩٥-١٩٦.
٢- المصدر نفسه، ص ١٩٧.

الخاتمة

مرّ تدوين اللغة العربيّة بمراحل متعدّدة عبر العصور، منذ رحل علماء اللغة إلى البوادي، لجمع اللغة العربيّة من منابعها، ثمّ تدوينها في الكتب والمعاجم الأولى، مثاله عمل الخليل في معجمه واستنباطه للنظام الصوتيّ. وقد كان الدافع على رحلة العلماء إلى البادية وجمع ألفاظ اللغة خدمة الدين وحفاظًا على اللغة العربيّة التي نزل القرآن الكريم بها، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر:٩، ثمّ توسّعت الدراسات اللغويّة وتطوّرت، وتنوّعت طرق العلماء في التصنيف المعجميّ، فظهر لسان العرب الذي اعتمد فيه ابن منظور على خمسة معاجم في محاولة منه لحصر ألفاظ اللغة العربيّة، وصولًا للعصر الحديث وظهور الحاسوب والتقنيات الحديثة، الأمر الذي دفع العلماء لمواكبة الدراسات اللغويّة لهذا التطوّر، فظهرت المعاجم الإلكترونيّة، ولعل أوسعها وأضخمها المعجم التاريخيّ للغة العربيّة الذي اتخذه هذا البحث نموذجًا في الدراسة لتبيان تطور مناهج المعجميّة بما يتماشى مع العلوم الحديثة.

ختامًا يشدّد البحث على ضرورة مواكبة التطوّرات التقنيّة لتحقيق مزيد من التقدّم في هذا المجال الهامّ في اللغة العربيّة، ويؤكد على أهمية التعاون بين الباحثين والمؤسسات لتطوير معاجم حديثة متخصّصة لأصناف العلوم، تلبي احتياجات العصر الحديث وتساهم في الحفاظ على التراث اللغويّ العربيّ، وهذا بالطبع لا يعني أنّ المعاجم الحديثة قد ألغت المعاجم السابقة، بل على العكس تمامًا، فالمعاجم الحديثة استمدّت قيمتها وقوّتها وغناها، بسبب اعتمادها على كتب التراث المعجميّ الذي تركه لنا علماء اللغة الأوائل عندما جمعوا اللغة في ذاك الزمن، إذ لا يمكن المقارنة بين الإمكانيّات المتاحة في عصر الحاسوب، وبين الإمكانات المتواضعة التي امتلكوها، ولهم بها كل الفضل على حفظ لغة القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

المصادر العربيّة:

- الباتلي، أحمد بن عبد الله. المعاجم اللغويّة وطرق ترتيبها. الرياض: دار الراية للتوزيع والنشر، ١٩٩٢.
- بحر الدين، أوريل. آفاق المعاجم العربيّة. مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢٠م.
- برباق، ربيعة، (٢٠١٧). أثر اللسانيّات الحديثة في صناعة المعجم الوسيط. مجلّة الذاكرة، مخبر التراث اللغويّ في الجنوب الشرقيّ الجزائريّ ع٨، ١٥٧-١٧٥.
- بعلبكي، رمزي. التراث المعجميّ العربيّ من القرن الثاني حتّى القرن الثاني عشر للهجرة. بيروت: المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠٢٠.
- ابن حجر العسقلاني. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تحقيق محمّد عبد المعيد ضان. حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، ١٣٩٢ / ١٩٧٢.
- أبو سكين، عبد الحميد محمد. المعاجم العربيّة: مناهجها ومدارسها. القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٩٨١.
- السيوطي، جلال الدين. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. صيدا وبيروت: المكتبة العصريّة، ١٩٨٦.
- عبد الجليل، عبد القادر. المدارس المعجميّة: دراسة في البنية التركيبيّة. عمّان: دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٤م.
- عبد الله، يسرى عبد الغنيّ. معجم المعاجم العربيّة. بيروت: دار الجيل، ط١، ١٩٩١م.
- العرود، زهير محمّد، (٢٠١٣). بين معجم العين ولسان العرب. غزّة: مجلّة الجامعة الإسلاميّة للبحوث الإنسانيّة، مج٢١، ع٢، ٢٩ - ٥٠.
- اللغوي، أبي الطيب. شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة. القاهرة: دار المعارف، د.ت.
- بن مراد، إبراهيم. دراسات في المعجم العربيّ. بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، ١٩٨٧.

- بن مراد، إبراهيم، (٢٠١٤). في مفهوم المعجم التاريخيّ وتطبيقاته على العربيّة. مجلّة المعجميّة، ج٣٠، ٩-٥٤.
- ابن منظور. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.
- نصّار، حسين. المعجم العربيّ: نشأته تطوّره. القاهرة: مكتبة دار مصر للطباعة، ١٩٨٨.
- وجيه، مأمون. المعجم التاريخي للغة العربيّة المنهجيّة وأصول التحرير. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، التصدير، ٢٠٢٣م / ١٤٤٥هـ.
- يعقوب، إميل. المعاجم اللغويّة العربيّة: بدايتها وتطوّرها. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٥.

المصادر الأجنبيّة:

- Baalbaki, Ramzi. The Arabic Lexicographical Tradition From the 2nd/8th to the 12th/18th Century. Leiden: E. J. Brill, 2014.
- Haywood, John A. Arabic Lexicography: Its History and Its Place in the General History of Lexicography. 2nd ed. Leiden: E. J. Brill, 1965.
- R.P.A.Dozy, Dictionnaire detaillé Des noms de vêtements chez les Arabes, Amesterdam, 1843, 1845, pp, v-vi.

رومنة المصادر والمراجع العربية:

- Al-Bātilī, Aḥmad ibn ‘Abd Allāh. Al-ma‘ājim allghwyyh wa-ṭuruq trtybhā. Al-Riyāḍ: Dār al-Rāyah lil-Tawzī‘ wa-al-Nashr, 1992.
- Baḥr al-Dīn, awryl. Āfāq al-ma‘ājim al-‘Arabīyah. Maktabat Lisān ‘Arabī lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, Ṭ1, 2020m.
- Brbāq, Rabī‘ah, (2017). Athar allsānyyāt al-ḥadīthah fī ṣinā‘at al-Mu‘jam al-Wasīṭ. mjllh al-dhākirah, Makhbar al-Turāth allghwī fī al-Janūb alshrqī aljzā’rī ‘8, 157-175.
- Ba‘labakkī, Ramzī. Al-Turāth alm‘jmī al‘rbī min al-qarn al-Thānī ḥttá al-qarn al-Thānī ‘ashar lil-Hijrah. Bayrūt: Al-Markaz al‘rbī lil-Abḥāth wa-dirāsat al-Siyāsāt, 2020.
- Ibn Ḥajar al-‘Asqalānī. al-Durar alkāmnh fī a‘yān al-mi’ah al-thāminah. taḥqīq Muḥammad ‘Abd al-mu‘īd ḍān. Ḥaydar Abād: Majlis Dā’irat al-Ma‘ārif al‘thmānyyh, 1392/1972.
- Abū Sikkīn, ‘Abd al-Ḥamīd Muḥammad. Al-ma‘ājim al-‘Arabīyah: manāhijuhā wa-madārisuhā. al-Qāhirah: al-Fārūq al-ḥadīthah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, 1981.
- Al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn. Al-Muz'hir fī ‘ulūm al-lughah wa-anwā‘hā. Ṣaydā wa-Bayrūt: al-Maktabah al‘ṣryyh, 1986.
- ‘Abd al-Jalīl, ‘Abd al-Qādir. Al-Madāris alm‘jmyyh: dirāsah fī al-binyah altrky-byyh. ‘Ammān: Dār al-Ṣafā’ lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, ṭ2, 2014m.
- ‘Abd Allāh, Yusrī ‘Abd alghnī. Mu‘jam al-ma‘ājim al-‘Arabīyah. Bayrūt: Dār al-Jīl, Ṭ1, 1991m.
- Al-‘Urūd, Zuhayr Muḥammad, (2013). Bayna Mu‘jam al-‘Ayn wa-lisān al-‘Arab. Gazza: mjllh al-Jāmi‘ah al’slāmyyh lil-Buḥūth al-Insānīyah, mj21, ‘2, 50-29.
- Al-lughawī, Abī al-Ṭayyib. Shajar al-Durr fī Tadākhul al-kalām bālm‘āny al-mukhtalifah. al-Qāhirah: Dār al-Ma‘ārif, D. t.
- Ibn Murād, Ibrāhīm. Dirāsāt fī al-Mu‘jam al‘rbī. Bayrūt: Dār al-Gharb al’slāmī, 1987.
- Ibn Murād, Ibrāhīm, (2014). Fī Mafhūm al-Mu‘jam altārykhī wa-taṭbīqātuhu ‘alá al-‘Arabīyah. mjllh alm‘jmyyh, j30, 9-54.
- Ibn manẓūr. Lisān al-‘Arab. Bayrūt: Dār Ṣādir, 1414h.

- Naṣṣār, Ḥusayn. Al-Mu‘jam al‘rbī: nash’atuhu tṭwwrh. Al-Qāhirah: Maktabat Dār Miṣr lil-Ṭibā‘ah, 1988.
- Wajīh, Ma’mūn. Al-Mu‘jam al-tārīkhī lil-lughah al-‘Arabīyah almnhjyyh wa-uṣūl al-Taḥrīr. Dār al-Salām lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘ wa-al-Tarjamah, al-taṣdīr, 2023m / 1445h.
- Ya‘qūb, Imīl. Al-ma‘ājim allghwyyh al-‘Arabīyah: bidāyatihā wa tṭwwrihā. Bayrūt: Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, 1985.

الملحق رقم ١

[أ ب و]

احتفظت الساميات بهذا الجذر من العربية الأم، فقد ورد الجذر (أ ب و):

في الأكّدية، ومنه الاسم: (أبُ) abu بمعنى "والد"، وهو يتفق مع الاسم العربي (أب) مبنى ومعنى، ومن مجيئه بمعنى "أب": " 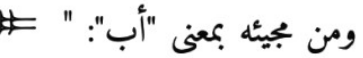 "؛ أي "كانت أمّي كاهنةً، [أمّا] أبي فلا أعرف"

(AHw, p. 7)

وفي الأوجاريتية، ومنه الاسم: ab (أب) 'ab بمعنى "والد"، وهو يتفق مع الاسم العربي (أب) لفظًا ومبنى ومعنى، ومن مجيئه بمعنى "أب": "tbkyk.ab.[r.b'l"؛ أي "يُبكيك، أيّها الأب، جبلُ المعبود بعل".

(DULAT, p. 4)

وفي الفينيقية، ومنه الاسم: BA (أب) b' بمعنى "والد"، وهو يتفق مع الاسم العربي (أب) مبنى ومعنى. ومن مجيئه بمعنى "أب" ما ورد في نقش زنجيرلي:"MRDA . MKLM . xKxMB . yba . xb . NK"؛ أي "كان بيت أبي في وسط ملوك أقوياء".

(DNWSI: p1)

وفي الآرامية، ومنه الاسم: אָב (آف) ʾāḇ بمعنى (والد)، وهو يتفق مع الاسم العربي (أب) مبنى ومعنى، ومن مجيئه بمعنى "أب" ما ورد في سفر دانيال: "הַנְפֵּק נְבוּכַדְנֶצַּר אֲבוּהִי"؛ أي "أخرجها نبوخذ نصر أبوه".

(דנ' ה،ב)

الملحق رقم ٢

وفي العبرية؛ ومنه الاسم: אָב (آف) ʾāḇ بمعنى "وَالِد" و"جد"، وهو يوافق الاسم العربي (أَب) مبنى ومعنى؛ ومن مجيئه بمعنى "أَب" ما ورد في سفر التكوين: "יֶשׁ לָנוּ אָב זָקֵן"؛ أي "لَنَا أَبٌ شَيْخٌ كبير".

(בר'، 44: 19، 20)

وفي السريانية؛ ومنه الاسم: ܐܰܒ (أَف) ʾaḇ بمعنى "وَالِد"، وهو يتفق مع الاسم العربي (أَب) مبنى ومعنى؛ ومن مجيئه بمعنى "أَب" ما ورد في إنجيل متى: "ܥܠܘܗܝ ܡܬܬܐ ܕܗܪܘܕܣ ܐܒܘܗܝ"؛ أي "عِوَضًا عَنْ هِيرُودُسَ أَبِيهِ".

(ܡܬ-ܒ: 22)

وفي الجعزية؛ ومنه الاسم: አብ (أَب) ʾab بمعنى "والد"، وهو يتفق مع الاسم العربي (أب) لفظًا ومبنى ومعنى؛ ومن مجيئه بمعنى "أب" ما ورد في سفر التكوين: ወትከውን አበ ብዙኀ አሕዛብ። أي: "وتكون أبًا لشعوب كثيرة"

(ኦሪት ዘፍጥረት 17:4)

الملحق رقم ٣

[س ع د]

النُّقوشُ العَرَبِيَّةُ:

ورد الجذر س ع د 𐩦𐩣𐩲 في عدد من النقوش العربية الجنوبية، من بينها نقش سبئي يعود تاريخه إلى الفترة ما بين القرنين الثاني والثالث الميلاديين (Höfner AF 1/4)، ورد فيه الفعل 𐩲𐩣𐩦 s ʿd أي يُسعِد، يُنعم، يمنح، يهب، يُظهر عليه النعمة، فجاء في النقش:

𐩱𐩥𐩣𐩲𐩥 𐩱𐩥𐩣𐩲𐩥𐩣 𐩱 𐩱𐩥𐩣𐩲𐩥𐩣 𐩱 𐩱𐩥𐩣𐩲𐩥𐩣 𐩱 𐩱𐩥𐩣𐩲𐩥𐩣 𐩱

أي "ليظهر له النعمة والرضا على كل الخدمات والهبات التي رزقها/ وهبها له".

(Beeston and Others, 1982: 121; Höfner, 1994: 102-104)

كما ورد في عدد من النقوش العربية الشمالية، من بينها نقش صفائي غير مؤرَّخ، ورد فيه الفعل 𐪀𐪁𐪂 s ʿd أي يساعد، فجاء في النقش: "